Google Squared

http://www.google.com/squared

Google

Web Images Maps News Video Gmail more ▾

Send us feedback | Help | Sign in

د. كمال عبد الملك

من رسائل الجاحظ إلى تغريدات التويتر

ديوان النثر العربي عبر العصور



من رسائل الجاحظ إلى تغريدات التويتر

ديوان النثر العربي عبر العصور

اســم العمــل **من رسائل الجاحظ إلى تغريدات التويتر**

النــــــوع دراسة

تـــــأليف د. كمال عبد الملك

تصميم الغـلاف عبد الحكيم صالح

إخـراج داخلـى عبد الحكيم صالح

الطباعـــــة مطبعة أتيليه تاتش ــ المحروسة

الناشـــــر **الدار للنشر والتوزيع**

المــدير العــام **محمد صلاح مراد**

تليفـــــون ٠١٠١٤٦٤٧٢١ ٠٠٢

بريد إلكترونـــى eddar_press@yahoo. com

الموقع على الإنترنت www. geocities. com/eddar_press

رقـــم الإيـداع ٢٠١٤/١٩١٢٤

التـرقيم الـدولى 987-977-702-071-8

من رسائل الجاحظ إلى تغريدات التويتر

ديوان النثر العربي عبر العصور

اعداد وتقديم

د. كمال عبد الملك

الدار
للنشر والتوزيع

اهداء

الى بناتي أميرة وليلى

المقدمة

الجديد في هذه المختارات هو احتواؤها على نصوص كلاسيكية وحديثة، فصيحة و عامية، مطبوعة و مدونة على الشبكة العنكبوتية ووسائل التواصل الاجتماعي مثل الفيس بوك والتويتروهذا امر غير معتاد في عالمنا العربي. وقد قمنا بوضع هذه المختارات على هذا النحو الجديد ايمانا منا بأن الموضوعات التي عالجتها هذه النصوص العربية عبر العصور هي موضوعات انسانية مشتركة مثل:

- الحب والعشق
- الفكر و المنطق
- النظرة إلى الغريب
- متعة السفر
- عجائب و غرائب المخلوقات
- التقليد والتجديد
- الثورة على الأوضاع القائمة و التوق للحرية
- مفهوم العدل و البحث عن السعادة

عالج الكتاب العرب على مدى العصور الكثير من هذه القضايا أوردنا هنا صفحات مما كتبوا وافكاراً من بين ما فاضت به قرائحهم عن قضايا الحياة و الكون سواء عبروا عن هذه الافكار بالفصحى أم بالعامية بالشعر ام بالنثر بالكتاب المطبوع ام بالمدونة الالكترونية ببلاغة الصالون الادبي أم بغوغائية الشارع.

ألف عام هو الفرق الزمني بين ابي حيان التوحيدي و أحمد فؤاد نجم ولكن الاثنين كتبا عن قضايا مشتركة: الموقف من الحاكم الجائر (ابن عباد و ابن العميد في حالة التوحيدي و السادات ومبارك في حالة نجم)، استعمال القاموس الهجائي المقذع (مثالب الوزيرين في حالة التوحيدي و كتاب الفاجومي في حالة نجم)، السخط على الناس الذين لا يقدرون المواهب و ينافقون السلطة ، الإعتداد المفرط بالنفس........إلخ.

فلماذا لانضع جنبا الى جنب نماذج من كتابات كليهما عن نفس القضايا الانسانية المشتركة؟ لماذ لانشير إلى هذه النماذج بانها تنتمي الى نفس السجل الكتابي الإبداعي عند العرب عبر العصور؟ لماذا نقسم الأدب العربي الى فصيح وعامي والأدباء إلى الخواص والعوام والإبداع إلى الكلاسيكي و الشعبي و الفنون إلى الرسمي والفلكلوري؟ فإذا درسنًا هذا كله درسنا جانباَ دون الآخر واذا نشرنا ابحاثا عالجنا جانبا دون الآخر واذا تحدثنا حرصنا على ألا نخلط بين الإثنين.

في هذا الكتاب يتجاور الفصيح مع العامي والقديم مع المعاصر والرسمي مع الشعبي وبهذا يكون قد قدم صورة أكثر شمولا وأعظم ترحابا بتنوع الابداع الثقافي العربي عبر العصور.

د. كمال عبدالملك

القاهرة في يناير ٢٠١٤

الباب الاول

الفصحى والعامية[1]

-الجاحظ-

ميل العامة إلى السهل من اللغات

وقد يستخف الناس ألفاظاً ويستعملونها وغيرها أرق بذلك منها ألا ترى أن الله تبارك وتعالى لم يذكر في القرآن الجوع إلا في موضع العقاب أو في موضع الفقر المدقع[2] والعجز الظاهر. والناس لا يذكرون السغب[3] ويذكرون الجوع في حال القدرة والسلامة. وكذلك ذكر المطر لأنك لا تجد القرآن يلفظ به إلا في موضع الانتقام والعامة وأكثر الخاصة يفضلون بين ذكر المطر وذكر الغيث. ولفظ القرآن الذي عليه نزل أنه إذا ذكر الأبصار لم يقل الأسماع وإذا ذكر سبع سموات لم يقل الأرضين. ألا تراه لا يجمع الأرض أرضين ولا السمع أسماعاً. والجاري على أفواه العامة غير ذلك لا يتفقدون من الألفاظ ما هو أحق بالذكر وأولى بالاستعمال. وقد زعم بعض القراء أنه لم يجد ذكر لفظ النكاح في القرآن إلا في موضع التزويج.

والعامة ربما استخفت أقل اللغتين وأضعفهما، وتستعمل ما هو أقل في أصل اللغة استعمالاً وتدع ما هو أظهر وأكثر. ولذلك صرنا نجد البيت من الشعر قد

---

[1] ـ من كتاب البيان والتبيين للجاحظ ج١/ تحقيق درويش جويدي.

[2] ـ الفقر المدقع: الشديد.

[3] ـ السغب: شدة الجوع.

سار ولم يسر ما هو أجود منه. وكذلك المثل السائر. وقد يبلغ الفارس والجواد الغاية في الشهرة ولا يرزق ذلك الذكر والتنويه بعض من هو أولى بذلك منه. ألا ترى أن في العامة ابنُ القِرية[٤] أشهرُ عندها في الخطابة من سحبان وائل وعُبيد الله بن الحر[٥] أذكر عندهم في الفروسية من زُهير بن ذؤيب وكذلك مذهبهم في عنترة بن شداد[٦] وعُتيبة بن الحارث بن شهاب[٧] وهم يضربون المثل بعمرو بن معد يكرب[٨] ولا يعرفون بسطام ين قيس[٩].

وفي القرآن معان لا تكاد تفترق مثل الصلاة والزكاة والجوع والخوف والجنة والنار والرغبة والرهبة والمهاجرين والأنصار والجن والإنس.

قال قطرب[١٠] أنشدني ضرار بن عمرو[١١] قول الشاعر في واصل: [من البسيط].

---

[٤] ـ هو: أبو سليمان أيوب بن زيد، الأعرابي، يعدّ من مشاهير الخطباء، على أميته. قتل على أيدي الحجاج بن يوسف سنة ٨٤هـ.

[٥] ـ هو: عبيد الله بن الحر بن عمرو الجعفي، من بني سعد العشيرة: قائد من الشجعان الأبطال. كان من أصحاب عثمان بن عفان وبعد مقتله انحاز إلى معاوية. قاتل المختار الثقفي مع مصعب بن الزبير، ثم حلّت بينهما جفوة فألقى بنفسه في الفرات مخافة أن يؤسر من قبل مصعب فمات غريقاً سنة ٦٨هـ/٦٨٧م. انظر ترجمته في: طبقات الإسلام ٥٩، خزانة الأدب للبغدادي ١/٢٩٦-٢٩٩.

[٦]ـ هو: عنترة بن شداد بن عمرو بن معاوية بن قراد العبسي: أشهر فرسان العرب في الجاهلية، ومن شعراء الطبقة الأولى. من أهل نجد، ورث اسواد من أمه الحيشية زبيبة. اشتهر بحبه لابنة عمه عبلة. قتل سنة ٢٢ق.هـ/ نحو ٦٠٠م. انظر ترجمته في الأغاني، طبعة دار الكتب ٨/٢٣٧، الشعر والشعراء ٧٥.

[٧] هو: عتيبة بن الحارث بن شهاب التميمي: فارس تميم في الجاهلية. كان يلقّب (سم الفرسان) و (صياد الفوارس). قتله ذؤاب بن ربيعة بن عبيد. أنظر ترجمته في جمهرة الأنساب ١٨٤.

[٨] ـ هو : عمرو بن معدي كرب بن ربيعة بن عبد الله الزبيدي: فارس اليمن. وفد على المدينة مسلماً مع بني قومه، ثم ارتد بعد وفاة النبي (ص)، ثم عاد إلى حظيرة الإسلام ليقاتل في اليرموك والقادسية. واستشهد في بلاد الفرس سنة ٢١هـ/٦٤٢م. انظر ترجمته في الإصابة (ت٥٩٧٧٢)، الشعر والشعراء ١٣٨.

[٩] ـ هو بسطام بن قيس بن مسعود الشيباني، أبو الصهباء، سيد شيبان، ومن أشهر فرسان العرب في الجاهلية. أدرك الإسلام ولم يسلم قتل على يدي عاصم بن خليفة الضبي يوم الشقيقة بعد البعثة النبوية سنة ١٠ ق. هـ/ ٦١٢م. أنظر ترجمته في: الكامل للمبرد: ١/١٠٩. الأمثال للميداني ٢/٢٢.

[١٠] ـ هو: محمد بن المستنير، من علماء اللغة البصريين، توفي سنة ٢٠٦.

ويَجعل البُرَّ قمحاً في تصرُّفهِ   وجانَبَ الراءَ حتَّى احتالَ للشَّعرِ

ولم يُطق مطراً والقول يعجلُهُ   فعادَ بالغيثِ إشفاقاً من المصرِ

قال: وسألت عثمان البري كيف كان واصل يصنع في العدد. وكيف كان يصنع بعشرة وعشرين وأربعين؟ وكيف كان يصنع بالقمر والبدر ويوم الأربعاء وشهر رمضان؟ وكيف كان يصنع بالمحرم وصفر وربيع الأول وربيع الآخر وجمادي الآخرة ورجب؟ فقال: مالي فيه قول إلا ما قال صفوان: [من البسيط]

مُلقنٌ مُلهم فيما يُحاولهُ   جّمُ خواطِرُهُ جوَّابُ آفاقِ

وأنشدني ديسم[12] قال: اندني أبو محمد اليزيدي[13]: [من البسيط]

وخلَّة اللفظِ في اليآت إنْ فُقِدَت[14]   كخلَّةِ اللفظِ في اللأَّمات والألفِ

وخصلَةُ الرَّاءِ فيهَا غيرُ خافِيةِ   فاعْرِفْ مواقعها في القَولِ والصُّحفِ

يزعمُ أن هذه الحروف أكثر تردداً من غيرها، والحاجة إليها أشد. واعتبر ذلك بأن تأخذ عدة رسائل وعدة خطب من جملة خطب الناس ورسائلهم. فإنك متى حصلت جميع حروفها وعددت كل شكل على حدة علمت أن هذه الحروف الحاجةُ إليها أشدَ.

---

[11] ـ هو ضرار بن عمرو، صاحب مذهب الضرارية من فرق الجبرية، وهو من تلاميذ واصل بن عطاء، وقد اختلف مع أستاذه في خلق الأعمال وإنكار عذاب القبر.

[12] ـ هو: ديسم العنتري: كان صديقاً لبشّاره، كثيراً ما هجاه رغم حبه له.

[13] ـ هو: يحيى بن المبارك بن المغيرة العدوي، أبو محمد، اليزيدي، بصري عالم من علماء العربية. سكن بغداد وصحب يزيد بن منصور الحميري خال المهدي يؤدب ولده فنسب إليه. توفي بمرو سنة ٢٠٢هـ/٨١٨م. من كتبه: (المقصور والممدود)، (النوادر). أنظر ترجمته في: تاريخ بغداد ١٤٦/١٤، المزهر ٢٣٢/٢.

[14] ـ في رواية أخرى: إن ذكرت.

الباب الثاني: اللغة وصناعة الكلام

في بيان الأفصح في اللغة العربية[١٥]

-الزبيدي-

قال أبو الفضل[١٦]: أفصحُ الخلق على الإطلاق سيدُنا ومولانا رسوُل الله، (ص)، قال (ص): (أنا أفصحُ العرب) رواه أصحاب الغَرِيب، وروروه أيضاً بلفظ: (أنا أفصحُ من نطق بالِضاد بيد أَني من قُرَيشِ)[١٧].

ونُقِل عن أبي الخطاب بن دحية[١٨]: اعلم أن الله تعالى لما وَضَع رسوله (ص) موضعَ البلاغ من وحيه، ونَصَبه منصب البيان لدينه، اختار له من اللغات أعربها، ومن الألسن أفصحها وأبينها، ثم أمدَّه بجوامع الكَلِم.

ثم قال: وأفصح العرَب[١٩] واختار منهم محمداً (ص)، فجعل قريشاً سَطان حرمِه[٢٠] وولاة بيته، فكانت وفودُ العربِ من حُجاجِها وغيرهم يفدُون إلى مكة للحج، ويتحاكمون إلى قريش، وكانت قريش مع فصاحتها، وحُسن لغاتِها، ورقةِ ألسنتها، إذ أتتهم الوفودُ من العربِ تخيروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتِهم،

---

[١٥] ـ من تاج العروس في جواهر القاموس للسيد محمد بن مرتضى الحسيني الزبيدي (١٢٠٥هـ/ ١٧٩١م)، تحقيق عبد الستار فراج.

[١٦] ـ المزهر ١/١٠٣.

[١٧] ـ النهاية لابن الأثير (بيد) وفسر بيد بمعنى غير.

[١٨] ـ المزهر ١/ ١٠٣ وقال الخطابي.

[١٩] ـ المزهر عن ابن فارس وانظر الصاحبيلابن فارس ٢٣.

[٢٠] ـ في المزهر والصاحبي (قطان حرمه).

وأصفى كلامِهم، فاجتمع ما تخيروامن تِلك اللغاتِ إلى سلائقهم التي طبعوا عليها، فصاروا بذلك أفصح العرب، ألا ترى أنك لا نجد في كلامهم عنعنة تميم ولا عجرفة قيس[21] ولا كشكشة أسد ربيعة.

(قلت): قال الفراء:

العنعنة في قيس[22] وتميم تجعل الهمزة المبدوء بها عيناً، فيقولون في إنك عنك، وفي أعسلم عسلم.

والكشكشة في ربيعة ومضر يجعلون بعد كاف الخطاب في المؤنث شيئاً، فيقولون رأيتُكِش ومررتُ بكِش.

والكسكسة فيها أيضا يجعلون بعد الكاف أو مكانها سيناً في المذكر.

والفحفحة في لغة هذيل يجعلون الحاءَ عيناً.

والوَكَم والوَهَم كِلاهما في لغة بني كلب، من الأول يقولون عليكم وبكِم، حيث كان قبل الكاف باء أو كسرة، ومن الثاني يقولون منِهم وعنهم وإن لم يكن قبل الهاء ياء ولا كسرة.

والعجعجة في قُضاعة، يجعلون الياءَ المشدّدة جيماً، يقولون في تميمي تميمج.

والاستنطاء لغة سعد بن بكر وهذيل والأزد وقيس والأنصار يجعلون العين الساكنة نوناً إذا جاورت الطاء، كأنطى في أعطى.

والوَتم في لغة اليمن يَجْعل الكاف جيماً كالجعبة، يريد الكعبة.

وفي فقه اللغة للثعالبي[23] اللخلخانية تعرِض في لغة أعراب الشحرِ ة وعُمَان،كقولهم مَشَا الله، أي ما شَاءِ الله.

---

[21] ـ عجرفية قيس.

[22] ـ المزهر ١/١٠٩.

والطُّمطُمانيَّة تعرِض في لغة حِمْير، كقولهم طَابَ امهَواءُ[24] أي طاب الهَواءُ.

المقصد السابع في معرفة آداب اللغوي

وفيه تنبيه، قال السيوطي في المزهر[25]: أول ما يلزمه الإخلاص وتصحيح النية، ثم التحري في الأخذ عن الثقات، مع الداب والملازمة عليهما، وليكتب كل ما رآه ويسمعه، فذلك أضبطُ له، وليرحل في طلب الغرائب والفوائد كما رحل الأئمة، وليعتن بحفظ أشعار العرب، مع تفهم ما فيها من المعاني واللطائف، فإن فيها حكماً ومواعظ وآداباً يستعان[26] بها على تفسير القرآن والحديث. وإذا سمع من أحد شيئاً فلا بأس أن يتثبت فيه، وليترفق بمن يأخذ عنه ولا يكثر عليه ولا يطول بحيث يضجر، ثم إنه إذا بلغ الرتبة المطلوبة صار يدعى الحافظ، ووظائفه في هذا العلم أربعة: أحدها وهي العليا الإملاء، كما أن الحفاظ من أهل الحديثأعظم وظائفهم الإملاء، وقد أملىحفاظ اللغة من المتقدمين الكثير، فأملى أبو العباس ثعلب مجالس عديدة لأي مجلد ضخم، وأملى ابنُ دريد مجالس كثيرة رأيت منها مجلداً، وأملى أبو محمد القاسم بن الأنباري وولده أبو بكر ما لا يُحصى، وأملى أبو علي القالي خمس مجلدات وغيرهم، وطريقتهم في الإملاء كطريقة المحدثين يكتب المستملى أول القائمة: مجلس أملاه شيخنا فلان، بجامع كذا، في يوم كذا، ويذكر التاريخ، ثم يورد المملى بإسناده كلاماً عن العرب وغيرها بأسانيده، ومن الفوائد اللغوية بإسناد وغير إسناد، مما يختاره، وقد كان في الصدر الأول فاشياً كثيراً، ثم ماتت الحُفّاظ، وانقطع إملاء اللغة من دهر مديد، واستمر إملاء الحديث.

---

[23] ـ المزهر ١/١١٠.

[24] ـ كتب في الأصل طايم هواء وبهامش المطبوع (الأولى كتبه هكذا طاب امهواء كما نبه على ذلك في ص ٤٤ من المطالع النصرية ا هـ) هذا والذي في المزهر كما كتبه.

[25] ـ المزهر ٢/٥٧ وما بعدها. وفيه زياد أحاديث.

[26] ـ في المزهر (وآداباً وبه يستعان...).

قال السيوطي[٢٧]: ولما شرعت في إملاء الحديث سنة ٨٧٣ وجددته بعد انقطاعه عشرين سنة من سنة مات الحافظ أبو الفضل بن حجر أردت أن أحدد إملاءَ اللغة وأحييه بعد دثوره فأمليت مجلساً واحداً، فلم أجد له حملة ولا منيرغب فيه فتركته، وآخر منعلمتهأملى على طريقة اللغويين أبو القاسم الزجاجي، له أمالي كثيرة في مجلدٍ ضخم،وكانت وفاته في سنة ٣٣٩ ولم أقف على أمالي[٢٨] لأحد بعده.

ومن آدابه: الإفتاء في اللغة، وليقصد التحري والإبانة والإفادة والوقوف عند ما يعلم، وليقل فيما لا يعلم: لا أعلم.

ومن[٢٩] آدابه الرواية والتعليم، ومن آدابهما الإخلاص وأن يقصد بذلك نشر العلم واحياءه والصدق في الرواية والتحري والنصح والاقتصار على القدر الذي تحمله طاقة المتعلم.

ومن[٣٠] آداب اللغوي أن يمسك عن الرواية إذا كبر ونسي وخاف التخليط، ولا بأس بامتحان من قدم ليعرف محله في العلم، وينزل منزلته، لا لقصد تعجيزه وتنكيسه[٣١] فإن ذلك حرام.

(تنبيه) قال أبو الحسين أحمد بن فارس[٣٢]: تؤخذ اللغة اعتياداً، كالصبي العربي يَسمع أبويه وغيرهما، فهو يأخذ اللغة عنهم على ممر الأوقات، وتؤخذ تلقناً من ملقن، وتوخذ سماعاً من الرواة الثقات، وللمحتمل بهذه الطرق عند الأداء والرواية صيغ، أعلاها أن يقولك أملى عليَّ فُلان، ويلي ذلك: سمعت، ويلي ذلك

---

[٢٧] ـ المزهر ١٦٢/٢.

[٢٨] ـ في المزهر آمالٍ.

[٢٩] ـ المزهر ١٦٩/٢.

[٣٠] ـ المزهر ١٧٢/٢-١٧٣.

[٣١] ـ في المزهر (وتبكيته).

[٣٢] ـ المزهر ٧١/١ مع اختصار وتصرف. والصاحبي ٣٠.

أن يقول: حدَّثني فلا، وحدثنا إذا حدثه وهو مع غيره، ويلي ذلك أن يقول: قال لي فلان، وقال فلان، بدون لي، ويلي ذلك أن يقول: عن فلان، ومثله: إن فلاناً قال. ويقال في الشعر: أنشدنا، - وأنشدني، على ما تقدم، وقد يستعمل فيه حدّثنا وسمعت ونحوهما.

وفي المزهر باب معرفة طرق الأخذ والتحمل[٣٣] وهي ستة: أحدها السماع من لفظ الشيخ أو العربي. ثانيها القراءة على الشيخ[٣٤] ويقول عند الرواية قرأت على فلان. ثالثها السماع[٣٥] على الشيخ بقراءة غيره ويقول عند الرواية قرئ على فلان وأنا أسمع، وقد يستعمل في ذلك أيضا أخبرنا قراءة عليه وأنا أسمع وأخبرني فيما قرئ عليه وأنا أسمع، ويستعمل في ذلك أيضا حدَّثنا فيما قرئ عليه وأنا أسمع. رابعها الإجازة، وذلك في رواية الكتب والأشعار المدونة، قال ابن الأنباري: الصحيح جوازها. خامسها الكتابة[٣٦]. سادسها الوِجادة[٣٧] وأمثلتها في كتب اللغة كثيرة.

عبقرية اللغة العربية الفصحى[٣٨]

-عمر فروخ-

هذا جانب من النزاع المرير الذي شق شعباً واحداً في شمالي أوروبة ثلاثة شعوب ثم كان له تأثير على اللغة التي كانت جامعاً بين تلك الشعوب الشمالية

---

[٣٣] - المزهر ٧١/١ وما بعدها.

[٣٤] - المزهر ٧٨/١.

[٣٥] - المزهر ٨٠/١.

[٣٦] - المزهر ٨٠/١.

[٣٧] - في المزهر ٨٣/١ (المكاتبة).

[٣٨] - من كتاب القومية الفصحى بقلم عمر فروخ. بيروت، دار العلم للملايين.

الشقيقة. ولو أنني أحببت أن أقض تاريخ سائر وجوه النزاع بين الدنمارك والسكسون في إنكلترة، وبين الشعوب الشمالية وأهل فرنسة، وبين الفرنسيين والإنكليز- من تلك الوجوه التي تعلقت بها نشأة لغات جديدة لم تكن من قبل، أو يتغيير لغات من لهجة إلى لهجة، مع العداوة الدائمة بين هذه الشعوب التي كان أفرادها قبل ذلك إخواناً أو أخوة أشقاء على الأصح – لطال علينا الوقوف والقصص.

وغايتي من هذه النبذة التاريخية التي مرّت في الفصل السابق أن أقص طرفاً من تاريخ أعده أنا كاسفاً محزناً لأقفك متفرجاً به ثم أقول لك إن الدول المستعمرة في العصر الحديث استغلت نفراً من العرب في الأقطار العربية المختلفة، وبوسائل مختلفة، ليدعوا إلى تدوين اللهجات العربية بالحرف العربي آناً وبالحرف اللاتيني آونة. ولقد استجاب هذا النفر إلى تلك الاستمالة الاستعمارية، عن طيب قلب أو بدافع من مصلحة طمعاً بمال في الأكثر أو بدافع آخر لست الآن في سبيل تحليل بواعثه وعوامله، فشنوها حرباً لا هوادةَ فيها على اللغة العربية تحت ستار تسهيل اللغة مرة، والحفاظ على الآداب الشعبية مرة أخرى، وتحت ستار المشي مع التقدم في الحياة لأن اللغة كائن حي يجب أن يتطوّر ويتقدم.

ولكن هؤلاء خابوا في ما دَعوا إليه؛ وكفى الله العرب نزاعاً مثل نزاع الشعوب الأوروبية وتمزقاً في اللغات مثل تمزّق اللغات الأوروبية انتهى بتمزيق الشعوب نفسها دولاً وشيعاً وألقى بينها العداوة والبغضاء أبد الدهر. فالحرب المؤججة التي كانت بين الدنمارك وأسوج، والحروب التي كانت بين الألمان والفرنسيين، والحروب المتتالية في البلقان تلك الحروب التي كانت تبدأ أحياناً محلية ثم تتحول عالمية وتدوم عشرات السنين، لم تكن لتحدثَ على هذا النطاق الواسع المتتالي لولا اختلاف اللغات التي يجعل من القومية الواحدة قوميات متعددة متناحرة. إن العصبية للهجات هي في الحقيقة عصبية لبقع من الأرض نشأت تلك اللهجات فيها.

وسبب الخيبة في الدعوة إلى حلول اللهجات مكان اللغة العربية الفصحى يرجع إلى جهل الداعين عدداً من الحقائق في تاريخ اللغة العربية وفي تاريخ اللغات الأجنبية، أو إلى تجاهل ذلك على الأصح. إن نشأة اللغة الأوروبية الحديثة مرتبط إلى حد بعيد بنقل التوراة والإنجيل من اللغة اللاتينية إلى اللهجات التي كانت سائدة في الأقطار الأوروبية المختلفة. كذلك كانت نشأة اللغة الإيطالية والألمانية والأسوجية والنروجية؛ وكذلك تبدّلت لغات كثيرة بعد هذا النقل كثيراً أو قليلاً.

ونسي الداعون إلى اللهجات العربية أن مثل هذا الأثر قد تمَ في اللغة العربية، وأن التاريخ لا يعيد نفسه بالمعنى الذييتخيلونه. إن العرب قبل الإسلام مروا بمثل هذا الدور المحزن ثم رأب الله الصدع وجمع الشمل وردّ العرب إخواناً ومواطنين إن فرّقت الحدود المصطنعة أجسامهم فإنها لم تفرق قلوبهم، وإن هي بدّلت أشكال حكوماتهم فإنها لم تغيّر حقيقة موّدتهم.

مراحل في تاريخ لغة العرب:

ـ أ ـ منذ أقدم الأزمنة التاريخية كان العرب في جزيرتهم، وكانوا بلا ريب يتكلمون لغة واحدة. ثم ضاقت الجزيرة بأهلها بعوامل مختلفة فأخذوا يهجرونها موجات إلى ما حولها من الأقطار. وبطؤت خطواتهم في انتقالهم من موطنهم الأصلي غلى موطنهم الجديد، وانقطعت أواصر القرابة بين الموجات التي انتقلت من شبه الجزيرة إلى العراق والشام وإلى شرقي افريقية، فحدثت في أثناء تلك الرحلات الطوال وفقدان الصلات بين الإخوة لهجات هي اللغات الآرامية والفينيقية والأمهرية والمصرية القديمة وسواها. ثم عسر التفاهم بين أولئلك الإخوة الجيران وثارت بينهم الحروب واستحر بينهم القتال، وتفاخر أهل كل لغة بالامبراطورية التي شادوها والأقطار التي سادوها وبالأسرى الذين قادوهم والبشر الذي أبادوخم. وهل كان تاريخ الشرق الأوسط القديم سوى قسيم

لتاريخ أسوج ونروج والدنمارك ثم لتاريخ فرنسة وإنكلترة وألمانية وإيطالية في العصور الوسطى والعصور الحديثة.

ــ ب ــ ومع الأيام نشأ بين العرب الباقين في شبه جزيرتهم ما كان قد نشأ بين إخواتهم الذين هجروا موطنهم الأول ثم أنساهم تفرقُ لغاتهم صلات القرابة بينهم. واختلفت لهجات العرب في شبه الجزيرة، وكثر بينهم النزاع والقتال. ولسنا الآن بسبيل العلة والمعلول: أكان اختلاف اللهجات فنشوب القتال أم نشوب القتال فاختلاف اللهجات؟

ومع ذلك كله فقد ظل حظ العرب أسعد: إن نشوء اللهجات العامية في اللغة العربية تناول سقوط الأعراب حيناً واستعمال ألفاظ مختلفة للمسمّى الواحد. أما بناء الجملة فلم يتبدّل قط! ولقد جرى في أثناء هذا التطور اللغوي المتقهقر تغيير في عدد من الأصوات كالذي حدث مثلاً بين الجيم السامية القديمة، أو الجيم الفارسية، والجيم اللينة والياء. إن كلمة (رجل) أصبحت تلفظ بالجيم القديمة، نحو رجَل أو ركَل، وبالجيم اللينة نحو رجل، وبالياء: ريل. ومثلها كلمة: جابر، فإنها تلفظ: (جَابر أو كَابر، جابر، يابر. على أن هذه كله يجري في اللهجات المحكية في قطر دون قطر أو في عدد من الأقطار. أما إذا قرأ أهل هذه الأقطار كلها في القرآن الكريم وفي الكتبِ وفي المجلات الرصينة غير العامية، فإن هذا الصوت (جيم) يلفظ على وجه واحد لا غير!

وتقهقر اللفظ لم يقتصر على الأحرف الصحيحة بل تناول الأحرف المعتلة أيضاً، وخصوصاً في ما يتعلق بالألف التي فُخّمت فمالت إلى الواو، أو رققت فمالت إلى الياء. وهذا وأمثاله كان أيضاً في اللهجات المحكية. ويمتاز العرب في هذا الباب بخاصة عجيبة، حتى الأميون منهم. لقد زرت جناحي العالم العربي، وكان من العسير عليّ في بعض الأحيان أن أفهم دقائق اللهجات لما كان في الألفاظ من التشويه الذي أحالها عن حالها الأولى أو لما كان في الجمل من الكلمات الأجنبية. لقد وقفت مواقف مع اللهجات في العراق وفيالمغرب، في قلب جبال الأطلس، ولم يكن من العسير أن نلجأ إلى الألفاظ الفصحى فنتفاهم تماماً. وما عذر العربي الذي يقرأ القرآن في المصاحف أو يحفظه غيباً أو

يستمع إليه من قارئةِ أو من الراديو إذا لميستطع أن يتفاهم، مع أخيه في اللسان والإيمان، بلغة القرآن!

ـــ جـــ ـــ ويبدو أن اللغة العربية الفصحى، لغة المعلقات، كانت قد بدأت تتقهقر قبل قرن أو قرنين من ظهور الإسلام، ثم اتسع تقهقره. ولقد كان مقدّراً لها ما قدر لسائر اللغات القديمة كالسنسكريتية والإغريقية (اليونانية القديمة) واللاتينية والجرمانية، لولا أن جاء الإسلام ونزل القرآن بتلك العربية، فثبتت عند الحد الذي كانت قد بلغت إليه في تقهقرها.

وإذا نحن قارنا لغة الشعر الجاهلي بلغة القرآن الكريم ثم بالشعر والنثر اللذين تلَوَا ظهور الإسلام أدركنا أن الله تعالى قد خاطب العرب في كتابه العزيز بأصفى لغاتهم وأمتن أساليبهم وأبلغ تشابيههم واستعاراتهم وألطف كناياتهم وأوجز تعابيرهم. من أجل ذلك لم يكن أثر القرآن الكريم قاصراً على وقف تقهقر العربية الفصحى فحسب، بل كان عاملاً على رقيّها بردّها إلى ما كانت عليه من الصفاء والمتانة قبل أن بدأ تقهقرها.

وتلقى المسلمون القرآن الكريم بالتقوى والورع والخشوع وبالإجلال لأوامره ونواهيه وبالإكبار لأسلوبه ولغته فحرَصوا منذ نزوله على تقييد ألفاظه وروايتها على وجهها الأول. ثم إنخم أولَوُهُ عنايتهم كلها فضبطوا سوَره وآياته بما بينها من الفصل والوصل ثم حققوا الفاظه وحروفه وحركاته منذ ذلك الزمن البعيد. وكذلك قيّدوا أحكام تلاوته وترتيله علىغاية من الدقة. فنحن ـمن أجل ذلكـ نقرأ القرآن الكريم اليوم باللفظ والصوت والأداء وبالوصل والفصل والوقف التي كانت في أيام الرسول (ص) لا نخل بلفظة أو كلمة أو حرف أو حركة أوخمسة أو نبرة. وبهذه العناية البالغة بالقرآن الكريم عاشت اللغة العربية الفصحى في ثوبها الذي كان لها قبل ستة عشر قرناً أو تزيد، مما بين يدينا من نماذج الشعر الجاهلي، وكما كانت قبل ألفي عام أو تزيد كما يمكن أن نستنتج من أحوالها التي كانت لها بالإضافة إلى ما نعرفه من تاريخ اللغات ومن فقه اللغة. وهذا الذي عرفناهمن حياة اللغة العربية صحيحةً صافيةً منذ ذلك الزمن السحيق أمرٌ تفرّدت به اللغة العربية لم يكن لسواها من اللغات التي نعرفها اليوم أو قبل اليوم.

d— د ـــ ومضى المسلمون بعد ذاك يثقّفونألسنتهم بلغة القرآن الكريم ويقوّمون كلامهم بكلامه ويطبعون أساليبهم على أساليبه تضميناً واقتباساً وحفظاً، لا محاكاة وتقليداً، حتى أصبح القرآن الكريم سوراً للغة العربية الفصحى يدفع عنها كل أذى ويرد عنها كل عادية. وبذلك حفظ اللغة العربية الفصحة مما خضعت له سائر اللغات من التقهقر والتشعب لهجات، ثم من الضياع والاندثار.
وبينما كانت اللغات في التاريخ تتشعب مع الأيام لهجات، كانت اللهجات العربية تتخلّى عن مكانها على ألسنة العرب للغة الفصحى. أليس عجيباً أن يقرأ الطفل العربي اليوم في المدرسة نماذج من الشعر الجاهلي فلا يتعثّر في لفظها ولا يتردّد في معناها؟ من هذا القبيل قول عمرو بن معدي كرب:

وبدت لّمِيسُ كأنّها قَمَرُ السماءِ إذا تبدّى

ومثل ذلك قوله طرفة بن العبد:

وظُلْمُ ذوي القربى أشدّ مضاضةً على النفسِ من وَقْعِ الحُسامِ المُهَنَّدِ

ومن ذلك أيضاً قول امرئ القيس:

أَعزَّكِ منّي أن حبّكِ قاتلي، وأنكِ مهما تأمُرِي القلبَ يَفْعَلِ!

إن هذا شيء لا تجد مثله في الإنكليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية والإسبانية والآسوجية والنروجية. إن ما روي لنا من هذه اللغات الأوروبية سابقاً على ثلاثمائة عام يدخل في اختصاص الدارسين وجامعي القواميس التاريخية، وليس له صلة بالكتب المدرسية التي تؤلف اليوم. أما في اللغة العربية فإن الطفل الذي أتمّ الرابعة من عمره ولم يبلغ الخامسة بعد يستطيع أن يحفظ السور القصار في القرآن الكريم ويؤديها على وجهها. أما إذا عجز عن فهم عدد من الألفاظ والمعاني فلأن علمه لم يصل بعد إليها، لا لأن هذه الألفاظ والمعاني قد ضاعت الذاكرة أو التَوَتْ على الألسنة أو شذّت عن القاعدة السائدة.
d— هـــ ـــ وأثر القرآن الكريم لم يقتصر على العرب وحدهم بل تعدى إلى غير العرب أيضاً، جاءت الفتوح الرومانية إلى بلاد كثيرة باللغة الاتينية، ولكن اللغة الاتينية ما لبثت أن اعوجت والتوت ثم انقرضت وقام على أنقاضها بنيات هنا وهناك. أليست الإيطالية والفرنسية والإسبانية والبرتغالية ولغة أهل رومانيا في

البلقان لهجات كانت في الأصل لغة لاتينية فصحى، ثم هي اليوم لا يعرف صلتها باللغة اللاتينية إلا العلماء الذين وقفوا حياتهم على درسة اللغات؟

أما اللغة العربية فكان تاريخها مختلفاً من ذلك: لقد ثبتت اللغة العربية في كل مكان نزلت فيه. إن اللغات البابلية والفينيقية والكلدانية الآرامية المصرية القديمة التي كانت قد انفصلت من اللغة السامية الأم منذ أقدم الأزمنة التي وعتها ذاكرة التاريخ قد عادت كلها عربية خالصة لما جاء الإسلم وأنقذ الشعوب السامية، أصحاب تلك اللغات، من نير الساسانيين والروم (البيزنطيين).

وكذلك فعلت اللغة العربية لما نزلت في بلاد لم يكن أهلها عرباً ولا تكلموا لغة سامية. إن أهل العراق والشام من العرب وغير العرب ممن كانوا يتكلمون العربية والآرامية أو الفارسية أو الرومية –سواء منهم من دخل في الإسلام أو لم يدخل في الإسلام- قد اتخذوا اللغة العربية لغة لهم ونسُوا لغاتهم الأصلية. إن في ذلك دليلاً على قوة الحياة في اللغة العربية وعنواناً لطاقتها ووجها من أوجه خلودها.

وكان للغة الإغريقية في بلادنا وفي بلادها هي من الإلياذة التي يعدّونها الرائعة الإنسانية الفريدة ومن فتوح الإسكندر المكدوني ما ملأوا به سمع الدنيا. ولكن الإلباذة وفتوح الإسكندر والفلسفة اليونانية كلها من أيام ثاليس إلى عهد سقراط وأفلاطون وأرسطو ثم علوم اليونان في الطب والهندسة والفلك لم تستطع كلها أن تدفع عن اللغة الإغريقية سنة الطبيعة في الفناء. أما اللغة العربية فقام لها القرآن الكريم مقام الخلود كله.

وفي إيران والأفغان والهند والصين، وفي الملايو وجاوى وسومطرة وما حول هذه من الأراضي والجزر، وفي المغرب وأواسط أفريقية من ساحل البحر الأحمر إلى شواطئ المحيط الأطلسي، يقرأ المسلمون القرآن الكريم باللغة العربية ويتّخذون اللغة العربية لغة الإنتاج الأدبي ولغة التدريس. ومما يدعو إلى الدهشة أن الهندي والسوداني والتركي يقرأون القرآن بالأداء العربي الفصيح؛ وأن من هؤلاء من لو تكلم باللغة العربية من وراء ستار لما شك أحدنا في أنه يستمع إلى عربي أصيل. ولكن ما بالي أقول: عربي خالص وغير عربي

خالص؛ إن الإسلام قد جمع هؤلاء في إيمان واحد وثقافة واحدة من غير تمييز بين الألوان والأجناس والبلدان. ليس في الإسلام تمييز عنصري!

وكان للغة العربية في عصرنا الحاضر معجزة تدعو إلى العجب. إن اختراع الراديو قد نقل اللغة العربية إلى الأجواء ووصل بها ما بين الشعوب العربية والإسلامية على أحسن ما يكون الوصل. إن إذاعات العالم تذيع القرآن الكريم من كل مكان من البلاد الإسلامية ومن غير البلاد الإسلامية: من موسكو إلى باريس إلى لندن، ومن مكة إلى بغداد إلى دمشق إلى بيروت إلى القاهرة، ومن جميع البلاد الإسلامية الباقية من أقصى المشرق إلى أقصى المغرب. إن العالم يستمع في كل يوم إلى المقرئين يرتّلون القرآن الكريم بلسان عربي مبين. فكم مسلم في مجاهل أفريقية ومعالمها، وكم من مسلم في أصقاع آسيا المترامية الأطراف يستمع كل يوم إلى تلاوة من القرآن الكريم بصوت آدمي أو من أسطوانة سجّل عليها المقرئون المشهورون في العالم العربي سُوَراً من القرآن الكريم بلسانهم العربي المبين. ولا ريب في أن إذاعة القرآن الكريم والأحاديث المختلفة باللغة العربية من إذاعات العالم المختلفة خدمة للغة العربية الفصحى ما بعدها خدمة. إن هذه الإذاعات من البلاد الإسلامية ومن البلاد غير الإسلامية عامل جديد في الحفاظ على اللغة العربية الفصحى لغة واحدة وأداة للشعوب العربية معاً.

في الأسبوع الثاني من شهر شوال من سنة ١٣٨٠هـ، والأسبوع الأخير من آذار (مارس) من عام ١٩٦١م، أقيم للإمام حجّة الإسلام العزالي مهرجان في دمشق. وحضر المهرجان نفر تتوزع بلادهم ما بين الهند وبين المحيط الأطلسي. وكان هؤلاء النفر أخ كريم من غينية أو غانة التي كانت مستعمرة فرنسية لا يعرف الناس عنها إلا ما كان الفرنسيون يمنّون به من أخبارها على الناس، كذلك كان شأن الفرنسيين وغير الفرنسيين في مستعمراتهم. وفرنسة في مستعمراتها تمنع تعليم اللغة العربية. فكان أهل غينية الذين [اجتمعت قلوبهم] وتألّفت على الإسلام ابيّضت قلوبهم يتوسلون إلى تعلم اللغة العربية ليقرأوا بها القرآن الكريم وشيئاً من النحو والأدب. هذا القليل من اللغة العربية الفصحى الذي كان الغينيون يستطيعون أن يفروا به من رقابة الفرنسيين وسخطهم قد

حفظ اللغة العربية حية ناصعة على ألسنتهم وفي قلوبهم. وقد تستمع إلى رجل من غانة أو غينية أو نيجيريا يتكلم اللغة العربية أو يلقي بها بحثاً فلا تعجب من مقدرته على أداء اللغة العربية بلسانه لمكان القرآن الكريم من قلبه. وقد تعوز أحدَ هؤلاء الطلاقةُ، ولكنك تجده يفصح في الكلمة بعد الكلمة وفي الجملة بعد الجملة.

إن للتطور الصاعد والتطور الهابط وللنشوء والدثور قوانينَ تعمل في الموجودات كلها. وإن للعوامل المختلفة آثاراً مختلفة في الكائنات. فمن العلم والإنصاف واحترام النفس أن يحكم الإنسان في ذلك كله بعلمه لا بهواه. إن الذين يشتهون أن تتحول اللغة العربية الفصحى لغة ميتة، كالتي يرتزق بعضهم بمحاولة تدريسها، أناس غافلون عن أبسط قواعد الحياة. إنهم يقيسون اللغة العربية بالمقاييس التي قيست بها العبرية والآرامية والسريانية واليونانية واللاتينية. لقد ظن هؤلاء أن المعادلة التي استقامت لهم في وصول تلك اللغات الميتة إلى مصيرها يجب أن تستقيم لهم في النظر إلى اللغة العربية أيضاً، لأن المعادلات الجبرية والبراهين الهندسية لا تخطئ. لقد صدقوا، ولكنهم نسُوا أمرين مهمين.

أجل، إن المعادلة الجبرية لا تخطئ، ولكن نفراً من الناس يخطئون في حل المعادلات. ثم إن هؤلاء الذي يدّعون علم حل المعادلات وحسن المقايسة قد أغفلوا ركناً مهماً في بناء معادلتهم، وكيف يستقيم حل لمعادلة وقد بقي ركن من أركانها مجهولاً؟ إنهم يقولون إنهم لم يجهلوا ذلك الركن وقد حسبوا في المعادلة حسابه: هذا صحيح أيضاً، ولكن اعتراضنا لا يزال قائماً، إنهم قد فرضوا لهذا الركن قيمة غير قيمته. من قال لهم إن قيمة القرآن الكريم في معادلة اللغة العربية كقيمة الإلياذة في معادلة اللغة اليونانية أو كقيمة العهد القديم في معادلة اللغة العبرية مثلاً؟

النتاج في اللهجات العربية العامية

لا نُكر في أن العرب قد نثروا ونظموا في لهجاتهم العامية منذ أقدم الأزمان، منذ الجاهلية الأولى؛ ولا نكر أيضاً في أن العرب ما يزالون يفعلون ذلك إلى اليوم.

وقد قام نفر من المستشرقين بدراسة هذا النتاج درساً تاريخياً ودرساً فنياً ثم نشروا نماذج منه، كما درسوا اللهجات العامية دراسة مفصلة بدوافع علمية بحتة أو بدوافع استعمارية. وكذلك فعل نفر من العرب فعل المستشرقين. على أنجميع هذه الدروس والمنشورات ظلّت في نطاق البحث النظري، خاصةً بالدارسين والباحثين، ولم تتجاوز نطاقها هذا.

ومن الغريب أن العربي يستمع اليوم إلى إذاعات وتمثيليات وأحاديث ومحاورات باللهجات العامية، وقد يقرأ صحفاً بللهجات العامية أيضاً في مصرأو في لبنان والشام والعراق، يستمع إلى ما يستمع إليه ويقرأ ما يقرأه لا تغنيه عن اللغة الفصحى. إن تاريخ اللغات الأوروبية كان يدلّ دائماً على ميل في الأوروبيين عن مستوى اللغات المكتوبة إلى جانب اللهجات المحكية في أقطارهم، فكل لغة أوروبية هي اليوم أبعد عن اللغة التي كانت مكتوبة منذ قرن من الزمنأو خمسين عاماً في بعض الأقطار. ولقد اتفق للغة العربية أدوارٌ ضعفت في أثنائها، غير أنها كانت دائماً تعود إلى ما كانت عليه قبل ضعفها. ولا ريب في أن الذوق العربي العام اليوم متجه إلى اللغة الفصحى وجزالتها منصرف عن اللهجات العامية. والذي يتتبع الأغاني خاصة يدرك أن المغنين الذين كانوا يرطنون بلهجات لا تكاد تُبين يعودون الآن إلى النظم على منهاج فصيح لا ينقصه الإعراب في بعض الأحيان.

نهاية نظرية قديمة

منذ مدة قريبة؛ وفي تشرين الأول (أكتوبر) من عام ١٩٦٠ على وجه التحديد، اتّصلت بصديق أديب أرغب إليه أن يكون في عداد لجنة عُهد إليها أن تحكم في مباراة أدبية، فاعتذر بضيق وقته عن ذلك. فقلت له إن الكتب المقدمة للمباراة ستة كتب فقط: أحد هذه الكتب صغير جداً، والكتب الخمسة الباقية متوسطة

الحجم. ثم إن التمييز بين هذه الكتب سهل جداً لا يقتضي من الوقت مثل ما تتوهم. فقال لي -وكان الحديث بالهاتف- اسمع، يا صديقي، لقد عُهد إليَّ بتنقيح لغة الأناجيل، فأنا منكب على ذلك؛ والقوم يستعجلونني، ولا أظنك إلا عاذري.
وفعلاً عذرت صديقي وعددت عمله، حتى من وجهة نظري، أهمّ من قبوله بأن يكون حَكماً في مباراة أدبية عارضة. منذ مائة عام بدأ الأميركيون البروتستانت اليسوعيون الكاثوليك ينقلون التوراة والإنجيل إلى العربية ثم انتهوا من ذلك بعد عشرة أعوام. ولقد حَرَص الفريقان على أن تكن لغة الكتاب المقدس، ولغة الأناجيل خاصة، قريبة جداً من العامية بألفاظها وتراكيبها، ولكنهم كلهم احتفظوا عند النقل بالإعراب. لقد فضّلوا الأسلوب القريب من العامية عند نقل الأناجيل لما ظنوا أن العامة من الشعب سيندفعون إلى الأناجيل في تلك اللغة بشوق، أو أن العامة سيفهمون ما يقرأون. ونسي هؤلاء ما نسيه غيرهم من قبل ومن بعد، وذلك أن سليقة العربي -لما وَقر في نفسه من حب الجزالة والإيجاز والمتانة والبلاغة- ألصق باللغة الفصحى منه باللغة العامية. ولقد غرّهم أن الأوروبيين قد عمدوا في تاريخهم الحديث إلى تبسيط لغة الأناجيل مرة بعد مرة، فظنوا أن هذا الذي صدق على الإنكليزي والأميركي والافرنسي سيصدق على العربي أيضاً. ولما مرّ عليهم قرن ونصف قرن من الزمن تبيّن لهم الحق وأدركوا أن العربي بليغ بالسليقة. إن من غير المعقول أن يكتب الفرد بأسلوب أجزل من أسلوب كتابه المقدس، وإلا فأين الإعجاز في الكتاب السماوي إذن؟ من أجل ذلك عُهد إلى صاحبي بأن يتولّى العناية بأسلوب الأناجيل وبأن يفيض عليها ديباجة آنق وتعبيراً أبلغ. وعلمت بالأمس أنه قد فرغ من مهمته.

****

في الأدب العربي الحديث مذهب نشأ في المهجر الشمالي من الأميركيتين، في الولايات المتحدة. كان من عماليق هذا المذهب جبران خليل جبران[٣٩] وأمين

---

[٣٩] - يعدّ جبران خليل جبران (ت ١٣٤٩هـ/ ١٩٣١م) من كبار المهجريين، اصله من دمشق، ونزح أجداده إلى بعلبك، وبعدها إلى منطقة (بشرّي) في شمال لبنان. رحل إلى أمريكا سنة ١٨٩٥م، وعاد إلى بيروت، فباريس، فأمريكا ثانية. تميّز بنكهة جديدة في اللغة، وله (النبي) و (المجنون) و (دمعة وابتسامة).

الريحاني وميخائيل نعيمة[40]. ولقد نحا هؤلاء نحواً في التجديد بَنوه في المادة على الحضارة الشرقية الروحية من جانب وعلى الحضارة الغربية المادية من جانب آخر. أما في الأسلوب فعمد جبران خليل جبران وميخائيل نعيمة في الأكثر وأمين الريحاني في الأقل إلى الاتكاء على أسلوب الأناجيل في التعبير، أعتقاداً منهم بلا ريب أن التبسيط في الأسلوب هو عماد التجديد. ولا ريب في أن ذلك كان شقاً من الاتجاه الغربي في الآداب الأوروبية، فنقلوا هم ذلك إلى اللغة العربية.

وغداً ستصدر طبعة جديدة من الأناجيل في أسلوب أمتن وأجزل وفي ديباجة أنصع وآنق، فماذا يقول ميخخائيل نعيمة، الذي لا يزال على قيد الحياة، مد الله في عمره، في مقاييسه الأولى التي بناها على السهولة والبساطة ثم غربل الناس وأساليبهم في رأيه؟ أتراه ينقض ما كان قد غزل أم بصر على أن الأسلوب الأول أحسن؟

لقد مرَ على العرب حين من الدهر جهلوا فيه شيئاً من ثقافتهم ورك فيه شيء من أسلوبهم، فاتفق أن نقل الأميركيون واليسوعيون الأناجيل إلى اللغة العربية في تلك الحقبة فمالوا في النقل إلى الأسلوب يجب أن يصبح مقياساً للعرب في أدبهم الجديد. ولكن العرب كلهم عادوا فسَمَوا إلى الأسلوب الجزل المتين وكانوا دائماً يطلبون التحرّر من ذلك الضعف الذي ران على أقلامهم حيناً حتى قُيض لهم ذلك وصاروا إلى ما هم عليه اليوم. وأدرك اليسوعيون أنفسهم أن لغة الترجمة الأولى للأناجيل تحتاج إلى تنقيح فهم يعمدون الآن إلى تنقيحها تمشياً مع ارتقاء الناس بأسلوبهم.

---

[40] ـ ميخائيل نعيمة (١٨٨٩-١٩٨٩): هو أبرز مؤسسي الرابطة القلمية في نيويورك سنة ١٩٢٠ وكان قد أصدر مجلة فنون مع نسيب عريضة، عاد إلى لبنان سنة ١٩٣٢، وتأثر كثيرًا بالكتّاب الروس. وظهر له كتابه النقدي (الغربال) سنة ١٩٢٣. وديوان شعره همس الجفون (١٩٤٣). دعا محمد مندور إلى ابتداع تسمية الشعر المهموس. كتب (سيرة جبران) سنة ١٩٣٤. وظهرت سيرته (السبعون) كعمل أدبي متميز.

إن الإسلوب الذي اختار ميخائيل نعيمة، منذ خمسين عاماً، أن يكتب به وأن يخرج فيه أدبه للناس، إذ ظنّ يومذاك أنه أسلوب أقرب إلى إدراك الناس وإلى أذواقهم –أقصد إدراك طبقة من الناس- قد كان في الحقيقة مرضاً شفى الله منه. أترى ميخائيل نعيمة لا يزال يصرّ على أن ذلك الأسلوب المتناثر الركيك هو الذي يجب أن يظل قيداً على أذواق الناس، أم تراه يساير ارتقاء الذوق العربي ويدخل تجديداً على مذهبه في النقد وعلى مذهبه في التعبير؟

وأود أن أختم هذا الفصل بهذا السؤال:

أأسلوبنا اليوم، حتى في المجلات والصحف اليومية، أقرب إلى روح اللغة العربية الفصحى وأجرى على أساليب الأقدمين أم ما كان عليه أسلوبنا بعد الحرب العالمية الأولى وفي مفتتح القرن الذي نعيش فيه؟

لا يكفي أن يجيب أحدنا على أحد وجهي السؤال بقوله: هذا أقرب أو ذلك أقرب. يجب أن يدرك أيضاً أن الأسلوب العربي يرقى باستمرار، بخلاف ما جرت عليه جميع الأساليب الأعجمية في التاريخ الذي عرفنا أخباره: لقد كانت أساليب اللغات في الغرب تنحرف دائماً عن مستوى الكتاب إلى مستوى الكلام، وكانت تلك الأساليب تمرّ في كل قرن أو قرنين بأزمة من النزاع بين اللغة المكتوبة واللغة المحكية، ثم تنفرج الأزمة بأن تُخلي اللغة المكتوبة مكانها للغة المحكية، ويظن أهل تلك اللغة أنهم قد حلّوا مشكلة حادة وأنهم قد سهّلوا للناس طريق القراءة والعلم. وسرعان ما يمر قرن آخر من الزمن فإذا المشكلة التي واجهتهم بالأمس تعود من جديد أكثر حدّةً وأعظم إلحاحاً.

ويحتج أنصار الانتقال من لغة مكتوبة إلى لغة محكية تُتخذ لغةمكتوبة، في كل قرن مرة أو مرتين، بأن اللغة وسيلة إلى التفاهم؛ وما دام الناسيتفاهمون في حاضرهم بلغة ما، فلا عليهم أن تكون تلك اللغة شبيهة بلغة لهم سابقة أو لا تكون. هذا صحيح عند الذين يعتقدون أن الأمة رِقاعمن الناس يعيش بعضها إلى جنب بعض معيشة عابرة يحمل عليها مصلحة جامعة في سبيل وجود مادي، كما يعيش اليهود مثلاً في المجتمعات الأوروبية والأميركية المختلفة. أما الذين

يعتقدون بأن الأمة شيء غير التجارة وغير المغانم الحسّية، فاللغة عندهم وسيلة إلى التفاهم ثم شيء آخر.

عجبي من الذي يزعم أنه فينيقي وهو لم يرَفينيقيا ولا عرف كلمة فينقية، ومع ذلك فهو يؤكد اتصال نسبه واضحاً بشعب ختم التاريخ سجل حياته منذ ألفين وخمسمائه سنة على أسوأ ما ختم به تاريخ شعب؛ ثم تراه بعد ذلك ينكر على الناس أن يكونوا عرباً أو أن تكون العروبة نسباً راجحاً لهم، وهم يتكلمون لغة كانت حية قبل أن تطلع الشمس على فينيقية.

إن اللغة عندنا، فوق ما هي أداة للتفاهم، جامع قومي بأوسع المعاني وسياج للأمة وصلة بين ماضيها وحاضرها وطريق إلى مستقبلها ومجلى لرسالتها وعنوان لثقافتها. وإذا كانت الأمة قديمة اللحمة بالتاريخ واضحة النسب في المجد كانت أحرص على ماضي لغتها لأنها لا تريد أن تفرط بشيء من تاريخها، فإن الأمة إذا بدأت تنسى تاريخها سهل على الحوادثأن توزّعها بين الأمم المختلفة الطامعة بها أو الطاغية عليها من كل جانب!

رد على دعوة سلامة موسى

إلى هجر الفصحى واصطناع العامية[٤١]

-بقلم عزّة دروزة-

نشر سلامة موسى أفندي في عدد (هلال) يوليو (٣٤: ١٠٧٤) مقالة في موضوع (اللغة الفصحى والعامية) دعا فيها إلى هجر الفصحى واصطناع العامية في الكتابة والتعليم والأدب، واقترح أن تدخل الأساليب والمفردات الإفرنجية إلى العربية بدون قيد وشرط.

وأتى الكاتب في مقالة على أقوال السير (وِليَم وِلكُوكْس) الإنكليزي في صعوبة اللغة الفصحى. وقال: إن الآداب المصرية -كالدراما والقصص وغيرها- يمكن أداؤها بالعامية دون الفصحى. ورمى إلى التخلص من الفصحى بزعم أنها تبتلع الوطنية المصرية ةتجعلها شائعة في القومية العربية بما تتشرّبه من الآداب والروح والعاطفة القومية العربية، مع أن مصر ينبغي أن تكون لها صبغة قومية خاصة، وأن أبناء مصر يجب أن يتشرّبوا الآداب والروح والعاطفة القومية المصرية فقط. وزعم أخيراً أن اللغة الفصحى لغة بدوية. وأن الثقافة بِنْت الحضارة وليست بنت البداوة.

في مقال سلامة موسى أفندي ما يجعل القارئ يشعر باعتقاد هذا الكاتب أن وجود لغتين عامية وفصحى شيء خاص باللغة العربية، وأن الدعوة إلى التخلص من هذا الشذوذ طبيعية.

والمعروف أن وجود لغة عامية إزاء لغة فصحى ليس خاصاً باللغة العربية. فالعامية موجودة إزاء الفصحى في كل لغة، وفي كل بلاد؛ بل إن الفصحى بينما هي واحدة في التعليم والتدوين والأداء العلمي في قطر من الأقطار نجد اللغة

---

[٤١] - من كتاب معارك أدبية، قديمة ومعاصرة، إعداد عبد اللطيف شرارة، وتقديمه. بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٤.

العامية متعددة: سواء في الألفاظ والأساليب، أو في الأداء واللهجة. تقدر أن تجد هذا في ولايات فرنسا الشمالية والجنوبية، وتقدر أن تجده في الأناضول فضلاً عن أنك تجده في القطر المصري والقطر الشامي. فكيف تستقيم اللغة العامية لغة تعليم وكتابة ما دامت العامية في ناحية من القطر الواحد مغايرة للعامية في ناحية أخرى منه؟ فاللغة العامية ليس عليها طابع العمومية حتى تصلح لأن تكون عامة فيوجوه استعمالات اللغة: من تعليم، وتدوين، ومراسلة، وصحافة، ومخاطبات: عادية وتجارية، وأدبية.

ثم إن اللغة العامية –من حيث هي لا ضابط لها تقف عنده ويجعلها صالحة لأن تكون لغة تعليم وتدوين، وذات وحدة علمية ثابتة في قالبها على الأقل- ما برحت متحوّلة دائماً، وقلما تتقيّد بقاعدة نطقية أو صرفية، وقلما تكون كاملة الأداء. ولو دَوَّن إنسان لغةً عاميةً في بلد قبل مائة سنة، ثم قورنت بلغة هذا البلد العامية بعد مائة سنة، لظهر من الفرق في الألفاظ والأساليب والمعنى والأداء ما يدهش له الإنسان، ولكان حل رموزها من الصعوبة بدرجة حل رموز لغة عربية.

وهذه رسائل ومكاتبات محمد علي باشا وإبراهيم باشا –على قرب عهدهما، وعلى كون كتابهما ممن يُفرض فيهم العلم- تحتوي على ألفاظ واصطلاحات عامية بَعُدت عن الألفاظ والاصطلاحات العامية الحاضرة. وأصبحت غير مفهومة تماماً، مع أنه يوجد في جانب اللغة العامية العربية لغة فصحى وكتب مقدّسة هما بمثابة ناظم للغة يحميانها من البعثرة والابتعاد عن الأصل. فليس على اللغة العامية من هذه الناحية أيضاً طابع الثبات يمكن أن تصلح معه لتكون لغة ثقافة خالدة.

وإذا قيل إن من الممكن وضع قواعد وضوابط لإحدى اللهجات العامية في القطر الواحد –كلهجة العاصمة مثلاً- وتعليمها ونشرها، فيجاب على هذا أن هذه اللغة التي تكون قد تقيّدت بالقواعد والضوابط والتدوين لا تلبث أن تصبح لغة خواص إزاء لغة عامية جديدة تنشأ بعدها بقوة ناموس التطوّر والاقتصاد

اللغوي، فيعود الإشكال إلى حاله، ذلك لأن اللغة العامية هي في الدرجة الأولى لغة تخاطب وقضاء حاجات عادية، فالذي يهم المتخاطبين فيها التفاهم والاقتصاد في الوقت، سواء أكان ذلك على وجه صحيح أو معتل.

ولا يرد اعتراض على هذا بأن اللغة هي –من حيث الأصل- للتفاهم والتعبير عن الأفكار من أقرب الطرق وأسهلها، وأن اللغة العامية ما دامت تؤدي هذا الغرض فهي وافية بالغاية ولا ضرورة للاحتفاظ بلغة فصحى معها وتحمّل المشقة في تعليمها؛ لأن اللغة المتبدلة التي لا يضبطها ضابط، والمختلفة في كل ناحية من نواحي القطر الواحد بعوامل إقليمية طبيعية واجتماعية واقتصادية، لا يمكن أن تفي بحاجة التدوين والثقافة حتى ولا الوحدة الوطنية في مثل جماعاتنا التي ارتقت عن الحالة الإنسانية الساذجة وأصبحت هذه الأغراض ضرورة من ضروراتها ينبغي أن تكون لها وسائلها الوافية بها.

ولست أرى تعارضاً بين وجود لغة فصحى وبين الرغبة في أداء بعض الآداب بلغة عامية، كالروايات والأغاني المسرحية والأهازيج الشعبية مثلاً. ولست أنكر أن هذه الطريقة تُدخل المعاني تَوا إلى نفوس العوام، وتثير حماستهم وتفيد في تلقينهم مبادئ أخلاقية واجتماعية ووطنية كثيرة. غير أني ألاحظ أن هذه الآداب لا يمكن أن تكون خالدة بسبب تحول وتبذل اللغة العامية، إذ لا تلبث أن تبتعد عن العامة رويداً رويداً ولا تبقى لها إلا قيمتها التاريخية للدلالة على نفسيو الأمة وآدابها في زمن من الأزمان. وهذه الملاحظة سبب كاف للقول بأن آثار كثيرة جديرة بالخلود لا يجوز أن توضع بالعامية، لا من حيث قيمتها ولا من حيث فائدتها، بقطع النظر عن فائدة اللغة وقيمتها.

أما القول بأن اللغة العامية أوفى بالمقصود من اللغة الفصحى فليس صحيحاً، وأرجح أن هذا غلط أتى من ناحية قدرة المتعلمين على التفاهم والتعبير عن آرائهم التي تسمو عن العامة بلهجة قريبة من العامية. ولكن يجب أن يلاحظ أن هذه القدرة إنما أتت للمتعلمين بسبب أنهم استعاروا وبستعيرون دائماً مفردات وأساليب كثيرة من اللغة الفصحى ويصقلونها في مخاطباتهم ومحاوراتهم.

فالأصل في هذه القدرة هو اللغة الفصحى وانتشارها وكونها لغة التعليم والثقافة، وإلا فإن اللغة العامية لا يُعقل أن تحتوي على مفردات كثيرة تتسع للتعبير عن كل ما يريده الإنسان من أفكار علمية واجتماعية وأدبية. وها هو الواحد منا إذا رأى نفسه مضطراً إلى التكلم طويلاً في مجمع مثلاً لا يرى مندوحة عن الخروج عن دائرة الأداء العامي، ليتمكن من الإفصاح عما يريد بوضوح، وليتناول من الكلمات والأساليب الفصيحة التي وسعت تلك الأفكار ما يساعده على ذلك. ولو أردنا أن نعد المفردات التي يستعملها العوام فإننا نجدها قليلة جداً، ونندهش حينما نقايسها مع عدد مفردات الفصحى واشتقاقتها. ولكل هذه المفردات معانٍ لا يمكن إغفالها، لأن الاستعمالات العامية قليلة لا تتجاوز الحاجات اليومية المتشابهة. وإذا قيل إن من الممكن الإكثار من مفرداتها بما نستعيره من المفردات الفصحى فإن هذا القول غير مستقيم لأننا حينما نستعيض بالعامية عن الفصحى لا تعود تبقى هذه الفصحى حية مأنوسة فياضة تمدّنا في كل وقت بما نريد بقصد وبغير قصد.

كذلك القول في استعارة استعمالات الإفرنج من لغاتهم وإدماجها في العربية بدون قيد وشرط، فإن هذا أيضاً في غير محله، لأن هذه العملية إذا لم يكن لها ضابط فقد تجرّ اللغة إلى فوضى مضحكة، إذ يرى كل فرد حينئذ أن من حقه وفي قدرته أن يصنع ذلك، وقد لا يصنعه لضرورة بل لعجز أو جهل، إذ تكون هناك مفردات أو اشتقاقات عربية تؤدي هذا الاستعمال الإفرنجي تمام الأداء ولكن هذا الفرد يجهلها فيدسّ بدلها استعمالاً إفرنجياً فيأتي الثاني فالثالث فالرابع فيصنعون صنيعه، وربما صنعوا ذلك في استعمال واحد بلغات متعددة فلا تلبث اللغة أن تصبح كمرقعة الدرويش: لا يعرف أصل لونها، ولا أصل نسيجها، ولا عدد رقعها. وحينئذ يصعب التفاهم بين أبناء القطر الواحد بل بين أبناء البلد الواحد. فلا تبقى فصحى قومية، وحينئذ يصعب التفاهم بين أبناء القطر الواحد بل بين أبناء البلد الواحد. فلا تبقى فصحى قومية، ولا عامية وطنية! ولا أدري لماذا نكون محكوماً علينا بلبس هذا اللباس المرقَّع المضحك، ألأنّ الموسيو فلان والمستر علان لا يريدان أن يتعبا نفسيهما فيتعلّما اللغة الفصحى، أو لا يريدان

أن يزعجا خاطريهما الكريمين فيبحثا عن استعمال عربي مقابل الاستعمال الإفرنجي الذي يريدان أن يتكرّما بنقله إلى أمتهما؟

وأرى أيضاً أن القول بأن اللغة الفصحى لغة بدوية، وأن الثقافة هي بنت الحضارة وينبغي أن تُؤدّى بأداء غير بدوي، غريب إذا لم أقل (سخيف).

إن كان يقصد بهذا القول مطلق اللغات الفصحى فاصطناع اللغات الفصحى في الأمم المتمدنة كاف لتخطئته، وإن كان يراد به اللغة العربية الفصحى فيكفي لدحضه أن يرجع الإنسان ببصره إلى عهد الأندلس وبغداد والقاهرة حينما كانت فيها مقاليد المدنية الزاهرة، وحينما كانت العلوم والفلسفة منتشرة فيها، وحينما نقلب إليها علوم اليونان والفرس والهند، وحينما وصلت رقة الحياة والنعيم فيها إلى أقصى غاياتها؛ فهل ضاق صدر العربية الفصحى عن استيعاب الاستعمالات الرقيقة الناعمة التي لا عهد للبداوة بها؟ وكيف أذى أولئك الشعراء المبدعون والكتّاب المجيدون تلك المعاني البديعة التي تكاد تذوب ذوباً في اللغة الفصحى؟ وهل معنى العربية الفصحى هو عربية الجاهلية فقط؟ إن لكل طور من أطوار المدنية معاني وأساليب لا يمكن إلا أن تؤثر في اللغة، واللغة التي يضيق صدرها عن هذه المعاني والأساليب المتجددة لا يمكن أن تعيش. وقد ثبت أن اللغة العربية لم يضق صدرها في وقت من الأوقات عن استيعاب المعاني والأساليب المتجددة وإنما المتكلمون بها أو المنتسبون إليها هم الذين تضيق صدورهم فيريدون أن يتملّصوا أين يكونون في الأداء والآداب؟

على أن المعرّبين للكتب الإفرنجية –من قصصية وعلمية وطبيعية وفلسفية وأدبية وشعرية- قد استطاعوا ذلك كله. وليس من الإنصاف أن يقال لهذه اللغة التي وسعت هذه المعارف والتي يمكنها، بما هي عليه من المرونة الطبيعية، أن تسع أشياء كثيرة أيضاً، إنها لغة بدوية، وأن يزري عليها، وأن يقال في صدد الزراية عليها إن الثقافة هي بنت الحضارة لا بنت البداوة!

أما القول بأن اللغة العربية الفصحى تبتلع الوطنية المصرية فالذي أظنه أن هذا بيت من بيوت قصيد بعض دعاة التجدّد من إخواننا المصريين. فهل في

استطاعتهم يا ترى فك ربقة الإسلامية والعربية من المصريين؟ وما الذي يضيرهم أن يحملوا علم القومية العربية كما يحملون علم الثقافة العربية؟ بل وما هو الضرر الذي يحصل لهم إذا تشرّبوا روح الآداب العربية بعد أن تشربوا روح الآداب الإسلامية وهي عربية؟ ماذا عليهم إذا عرفوا عمر وحساناً والفرزدق وزهيراً وكعباً والحجاج وزياداً والوليد وهارون والمأمون والخليل والكندي وابن المقفع والجاحظ في جانب ما يعرفونه من علماء وأدباء الإنكليز والفرنسيين والألمان والروس والطليان؟ ثم ماذا ينفعهم أن يعودوا فرعونيين ويتملّصوا من تاريخ امتدّ ألفاً وثلاثمائة عام ونيفاً؟ وهل يتعارض استمدادهم بالتاريخ الفرعوني والآثار الفرعونية مع تشرّبهم بالتاريخ العربي والآثار الإسلامية؟

أظن أنهم غير مُحِقّين إذا رأوا زراية في الاستمداد من التاريخ الإسلامي العربي وقد كان له من الأثر الأدبي والعلمي والاجتماعي ما يُضاهي أثر التاريخ المصري الصناعي والفني، وهذا قد انقطع أثره العملي في الواقع، وأثر ذاك باقٍ لم ينقطع، أراد هؤلاء المتجددون أم لم يريدوا!

وإن كانوا يخشون أن سائر المتكلمين بالعربية –الذين يعدّون أنفسهم عرباً أو الذين ابتلعتهم العربية فصاروا عرباً- يُحَملونهم أثقالهم ويعرقلون سيرهم، وأنهم يريدون أن يهربوا منهم لأجل ذلك، فهو خوف في غير محله. فقد دخل جميعهم –مصريّهم وشاميّهم وعراقيّهم- تحت نير الأجنبي الشديد الوطأة واشتغل كل منهم بنفسه، فلا خوف من تحميل الأثقال إذا انتفت الفائدة من تقوية الأواصر والروابط فيما بين الجميع، وأكاد أحسب أنه يكون من الواجب على هؤلاء الأقوام أن يوجدوا أسباب الرابطة التي ظلّت مستمرة أربعة عشر قرناً، وبوحدة الدين، وبوحدة اللغة، وبوحدة السياسة، وبوحدة المصالح، وبوحدة التقاليد والعادات، بل أقول وبوحدة الأقاليم أيضاً ولو كان في الوحدة بعض التجوُّز؟

في اللغة المصرية المعاصرة

عثمان صبري

مش غرضي من كتابة القصة دي أني أكتب مجرد قصة أو ان أكون قصصي، حتا ولو ناجح مشهور لان المجد الأدبي ما يهمنيش في أواخر عمري ، ولكني قمت أكتب أخيرا فانما دفعني لكده القيام بواجب وطني. هو المناداة بعمل اصلاحات اجتماعية حيوية، تعتبر من أسس تخطيط الدولة في سبيل رقي الوطن.

لذلك أخرجت في السنة الماضية كتاب (نحو أبجدية جديدة) أطالب فيه بتغيير الأبجدية الحالية الرمزية البدائية –اللي بتسبب ميوعة اللغة وبتساعد على انتشار الامية فتعطل سير العلم والثقافة- بابجدية جديدة تكون صوتية دقيقة تظبط النطق وتحدد كيان الكلمات وتبين علامات الاعراب بطريقة تسهل القراية والكتابة على الطفل والبالغ والامي والاجنبي.

بعد كده بديت في كتابة كتاب عنوانه (اللغة العربية الحديثة أو لغتنا المصرية) أبين فيه أنه مادامت لغة سكان البلاد الحقيقية.هي اللغة العربية الحديثة أو اللغة المصرية (اللي بيطلقوا عليها اسم اللغة العامية) اللي بيتكلمها كل المواطنين، كبيرهم وصغيرهم، المتعلم والجاهل الكل على حد سواء، فيجب أن تثبت اللغة دي وجودها وتصبح لغة البلاد الرسمية في الكتابة علشان نقضي على ازدواج اللغة الموجود حالياً: لغة الكلام ولغة الكتابة. الازدواج ده تخلصت منه الامم الأوروبية قبل خمس قرون، واحنا لسه بنرسف في أغلاله، وبيعطل سيرنا في طريق المدنيه بالقضاء على ازدواج اللغة نتخلص من ازدواج شخصية الافراد ونهدم الحاجز اللي بيقسم جسم الأمة إلى قسمين: القسم المثقف اللي بيفهم اللغة العربية والقسم الأكبر اللي ما يفهمهاش، فنقضي بكده على الاحتكار اللغوي والاريستوقراطية الثقافية ونضع العلم والادب في متناول الجماهير على اختلاف طبقاتها تحقيقا للاشتراكية في ميدان الثقافة زي ما حققناها في ميدان الاقتصاد والاجتماع.

إلا أني وجدت نفسي باصطدم بالصخرة اللي انكسرت عليها جهود كل اللي دعو قبلي للكتابة باللغة المصرية وهو الاستشهاد بوجود أدب راقي مكتوب بها يدل على قوتها ومرونتها وقدرتها على التعبير، وانها على كل حال لغة عصرية متطورة كاملة يمكن يكتب بها أي موضوع. من الجرائد اليومية والقصص، للهندسة والقانون وتفسير القرآن، (اللي الشعب في أشد الحاجة له).
هنا اضطريت للتوقف عن الكتابة في الكتاب المذكور لاني مالقيتش قدامي أمثله أدبية كافية للاستشهاد بها على قوة اللغة دي وقدرتها الا آثار عثمان جلال الشعرية المصرية وبعض كتابات عبد الله النديم وبعض الأغاني المصرية والمسرحيات والحوار في بعض القصص وأخيرا بعض خطب سيادة رئيس الجمهورية.

ولما كانت الامثلة دي قليلة ومحددة رأيت أن واجب الاقناع بقضي على أني أقدم أولا أمثله قوية حية على قوة اللغة العربية الحديثة لان تقديم المثل يقنع أكثر من ميات صحايف الشرح والجدل علشان كده قررت إني أركن ديك الكتاب مؤقتا وابتدي اكتب باللغة العربية الحديثة بعض أمثلة أدبية أرجو أن بعض الادبا يشاركوني في إخراج جانب منها.

كان من الطبيعي أني أختار أولا ميدان القصة للبدء في الكتابة باللغة الحديثة لانه يعتبر اليوم سجل حياة الشعوب، والمراية اللي بتنعكس عليها طرق معيشتها فضلا عن إنه أوسع شعبة أدبية تجمع بين مختلف الأنواع الفكرية والاجتماعية والفلسفية والادبية.

للاسباب دي كتبت القصة دي باللغة العربية الحديثة يعني لغتنا المصرية اللي بتستعملها الطبقة المثقفه – وما باقولش لغة القهاوي البلدي- في مناقشاتهم اليومية ما حبتش لا أقربها من اللغة العربية فاستعمل اللغة اللي بيسميها الأدباء اليوم (اللغة الوسطى أو الثالثة) أو بالاسم المنحوت (الفصعميه)، ولا أقربها من اللغة العامية البلدي، لاني في الحالتين أكون خالفت أمانة الكاتب، لذلك اجتهدت اني اكتبها باللغة اللي باسمعها في الحياة من ألسنه المثقفين من غير رتوش.

اذا كان الكاتب بلغة قديمة مقُيد بقواعد مقياسيه معياريه، فان فقيه اللغة (الفيلولوج) ومن باب أولا الكاتب بلغة جديدة، وظيفتهم وصفيه يعني سماعيه تسجيليه، مع تكليف الكاتب زيادة على كده،إنه يجتهد في اختيار أحسن وأرقا أساليب اللغة. واجب الكاتب الادبي أنه ينقل من الحياه، يعني اللي بنسمعه ومش اللي بنقراه، خصوصاً اذا كان في كتب قديمة مات اللي كتبوهاواللي كتبت لهم من ألف سنه.

كتب الدكتور تمام حسان –في كتابه (اللغة) صحيفة ١٦- اللغة إذن موضوع من موضوعات الوصف كالتشريح، لامجموعة من القواعد كالقانون أن الباحث في تشريح الجسم الانساني لا يتوقع منه أن يعبر عن أفكاره بقوله يجب أن تكون العضلة الفلانية بهذا الوضع، أو يجب أن يكون العظم الفلاني بهذا الحجم أو الصورة. كذلك الباحث في (تشريح) اللغة لا ينبغي له أن يعبر عن موقفه من موضوعه بالنص على ما يجوز وما لا يجوز، كما قال ارنولد سمث (هم اللغوي لهذا السبب هو أن يصف الحقائق، لا أن يفرض القواعد). أن الدراسة المنظمة للعناصر التي تتكون منه اللغة على حد تعبير ماروزو، تتجه الى وصف الاصوات، والصيغ والكلمات والظواهر الموقعية فالقاعدة في الدراسة الوصفية ليس معيارا، وانما هي وجه اشتراك بين حالات الاستعمال الفعلية.

لغة القصة دي هي اللغة العربية الحديثة أو اللغة المصرية اللي خلقها لنا أباءنا وأجدادنا ورضعناها مع لبن أمهاتنا. إتعلمناها واحنا لسه بنحبي ونطقنا بها أول كلمات خرجت من بقنا وقضينا عمرنا نتكلم بها، في البيت وفي الغيط. في المصنع وفي الديوان، في السوق وفي الجامعة، حتى اختلطت بدمنا وتشبعت بها نفوسنا، فاصبحنا نحبها زي ما بنحب أبونا وأمنا في نفس الوقت، بنضيف عليها كل يوم شيء جديد، فنشعر اننا بنكملها وبنربيها وبنكبرها، زي ما تكون بنتنا، وبقينا نحبها زي ما بنحب اولادنا، فحبنا لها مزدوج: حب الوالدين، وحب الاولاد.

اللغة العربية الحديثة أو لغتنا المصرية عدلناها وطورناها وفقا لاحتياجات معيشتنا وحسب ذوقنا وراحة لساننا بتعيش معانا. ونعيش معاها، في كل ساعة، نضيف عليها، حاجة جديدة في كل يوم، خلقنا فيها كلمات جديدة، وتعابير دقيقة[٤٢] خاصة بشخصيتنا ومجتمعنا وعروبتنا المصرية، مايمكنناش نلاقيها في اللغة العربية ولا في غيرها.

اللغة العربية المصرية خلقت كلمات ماتلاقيهاش في اللغة العربية الفصحا ولا حتى في غيرها من اللغات، زي مثلا: بيت محندق – جر شكل – خلف خلاف – عينه فارغة – على الماشي – زرع بصل – ماشي يتخلع أو يتسكلع أو يتحنجل أو يزك – شطارة – حداقة – فهلوة – بلطجة – حلنجي – نتش – بلف – فشخرة – خباص – (لها معنايين) – مدلوق عليه – يدوب لحق – عياقة-- متشيك – متقيف – عامل قمع – متقمع – مريش – قاعد مبوز – سهتان – ده بعدك – مقطف – ردح – يلبخ-- لغوصة – زروطه – يأللس – يتريق – يهلس – مسخرة – مهكع – معصلج – مزرجن – فرفشة – يتلفن الخ الخ. ده غير الكلمات الاجنبية اللي مصرتها وأدمجتها فيها، وغير الأمثلة الشعبية اللي هي كنز أدبي ثمين في ثروة اللغة المصرية.

الدكتور علي عبد الواحد وافي –اللي بيكتب النهارده في المجلات الأدبية ضد اللغة المصرية اللي بسميها العامية- هدم كل كلامه ونظرياته لما غلب عليه علمه فجا في ديل مقال كتبه في الرسالة عدد ١١١٤ وقال (فلا تثريب علينا إذن اذا ترسمنا خطوات أجدادنا العرب في هذا السبيل. ففسحنا صدر العربية للكلمات الاعجمية التي اشتهر تداولها بين الناس في شؤون العلوم والفنون والمهن والصناعات والاخترعات بل في شؤون الفلسفة والاجتماع والسياسة نفسها. تقتضينا السير في هذا السبيل ضرورات تزيد كثيرا في قوتها على الضرورات التي دعت أجدادنا في عصور العربية الفصحى الى استخدام ألفاظ أعجمية لها نظائر في لغتهم أهو بكده تبقا لغتنا اللغة العربية الحديثة أو اللغة

[٤٢] ـ لاحظ حسن تناسق وجمال وانسجام وموسيقية الجملة السابقة اللي تشهد بروعة اللغة المصرية.

المصرية. اللي ما بتعملش أكتر من كده مع تعديل وتطوير فينطق الحروف وبنية الكلمات وتبسيط لقواعد النحو. إذا كان الدكتور بيسمح باستعمال (الكلمات الأعجميه التي اشتهر تداولها بين الناس) فمن باب أولا يسمح باستعمال الكلمات والتراكيب التي أصلها عربي وتطورت مع الزمن.

دلوقت نتعرض لسؤال مهم قوي يتوقف عليه جلاء مشكلة ازدواج أو ثنائية اللغة عندنا وهو: (إيه حقيقة اللغة العامية، اللي باسميها أنا، اللغة العربية الحديثة أو اللغة المصرية، وايه أصلها؟).

من المتفق عليه اليوم إن اللغة ظاهرة اجتماعية ضرورية وأنها كائن حي يسير وفقا لقوانين طبيعية ولسنن الحياة في طريق التطور والتغيير وإلا انكمش وتحجر ومات.

اللغة العربية، وصلت أثناء تطورها الأول لمرحلة مهمة أساسية هي عصر النبي محمد (ص). بتقول أنها مرحله أساسيه لانه وقع فيها حدث عظيم. هو نزول القرآن بلسان قريش فاوجد دين عظيم انتشر، مش بس في شبه جزيرة العرب، وإنما جاوزها بالفتح للبلاد المجاورة. زي سوريا والعراق ومصر وبلاد المغرب. العرب اللي فتحوا البلاد دي، زي مانجحو في نشر دينهم فيها، نجحو في فرض لغتهم عليها، لانهم كانو الفاتحين المتوليين السلطة الحاكمة العليا اللي في إيدها فرض لغة البلاد الرسمية.

أنما اللغة العربية نفسها، ما كانتش في عصر النبي (ص) موحدة لان كل لغةبتنتشر على مساحات واسعة، لابد أنه يتوجد فيها لهجات بل لغات مختلفة، خصوصا في الأزمنه القديمة اللي ماكانش بيقرب فيها اللهجات ويربط لغات ببعضها. زي دلوقت، سهولة المواصلات وانتشار المطبوعات ومحطات الاذاعية، لذلك كان في اللغة العربية بالذات لهجات كثيرة في عهد النبي (ص)، سماها علما اللغة العربية (لغات)، نشأت من تعدد القبائل المتباعدة في السكن.

لكن الدعوة الاسلامية اللي ماكانتش قاصرة على العرب بس، وإنما كانت موجهه للعالم كله جعلت النبي (ص) –وهو المعروف بعبقريته وسعة أفقه- يقر، من باب أولا، بلغات القبائل المختلفة ويخاطبهم بلغاتهم حتى قال حديثه الحكيم (أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم). بل راح لابعد من كده، فسمح بقراية القرآن بسبعة لغات على الاقل، حسب ما يدل الحديث الشريف (انزل هذا القرآن على سبعة أحرف) اللي فسرها أغلب المفسرين على أنها لغات القبايل وحصرها بعض أئمة اللغة زي أبو حاتم السجستاني في لغات قبايل قريش وهذيل وتميم والأزد وربيعه وهوازن وسعد بن بكر، لكن بعض المفسرين شافو ان الاحرف السبعة (دي، مقصود بها المعاني اللي في القرآن، زي التوبيخ والنهى والزجر والفرض الخ، وبعضهم ارتأى (أن معنى سبعة احرف هو سبع لغات متفرقة في القرآن ليست مقصورة على لغات العرب وهي : العربية والحبشية والنبطية والسريانية والفارسية والطحاويه والرومية، أما لغات العرب المتعددة فعشرين على الأقل هناك أكتر من كده، فانه ذُكر عن الامام أبو حنيفه أنه قال من قرأ بالفارسية جازت صلاته، ويعلق بعض الفقهاء، القدام على كده، بأن الاسلام يسر مش عسر فيجب انه يسمح للداخلين فيه باستعمال لغاتهم القبيلية يعني القومية تسهيلا لهم لان أغلبهم أُميين وفيهم شيوخ مايمكنهمش يغيروا لغتهم.

في كتب الادب القرآني حكاية مشهورة عن سيدنا عمر بن الخطاب لما سمع هشام بن حكيم بن خزام بيقرا في الصلاة سورة بحروف كتيره ماسمعهاش من النبي (ص)، فأول ما خلص الصلا، سأله عن اللي حفظه السوره دي، لما قال انه حفظها من النبي نفسه كدبه وجره للنبي (ص)، ويروي عمر بقية الحكاية بقوله (قلت يا رسول الله، أني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها وأنت أقرأتني هذه السورة) فقال النبي (ص) (ارسله يا عمر، اقرأ يا هشام، فقرأ عليه القراءة التي اقرأني رسول الله (ص) فقال: هكذا أُنزلت ان القرآن أنزل على سبعة أحرف فأقرأ منه ما تيسر).

كلمة (الصراط) في (الصراط المستقيم) اللي في سورة الفاتحة، أجاز المفسرين قرايتها على ثلاث أوجه: بالصاد، وهو المشهور حسب كتابتها بلغة قريش، وبالسين (السراط)، وبالزاي (الزراط) حسب لغات بعض القبائل، عن أبو هريرة أن حميري واداة التعريف في قبيلة حمير (أم) بدل (الـ) سأل بلغته النبي (ص) (هل من امبر امصيام في إمسفر؟ - يقصد (هل من البر الصيام في السفر؟)- فاجابه النبي (ص) بنفس لغته الحميرية علشان يفهم (ليس من امبر امصيام في امسفر)، كتب النبي (ص) في كتاب الصدقة اللي أرسله لاهل اليمن (في كل ثلاثين باقورة بقره)، لانهم كانو يستعملو في لغتهم (باقورة) بدل، (بقرة) فاستعملها النبي في خطابهم.

روا الاصمعي انه اختلف رجلين في نطق اسم (الصقر)، فواحد ينطقه بالصاد والثاني بالسين، اتفقوا انهم يحكموا بينهم أول رجل يمر عليهم لما جالهم واحد فهموه موضوع الخلاف وسألوه رأيه فيه فقال لهم لا أقول كما قلتما، فانما هو الزقر (بالزاي)، يعني كلمة واحدة مشهورة كانو بينطقوها على تلات حروف وبعد كده يقولو لنا انه كان في لغة عربية ثابتة!.

لغة بنو هذيل كانت مشهورة بالغرابة، لما فيها من تهويل وتفخيم حتى ان لشعراهم ديوان خاص بهم وشعر شاعرهم، أبو ذئيب كان معتبر من الكلام الغامض المستوحش (بعض القبيلة دي استوطنت مصر في اوائل فتحها).

أجاز العرب الأوائل الابدال بين الحروف المتماثلة أو المتقاربة أو المتجانسة لان استعمالها كان شايع بين القبائل اللي كانت تقول: سخن – وصخن – عنوان وعلوان- عاث وهاث فسادا- الطرس والطلس – بعثر وبحثر – الهوا والخوا – وسخ ووصخ – جذرة وجشوة نار – صعق وصقع الرجل – لفت وفتل وجهه – هفا وفها فؤاده – لفحته ولحفته – مدحه ومدهه – فاضت وفاظت روحه – مزح ومزه – الحفيف والهفيف – رجل ألمعي ويلمعي – قطع الله يديه أديه – القبس والقنس – كرب وكرث – يجوس ويحوص الديار – فاح وفاخ – طمس وطسم الطريق – شغفها وشعفها حبا – القصم والفصم – هوش وهوس الناس (اذا

أوقعهم في الفساد وهو ما يقرب من معناها في اللغة المصرية) منشار وميشار ومنشار – القهقهة والهقهقة الخ الخ (من المزهر للسيوطي جزء ١ وغيره).

الخلاف بين لغات القبائل ماكانش قاصر على القلب والابدال في حروف الكلمات بس، وانما كان فيه خلاف بين الكلمات نفسها عن نفس المسبات، وده الي جعل بعض علما اللغة الحديث بيعبروه السبب في وجود كثرة المترادفات في اللغة العربية. روى ان ابو هريرة لما راح قابل النبي (ص) في عام خبير، وقعت سكينة من إيد النبي فقال لابو هريره (ناولني السكين) فاتلفت أبو هريره يمين وشمال بدون ما يفهم معنا الجملة. فكررها عليه النبي (ص) مرتين وهو برده ما يفهمش. أخيرا شاور له على السكين، فقال أبو هريره (أألمدية تريد؟) قال (نعم) (أو تسمى عندكم سكينا؟) ثم قال (والله لم أكن سمعتها الا يومئذ)، بعد كده بسنين اعتبرت (السكين والمديه) مترادفات.

ده كان حال تعدد اللغات العربية، أو على الاقل لهجاتها، في صدر الاسلام. لكن بعد الفتوح الاسلامية واختلاط العرب مع الشعوب المغلوبة اللي ماكانتش لغتها العربية وانما تعلموها تعلين، تحت ضغط السلطة الحاكمة العليا، كان من الطبيعي أن الاختلاف والتغيير بين اللغات العربية يزيد على صورة واسعة، خصوصا وان كان قبيله كانت يتنشر لغتها في البلد الجديد اللي نزلت فيها. يكفي القول انه لما زار الخليفة المأمون مصر بعد فتحها بميتين سنة تقريبا (٨٨٣م) كان ببصاحبة ترجمان علشان يتفاهم مع المصريين.

حتمية القوانين الاجتماعية العامة جعلت اللغة العربية تتطور وتتغير –زي غيرها من اللغات- على مر العصور. كان كل بلد عربي يتكلمها حسب محيطه الجغرافي والاجتماعي واستعداده الطبيعي وذوقه. طبعا كانت اللغة العربية في القرن الثاني الهجري، غيرها في القرن الرابع، وغيرها في القرن السادس، غيرها في الثامن والعاشر وغيرها النهارده في القرن الاربعة عشر الهجري. تمام زي اللغات الاوروبية الحديثة ما كانت بتتغير من قرن لقرن، لحد ما أصبحت النهارده مختلفة تماما عن لغاتها الام اللاتينية أو الرومانية أو الاقليمية

اللي كانت مستعملة في القرن العاشر مثلا. ده قانون طبيعي اجتماعي عام مفروض على جميع الجماعات البشرية في كل مكان وكل زمان. دي سنة ربنا (ولن تجد لسنة الله تبديلا).

لكن الغلطة التاريخية الفظيعة، اللي تسبب في ازدواج اللغة العربية وانفصال لغة الكتابة عن لغة الكلام لحد دلوقت في العالم العربي، هي أن أئمة اللغة العربية القدام فضلو معتقدين دايما، تحت تأثير عوامل دينية وتاريخية، ولجهلهم في ديك الوقت بأصول علم الاجتماع وعلوم اللغة الحديثة. انه مافيش لغة عربية إلا اللي سمعوها بالتواتر من اللي قبلهم لحد القرن التاني أو التالت الهجري، وماعداها فلغة ملفقة دخيلة سموها اللغة العامية. عقيلتهم في ديك الوقت خلتهم يجردو نفسهم من بيئتهم ولغتهم ويخرجو نفسهم عن مجتمعهم أو يخرج اللغة عن المجتمع ويعتبروها علم قديم موروث مستقل بنفسه زي المنطق والفلسفة، فكتبو في لغتهم بعقلية مستشرق عصري بيكتب عن لغة صدر الاسلام فيحصرها في حدود الاصلية ويحطها بين جلدتين كتاب ويقول للناس مافيش لغة عربية إلادي كانة زي عالم آثري بيرسم تمثال قديم فما يدخلش فيه حتة مش من أصله وزي ما التمثال الاثري المتصلح ما مكانه المتاحف، زي مامكان كتب ائمة اللغة العربية مخزن المكتبات العمومية.

ده اللي عمله عالم اللغة العربي القديم. يدل ما كان يعتبر نفسه انه من نسل العرب دول بيتكلم هو، وأهل البلدين (زي ما سماهم الجاحظ) وأهل الحضر والامصار (زي ما سماهم ابن خلدون) من تجار لصناع لزراع اللغة اللي ورثوها عن أجدادهم بالصور اللي بيتكلم بها الشعب اللي هو جزء منه وعايش فيه، فيتعتبر لغته المعاصرة تطور في اللغة نفسها أو على الاقل، يعتبرها حسب عقليته الموروثة، اختلاف في اللغات المعاصرة له زي ما اعترف باختلاف لغات القبايل القديمة.

من الغريب أنهم اعترفوا بان لغات القبايل المختلفة في صدر الاسلام كانت لغة عربية ولكنهم انكرو الاختلاف اللي بين لغة الأموات ولغة الاحياء وقالو عليه

انه مش لغة عربية وانما لغة تانيه هي العامية، غريبة انهم اهتموا بالاموات أكثر من الاحياء، خلافا لكل منطق وعلى رأي المثل (الحي ابدا من الميت).

عقلية زمانهم المحافظة المحدودة، خلتهم يحددو اللغة بتوقيت زمني فالكلمة أو التعبير اللي قالته العرب لغاية التاريخ الفلاني، يبقا عربي أما الي قالوه اولادهم بعد التاريخ ده يبقا لغة تانية غريبة سموها العامية، الاستاذ الدكتور ابراهيم انيس أحسن التعبير عن عقليتهم دي بقول (فما حدث من تطور صوتي في لهجة كلامنا، حدث مثله في اللغة الفصحى في معظم الاحيان ولكن الكلمات قد تشقى وتسعد كالانسان فتلك التطورات الصوتية التي تمت في العصور التي سماها الرواة بعصور الاحتجاج قد أعترف بها وأقرتها المعاجم وعدتها من الكلمات الفصيحة، في حين انها رفضت نفس التطور الصوتي في العصور التي تلت هذا وذلك رغبة في الوقوف باللغة العربية عند حدود العصور الاولى للاسلام، ظنا منهم ان التطورات الصوتية القديمة كانت من فعل الاعراب الفصحاء أصحاب اللغة. ولم يدر بخلدهم انه تطور طبيعي للاصوات سواء أحدث في العصور القديمة أم الحديثة. وان الاعراب القدماء لم يعمدوا اليه عمدا، أو قصدوه في كلامهم وهم يشعرون به، لو قدر لتلك الكلمات العامية التي ذكرناها هنا أن يتأخر بها الزمن وأن يتم تطورها الصوتي فيما سموه بعصور الاحتجاج، لاستحقت من الرواة كل عناية. ولرووها في معاجمهم وأصبحت فصيحة مقبولة، ((اللهجات العربية) صحيفة ١٧٩) أظن مافيش دفاع مقنع عن اللغة الحديثة المصرية أحسن من كده.

المرحلة دي مرت بها اللغات الاوروبية الحديثة مر سريع لتأخرها الزمني في الظهور. ففي أنجلترا مثلا كانت في وقت ما. لغة الاشراف والطبقات المثقفة اللغة الفرنساوية. لغة ملوكها أما لغة الشعب فكانوا يسموها لغة العوام the vulgar ولكن بعدما وسعت العلوم الحديثة معلوماتهم ومداركهم، اكتشفو خطأهم وصححوا الاوضاع وعرفوا انهم أفراد من أمتهم اللي بتتكلم نفس لغة أجدادهم وإنما بعد تطورها، أو حتى تغييرها للغة حديثة مستقلة. فاستعملوها في جميع أعراضهم وأصبحت عندهم لغة العوام بتاعت امبارح لغة الدولة الرسمية.

الا اننا نلتمس العذرلعلما اللغة العربية القدام علا عقيلتهم الجامدة المتحجرة دي لانهم ماكنوش لسه عرفو في زمنهم أن اللغة كائن حي ملك أهلها. يطوروها ويحددوها حسب بيئتهم واحتياجات مجتمعهم وزمنهم وان التغيير اللي بيشاهدوه في اللغة ده مش غلط يجب تصحيحه أو لغة غريبة هي اللغة العامية، إنما هو اللغة العربية نفسها بعدما تجددت وتطورت مع الزمن، ومع ذلك فواحد زكي منهم يعتبر من كبار أئمتهم، هو المازني قال (ما قبس على كلام العرب فهو من كلامهم) وكذلك ابن خلدون-واضع علم الاجتماع- كان يقدر اللغة العامية اللي كانت منشرة في مدته وكان يسميها لغة الحضر والامصار ويعترف بقيمتها.

لكن الغريب بل المؤلم ان نظرة علما اللغة العربية القدام دي فضلت مسيطرة على العالم العربي بكل أخطاءها وجهلها وقصر نظرها لحد يومنا ده، في عصر الطياره والذره. اذا كنا التمسنا الاعذار لعلما اللغة القدام. فاي عذر نقدر نلتمسه للغويين والكتاب والدبا بتوع النهاردة اللي مفروض انهم درسو علم الاجتماع وعلوم أبحاث اللغة المختلفة وتاريخ اللغات على أحدث الصور اللي وصلت لها في الغرب والشرق!

والكتاب ده في المطبعة، ظهرت مقالة للاستاذ الشيخ محمد أبو زهره – في (الثقافة) عدد ٩٩- بيقول فيها بافتخار عن اللغة العربية بان (جوهرها صاف سليم نقرأ كلام الأولين فنفهمه، ولو أحيا الله تعالى الموتى من قبورهم وقرأوا ما نكتب وسمعوا مانخطب لعرفوه وأتوا به وعلموا ان الحاضر مرتبط بالماضي. إلا من انحرفوا عن الطريق).

ياللعجب! لو ان أكبر عدو للغة العربية أراد إنه يسبها كان ماقدرش يهزأها ويحقرها بقد كلام الشيخ أو زهره ده. هل فيه أعجب من أن كاتب في القرن العشرين يفتخر بان لغته القومية –المفروض فيها الحياة والتطور- ماتحركتش من مكانها طول أربعة عشر قرن؟

فوق كده فضيلة الاستاذ فاتته نقطة مهمة قوي: هي انه مافيش غير مليون واتنين من تلاتين مليون مصري. هم اللي يقدروا يقرو (كلام الاولين فتفهمه)

اللي لو حيو العرب الموتا يقدرو يفهمو كتابتهم وكلامهم، بينما خمسة وعشرين مليون مصري من الاحياء ما يفهموش اللغة دي، نرجع ونقول تاني مش برده الحي أبدا من الميت؟

إمتا الكتاب دي حترفع عصابة الماضي اللي مغطية عقولهم فيفهمو ان العلم والادب والفن النهارده للملايين ومش لطبقة ضيقة محصورة وأنه اذا كانت البلاد العربية متخلفة النهارده فيجب انها تبلغ اعلا درجات المدنيه في أقصر وقت ممكن يعني ان كل عربي في جميع أقطار الأرض يكون يعرف يكتب صح ويقرا أي كتاب ده يمكن تحقيقه بعد ربع قرن اذا سهلنا العلم وبسطناه، يعني أن كل عربي يقدر يقرا بلغته القومية العامية وبابجدية جديدة، زي اللاتينية أو ما يماثلها (انظر كتابي، نحو أبجدية جديدة) وإلا فبالطريقة الحالية دي قدامنا ولا ميت سنة.

انما من حسن الحظ ان الاستاذ أبو زهره مافاتوش انه يلاحظ ان هناك (من انحرف عن الطريق) بتاعه، مما يبشر الامة العربية بالخير وانها بدأت تصحا من نومها العميق.

الشباب، اللي تخلص اليوم شويه من رواسب الماضي تحت تأثيرا لدفع الثورى أنحرف عن الطريق العربي العتيق، كما يظهر مثلا في تقرير لجنة الميثاق لطلاب كلية التجارة اللي ورد فيه (أن مراكز البحث العلمي، مطالبه الآن في هذه المرحلة من النضال أن تطور نفسها بحيث يكون العلم للمجتمع وتكون الثقافة للجماهير."

زمن الابراج العاجبة العربية انتها ووصلنا دلوقت لعصر بيقول انه يجب ان تكون فيه الثقافة باللغة المصرية علشان تنتشر بين جميع الطبقات، ومانناساش أن تلات ارباع مواطنينا أميين، فاذا لقو حد يقرأ لهم جريدة أو كتاب أو سمعو حديث في الراديو. انفضو من حوله لانهم بيلاقو نفسهم مش فاهمين من لغته العربية حاجة. فلو كان المطبوع أو الحديث باللغة المصرية، كان اتلم الاميين حلقات حوالين القراء والراديو يستمعو لهم ويستفيدو منهم.

أدباءنا ونقادنا بيكتبو دايما النهارده أنه يجب أن تكون لنا شخصيه قومية وأنه (يجب أن تطغى مصريتنا على كل شيء و (أن الانسان ابن جيله على الرغم منه) ومع ذلك ما بيطبقوش الكلام ده على أبرز طابع للشخصية والقومية المصرية، وهو الكتابة بلغتهم الامية (نسبة للأم) كلامهم حبر على ورق بس، لانهم ذاتيين انانيين منطوين على أنفسهم في ابراجهم العاجية العربية القديمة، ومش عايشين في بيئتهم، ولا بيفكروش بعقليتها وذوقها، وإنما عايشين بعقولهم في خيم عرب الجاهلية. عقولهم مشغولة بالأفكار القديمة الموروثة المتحجرة، أكثر من انشغالهم بمشكلات اليوم اللي بتشغل مجتمعهم وبتضر حياة مواطنيهم، ولا يزالو مطيعين طاعه عميا لأئمة اللغة العربية القدام الي كانو بيدرسو اللغة العربية على انها علم أثري موروث يجب المحافظة عليه في قمقم مقفول.

يمكن نقدر، مع التساهل نلتمس لادبا اليوم بعض العذر في أن نظام تعليمنا أقام للغة العربية أصنام ربا النشئ على عبادتها. ولكن ما تحدش لهم اي عذر في انهم ماقدروش، بعد ماكبرو واستوت عقولهم واستقلت يتحررو من سيطرة العادة وحشو الرووس فيحطمو أصنام اللغة دي، اذا كان الدين قداسه معترف بها بتفرض عبادته، فمافيش أي قداسة للغة. لانها خاضعة لعوامل الفكر الزمن والظروف الاجتماعية يعني العوامل كلها غير ثابته، تنمو تتطور مع الحياة لما يتغير الظروف الاجتماعية مع الزمن، بتنقلب أوضاع التفكير فتصبح ضاره الافكار اللي كانت مفيده وأحيانا تصبح الضاره مفيده وأظهر ما تكون التغييرات دي في ميادين العلوم والاختراع والاقتصاد والصناعة لانها جديدة حره من كل القيود، بخلاف ميادين اللغة، المكبلة بقيود الماضي والدين المحاط بهاله من القداسة واسرار ما وراء الطبيعة.

اذا كانت القوانين الوضعية بتنظيم العلاقات بين الأفراد في الحقوق والواجبات والمعاملات، فاللغة كمان قانون وضعي، بيتظم بكلماته وقواعد جميع طرق التفاهم بين الناس. ومادامت الاولا بتتغير كل سنه بقوانين جديدة، بتتناول القديمة بالحذف والاضافة. فمن باب أولا يجب أن قانون اللغة يكون في تغيير مستمر.

أظهر ما تكون عقدة محاربه اللغة المصرية، هو عند كبار أدبا العربية المتخصصين فيها، لان علمهم أدبي صرف محصور في البحث عن أصل شاعر جاهلي أو شرح بيت معقد أو المفاضله بين شاعرين، يعني فن أناني بيمتعو به أنفسهم بجمال أبحاثهم اللغوية اللي تعتبر فن ترفيهي مالوش قيمة من الوجهة الاجتماعية والحضارية في البلاد المتخلفة من غير ما يفكرو في رفع مستوا أبناء وطنهم الفكري والحضاري.

عيبهم انهم ما تثقفوش في علوم الفلسفة والاجتماع والتطور والنشوء والارتقا والتاريخ الطبيعي، حافظين المعلقات وشرحها، ولكنهم ما يعرفوش حاجة عن نظريات داروين ولوك وفرويد وهكسلي وكاربل إذن يجب انهم يشعرو بقصورهم في الحكم على مصير اللغات ما يعارضوش المجددين اللي دارسين الموضوع. ومع ذلك فالمسألة مش عويصة قد كده. فانا ولو اني مادرستش كل العلوم دي الا ربنا أعطاني مخ و common sense كافيه والحمد لله –علاشان اصل لنفس النتائج اللي وصولها المفكرين دول.

أما في محيط غير الادبا فعندنا كثير من الاساتذة الدكاتره اللي دارسين كل العلوم والنظريات دي وأكتر. لكن من الاسف ماطلعش واحد منهم بجاهر وينادي باللي أملاه عليه العلم المخزون في رأسه وهو توحيد اللغة عندنا باستعمال اللغة المصرية في الكتابة. لما يتشجع واحد منهم، يدوب يلمح ويشير من طرف خفي للموضوع،دون الافصاح بصريح العبارة ليه؟ لانهم خايفين يجاهرو برأي جديد تقدمي بغرضهم للنقد المر ويعدد مستقبلهم.

ولما يجاهر بالفكر دي واحد زي عبد العزيز باشا فهمي أو الاستاذ فريد أبو حديد، يعملو المعارضين ودن من طين وودن من عجين، أما إذا كان المنادي بها مسيحي، زي سلامه موسا والدكتور أنيس فريحه فانهم يغطو عجزهم عن الرد بل حتى عن الفهم بانهم يتظاهرو بالشطارة والحداقة، وانهم فاهمين اللي في القلوب، فيتهموهم بالعداوه للغة العربية والتبشير ازاي يمكن اتهام واحد زي سلامه موسا بالتبشير وهو عمره ما كتب كلمه في صالح أي دين؟ أنمه اللغة

العربية القدم معذورين، ولكن أدبا اليوم مالهش عذر بل عار عليهم انهم مابقدروش اليوم لغتنا الامية langue maternelle يعني اللغة الي تعلمناها من أمهاتنا و بنتكلم بها بدون أي جهد، ولا تفكير في قواعد ونحو وبطريقة عفوية تلقائية. زي ما بناكل ونشرب.

اللغة الامية للافراد، هي اللي تكون اللغة القومية لمجموعهم. أول شرط فيها هو انها تكون لغة الامة كلها كلام وكتابه زي ما للشخص أم واحدة. وعيله واحدة ومجتمع واحده ووطن واحد. كذلك يكون له لغة أمية واحده. هي لغته القومية. يصح يكون بيعرف عدة لغات تعلمها بالدراسة ولكن لغته الامية ماتعلمهاش بالدرس. وإنما لقطها من والديه. ومن الناس اللي عايشين حواليه فيتكلم بها. زي الديك ما بيدن وزي الكلب ما بينبح.

أما اللغة اللي تعرفها طبقة. وتجهلها طبقات. فمش ممكن بأي حال أنها تكون اللغةالامية للافراد. ولا اللغة القومية لامتهم. بل هي ماحصلتش حتا مجرد لغة. لانها ما أدتش أبسط وظيفة للغة يعني انها تكون واسطة تفاهم عامه بين جميع أبناء الامة اللغة القومية اللي بجنب كونها واسطة تفاهم وأداة تفكير. هي كمان تعبير حي متطور عن التاريخ والتكوين الفكري والذوق والمزاج للأمة أو بعبارة أخرا. هي وجدان وضمير وشخصية الامة الكامن فيها الناشئ منها لان اللغة القومية ما تستوردش من الخارج وما تكونش من بطون القواميش وإنما هي اللي أودعها أجدادنا في نفوسنا فطلعت من بقنا لما اتناغينا بها أول ما حبينا.

وكل للي بيفتكروالنهارده ان اللغة العربية القديمة. هي لغتهم القومية. بيغالطو أنفسهم أو بتخدهم الخيالات التاريخية والاوهام اللغوية والمؤثرات الدينية فيتخذو من الوهم حقيقة وينسو نفسهم لأم غير أمهم الحقيقة.

اللغة للأمه. زي الثروة للفرد يعني انها أثمن ما تمتلكه بشرط انها تكون من صنعها. أما أذا كانت وارثاها أو مستلفاها من جيرانها فيما يكون لهاش فضل فيها.

خلاصةالكلام. أن اللغة المصرية النهارده ماهباش لغه دخيله عربية اسمها العامية أو الدارجه. وانما هي اللغة العربية الحديثة يعني نفس اللغة العربية بعد ما تجددت وتطورت على مر العصور والاجيال.

مش عيب في اللغة العربية الحديثة انها تكون مختلفة باختلاف الاقطار العربية. زي مالغات أوربا الحديثة اللي من أصل واحد مختلفة عن بعضها وزي ما كانت اللغة العربية من عهد النبي (ص) مختلفة باختلاف القبايل والاقطار. فزي ماكان في ديك العهد لغات الحجاز ونجد واليمن وتهامة وفلسطين والبحرين وحضر موت والشام والعراق. مافيش مانع يكون عندما النهارده اللغات العربية الحديثة. المصرية والسورية (اللي يمكن توحيدهم مع لغات لبنان والاردن والسعودية والسودان لتقاربهم من بعض) والعراقية والمغربية. دول تلات لغات بس يعني أقل من اللغات العربية القديمة.

اختلاف اللغات ده ما يمنعش قيام وحده أو اتحاد عربي زي ما شفنا في التاريخ لأن الوحدة والاتحاد والتحالف تقوم على أساس المصلحة المشتركة ووحدة الهدف. أكثر ما تقوم على وحدة الجنس واللغة والدين.

إذا كان ولابد من اعتبار اللغة أساس للوحده –خلاف الواقع والتاريخ فمافيش أسهل من اعتبار اللغة العربية الحديثة لمصر وسوريا ولبنان والاردن والسعودية وليبيا اللغة العربية الحديثة الرسمية العامة ويكون أسهل على أهل العراق والكتلة المغربية تعلمها عن اللغة الفصحا الصعبه.

إذا كانت اللغات الحديثة تغيرت في الاربع قرون الاخيره. فمش معقول ا اللغة العربية بتاعت القرن الهجري الاول –باعتبارها كائن حي خاضع لتأثير القوانين الطبيعية والاجتماعية- تفضل على ما هي عليه بدون تغيير لحد القرن الاربعة عشر. بالشكل ده تكون بنستعمل في حياتنا المتطوره، لغة جامدة ميتة زي الاغريقي واللاتيني والهيروغليفي.

لذلك مانجدش النهارده دوله راقيه بتستعمل في كتابتها لغة قديمة، انما كلها حملتها المدنية والتطور على استعمال لغات حية حديثة، أحسن مثال على كده اليونان الحديثه، اللي اتغيرت فيها لغتها الاغريقية الاصلية لغة هوميروس الايونيه IONIC من حوالي ألف سنة قبل الميلاد، للغة الاثينية، لغة أرسطو وأفلاطون (حوالي ٥٠٠-٣٠٠ق.م) لغة الأناجيل في أوائل القرن الأول الميلادي.. للغة اللي تطورت منها لحد سقوط القسطنطينية في أيدي الترك سنة ١٤٥٣، للغة الحديثة اللي نشأت بعد كده وفضلت تتطور وتتغير لحد ما بقت اللغة اليونانية الحديثة الرسمية النهارده، اللي ما زال فيها -بعد كل التطورات والتصفيات دي- بعض قواعد صعبة من اللغة القديمة، بتخلي الشعب يشتكي منها، رغما عن تسلسل ولاده أربع لغات مع بعضها -كل واحده أسهل من اللي قبلها- لغاية ما صارت اللغة اليونانية الحديثة، فإن المفكرين والكتاب مش راضيين عنها النهارده، لأن الشعب ما بيهضمهاش ولا بيفهمهاش بسهوله. لدرجة انه قامت حركة كبيرة قبل زي تلاتين سنة، تدعو للكتابة بلغة الشعب. واستجاب للدعوة دي كتير من الكتاب اللي بدو يكتبو باللغة الجديدة المبسطة دي اللي بيسموها. (بسيخاديس) واللي نالت رضا الشعب، فأقبل على قرايتها واستفاد من كتبها الجديدة أكثر من القديمة. من المنتظر أن اللغة الجديدة دي تصبح لغة اليونان الرسمية قريبا، وتبقى اللغة الحديثة الحالية مخصصة للبحوث الأدبية التاريخية والعلوم العالية ده اللي عمله شعب زكي ناهض متحرر متمشي مع الحياة والمدنية، فما أحوجنا إننا نقتدي به.

مادمنا برهنا على انه ما فيش حاجة اسمها اللغة العامية أو الدارجة وإنما هي دي اللغة العربية الحديثة أو المصرية -بيستعملها كل واحد حسب بيئته الاجتماعية والاقليمية- يبقا ما يصحش نردد الخطأ الشايع اللي بيحقروها به. بحجة انها لغة ملفقة من اللغة الفصحا. وبذلك نكون أحط و أضعف منها. الرأي ده ثابت غلطه فنيا. لان اللغة المصرية أو العامية هي اللغة العربية الحديثة اللي بلغت أعلى درجات التطور، والدراسات العلمية الحديثة للغات واللهجات، أثبتت أن اللهجة أو اللغة الجديدة مش نتيجة انحطاط أو انحلال أو تشويه اللغة اللي

نشأت وتطورت منها. إنما العكس هو الصحيح بمعنى أن نشأة لغة حديثة يعتبر نمو وتطور نحو الأفضل وتقدم طبيعي للغة اللي نشأت منها. لأن المفروض أن الفكر والذوق البشريين بيسيرو للأمام حسب مقتضيات للزمن والحضارة، ومش بيتأخروا لورا. كمان من الثابت علميا أنه ما فيش لغة راقية جيدة، ولغة متخلفة ردية، وانما هي مسألة نسبية للأمم اللي بتستعملها.[٤٣]

حتى اللغات اللي بتعتبر متخلفة، ماهياش ثابتة محكوم عليها بالتخلف، وإنما بتتحرك للامام، زي أي لغة راقية، لحد ما تصل لمستوا اللغات الراقية وعلى رأي الدكتور محمود السعران (إن ما ينقص هذه اللغات (المتخلفة) من مفردات، من أيسر ما يكون لضافته إن اللغات المتخلفة قادرة عندما تواتيها الظروف المناسبة على التكيف السريع، مصطنعة ما في مواردها نفسها من إمكانيات لتفي بحاجات المدنية الحديثة لتنهض إلى تجريدات الفلسفة الأوروبية المعاصرة[٤٤]).

كما على الاساس ده ما يصحش نتهم اللغة المصرية –زي لغة الكتاب ده- بأنه لغة خليط بين اللغتين العربية والعامية، فلاحصلت دي ولادي دي لغةحديثة مستقلة فمش محتاجة انها تحصل أي لغة تانية. هل فيه لغة حديثة ماهياش خليط من عدة لغات؟ هل حد قدر يقول عن اللغة الفرنساوية عند نشأتها، انها لغة ملفقة خليط من اللاتينية والسلتيه والغالية والفرنكيه والاغريقيه فما حصلتش ولا لغة منهم؟ النقد ده زي ماحد يقول عن طفل ان عينيه شبه أبوه وأنفه شبه أمه فلا حصل أبوه ولا أمه ان كان النقد ده سخيف في حق الطفل فهو أسخف في حق اللغة لانه باعتبارها كائن حي قديم متطور لابد أنه تظهر فيها طباع وسمات اللغة أو اللغات الأم اللي تكونت ونشأت وتطورت منها.

---

[٤٣] ـ المقدمة دي ما تتمش لسرد الأدلة على كده ويجد القارئ شيء منها في كتاب الاستاذ الدكتور أنيس فريحة (نحو عربية ميسرة) صحايف ٧٥ و٩٣.

[٤٤] ـ (اللغة والمجتمع للدكتور محمود السعران مدرس الصوتيات بجامعة الاسكندرية صحائف ٤٣-٤٤ وهو بعد كده بيضرب أمثله لكلامه.

كذلك يسقط الاعتراض اللي بيقوله بعض كبار الاساتذة من ان اللغة العامية لغة الجهل والجهلا فمايصحش ننحط لها في كتابتنا مادامت اللغة الحديثة هي لغة كل الأمة. علماها وجهلالها ومادام الجهلة هم الاكثرية الغالية فيها فيجب إننا نكتب لهم بها، ثم تندرج بهم في الكتابة فترتقي اللغة كل عشر سنين عن العشر سنين اللي قبلها زي ما حصل في اللغات الأوروبية الحديثة. يمكن بالشكل ده تقترب مع الزمن من اللغة الفصحا كما انه من الجايز أنها تبتعد عنها بدون ما يكون للأمر ده أي أهمية، لأن المهم هو إننا نضمن أنها بتنمو وبتقترب من الكمال. لازم نعرف إن شعبنا من ا لوجهة الثقافية –زي ساير البلاد العربية- يعتبر في سنه أولا، فيجب نكتب له بلغة سنة رابعة بدون ما يشعر. أما حضرات الاساتذة الكبار اللي عاوزين يقروه باللغة الفصحا بحجة رفع مستواه فهم زي المدرس اللي بحجة انه عاوز يرفع مستوى سنة أولا، يدرس لها برنامج سنة رابعة، فمانفهمش منه التلامذة حاجة.

حقيقة الأمر هو أن اللغة العربية الحديثة لغة كامله، ماتقلش درجة عن اللغات الأوروبية الحديثة وأنها على كل حال أقوا علا التعبير من اللغة العربية الفصحا. ماتتخضش يا عزيزي القارئ ولا تندهش، فان كنت من المعارضين فان دهشتك حتزول من كلمتي الجريئة دي، لما أفكرك باللي قلته بأن اللغة الحديثة هي نفس اللغة العربية وإنما بعد تطورها وتجديدها. وعلى ذلك تكون اللغة العربية الفصحا –باعتبارها الأصل أو اللغة- الأم –جزء من اللغة العربية الحديثة بتغرف كل الكلمات اللازمة لها من اللغة الفصحا، واللي ماتلاقيهش فيها من المعاني والاصطلاحات المصرية بتستلفه من اللغات الغربية وتمصره وتهضمه وتخليه جزء منها.

بكده بتكون اللغة العربية الحديثة المصرية لغة واسعة مالهاش حدود، تدخل فيها أي كلمة بتجري على ألسنة الناس بدون ما تكون مدونة في قواميس قديمة وبدون باسبور يصدر، لها مجمع لغوي أو خلافه قاموسها الحياة ومجمعها اللغوي الشعب. هي لغة الشعب من الشعب وللشعب.

لكني حاروح لأبعد منكده مع حضرات المعارضين فأسلم أولا بأنهم مااقتنعوش بنظريتي بأن اللغة المصرية هي نفس اللغة العربية المتطورة وأسلم لهم جدلا كمان، بأن اللغة العربية الفصحا أقوا وأرقا من اللغة العربية الحديثة المصرية برده ده مايكونش سبب في إننا مانكتبش بلغتنا المصرية القومية لانها بالنسبة لنا اللغة الأمية زي وضحت. بينما اللغة الفصحا لغة تاريخية غريبة عنا بنتعلمها في المدارس زي اللغات الأجنبية. مايصحش نتبرا أو حتا نهمل لغتنا الأمية المصرية القومية مهما كانت ضعيفة ومنحطة لأن الولد الزنجي ما ينكرش أمه الزنجية المتأخرة ويروح ينتسب لأم أوروبية لأنها أرقا وأغنا من امه الطبيعية.

بجانب الحريات السياسية والدستورية لازم تتمتع كل أمه بأربع حريات قومية مقدسة، وإن كانت خاضعة في تطبيقها لها لقوانين خفية -أقليمية وطبيعية واجتماعية- مش حاسه بهم الحريات دي هي حرية كل أمه في أكلها ولبسها ولغتها وموسيقتها. فزي ما يصحش إنك تقول للمصري (سيب المدمس والبسارة والملوخية وكل أصناف أكل فرنساوية لأن خبرا الطبخ قروا أنها أرقا منها) ولا إنك تقول له (سيب موسيقتك الشرقية واستمع للموسيقا الغربية لأن علما الموسيقا حكوما بأنها أرقا من موسيقتك)، كذلك ما يصحش نقول له (ماتكتبش بلغتك الأمية المصرية واكتب باللغة العربية الفصحا لأن علما اللغة قرروا أنها أرقا منها). كمان ما يصحش إننا نترك الحريات الأربعة دي تخنقها عوامل خارجة عنها. زي الاعتبارات التاريخية والسياسية والدينية، لأن التاريخ علم يتقري في الكتب ونستفيد من تجاربه والسياسة تمارسها وزارة الخارجية والدين نعمل به فروضنا ونحترمه في معاملاتنا مع الناس وفي الجامع.

أنا ماشرحتش نظرية أصل اللغة العربية الحديثة أو المصرية على انه هو نفس اللغة العربية الفصحا وإنما بعد ما تطورت وتجددت علشان أبرر إننا يجب أننا نكتب بها زي ما بيعمل أغلب الكتاب -زي الاستاذ توفيق الحكيم في مقدمة (الورطة)- لأ أنا شرحت النظرية دي على انها مجرد حقيقة علمية لغوية تاريخية، يصح تكون صح كما يصح تكون غلط، بدون ما يأثر ده على ضرورة الكتابة باللغة المصرية سواء كان أصلها عربي أو لاتيني أو ألماني أو صيني

لانه ماحدش قال –الا بعض المحافظين المتعصبين- انه مفروض علينا فرض واجب اننا نكتب باللغة العربية أو مشتقاتها. منين جه الفرض والاجبار ده؟ هل علشان في أصلنا البعيد عرب؟ ده مش سبب، فأهل أوربا كلهم –تحت تأثير التمدن والارتقاء- مابيكتبوش باللغة اللي كان بتكتبها أجدادهم قبل أربع قرون بس، ومش قبل أربعة عشر قرن زينا.

والاعلشان إنها لغة القرآن؟ طيب وماله مايمنعش القرآن فوق العين والراس عندنا. زي ماهو عند ساير المسلمين اللي لغاتهم مش عربية ومع ذلك يمكن بيحترموا القرآن أكثر مننا. أدحنا بنكتب بالعربية طول عمرنا من قرون فهل ده زود تمسكنا بالقرآن أو سهل لنا فهم آياته؟ أبداً، يمكن أكتر من أربعة أخماس الأهالي عندنا مايفهموش القرآن أكتر ما بيفهمه الترك والباكستانيين والإيرانيين الخ مع انه لو كتب لهم تفسير القرآن بلغتهم المصرية لفهموه أكتر وازدادو معرفة بدينهم.

القرآن الكريم أساس الاسلام، لابد لكل مسلم أنه يحفظمنه ما يتيسر وعلما الدين الاسلامي في جميع البلاد الاسلامية بيدرسوه تفصيليا ومن جميع وجوهه فلاخوف عليه من تغيير أو إهمال فإنه باقي إلى الأبد وفقا للآية الكريمة (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون). إلياذة هوميروس والاناجيل القديمة الاولا اللي هي أقدم من القرآن، لا تزال محفوظة كما هي رغما عن ان اللغات المكتوبة بها أصبحت ميتة من زمان.

السلطة الوحيدة اللي تفرض لغة قوميةموحده على أمه،هي قوانين الحياة والمدنية.ودي بتفرض علينا النهارده الكتابة باللغة المصرية وتوحيد لغتنا، ولا يمكن انها تسمح لأمة ناهضة منطلقة زينا، بأنها تكتب لغة ميتة زي اللغة العربية الفصحا، أيوه يا أسيادنا. باقول (اللغة العربية لغة ميتة، إن كنتم في شك من كده فافتحو جميع القواميس وكتب علوم اللغة بجميع اللغات –ما عدا طبعا اللغة العربية الميتة- تجدو فيها أن اللغة الحية هي اللي بيتكلم بها جماعة من البشر، وان اللغة الميتة هي اللي ماحدث بقا بيتكلمها. زي اللاتيني والاغريقي

والسنسكريتي والديموطيقي. يعني ان مقياس حياة اللغة أو موتها متوقف على حياتها في أفواه الاحياء. أما الكتب والمخطوطات والجلود وأوراق البردى فهي القبور المدفون فيها عشرات من اللغات الميتة، اللي لها أهميتها وحرمتها بدليل ان كتير من العلما بيكرسو حياتهم لدراستها وبعضها بيدرس إجباريا في المدارس والجامعات.

هناك أكتر من كده، بعض علما اللغة العربيين قروا ان كلمة (اللاتينية) كان لها من القرن التالت ق.م معنيين: واحد هو اللغة الأدبية بتاعت نخبة مثقفة من الرومان والتاني لغة الحياة اليومية الي كانت بتتكلمها أهالي البلاد الخاضعة للامبراطورية الرومانية. اللغة الاولا هي اللي بتدرس النهارده في المدارس والكليات. وزي ما بيقول الاستاذ اللغوي ف.بودم (اللغة دي كانت ديما لغة ميتة زي ما هي اليوم، لانها ماكانتش لغة الكلام).

كذلك بعض المؤلفين العرب -قدام وجداد- قالو بأن حالة اللاتينية دي كانت تنطبق على اللغة العربية في كل أدوراها حتى في الجاهلية ماكانتش الناس بتتكلم اللغة الأدبية، لغة المعلقات وأكترهم كان ما يفهمهاش. يعني إن اللغة العربية كانت دايما ميته أو نص ميتة من عصور طويلة ومش في العصور الأخيرة دي بس.

يمكن حد يقول إن اللغة العربية بتستعمل في الخطابه النهارده بين الأحياء.ده صحيح ولكن فضلا عن أن الخطابة النهارده محدودةقوي فكم واحد في العالم يمكنه يخطب أويتكلم بطلاقه باللغة العربية الفصحا؟ يمكن مليون شخص والا اتنين من من التمانين مليون اللي بيتكلمو اللغة العربية على أحسن تقدير نقدر نسلم لهم بأن اللغة العربية حبة في نطاق قوي زي الغة الأرمينية ولغة الباسك، يعني لغة مالهاش أي أهمية عملية واقعية.

بدا الحمله دي في انجلترا دلجرانو سنة ١٦٦١ وولكنز سنة ١٦٦٨ وفي إيطاليا جاليلو وفي المانيا ليبنتز وفي فرنسا ديكارت. الفيلسوف الرياضي. كما ظهر فيها في (دايرة المعارف) اللي كانت بتصدر تحت إشراف ديدرو في سنة

١٧٦٥، تحت كلمة (لغة جديدة) Langue Nouvelle بحث قيم كتبه فيجيه Faiguet الى كان ساعتها وزير مالية فرنسا. انتقد فيه كل قواعد وأجرومبات اللغات الحديثة لعدم تخلصها من تعقيدات اللغات القديمة واقترح تبسيطها.

استمرت الجملة دي لغاية العصور الحديثة، بواسطة جريم Grimm ومالينوكي وبيسيرسن وأوجدن وعشرات غيرهم من علما اللغة. عدم الرضا عن صعوبات الحديثة تسبب كمان في ظهور اللغات الصناعية الموضوعة لتكون لغات عالمية زي لغات فولابوك Volapuk واسبرنتو وانترلينجوا.

على كل حال الحملات ضد اللغات القديمة وبعض مشتقاتها، أثبتت أنها غير منطقية وغير منتظمه وغير اقتصادية Irratioual, Irregular and Uneccnomical بمناسبة اللغات الدولية، قال العلامة الدانماركي يسبرسن (١٨٦٠-١٩٤٣) ان احسن نموذج لها هو، اللي يتيح في كل ناحية منها أكبر سهولة لأكبر عدد من الناس). يعني أن مقياس رقي اللغة وعصريتها وصلاحيتها للحياة والمدنية هو درجة سهولتها وبساطتها. أظن أنه يظهر من كده بوضوح، أن اللغة العربية الحديثة أو المصرية موافقة للمقياس ده، قد اللغة العربية الفصحا ماهي مخالفة له واننا بكتابتنا بها اليوم بنخالف سنن التطور والارتقاء، وبنسير ضد تيار الزمن، وبنقيد لغتنا القومية العصرية بسلاسل الرجعية والجمود وبنتركها مدفونة في القبر العربي الفخم اللي اتحفر لها قبل اثنا عشر قرن.

ازاي مااقتنعناش اننا بنكتب بلغه ميته أثريه ما عاشتش في عالم الكتابه لحد دلوقت الا بطرق مفتعلة صناعية. بفضل احتماها ورا درع القرآن والدين والتاريخ والملوك والحكام اللي كانوا من أصل غير عربي وبيتظاهروا بحمايتها، فبقيت متبلورة متحجرة زي كل اللغات القديمة وكانت زي عجوزه ضعيفه ماشيه تتسند وتجرجر في رجليها، مش عايشه إلا بفضل حقن التاريخ والدين، بينما اللغة المصرية زي شابه قوية ماشيه تجري مندفعة في طريق المستقبل الطويل اللغة العربية زي نبات الصوبه اللي مايقدرش يعيش الا في

جو صناعي ويموت في الهوا الطلق بينما اللغة المصرية زي الشجرة القويه اللي رافعه أغصانها للسما تستحمل الحر والبرد وتقاوم الرياح والزوابع.

الكلام ده تنبه له بعض المفكرين المصلحين النوابغ، فقاموا يطالبوا بالكتابه باللغة المصرية من قبل تمانين سنه، كان من أنصار الفكرة دي من العرب غير المستشرقين والاجانب اللي بيطعن المحافظين في نزاهتم بدون سبب ولا برهان وغير ابن خلدون العبقري من العلما القدام كتير من كبار المفكرين والكتاب زي رفاعه الطهطاوي –رائد النهض الأدبية الحديثة- وبعض الصحافيين من أمثال عبد الله النديم ويعقوب صنوع وجورج زنانيري وكان منهم الشيخ الفحام ومحمد عثمان جلال أول شاعر للعامية ترجم لموليير أربع كوميديات أشهرها (الشيخ متلوف) وتلات تراجيديات لراسين والشيخ النجار وقاسم أمين والمصلح الكبير لطفي السيد وعبد العزيز فهمي –صاحب أحسن أسلوب عربي- وابراهيم عبد القادر المازني ومحمد تيمور وبيرم التونسي وسلامه موسا.ثم من المعاصرين سليمان محمد سليمان وعيسى عبيد وأحمد رامي الشاعر الكبير والاستاذ المجمعي الكبير محمد فريد أو حديد –رئيس تحرير (الثقافة)- وكذا المجمعي الاستاذ الكبير توفيق الحكيم والدكتور لويس عوض، وغيرهم في مصر، كما ظهر من دعاتها في سوريا ولبنان اسكندر المعلوف والدكتور أنيس فريحه وسعيد عقل، اللي طبع بها كتب، وكتاب غيرهم كتير.

جمال اللغة الحديثة وشعبيتها مافاتوش شعرا العربيه بل فتنوهم وجذبوهم لما من زمان فظهر فيها شعرا –زجالين- من القرن الخامس الهجري في الأندلس وكذلك في العصر الحديث اللي بيعتبر بعضهم ملوك الزجل فيها شعرا العربيه الكبار أحمد شوقي واسماعيل صبري وحفني ناصف من الغريب أن شوقي قال انه خايف على اللغة العربية من بيرم التونسي ومش حاسس ان بعض زجله هو نفسه أجمل من بعض شعره العربي.

اكتشف بطل كوميديه موليير (البرجوازي النبيل) انه بيتكلم بالنثر طول عمره بدون ما يدري فامتا نكتشف احنا كمان اننا بنتكلم بلغة قومية كامله قويه مش

ناقصها إلا اننا نكتب بها علشان تثبت وجودها رسميا وتنمو ويبقا لها أدب عصري عظيم يمثل شخصيتنا أمام العالم. مش خسار ه أنه يكون بين إيدينا كنز ثمين زي ده ومش بنستفيد منه بل ولا حتى عارفين قيمته؟!

لكننا بدينا نصحا ونقدر لغتنا المصرية اللي لابد انها حتنتصر في النهاية ان ماكانش النهارده حيكون بكره لان سيلها المتدفق ما يمكنش يقف قدامه اي سد، لانها لغة الحياء المتحركة دايما علا رجلين: واحدة البساطة والثانية السهولة، فتوفر الزمن في التعليم وفي الكتابة وتنشر المعرفه بين جميع طبقات الامه، وتوحد لغتها وتقوي شخصيتها وتهدم الاقطاع والاحتكار الثقافي.

الكلام اللي بقوله ده مش عن جهل أو غرض أو عن حماس متهوس وإنما هو كلام علمي ثابت فنيا. فاليكم كلام علامه علم اللغة في مصر، الدكتور علي عبد الواحد وافي –اللي نسي كلامه اللي كتبه امبارح في كتابه العلمي (اللغة والمجتمع) وجااليوم يكتب في المجلات الأدبية مجرد كلام ضد اللغة المصرية أو العامية –كتب الدكتور المذكور (فليس في قدرة الافراد أن يوقفوا تطور لغة ما، أو يجعلوها تجمد على وضع خاص، أو يسيروا بها في سبيل غير السبيل التي رسمتها لها سنن التطور الطبيعي الموضحة في الفقرات السابقة. فمهما أجادوا في وضع معجماتها وتحديد ألفاظها ومدلولاتها، وضبط أصواتها وقواعدها ومهما أجهدوا أنفسهم في اتقان تعليمها للأطفال قراءة وكتابة ونطقا ومهما..الخ، فإنها لا تلبث أن تحطم هذه الأغلال، وتفلت من هذه القيود، وتسير في السبيل التي تريدها على السير فيها سنن التطور والارتقاء الطبيعين (صحيفة ٧٨).

(وإليك مثلا حالة اللغة العربية مع لغات الشعوب التي خضعت لسلطان العرب، فعلى الرغم من الجهود الجبارة التي بذلت للقضاء على لغات هذه الشعوب وإحلال العربية محلها وعلى الرغم مما كان للعرب حينئذ من قوة الشوكة، ورقي اللغة، واتساع الحضارة. وعلى الرغم من الصلة الوثيقة بين الدين الاسلامي ولغة القرآن (صحيفة١٠٣) فان ذلك كله لم يحل دون تطورها في

الاصوات والقواعد والأساليب ودلالة المفردات إلى الصورة التي تتفق مع قوانين التطور اللغوي، فأصبحت على الحالة التي هي عليها الآن في اللغات العامية.

(حقا أنه يمكن أحيانا التحكم في لغة الكتابة والجمود بها زمنا طويلا على أصولها القديمة أو ما يقرب منها. ولكن لغة الكتابة التي تجمد بهذا الشكل لا تمثل تمثيلا صحيحا حالة الحياة اللغوية في الأمة، وتتسع كثيرا مسافة الخلف بينها وبين لغة المحادثة. لأن هذه اللغة الأخيرة في تطور مرد. ولا تستطيع أية قوة إلى إلي تعويق تطورها سبيلا فلا تنفك تبعد عن لغة الكتابة الجامدة. حتى تصبح كل منهما غريبة عن الأخرى، ويصبح تعلم لغة الكتابة وتعليمها في الأمة أشبه شيء بتعلم لغة أجنبية وتعليمها، وهذا هو ما كان عليه الحال في فرنسا وإيطاليا و...الخ، وما عليه الحال الآن في مصر وبلاد العرب وشمال إفريقيا بصدد العلاقة بين لهجات المحادثة واللغة العربية الفصحى، المتخذة لغة كتابة في هذه الممالك) آدي كلام رجل عالم في علوم الاجتماع واللغة والدراسات الاسلامية، مصري مسلم لا يمكن أن يتسرب الشك في أنه مبشر أو من عملاء الاستعمار.

هنا أراني مضطر للقول بأننا موصلناش لدرجة كافية من حرية الفكر والشجاعة الأدبية، وإلا كان أمثلا الدكاترة وافي وابراهيم أنيس والسعران والاساتذة الحكيم وأبو حديد وغيرهم. صرحوا في كلامهم بأكتر من كده، وقالوا بالمفتوح انه يجب توحيد لغة الأمة وشخصيتها بالكتابة باللغة المصرية، أو كان كلامهم الايحائي ده كافي لايقاظ الوعي عند الكتاب وأقنعهم بضرورة الكتابة باللغة المصرية لكن المشاهد هو العكس. لقينا ضغط البيئة الرجعية يجعل الدكتور وافي يتقهقر بل وينقلب فيهاجم اليوم اللغة المصرية اللي كان بيدافع عنها امبارح بأصول فنية.

ضغط البيئة المتحجرة تحت أوهام الماضي ده، رعب قلوب أنصار اللغة المصرية لدرجة خلتهم بعتذرو عن استعمالها كانهم بيرتكبو جريمة، زي

الاستاذ يوسف السباعي –اللي هو النهارده رئيس المجلس الاعلى للفنون- ما كتب في مقدمة مسرحيته (أم رتيبه): (إني كتبتها باللغة العامية، إذ من الجنون أن أحاول إنطاق أبطالها بالعربية. فأرجو من أنصار اللغة العربية (يعني هو مش منهم) أن (يصهيونو شويه) ويتسامحوا معي قليلا فالمسامح كريم، باللعجب! يقرر الاستاذ ان كتابه مسرحيته بالعربية يكون (من الجنون) ومع ذلك يعتذر لانصار اللغة الفصحا، ويرجو منهم التسامح بدل ما يعلن في وشهم ان هي دي اللغة الطبيعية الفنية الواجب استعمالها، ان ماكانش دايما ففي بعض الأنواع الكتابية الكثيرة. وإن كان هناك محل للاعتذار فواجب على أنصار اللغة العربية اللهم هما اللي يعتذرو عن جهلهم بصلاحية الكتابة بل بوجوب استعمالها دايما.

لكن البلاد واللغة المصرية بدو يتحررو شويه من كابوس اللغة العربية والرجعية اللي كانت كاتمه أنفاسها، وظهرت اللغة المصرية في الميدان رافعه علمها عاليا وزحزحت اللغة العربية بدون قتال عن مواقع كثيرة فاحتلت النهارده المسرح كله والشعر الغنائي (الزجل) اللي ظهر في أعظم شاعرين في العالم العربي، قديمه وحديه، هم أحمد رامي وبيرم التونسي، وكمان شعرا مجيدين زي الدكتور سعيد عبده وصلاح جاهين وعبد الرحمن الأبنودي وحسين السيد وفتحي قوره ويوسف بدروس[٤٥]. كذلك عزت القصة، أهم ميدان أدبي، فاستولت فيها على الحوار ولاشك أنها حتستولا عليها كلها، لأنه مش معقول انه تستمر القصه على شكلها السخيف الحالي، فنجد القصة الواحدة مكتوبة بلغتين مختلفتين بيعبرو عن عصرين وعقليتين مختلفتين تماما. ده أمر عجيب ما حصلش ولا حتى في القرون الوسطى في أوروبا. لأنه ما ظهرش فيها كتبنصها باللاتيني ونصه بالفرنساوي أو الايطالي مثلا..

من جهة تانيه استولت اللغة المصرية على لغة المناقشات الأدبية والعلمية في المحاضرات الجامعية والندوات الاذاعية –حتى اللي موضوعها أدب عربي!-

---

[٤٥] ـ حانضم لهم قريبا إن شاء الله بإصدار مجموعة من الشعر الخالص بعنوان (أشعار مصرية).

وفي جلسات المحاكم وتحت قبة مجلس الأمة، وأخيرا تتوجت انتصاراتها بخطب السيد رئيس الجمهورية في المناسبات السياسية الشعبية لأنه أدرك بعبقريته، ان كلامه ماينفدش لصميم قلوب الشعب وما يسأسرش عقولأبناء وطنه إلا أذا كلمهم بلغتهم اللي بيتكلموا بها ويفكروا بها.وإنه لما بيخطب باللغة العربية بيضع ستار بينه وبين الشعب وبيجعل الاجتماع رسمي متكلف، بل مسرحي تاريخي لأن الخطيب ما بيكونش جمال عبد الناصر، وانما عمر بن العاص أو الحجاج الثقافي بن يوسف وأمثالهم.

في الوقت الحاضر، فرضت اللغة العربية الحديثة نفسها في الوسط الجامعي، فكتب عن الفنون الشعبية -اللي بتقوم على اللغة المصرية- الدكتوره سهير القلعاوي والدكتور عبد العزيز الاهواني والدكتورة نبيله ابراهيم، ومن غير اساتذة الجامعة، الاساتذة رشدي صالح وفاروق خورشيد بلغ الاهتمام في المحيط الجامعي، بأمر الدعوة دي، أنه قدمت الدكتورة نفوسه سعيد -المدرسه بجامعة اسكندرية- رسالتها لنيل الدكتوراه بعنوان تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر) في كتاب ضخم[٤٦].

أكتر من كده انه بدا فعلا تطبيق الكتابة باللغة المصرية في بعض الجهات الشبّه رسمية، لاني قريت الخبر ده، مع شرح وتعليق، في (روز اليوسف) عدد ١٩٣٣ (ابريل ١٩٦٥) (حدث في أنشاص أن تقرر عقد مؤتمر يضم لجنة الاتحاد الاشتراكي مع مجلس إدارة الجمعية التعاونية، وكان النقاش يدور حول اللغة التي يقدم بها تقرير اللجنة التعاونية. واستقر الرأي على أن يقدم التقرير باللغة الدارجة فيتولى نقد أعمال الجمعية باللغة الدارجة المفهومة من الجميع. بهذه المناسبة يقول توفيق الحكيم أن ٧٥% من كلماتنا الدارجة هي في حقيقتها لغة عربية أصيلة وفصيحة. وأن المتقعرين في اللغة هم الذين بحثوا عن الكلمات العربية الغريبة المستوحشة واستعملوها حتى ينعزلوا عن لغة الشعب (خلافا للواجب) أما اليوم فلا بد أن نعود إلي لغة الشعب، ولا داعي لتعقيد

---

[٤٦] ـ طبعا ماكنتش تقدر تدافع عنها خوفا من أن أساتذتها ماينجحوهاش في امتحان الدكتوراه.

الأمور مادام القاموس المحيط يعترف بان أغلب كلماتنا الدارجة هي كلمات عربية فصيحة (والا ما يعترفقش فمش ضروري) فكلمات مثل خش وبس) كلمات عربية سليمة رغم أنف مدرس اللغة العربية في مدارسنا) وكذلك رغم أنف جماعة المتعصبين للغة العربية الفصحا.

كل اللي قلته لحد هنا كان باعتبار اننا بلد مستقل يبلغ تعدده ثلاثين مليون نفس، فمن حقه في القرن العشرين وهو ساير في طريق التقدم والحضارة.. انه يخطط لنفسه في اللغة المناسبة له زي ما بيخطط النظم والقوانين الاقتصادية الاجتماعية والسياسية الموافقة لمصلحته ولكني أتنازل عن كل الكلام ده جدلا واتمشا مع عقلية المحافظين والمتزمنتين اللي بياضر في الكتابة باللغة المصرية، حتى في القصص والمسرحيات ومحاضرات الجلسات اللي بتنقل كلها من واقع الحياة وحتى في الاحاديث والمحاضرات الشعبية، والجدل والهزل والاخذ والعطا بتاع كل يوم، بحجة انا نكون خالفنا تاريخنا وتقاليدنا، وخنا لغتنا الأصلية الموروثة، وخالفنا ديننا الاسلامي، حاتمشا معاهم بمنطقهم علشان أبرهن لهم اننا حتى لو تمسكنا بمادؤهم وحججهم فبرده ده ما يكونش سبب لعدم استعمال اللغة العربية الحديثة في الكتابة.

ليه؟ لانه زي ما سبق أوضحت، أنه اذا كان نبي الإسلام العظيم خاطب القبايل بلغتها المختلفة وقال (أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم) وأجاز قراءة القرآن بعدة لغات عربية، وإذا كان الامام ابو حنيفه أجاز الصلاة بالفارسية للي يجهل العربية نقوم احنا نتردد النهارده في الكتابة بلغتنا العربية الحديثة المصرية؟ لو فرضنا وكانت لغتنا المصرية دي موجودة في زمن النبي (ص)، وراح الحجاز جماعة مصريين يحجو وقرو على النبي (ص) شيء من القرآن بلهجتهم المصرية فقلبوا القاف همزة والذال زاي والظا ضاد وخففوا الهمزات، فلا شك في أن النبي (ص) كان يقرهم على قرايتهم ده إن ماقالش (هكذا أنزلت) زي ما قال للحميري.

أوعا حد يفتكر انى باهاجم اللغة العربية أو باقلل من قدرها أبدا، اذا كنت باقول انها لغة أثرية قديمة غير صالحة للحياة بالحالة اللي هي عليها وإنما يجب أنها تتطور لتخرج منها لغة جديدة صالحة للحياة، فده مش معناه اني بأذمها أو بانكر قوتها وعظمتها.. بالعكس أنا قلت أن بعض نواحي قوتها دي، هي اللي بتخليها غير قابلة للتطور مع الحياة. على كل حال احنا في موضوع اختيار اللغة الأصلح للحياة والمدنية، ومش في مجال تقدير تقييم اللغات.

اذا كنت باعجب باللغة المصرية اللي هي أمي وأحبها وأودها فده ما يمنعش اني كما باقدر جدتي واحترمها. اللغة العربية لغة قديمة كلاسيكية، ربما كانت أوسع اللغات القديمة معترف لها بمرونتها اللفظية المعتمدة على غناها في التصريف والاشتقاق، كما أنها لغة فخمة الاسلوب جليلة الاداء. مؤثرة في نفوس المتمكنين منها، ولكن كل ده ما يمنعش إن الجمهور المحدود اللي بيقدر يفهمها، بيعجب بها إعجاب سطحي، يعني أنها ما بتدخلش في صميم قلبه ولا يقدرش يتجاوب ويسسل معها إحنا حقيقي بنحبها، وبالاكتر بنحترمها، ولكن زي حبنا واحترامنا لجدنا أو عمنا الكبير، ومش زي حبنا للغتنا المصرية اللي بنحبها زي أبونا وامنا.

اللغة العربية تخلينا نشعر بالاعجاب والرهبه اللي نشعر بها لما نزور متحف الآثار المصرية أو قصر عابدين، أما اللغة المصرية فتخلينا نشعر كأننا في بيتنا بين أهلنا WE FEEL AT HOME اللغة العربية بالنسبة لنا، زي جامع السلطان حسن أو تمثال رمسيس، أما اللغة المصرية فهي عندنا زي ساميه جمال بترقص قدامنا مليانه جمال وإغراء وحياه. اللغة العربية زي ما نكون بنسمع الشيخ رفعت، أما لغتنا المصرية فزي ما نكون بنسمع أم كلثوم أو عبد الوهاب.

أين الشعب لما يسمع عبارة (ياجميل سلم) يتلذذ بها، أو حسب لغته، يتكيف ويتمخخ منها، أكتر ما يسمع أحسن قصيدة غزل من شعر عمر بن أبي ربيعة أو العباس بن الأحنف.

اللغة العربية زي كل اللغات القديمة الكاملة، فيها من الصعوبات والتعقيدات ما جعلها علم مستقل بنفسه، يعني غاية ومش وسيلة اجتماعية للتفاهم، بكده ما بقدرش يتذوقها ويستمتع بفخامتها إلا اللي دارسها تمام. زي ماميستمتعش بالموسيقا الافرنجي الكلاسيك إلا اللي دارسها. وزي أنه ما يصحش نجبر الناس على تذوق موسيقا بيتهوفن، كذلك ما يصحش نجبر كل الناس على استعمال اللغة العربية، لكن انانيه المعارضين، وتشبثهم بالاستفادة من احتكارهم للغة العربية، مخليينهم يصممو على أنهم يسمعو الشعب سمفونيات بيتهوفن غصبا عنه. رغما عن أن الشعب عاوز يسمع أدوار أم كلثوم وطقاطيق شريفه فاضل.

من أقوا الأدلة على أن اللغة العربية عايشه في عالم الكتابة بطريقة مصطنعة مفتلعة غير طبيعية، هو انها عجزت عن مسايرة العصر الحديث فاستعانت بمجمع لغوي يوضح، يعني يخترع لها الكلمات زي اللغات الحديثة الدولية.

وظيفة المجامع اللغوية –اللي أشهرها الأكاديمية الفرنساوية- هي إنها تقبل في قاموس اللغة الكلمات المتداولة اللي استعملها الكتاب والشعب، ومش وضع كلمات جديدة تخترعها، وظيفتها زي ظابط الجوازات في المينا يدخل المسافر المستوفي الشروط القانونية ولكنه ما يخلقش ولا يخترعش مسافرين.

أكثر أنصار اللغة العربية ما أمكنهمش ينكرو صعوباتها وتعقيدها وعدم صلاحيتها للانتشار والحياة، فحاولوا تبسيطها وتسهيلها باقتراح عدة اقتراحات، راح بعضها لدرجة تسكين أواخر كل الحروف، يعني حذف قواعد الإعراب، ولكني كعربي مسلم أعارض كل الاقتراحات دي اللي تغير معالم اللغة العربية بل تهدم شخصيتها التاريخية. اللغة العربية الفصحا أثر قديم مورث، يجب تحافظ عليه، كما هو زي محافظتنا على الاهرام وجامع بن طولون اللي ما بنستعملهمش في حياتنا اليومية.

اللغة العربية الفصحا مش لغتنا على شان نقدر نتصرف فيها، لان أصحابها العرب اللي كان لهم حق التصرف فيها ماتوا قبل اثنا عشر قرن، دي بالنسبة لنا، لغة القرآن الكريم والأدب العربي القديم اللي يدرسها المتخصصين وتصان

من المرمطة على ألسنة الجهلة والمهرجين العابثين.لانها بالنسبة لهم يصح تسميتها بعبارة العزالي (المضنون به) على غير أهله.

أما إذ أردنا مسايرة التطور والحياة، وبدينا نختصر نحو اللغة العربية ونغير قواعدها فدي عملية مالهاش نهاية، لابد أن تنتهي بتغيير معالمها وهدم شخصيتها فما تكونش اللغة اللغة العربية الأصلية الكلاسيكية وإنما تكون اللغة العربية الحديثة أو اللغة المصرية -يعني العامية بدون ما نخاف من الكلمة دي- اللي بادعو للكتابة بها لانها بتاعتنا وملك إيدينا، نعجنها ونطورها حسب احتياجاتنا وعلى كيفنا ومزاجنا، بدون تقيد بحدود، ومن غير ما نكون مطاليين بتقديم حسب لحد، وهنا اسأل حضرات المعارضين (ليه النفاق أو الجبن الأدبي) وليه اللف والدوران ده؟ مش الأحسن والأريح اننا نواجه الحقايق ونسمي الأشياء بأسمائها؟

اللغة العربية باقية وحتبقا ديما تدرس في البلاد العربية لانها اللغة الأم بالنسبة للغات العربية الحديثة. ومستودع الحضارة العربية، ولكن يجب أنه يقتصر تعليمها على المتخصصين اللي بيدروسا العلوم النظرية بس -كليات الدين والاداب والحقوق- كما يجب على من يريد أن يتصدا للكتابة بالمصرية أنه يتعلمها تمام زي كل كاتب غربي محترم بيعرف اللاتينية. وإنما ما تفرضش على جميع أفراد الأمة وتصبح حمل ثقيل في رقبة المهندسين والاطباء والمحاسبين وجميع أفراد الشعب، اللي مش محتاجين لها، لأنها بالنسبة لهم لغة ميته ما بيتكلموش بها، ولا يفهموهاش إلا بالتعريب، ولا بيفكروش بها ولا بيتجاوبوش معاها، فضل عن أنها بتشل أقلام كتاب الأمة لأنها بتكون ستهم المتحكمه فيهم. بدل ما يكونو هم اسيادها المتحكمين فيها.

خصائص اللغة العربية الحديثة أو المصرية

اللغة العربية الحديثة أو المصرية، لغة حديثة كاملة قوية، ما يقلش مستواها عن أي لغة أوروبية حديثة المهم في أي لغة كتابه راقيه، بجانب البساطة والتعبير والموسيقية، هو أنه يكون لها قواعد نحو (أجرومية) ثابتة واللغة الحديثة مستوفية كل الشروط دي، لأنها بسيطة ومعبرة وموسيقية ولها قواعد ثابتة المستشرقين والأوروبيين عموما عرفوا قواعد اللغة دي واهتمو بها قبل أكثر من ميت سنة وكتبو عنها عشرات الكتب، وإحنا نايمين ولاداريين من أجدد الكتب دي، كتاب من مجموعة (علم نفسك) اسمه Colloquial Arabic لمؤلفه F.T Mitchel كتب تحت عنوان الكتاب عبارة (اللغة الحية لمصر) The Living Language of Egypt وكلمة (الحيه) الصغيره دي لها معنا واسع كبير يفصل بين الحياة والموت.

الاختلاف بين قواعد العربية الفصحا واللغة العربية الحديثة المصرية، قليل نسبيا إذا ما قارناه باللغات الحديثة المشتقه من اللاتينية، لأنها لغات مستقلة، بينما العربية الحديثة صورة مبسطة متطورة من العربية الفصحا يمكن الا لختلاف اللي بينهم يكون أقرب للاختلاف اللي بين اليونانية الحديثة ويونانية القسطنطينية.

قواعد اللغة العربية الحديثة أو المصرية بسيطة لدرجة أن الطفل المصري اللي عمره اثنا عشر سنة يمكنه يكتب بها بدون غلط، بدون ما يكون قرأ أي كتاب قواعد أو أجروميه عنها. الدليل على سهولتها دي. هو أني كتبت الكتاب ده، بقواعد منتظمة ثابته، بدون ما أكون قريت أي كتاب قواعد للغة المصرية.. مكتفي باللي تعلمته من أمي وابويا ومن اللي باسمعه من اخواني المثقفين.

يمكن القول بان أهم التغيرات اللي خالفت فيها اللغاة المصرية الفصحا نتيجة لتطورها مع البيئة والزمن، تنحصر في تلات نواحي: الصوتيه والاختصار والقواعد.

١ ــ الناحيه الاولا، يعني الصوتية وطريقة النطق باللغة العربية الحديثة المصرية، حافظت على جميع الأصوات اللغوية، أو الفونيمات[٤٧] الموجودة في الفصحا، فيما عدا أصوات أربع حروف طردتها منها واستبدلتها بغيرها وهي الآتية:

أ ــ حرف القاف. الحلقي اللهوي، قلبته همزه في المدن فصار (آل وأفل ،الب، يدل (قال وقفل وقلب)، وقلبوه جيم قاهريه في محافظات الشرقية والصعيد وكتير من البلاد العربية. الحرف ده ثقيل في النطق لدرجة أنه كانوا بيغيروه، من مدة صدر الاسلام وهو النهارده موضع سخرية وتأليس، حتى ان الشاعر العربي حافظ ابراهيم نكت على صديقه الدكتور محجوب ثابت لحزلقته وتظاهره بالتمسك بالعربية دون مراعاة لمستوا مخاطبة انسان، بأنه كا يبالغ في طرقعة القافات العربية بنطقها الصميم، فقال فيه:

يرغي ويزيد بالقافات تحسبها   قصف المدافع في أفق البساتين

من كل قاف كأن الله صورها   من مارج النار تصوير الشياطين

٢ ـ حرف الثاء والدال والطاء، اللي بتعتبرها لسان العربية لثوية وهي في الحقيقة سنية (نسبة للاسنان) لسانية لانها بتنطق بوضع اللسان بين الثنايا (الأسنان الأمامية) السبب في الاستغنا عن الحروف دي هو انها حروف ثقيلة في النطق، اللسان بيعمل في نطقها مجهود أكبر من اللي بيعمله في غيرها، واحنا في عصر الميل لتطبيق (قانون مجهود الأقل) ده فضلا عن أنها ثقيلة على السمع المصري، على كل حال، مش وظيفتنا اننا نعرف، أو حتى نبحث عن السبب لأن وظيفة الكاتب وصفية صرف، تقتصر على مجرد تسجيل المسموع المستعمل على الألسنة.

---

[٤٧] ـ يمكن معرفة تفصيل معنا الكلمة دي في كتابي (نحو أبجدية جديدة).

على الاساس ده استبدلت اللغة الحديثة حرف الثيه بالتيه، فينطق فيها (تالت وتعلب وتعبان) بدل (ثالث وثعلب وثعبان). وطبعا الاولا أظرف في الودن وأخف على اللسان، في بعض الأحيان نترك في الكتابه بالثيه وإنما تنطق سين زي في (حيس وبحس) بدل (حيث وبحث)، كلذلك استبدلت اللغة الحديثة حرف الذال بالدال وأحيانا بالزين فنقول فيها (دهب ودقن وديل) بدل (ذهب وذقن وذيل) ونقول كذلك، (ومزهب ومزكور) بدل (كذلك ومذهب ومذكور). الفعل العربي (ذهب) حكمت عليه اللغة الحديثة بالاعدام لانه يشتمل على حرف الذال التقيل وماكانش يمكن استبداله بالدال والا يختلط الاسم، دهب (المعدن الثمين) لذلك استبدلته بالفعل الجميل (راح) اللي هو برده زيه عربي صميم في الجملة المصرية:

(اللي راح راح ياقلبي شكوتك لله)

اللي الجملة العربية المقابلة لها

(الذي ذهب قد ذهب يا قلبي فلتكن شكواك لله)

على قد الجملة المصرية الاولا ما هي جميلة موسيقية سهل تخش قلوبنا واحنا متلذذين بها، على قد الجملة العربية التانية ما هي تقيلة خشنة الأصوات Cacophonous تستثقلها ألسنتنا، وتجرح ودانا، وتنفر منها قلوبنا.

أما حرف الظا، فاللغة الحديثة استبدلته بالضاد، فنقول بها (ضل وضلام وضهر) بدل (ظل وظلام وظهر)، إلا أنها أحيانا بتنطق بحرف قريب منها (فونيم فرعي) زي في كلمات (أظن والظاهر وظلم).

استبدال الحروف الأربعة دول، هو نوع من الإبدال اللي كانت بتجيزه العرب لنفسها زي ما ذكرنا افتكر أنه من باب أولا أننا نسمح لنفسنا به ونستعمله بتوسع بعد تلات عشر قرن من التطور.

استحدثت اللغة الحديثة كمان بعض طرق النطق، فخففت نطق بعض الحروف لدرجة حذفها تقريبا. ده أظهر ما بيكون في الحالات الآتية:-

الحالة الأولى تخفيف الهمزة اللي مش في أول الكلمة. الفصيح المشهور هو النطق بالهمزة الساكنة المتوسطة في الاسم زي ، رأس وفأس وكأس وشؤم، وفي الأساء الممدودة اللي اخرها همزة زي (دواء وكساء وصحراء) أو كانت الهمزة لتأنيث الصفة زي (حمراء وحسناء و سمراء) أو المتوسطة في بعض أسماء الفاعل زي (فائق ورائق وسائق) ولكن اللغة الحديثة أخذت عن أجدادها العرب المصريين فحذفت الهمزة في الكلمات دي فبقت (راس، فاس، كاس، شوم) و (دوا، كسا، صحرا) وحمرا و حسنا وسمرا (وقلبت الهمزة ياء في أسماء الفاعل فبقت (فايق، رايق، سايق) طريقة النطق ما استحدثتهاش اللغة الحديث وإنما كانت بتستعملها تميم وأكثر القبايل القرشية حتى تبعتها بعض القراءات القرآنية اللي بينطق فيها (يومنون، الفواد، بيس، خاسيا، مستهزون متكين) بحدف همزاتها. اللغة الحديثة والقبايل العربية دي كانت خاضعة في نطقها ده لقانون صوتي طبيعي يرمي للتخفيف على اللسان لأن الهمزة حرف تقيل في النطق، سوا كان ساكن أو متحرك، بالنسبة لأنه أعمق حرف حلقي ولأنه زي ما بيقول العلامة الدكتور ابراهيم أنيس. أن للهمزة حكما خاصا يخالف جميع الأصوات الأخرى، لأنها صوت ليس بالمجهور ولا المهموس، وهي أكثر الأصوات الساكنة شدة، وعملية النطق بها وهي محققة من أشق العمليات الصوتية (اللهجات العربية صحيفة ٥٨) فضلا عن أن تخفيف الهمزة بيخلي اللغة ألطف على السمع وأكثر موسيقية.

الحالة الثانية هو حذف العين في الأعداد المركبة من (عشر) الفصيح المشهور هو فتح العين والشين في (أحد عشر إلى تسعة) ولكن قبيلة تميم كانت تسكن الشين منعا من توالي حرفين متحركين لكن العربية الحديثة أو المصرية حافظت على فتح الشين وإنما حذفت تقريبا في النطق حرف العين وقلبته الف مد، فتنطق النهارده (ثلاث عشر وخمسة عشر) (تلاتاشر وخمستاشر) بوصل الكلمتين أما في سوريا ولبنان فينطقة العين ساكنة مع وصلها بالتيه اللي قبلها.

الحالة التالتة حذف الحرف الأخير من حرفين الجر (من وعلى) كانت خثعم وزبيد من قبايل اليمن، يحذفو النون من حرف الجر (من) إذا جه بعده ساكن، فيقولوا خرجت مالدار، وجئت ملمسجد) (وكثير ملأ سرى) بدل من (من الدار من المسجد، من الأسرى) واللغة الحديثة اتبعتهم في كده تمام فنقول فيها (خرجت ملبيت ولما أرجع ملجامع) كذلك كانت قبيلة بلحارث تحذف آخر حرف الجر (على) إذا كان بعده ساكن فيقولو (ركبت علفرس) يعني تمام زي اللغة المصرية.

كذلك كانت تميم تقلب الألف المقصورة المنطوقة، همزة عند الوقف عليها فيقفو على كلمة (الهدى) بقولهم (الهدأ) ودي يمكن اللي خلتنا ننطق زي أجدادنا دول كلمة (لأ) في لغتنا المصرية بدل (لا).

ب ــ أما الناحية التانية وهي الاختصار أو الاختزال ــاللي هو من مميزات القرن العشرين اللي الوقت فيه من دهب- فان اللغة العربية الحديثة أو المصرية تختزل (ده، دي، دول، ديك) بدل هذا، هذه أولئك . هؤلاء، ذاك) كذلك الاسماء الموصولة الذي اللذين الذين اللاتي، أختصرتهم كلمة لكلمة (اللي) كمن اختصرت حرف الجر (إلى) لمجرد لام وبعض الحروف الأخرى زي (حين، ولحين هذا الوقت) صارت (حد ولحد دلوقت) كذلك (كما أن بقت (كمان) وأي شيء بقت (إيش) والاختصرات (إيه وليه). الخ. كمان اختصرت بعض كلمات زي (للساعة) بقت (لسه) ومن (أين صارت) (منين) (وشيء صغير بقي (شويه) بتصغير شيء) والحا المستعملة بدل السين في صيغة الاستقبال في الفعل زي (حاشرب) هي إختصار للفعل (رايح اشرب).

الاختصار ده، زي ما قال الأستاذ توفيق الحكيم في مقدمة(الورطه) (كما اختزل الانجليزي will بعبارة I'II إن أكثر ما تسميه لغة عاميه ما هو إلا اختزالات اقتضتها بسرعة الكلام والخطاب (وكذلك الكتابة) كما يحدث في أكثر اللغات الحية. فعندما نقول (بدي) إنما نختصر لسرعة النطق كلمة (بودي) فنقول (بدي أسافر) بدلا من (بودي أسافر) كذلك الحال في قولنا (أيوه) بدلا من (إي والله)

وعندما نقول ما أعرفش (إنما نختزل (ما أعرف شيء) أو على الأصح ندمجها بعد تسكين أواخرها.

وتسكين الأواخر أي الوقف بالسكون وعدم الإعراب، هو أيضا من صفات لغات التخاطب السريعة في كل أمة عربية، ولعل الأمر كان كذلك أيضا أيام العرب القدامى في أوج حضارتهم. فقد قالوا (سكن تسلم) وما نحب لغة الكلام والتخاطب في الأسواق في أيامهم كان دائما بإعراب أواخر الكلمات). على أن العرب القدام كانوا بيعملو أكثر من كده. فما كانوش بيختزلو في الحروف بس. وإنما كانو بيختصرو بواسطة النحت في الكلمات كمان. فكانوا ينحتو كلمة واحدة من كلمتين وأحيانا من جملة فبدل من (عبد شمس وبنو الحارث) و (بسم الله الرحمن الرحيم) والحمد لله رب العالمين) كانو يقولو. عبشمى ويلحارث وبسمل وحمدل) وأمثله دي كثيرة قوي في كتب اللغة. كذلك استعمل المحدثين طريقة النحت دي فبدل من (قلم حبر – سن فيل – دار الطبع – حلل بالماء.) الوا (فحبر –سفل – سفار – درطع – حلسا).

ج ـ أما الناحية الأخيرة وهي القواعد، فالسهولة والبساطة جعلت اللغة الحديثة تتخلص من علامات الإعراب ومشاكل النحو المعقدة اللي مالهاش أي داعي، فجعلت أواخر كل الكلمات فيه ساكنة وده زي ما حصل في أغلب اللغات الأوروبية الحديثة اللي تخلصت من تغيير قواعد أواخر الكلمات اللي كانت فلي لغتها –الأم، زي الانجليزية اللي ساعدتها بساطتها على أن تكون لغة عالمية. بينما الألمانية والروسية فضلو محصورين في بلادهم يتعلمهم الأجانب ومتضررين.

الدكتور عبد الواحد وافي بيفسر تخلص اللغة العربية الحديثة من علامات الإعراب تفسير تخلص اللغة العربية الحديثة من علامات الإعراب تفسير علمي بقوله في مقاله – (الرسالة) عدد ١٠٩٨ رغما أنه بيهاجم فيها اللغة العامية- (ليس بغريب أن تتفق اللهجات العامية جميعا في التجرد من علامات الاعراب، قد خضعت لقانون من قوانين التطور الصوتي، وهو ضعف

الاصوات الأخيرة في الكلمة وانقراضها، وهو قانون عام خضعت له جميع اللغات الإنسانية في تطورها فما كان يمكن أن تفلت منه لهجة من اللهجات العامية المتشعبة من العربية)، الغريب أنه يجي بعده كده فيعيب على اللغة العربية الحديثة تجردها من علامات الاعراب.
التخلص من مصيبة النحو العربي ده، كافية لتجعل من اللغة العربية الحديثة أو المصرية لغة عصرية من الدرجة الأولى، على الأساس ده وحدت اللغة الحديثة القاعدة في صيغة المثنى والجمع بإضافة الحرفين (ين) على آخر المفرد، وتنطق بالاماله في المثنى والجمع بإضافة الحرفين، فنقول دايما (رجلين وكتابين) بالإماله و (المسلمين المتقين) بدل. ما تيجي في اللغة العربية في حالة الرَفع (رجلان وكتابان) و (المسلمون المتقون). مع ذلك صيغة المثنى المبسطة دي ما آخرعتهاش اللغة الحديثة وإنما قلدت فيها قبايل بلحارث وختعم وكنانة، اللي كانت تستعمل الألف دايما في المثنى) ومن كلام شاعرهم (قد بلغا في المجد غايتاها) (بدل غايتيها).

كمان وحدت اللغة الحديثة أواخر الأسماء الخمسة بجعلها دايما واو فنقول دايما (أبو وأخو وحما، بدل ما تكون زيادة على كده في العربية أبا وأخا وحما) في حالة الفتح، و (أبي وأخي وحمي في حالة الكسر.

على أن أهم ما خالفت فيه اللغة الحديثة، اللغة العربية هو القاعدة في صبغة النفي الصبغة العربية تكون بوضع أداة نفي زي (لا وما ولم ولن وليس) قبل الفعل المنفي، فغيرتها اللغة الحديثة باستعمال حرف (ما) قبل الفعل وحرف شي) بعده. زي القاعدة في الفرنساوية والانجليزية بدل (ما أكلت) العربية نقول في اللغة الحديثة (ما أكلتش) اللي هي اختصار، ما أكلت شيء في الجدول الآتي تجد بعض صيغ النفي المصرية وتحتها أصلها بالعربية:

ماعنديش	ما عندك شي	ما عنده ش (ماعندوش)
ما عندي شيء	ما عندك شيء	ما عنده شيء

ماليش	مالكش	مالهش (مالوش)
مالي شيء	مالك شيء	ماله شيء
مافيش	ماجاش	ماعليهش
مافي شيء	ماجاء شيء	ما عليه شيء

مع الزمن بقت الألسن تحذف الهمزة من آخر (شيء) لثقلها ثم اختصرت (شي) لحرف الشين بس لسهولة الوقف عليها.

صيغة النفي العربية المذكورة أعلاه –إن ما كانتش من أثر لغة الهيكوس في مصر القديمة زي ما قال ويلكوس- فلا بد أنها كانت صيغة النفي في لغة القبايل العربية اللي استوطنت مصر عقب الفتح العربي. لأن القبايل دي ماكانتش من قريش وقيس وتميم وأسد- اللي جه بعضهم بعدين في عهد هشام بن عبد الملك- اللي تعتبر لغتهم القرشية، اللغة الفصيحة، وإنما كانت قبايل حميرية وسبنية- لخم وجذام من بني مرة –وقضاعية- بل وجيهنة- يعني اللي أئمة اللغة كانو يعتبرو لغاتها لغات ضعيفة، وإنما هي على كل حال لغات عربية أصيلة، كان للغة كل قبيلة لهجة أو خاصية تنفرد بها عن غيرها، وكان القرشيين يسمو اللغات دي عنعنة تميم وكشكشة ربيعه وكسكسة أسد وهوزان وضبة وتلتلة بكر وعجعجة قضاعة (اللي يقولو (الراعج خرج معج) بدل (الراعي خرج معي)) وفحفحة هذيل (يبلدو الحا بعين فيقولو) (علت الحياة لكل عي) بدل (حلت الحياة لكل حي)) وطمطمانية حمير (تبدل لام التعريف بميم فيقول) (طاب امهواء وصاف امجو) بدل (طاب الهواء وصاف الجو) وكذا الحديث الشريف المذكور قبل كده، ليس من أمبر..الخ) ودي بتستعملها في لغتنا المصرية فنقول (امبارح) بدل (البارحة) وشنتنة الين الخ. كل الجهات اللي جت مصر مع القبايل اللي استوطنها تركت بطبيعة الحال أثر مثلا بكشكشة ربيعة ومصر وهي اضافة شين بعد كاف الخطاب المونثة، فكانوا يقولو (مانظرتكش) وأنا معتمد عليكش، بدل (ما نظرتك وأنا معتمد عليك)، تروي كتب الأدب أن اعرابية قالت

لجارتها: (ارجعي وراكش فان مولاكش يناديكش)، اللغة المصرية ورثت الكشكشة دي فنقول النهارده (ما نظرتكش واماكلمتكش وما عليكش ضرر).

غير كده كان فيه خلافات كثيرة بين لغات العرب في قواعد النحو والصرف، استفحل أمرها على مر الزمن حتى بقت لها مدارس نحوية في عهد الدولة العباسية، من أشهرها المدرستين الكوفية والبصرية.

كانت بعض القبايل القديمة تختلف عن بعضها في حركات اعراب اسم وخبر ليسوما كمان كانت بنو اسد تقول (سكرانة) زي لغتنا المصرية بدل (سكرى) الفصحا[٤٨].

كل نحو وقواعد اللغة العربية الحديثة أو المصريةسهلة ومعقولة وسايره على مبادئ، قواعد اللغة العربية فيما عدا وضع اسما الاشارة فانها خالفت فيه القاعدة في جميع اللغات القديمة والحديثة –ما عدا الرومانية- وده بتأخيرها اسم الاشارة بعد الاسم المشار اليه (إلا في صيغة الاستفهام) بدل ما يكون قبله، فبدلا من (هذا الرجل وهذه المرأة) Dieser Man, Cet homme, This man وبنقول في اللغة المصرية (الراجل ده والمره دي)، خلافا للغات السورية التي يقولوا فيها (ها الرجال وهايدي المره).

فكرت أصلح في الكتابة المخالفة دي فاكتب (ده الرجل دي المره) زي السوريين، ولكني وجدت انه مش من حقي كفرد أني أخالف ما اتفق عليه الملايين من بني وطني وما وضعه لهم من قبله اباءهم وأجدادهم، اذ كانت اللغة العربية الحديثة المصرية اختارت في تطورها القاعدة دي فلازم لها سببها، ومش من حق عالم اللغة ولا الكاتب تغييرها، ولا حتى مناقشتها فانما وظيفتهم هي مجرد تسجيلها في الكتابة حسب سماعها.

---

[٤٨] ـ ده مختصر من لغات العرب وأن أردت الزيادة فانظر كتاب الاستاذ الكبير ابراهيم أنيس (اللهجات العربية) وكتاب الاستاذ عبد الوهاب حموده (والقراءات واللهجات).

من الطبيعي انه يكون في اللغة الحديثة مخالفات لغيرها من اللغات وحتى للغتها –الام، ولكن دي ما تعتبرش غلط ولا خطأ في حد نفسها، اذا كانت خطأ بالنسبة للعربية الفصحا، فهي مش خطأ بالنسبة لنفسها باعتبارها لغة حديثة متطورة مستقلة بالعكس، ده علامتها المميزة – Peculiar Characteristic اللي بثبت شخصيتها ووجودها وحياتها قبايل ربيعة و تميم وغيرهم ما اعترفوش بان المخالفات اللي في لغاتهم للغة قريش غلط، وإنما فضلوا متمسكين بلغاتهم. محافظين على كرامتهم وكل واحد لغته عزيزه عليه ولكم دينكم ولي دين.

اذا كانت القبايل العربية المختلفة تمسكت بلغاتها زيما شفنا وعرفت تخلي كل العرب تعترف بها مع ان اكبر قبيلة منهم ما كانش يزيد عددها عن تلات الاف نفس، وعايشه في الصحرا معيشة بدايئة متأخرة نقوم احنا النهارده، اللي قبيلتنا مصر يبلغ عددها تلاتين مليون. وعايشه معيشة حضارة القرن والعشرين، ننكر لغتنا وتهملها وما نرضاش نكتب بها؟ وده بدل ما نسعا اثبات وجودها وحمل جميع الامم علا الاعتراف بها؟ اظن انه ما يلقيش بنا إننا نكون اقل شجاعة أدبية من أجدادنا المصريين قبايل حمبر وتميم ولخم وجذام. فنهمل لغتنا في الكتابة ونكتفي بها للكلام، بعدم كتابتنا بها بنجرح كرامتنا القومية.

أروح لأبعد من كده كمان، فافرض جدلا ان اللغة العربية الفصحا كانت موحده مافيهاش اختلاف لغات، فهل ده يمنع من أنه تكون لنا لغة عربية حديثة خاصة بنا، على اعتبارها قبايل عربية مصرية يفصلها عن لغة قريش تلات عوامل مهمة: الزمن والحضارة والجنس أو العرق؟

يفصلنا عن عرب قريش أربعة عشر قرن من الزمن، تغيرت فيهم الدنيا، كانت عرب قريش بدو عايشين في الخيام ويسافر على الجمال لكننا اصبحنا اليوم، ينسكن عمارات عاليه ونسافر بالقطارات والسيارات ونسمع الراديو ونتفرج على التلفزيون فوق كده ماتت فينا ملكة أو سليفة اللغة العربية سواء بسبب عدم تمرنا عليها بالكلام أو لانعدام العرق الوراثي فينا لاننا من اصول مختلفة مختلط فيها الفرعوني بالعربي يالبربري. المغاربه) بالشركس (من عهد المماليك) ،

فاحنا مانشأناس نتكلم اللغة العربية وانما بنتعلمها تعليم زي ما ينتعلم أي لغة أجنبية.

لو أن الكلام جربي فطولت في المقدمة دي أكتر مما تحتمل. إلا انها ما استوفتش الموضوع، فما هي إلا عبارة عن المختصر أو الهيكل العظمي للكتاب اللي باحضره (اللغة العربية الحديثة أو لغتنا المصرية) لذلك المقدمة دي خالية من الشرح الكافي وطرق التدليل والاثبات والمراجع والنماذج ومثال مصغر من قاموسها المستقبل، ما دامت ناقصة فما يصحش نقدما الا عن مجمل فكرتها وان كان لابد من نقدها –لان النقد حر- فارجو من النقاد مراعاة أصول النقد الادبي الموضوعي دون التعرض للاشخاص لما تعوزهم الحجة الموضوعية، فان استباحو لنفسهم بعد كده، توجيه التهم الرخيصة المعروفة اللي سئمها الجمهور –زي هدم العربية والانفصالية وعلاء الاستعمار والمبشرين الخ- وبدون ما يقدمو عنها البرهان، قلت لهم: (قديمة! ألعبوها غيرها).

المقدمة دي على صغرها –تناولت عدة مواضيع لغوية وأدبية وتاريخية ونقد أدبي واجتماعي، ومع ذلك فاظن انها كانت ناجحة قوي في التعبير عنها بلغتها العربية الحديثة أو المصرية، اللي اظن ان اخواتنا العرب في الاقطار الشقيقة يقدرو يفهموها زي ما بيفهموا اللغة المصرية في أغانينا المذاعة وفي أفلام السينما المصرية، ده شيء يدعو لتطين الكتاب على مقدره اللغة المصرية ويشجعهم على الكتابة بها.

المهم في قضية اللغة المصرية، هو عدم التعرض لها بالشرح والدرس والكلام النظري فرغم عن ان المناقشات النظرية بدت فيها من أكثر من تمانين سنة وزادت النهارده أكثر من اللزوم، فاننا ماوصلناش فيها لأي نتيجة عملية، لأن المهم في الموضوع هو تقديم الحلولالعملية والقدرة الحسنة، زي ما قال الاستاذ توفيق الحكيم في آخر مقدمته لمسرحية الورطة: (رجائي من كل صاحب رأي في المشكلة أن يحاول إيجاد حل عملي، لا ان يكتفي بالاعتراض الكلامي.(فالآراء السلبية (أو النظرية)لن تقدمنا خطوة، نحن الآن أحوج ما

نكون الى الحلول الايجابية التي تقترن بمشروع بناء، ومحاولة فعلية للمعاونة على إيجاد لما يواجهنا من مشاكل.

ما دمنا كلنا عارفين اللغة العربية الحديثة أو لغتنا المصرية، فيجب علينا كلنا اننا نكتب بها ونطبع بها الكتب الجديدة، فتصبح بعد مدة بحكم الواقع. لغة مصرية القومية الوحيد' أو على الأقل التانية، بدون حاجة لقوانين بل وبدون ما نشعر، زي ما أختفا الحجاب والطربوش بدون قوانين ولا تداخل حكومي، ده شيء في إيدنا خلافا لتغيير رسم الكتابة، ان ما استعملناش اللغة المصرية وحدها في الكتابة، فلا اقل من اننا نستعمل لغتين: واحد فصحا صعبة تستعملها النخبة المثقفة في المواضيع الدينية وتاريخ الادب العربي والشؤون العربية العامة، والثانية اللغة المصرية اللي يكتب بها كل الكتاب جميع المواضيع اللي تمس الحياة زي الجرايد والمجلات والقصص والمسرح والنقد والاحكام القضائية (علشان يفهمها اصحابها) والكتب المدرسية وحمايات المؤسسات والمراسلات الحكومية الخ.. مش حنكون اول دوله لها لغتين رسميتين، ففي العالم دول كتيرة قديمة لها لغتين، زي بلجيكا وسويسرا افريقيا الجنوبية والفال (ويلز) مع الفارق الكبير بان اللغتين اللي بتستعملهم دي مختلفتين تماما بينما لغتنا احنا مقربين لبعض ومن أصل واحد.

كتابنا، بصفتهم المرشدين الموجهين لشعب ناهض متحرر، هم المسؤولين عن مشكلة الكتابة دي وهم اليوم فئتين: الاولا أصحاب المراكز الرسمية أو الادبية المهمة، والاخرى الكتاب العاديين اللي لسه ما بلغوش مراتب أدبية ممتازة، أنا متأكد ان كتير من كتاب الغتين دول عاوزين يكتبوا باللغة المصرية ولكن بيمنع الفئة الاولى واحد من سببين أو السببين مجتمعين، الاول انه يتنقصهم الشجاعة الادبية علشان يجاهرو برأيهم والتاني انهم خايفيين يضيعوا، أو على الأقل، يزعزعو مراكزهم فينضروا ادبيا وماديا.

أما الفئة التانية: فئة الكتاب العاديين، فما بيكتبوش باللغة المصرية لانه ما عندهمش الشجاعة الادبية الكافية للخروج على اجماع اليئة زي ما ذكرت

اعلاه. فضلا عن خوفهم من فشل محاولتهم والقضاء على مستقبلهم الادبي. أغلب كتاب الفئة دي شبان نشأوا تحت توجيه وارهاب انصار اللغة العربية، فتلاقيهم متهيبين الموقف مش متجاسرين يهاجموا العقايد والاوهام المتخلفة من رواسب الماضي.

لكني اقول للكتاب الناشئين انهم يعملو زيي، ما يخافوش في الحق لومة لايم، ويقبلو التضحية في سبيل رفعة الوطن، ويستحملوا زيي شتايم الرجعيين المتعصبين لحد ما يتم لهم النصر القريب فيعتبرو الطليعة والرواد في اللغة المصرية اللي اتولدت من جديد، أما أنا فمايهمنيش في سبيل المبدأ، اذا شتمني اللي يسوا واللي ما يسواش لانه لابد ان تنبح الكلاب لما تسير القافلة للامام.

الوطن محتاج ان الكتاب الناشئين يكتبوا باللغة المصرية، لانه زي ما كتبت مجلة الفكر المعاصر عدد ٤ على غلافها، (انما نريد الرجل الذي ينزل الى المعمعة ومعه الفكرة التي تصلح للقتال في الميدان والفلسفة العملية هي فلسفة النقد والاصلاح).

لكن على رأي المثل (تحلف لي اصدقك، اشوف امورك استعجب، لاننا ما شفناش، لا المجلة دي ولا غيرها من المجلات الثقافية لوزراة الثقافة، نادت بفكرة تقدمية جديدة ولا شجعت مؤلف (ينزل الى المعمعة ومعه الفكرة الجديدة الصالحة) ولا اكتشفت داء أدبي أو لغوي أو اجتماعي دعت لاصلاحه[٤٩].

المجلات دي ما عرفتش حتى تتجاوب مع تجديدات الثورة ويعرفو ان الحكومة بتصرف عليها علشان يحققو واحد من ضمانات الثورة الخمسة، وهو قانون (الفكر المفتوح لكل التجارب الانسانية يأخذ منها ويعطيها، لا يصدها عنه بالتعصب ولا يصد نفسه عنها بالعقد.

---

[٤٩] ـ بدليل ان مافيش ولا واحدة منهم كلفت خاطرها أو وجدت في نفسها الشجاعة الادبية الكافية وقدمت أو نقدت كتابي (نحو أبجدية جديدة) رغم احتوازه على أكبر تجديد وانقلاب في عالم الكتابة.

مش بس كده، انما المجلات دي ما أظهرتش حتى انها حره ومحايدة ومتحررة (من التعصب والعقد) زي ما كتبت عنها بحق مجلة (روز اليوسف) (العدد ١٩٢٣) (ان الحقيقة التي لم يفهمها معظم الذين تولو مسؤولية تحرير مجلات وزارة الثقافة، هي ان هذه المجلات يجب أن لا تُعبر عن وجهة نظر واحدة، كما كانت الحال بالنسبة للمجلات الثقافية التي كان يصدرها الافراد، كالرسالة القديمة والثقافة القديمة والمقتطف والكاتب المصري الخ، فانما يجب ان تعبر هذه المجلات عن مختلف الاتجاهات الجادة، وأن تتمتع بالامانة والحياد وسعة الصدر، التي تمكنها من استقبال كل الاراء، والمواهب، وافساح المجال لها للتنفس على صفحاتها بحرية وطلاقة.. هذه هي الرسالة الحقيقية لمجلات زوارة الثقافة، خاصة في هذه المرحلة التينحتاج فيها اول ما نحتاج إلى التعرف على كل شيء، وفتح الابواب التي كانت موصدة على الافكار والمواهب) يعني بعبارة أوضح، ما تكونش مجلات حربية خالية من المعارك الفكرية Polemique، وما يفتكرش محرريها انها مجلات ابوهم، يكتبوها على كيفهم وحسب مبادئهم وأفكارهم، لأ لازم يعرفوا ان دي مجلات حكومية، يجب تكون زي المراية اللي تعكس كل الحركات الفكرية الموجودة في البلاد، فتفتح صحايفها لجميع الافكار، حتى بل خصوصا، اللي ضد مبادئ، محررينها المجلات دي حكومية، يعني زي سراير المستشفا الميري زي عربات السكة الحديد والاتوبيسات الحكومية اللي كل انسان موجود في الجمهورية العربية المتحدة –حتى ولو كان اجنبي مقيم او سايح- له الحق في استعمالها والتمتع بها، كذلك يجب نكون صفحات المجلات دي مفتوحة للجميع ومش خاصة بجماعة مخصوصة Clique نقرا لهم في كل عدد منها، والا عاوزينا نفهم ان الحكومة معينة المحررين دول علشان ينفذو لها خطة ثقافية مخصوصة مرسومة.

أخيرا، انصح جميع الكتاب –كهول وشباب- انهم يفكروا في الكلمة الحكيمة دي: اللي كتبها الاستاذ محمد حسنين هيكل عن مناقشات مجلس الأمة (اهرام ٣-٧-١٩٦٤) واللي تنطبق على جميع مجالاتنا الفكرية: (إن اخطر ما يمكن ان تواجهه حرية التعبير، ليست هي القيود التي تفرض علينا، ولكن ما نفرضه

على أنفسنا من قيود بتأثير من تصوراتنا لما يجوز لنا ان نناقشه، ولما يجوز لنا الاقتراب منه) التعبير عن الفكر، والمطبوعات حره في بلادنا في دايره القانون، يجب انه يكون له اثره في حياتنا، فنشجع ونتحرر، ونقنع انفسنا بانه يجوز لنا الاقتراب من كل شيء ومناقشته. يالله يا اسيادنا الكتاب! سيبوا المناقشات النظرية، واسل العقيم اللي لا يقدموا ولا يأخروا، وادخلو باقلامكم في ميدان العمل على تثبيت اقدام لغتكم الامية المصرية القومية، خدمة للشعب والوطن، وأدي أول كتاب ادبي بيظهر باللغة العربية الحديثة أو المصرية، بيطمنكم على قوتها وجمالها وروعتها وبيفتح لكم باب جنتها، فادخلوها بسلام آمنين.

عثمان صبري

مستشار بالقضاء المختلط

ثم وكيل محكمة استئناف سابقا.

تنبيه مهم

يجب تنبيه القارئ لقواعد الاملاء الجديدةالمتبعة في كتابة الكتاب ده اللي ما تختلفش عن قواعد إملا اللغة العربية المستعملة اليوم إلا فيما يأتي:

١ ــ الالف اللينة الدالة على مد آخر الكلمة سواء كانت اسم او فعل او حرف كتبتها دايما الف مد. فكتبتبدل (ضحى وسطى كبرى، معنى، فصحى، أولى، مصطفى طه، أخرى، رمى، نادى، يبقى، على، حتى) بالرسم ده (وسطا، كبرا)، معنا، فصحا، اولا مصطفا، طاها، أخرا، رما يبقا، نادا، علا، حتا) مافيش خوف انها تلتبس مع الكلمة المنون آخرها بالفتح لان التونين ده من الاشياء النادر استعمالها في اللغة العربية الحديثة (زي تماما ودايما وأولا).

٢ ــ حذفت الالف الزايدة بعد واو الجماعة الداخلة على أواخر افعال الجمع لانها طفيلية زايدة مالهاش أي فايدة، فكتبت (حبو يمشو ويتفرجو على البلد) بدو الفات زايدة غير منطوقة.

٣ ــ كتبت بعض حروف الثيه بالتيه في بعض الكلمات المعروفة المتداولة زي (اكتر وتاني وتالت) كما كتبت احيانا بعض حروف الظا بالضاد وبعض حروف الذال بالدال حسبنطقها المتداول على الالسنة فيما عدا كده مطلوب من القارئ انه يقرا، سواء كان في سره أو بصوت عالي، الكتاب ده بالنطق المصري الطبيعي بتاعه –أو بغيره في البلاد العربية الاخرى- اللي لسانه واخد عليه من صغره، بدون ما يتقيد بالرسم والنطق العربيين، فينطق المصري، مثلا (خمسة عشر رجل، معهم، بهم، لاخر (بنطقة المصري في الكلام يعني (خمستاشر راجل، معاهم بيهم، راخر، أما السوري واللبناني فيظهر في نطه الكلمتين الاول حرف العين ساكن.

بين قداسة المعني ودناسة اللفظ:

محاولات ترجمة الإنجيل إلي العامية المصرية

د. كمال عبدالملك

يتسم المجتمع العربي والمصري بما يسميه علماء اللسانيات بالأزدواجية اللسانية (Diglossia) (عن هذه الظاهرة إرجع لمقالة فرجسون الهامة Diglossia ١٩٥٩) ومعني ذلك أنه يستعمل مستويين من اللغة العربية – علي حسب تعبير السعيد بدوي فى *مستويات اللغة العربية في مصر* و إستعمال كلاً من هذين المستويين مرهون بالسياق الإجتماعي أو الموقف الحياتي الذي يحدد الإختيار المناسب . إلخ حسب هذا المفهوم الفرد عربي اللسان يختار الفصحي ، في المناسبات ذات الطابع الرسمي أو الديني مثلا في الكتابة الرسمية مثل المقالة الصحافية أو الأخبار أو مرافعات المحاكم و طبعا في كل ما يتعلق بالفرائض مثلا أو الصلاة أو خطبة المسجد و يختار العامية الدارجة المحكمية في مناسبات ذات طابع غير رسمي ومرتبط بالمواقف الحياتية اليومية ، مثل لغة التحدث مع أفراد العائلة أو مع الأصدقاء أو البائعين في السوق مثلا ...... إلخ .

ويلاحظ أن المسميات التي تطلق علي هذين المستويين اللغويين تكشف النظرة العامة لكليهما . فاللغة الرسمية التي تستخدم في الكتابات الرسمية أو الدينية تسمي اللغة الفصحي – لاحظ التفضيل هنا – واللغة غير الرسمية التي تستخدم كلغة الحديث اليومي و كلغة أدب في بعض الأحيان ، وتسمي العامية ، لغة العامة ، اللهجة ، الدارجة ، اللغة الملحونة التي تمتلئ بالأخطاء النحوية ، و في بعض الأحيان تطلق عليها صفات في غاية السلبية مثل اللغة الهابطة أو الساقطة . إن اللغة العربية الفصحي لا شك إستمدت قوتها و إنتشارها من كونها مرتبطة بلغة القرآن ، ومن كونها لغة العبادات المختلفة ليست فقط للعربي

المسلم ولكن للمسلم غير العربي . أضف إلي ذلك أن ما يعرف بالأدب العربي في الغالبية العظمي في الدراسات حوله سواء في العالم العربي أو في الغرب هو عبارة عن مجموع الكتابات الإبداعية المكتوبة و المنشورة باللغة الفصحي سواء لغة التراث أو الفصحي الحديثة (ما يسمي بالإنجليزية Classical Arabic & Modern Standard Arabic) دون إدراج الأعمال الأدبية العامية من شعر ونثر .

فقط مؤخراً طالعتنا دراسة في عدة أجزاء عن الأدب العربي بالمفهوم الواسع للكلمة عن جامعة كامبردج ببريطانيا و التي أوردت الجزء الخاص بالأدب العربي الحديث (تحقيق مصطفي بدوي) مقالة في آخر الجزء عن شعر العامية في العالم العربي (٣) ، كما أصدرت كامبردج جزء خاصا بالأدب العربي في العصر المملوكي و العثماني به عدة مقالات عن الأدب العامي في هذين العصرين (مثلا مقالتي " السرديات الدينية الشعبية ") (٤) . وحتي الآن لم تظهر علي الأقل في العالم العربي دراسة متكاملة عن الأدب العربي تجمع في تاريخها و تحليلها للأنماط الأدبية المختلفة بين الأعمال التي كتبت بالفصحي و العامية بحيث يتم دراسة شعر أحمد شوقي الفصيح مثلاً مع شعر عبد الله النديم أو بيرم التونسي العامي و إعتبار أن كلا الشعرين يتساويان في الأهلية للإنتماء إلي الأدب العربي و إن اختلفا في الإتجاهات أو في الصور أو في التركيب أو في القيمة الأدبية . النظرة السلبية للعامية لها تاريخ طويل فهناك إشارات علي كون اللغة العامية مقترنة باللحن في اللغة الفصحي . حسب هذه الإشارات فإن العامية ليست إلا ما شذ عن قواعد الفصحي . فمثلا الذي يلحن في قراءة القرآن فهو قد ضل وفي حاجة الى الإرشاد فالغلط لغوي أو أخلاقي ، و يصبح مرتكب هذا الضلال (اللحن) مستحقاً للعقاب .

فالخليفة عمر أمر بجلد كاتب لأنه إرتكب خطأ لغوياً (٥) (انظر شحنة تاريخ اللغة العربية الصفحة ١٨) . و اللغة العامية كانت أحياناً تسمي اللغة الملحونة و الكتب العديدة عن اللحن اعتبرت ففي بعض الأحيان دراسات في العامية (٦) (السعيد بدوي ، مستويات العربية في مصر صفحة ٢٢)

فالعامية إذا كانت وما تزال مرتبطة باللحن و الإنحطاط اللغوي و كأنها فصحي مليئة بالأخطاء المتعلقة بالقواعد و الإعراب و النطق و ليست لغة في حد ذاتها . في عصرنا نجد كتابا كبارا مثل نجيب محفوظ الحائز علي جائزة نوبل في الأدب العربي و الذي اشتهر بكونه المتحدث بإسم الحارة المصرية و لسان حال ساكني الشوارع الخلفية يعتبر العامية المصرية مرضاً إجتماعيا على المجتمع أن يحاربه كما يحارب الجهل والمرض الجسدي (٧) . (انظر فؤاد دوارة *عشرة ادباء يتحدثون* ص ٢٨٦) .

وهذه النظرة السلبية للعامية نجدها أحيانا عند كتاب انفقوا جهدا كبيرا و محمودا في دراسة الألفاظ العامية و التعبيرات و الكنايات و الأمثال العامية مثل أحمد تيمور مثلا الذي وضع كتبا عن الكنايات العامية و الأمثال العامية و الذي نجده يشير إلي العامية-- التي يعتبرها فصحي هابطة ومليئة بالأخطاء-- ليس كلغته أو لغتنا و لكن لغتهم كأنه مثلا يدرس لغة قوم من الأجانب لا ينتمي إليهم ولا يستعمل لغتهم في حديثه اليومي . موقفه هنا يذكرنا بالموقف المتعالي للدكتور هجنز تجاه ليزا دوليتل التي تتكلم بإنجليزية الطبقات الفقيرة (وهو عالم اللسانيات في مسرحية برناد شو الشهيرة بجماليون والتي أصبحت فيلما شهيرا بعنوان " سيدتي الجميلة " .

ما هي الأسباب التي أدت إلي خلق هذه المواقف السلبية تجاه العامية و ما يكتب بها ؟

هناك في واقع الحال عدة أسباب ، بعضها ديني و بعضها سياسي و البعض الآخر سيكولوجي إجتماعي . أولاً استعمال العامية كلغة كتابة أدبية أو غير أدبية معناه الإبتعاد عن اللغة الفصحي (لغة القرآن) و هذا الإستعمال يثير الخوف عند البعض ، أن يأتي اليوم الذي لا تفهم فيه لغة القرآن ، ولذلك حبذّ استعمال الفصحي الحديثة كلغة الأدب و المراسلات الرسمية لأنها تقترب من فصحي القرآن و التراث العربي الكلاسيكي الديني و حتي يستمر القرآن و هذا التراث مفهوما . فإبن خلدون في مقدمته الشهيرة يقول ان الرغبة القوية في

إبقاء لغة القرآن الفصحي مفهومة عبر الزمن كانت وراء المجهود الضخم الذي بذله النحويون العرب و المسلمون في تقنين قواعد اللغة العربية الفصحي (٨) (ابن خلدون المقدمة ، ج ٣ و ص ٤٤٤)

من الأسباب الأخري التي يثيرها معارضو استعمال العامية كلغة أدبية هي خوفهم علي وحدة اللغوية و الثقافية و إمكانية تفتتها لأنها مرتكزة علي اللغة الفصحي . فالمناداه بإستعمال العامية كلغة أدبية أو رسمية في نظر هؤلاء المعارضين تعتبر نوعا من " الشعوبية " أو حتي " الحاد لغوي " (٩) (انظر مقالة عباس حسن " الدعوة إلي العامية وترك الأعراب انتكاس في الجهالة وجناية علي القومية " رسالة الإسلام رقم (٩) (١٩٥٧) ص ١٩٤) . هوجم بضراوة كتاب مصريون وغير مصريين لأنهم بطريقة أو بأخري دعوا إلي استعمال العامية كلغة أدبية – كتاب مثل سلامة موسي ، أحمد لطفي السيد ، لويس عوض ، وكذلك أنيس فريحة وسعيد عقل .

أطُلقَ علي سلامة موسي لقب (عدو العروبة والإسلام) و أتهم بأنه صليبي (١٠) (انظر عطار ، دفاع ص ٨١) و في كتاب بقلم الناقد المصري المعروف رجاء النقاش *الإنعزاليون في مصر* إتهم الدكتور لويس عوض بأنه شعوبي و إنعزالي بمعني أنه ينادي بأراء معادية للعرب و مؤيدة للإقليمية (١١) (أنظر رجاء نقاش *الإنعزاليون في مصر* (بيروت المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٨١ ، ص ٤٨) أما بالنسبة إلي أنيس فريحة و تأييده للعامية وتسهيل قواعد الفصحي فقد هاجمه ناقدوه واتهموه بمعاداه العرب والعروبة والإسلام ، (١٢) (عمر فروخ ، القومية الفصحي – بيروت – دار العلم للملايين ، ١٩٦١ ص ١٣٨ – ص ١٣٩) يثور معارضو استعمال العامية أكثر عندما يتذكرون أن اوائل مؤيدي استعمال العامية كلغة أدبية أو حتي علمية كانوا معظمهم من المستشرقين والدارسين الأجانب الذين قطنوا في مصر منذ أواخر القرن التاسع عشر الميلادي – أمثال الألماني ولهم سبتا (١٨١٨ – ١٨٨٣) و كارل فولرز (١٨٥٧ – ١٩٠٩) و الإنجليزي وليام ولكوكس (١٨٥٢ – ١٩٣٧) و أخرون (١٣) (انظر " عائشة بنت الشاطئ

، لغتنا والحياه صفحة ١٠١ – صفحة ١١١) . ليس من المستغرب إذا أن يهاجم هؤلاء النقاد المستشرقين والدارسين الذين اشتغلوا لحساب الهيئات و المؤسسات الإستعمارية و أن يواجهوا الإتهام إليهم بإعتبارهم عملاء للإستعماريين الغربيين هدفهم إضعاف دعائم الدين الإسلامي واللغة العربية الفصحي ، بصفتها الوعاء اللغوي المختار للوحي السماوي .

- **ترجمة المقدس إلي لغة عامية** :

مسألة ترجمة الإنجيل إلي لغات عديدة لها ما يبررها في المفهوم المسيحي ، نجد أن بعد خمسين يوماً من صلب المسيح إجتمع تلاميذه للصلاة فظهر لهم المسيح و نزلت علي رأس كل واحد منهم ألسنة من نار فصاروا يتحدثون بلغات أجنبية مختلفة أستعملوها فيما بعد للتبشير و الكرازة ، وتعني هذه اللحظة الهامة ذات المغزي العميق في التجربة المسيحية أن المقدس بما في ذلك الكتاب المقدس نفسه يمكن التعبير عنه بلغات عديدة وليس من الأهمية ارتباطه بلغة معينة مثال ما نجد في الإرتباط اللغوي بين القرآن واللغة العربية . فلنقل من الناحية العقائدية أن في المسيحية قبولا أكثر لفكرة سكب الكتاب المقدس في أوعية لغوية مختلفة و السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو هل يمكن اعتبار ترجمة لكتاب سماوي نسخة من الكتاب السماوي نفسه ؟ هل يمكن إعتبار ترجمة للقرآن بالإنجليزية مثلا هي نسخة من القرآن ؟ يلاحظ أن الإجابة عن هذا السؤال هي لا – فالترجمات المختلفة للقرآن بالإنجليزية تتصدرها عبارة " ترجمة اللغات القرآن " . أما بالنسبة إلي الترجمات المختلفة من الإنجيل إلي المعاني المختلفة بما في ذلك العربية فالأمر يختلف فالترجمة العربية للإنجيل في نظر المسيحين الأقباط دوي اللسان العربي هي الإنجيل بعينه و ليست ترجمة لمعاني الإنجيل .ـ طبعا القبطية لاعتبارات طقسية كنيسة تستعمل أيضاً في القداسات و الخدمات المختلفة و لكن بطريقة تكمل ولا تلغي دور العربية في هذه القداسات والخدمات .

- **ترجمة الإنجيل إلي العربية الفصحي :**

ربما كانت طبعة روما ١٦٧١ هي أول ترجمة عربية للإنجيل التى تحظي بإنتشار واسع في البلاد الناطقة بالعربية في أوائل القرن التاسع عشر . وعند قدوم المبشرين البروتستانت من أمريكا إلي سوريا في منتصف القرن التاسع عشر تعهدوا بترجمة كل الإنجيل بعهديه القديم والجديد إلي العربية الفصحي . ونشرت أول طبعة لهذه الترجمة في عام ١٨٥٧ في لندن وقام بالترجمة فارس الشدياق (ت. ١٨٨٧) بمساعدة صموئيل لي . ولكن سرعان ما ظهرت ترجمة أخري أفضل قام بها المبشران ايلي سميث وكورنيليوس فان دايك بمساعدة فريق من الكتاب اللبنانيين : نصيف اليازجي (ت.١٨٧١) وبطرس اليستاني (ت . ١٨٨٣) والشيخ يوسف العسير (ت. ١٨٩٠) وهذه الترجمة الكاملة للإنجيل والتي إعتمدت علي اللغات الأصلية لنصه (العبرية – الآرمية – اليونانية القديمة) هي من أشهر الترجمات العربية وأوسعها إنتشاراً) (١٤) (للإطلاع علي تاريخ هذه الترجمات انظر ١٩٥٦ تومبسون) .

عاملان أثرا في هذه الترجمات العربية : أولاً رغبة المبشرين في جذب عامة الناس إلي المسيحية بتقديم النص الإنجيلي بلغة سهلة يفهمها المتعلم ، ثانياً إضفاء قسط من الفصاحة وجمال البيان علي هذا النص الإنجيلي حتي يبهر جماعات المسلمين والدروز في سورية في ذلك الوقت (منتصف القرن التاسع عشر) وهي جماعات إعتادت علي فصاحة النص القرآني وجمال بلاغته . طبعاً هذان العاملان لا يتفقان علي الهدف ، بل يتناقضان . يقول ايلي سميث في هذا المضمار :

"علي الرغم من محاولتنا أن تبقي علي تراكيب (العربية) الفصحي إلا أنه تحتم علينا أن نبقي فقط الجانب الذي لا يزال مفهوماً منهما من قبل بسطاء الناس الذين لم ينعموا بقسط وافر من التعليم " (١٥) (رسالة من ايلي سميث إلي المستشرق الألماني رودجر – انظر zdmg (١٨٥٦) – ص

٨١٣ – الإشارة وردت في (Somekh , JAL , p . 19 ١) هذه الحيطة من جانب ايلي سميث ومساعديه أدت إلي إنتاج ترجمة عربية تبتعد – بتعمد واضح – عن ألفاظ وتراكيب فصحي القرآن وجمال بيانه وتقترب مع احتفاظها بقواعد وتراكيب العربية – إلي المفردات المستفادة من النصوص الأصلية للإنجيل (العبرية – الآرامية – اليونانية القديمة) ، *JAL,* Somekh) وقد علق مصطفي صادق الرافعي علي هذه الترجمة العربية بأنها تحوي " الجملة الإنجيلية " التي تختلف في تركيبها عما يسمي بالجملة القرآنية (١٧) (انظر الرافعي : ١٩٢٦ ، ص ٢٣ ، ص ٣٠ في Somekh , JAL ١٩٠) . بعد عدة سنوات من ظهور الترجمة العربية البروتستانتية لايلي سميث ومساعديه اللبنانيين أخرجت جماعة اللآباء اليسوعيين (التابعة لبابا روما والكنيسة الكاثوليكية) ترجمة عربية للإنجيل تعكس إيقاع وتراكيب لغة القرآن وبيانه . وقد قام بالترجمة أوغسطنيوس روديه ومساعده إبراهيم اليازجي (ت . ١٩٠٦) أبن نصيف اليازجي مساعد إيلي سميث وفان دايك وطبعت هذه الترجمة في بيروت بين ١٨٧٦ و ١٨٨٠ .

كان الهم الاكبر إذا عند هؤلاء المترجمين من المبشرين الأجانب ومساعديهم العرب ينحصر في إيجاد موازنة مقبولة بين النص السهل المفهوم و البليغ من جهة وبين المقدس من جهة أخري . إلي أي حد يمكن للنص المقدس أن يبقي علي قداسته وعلو بلاغته وصوره البيانية وأن يكون مفهوما للمؤمن البسيط وماذا يحدث لو أخرج المقدس (لو ترجم مثلا) بلغة سهلة وبسيطة؟

العامية المصرية بين الكنيسة والمسجد :

جدير بالذكرهنا أن نشير إلي أن العامية – المصرية في هذا السياق – تستعمل في مختلف طقوس العبادة عند المسيحيين الأقباط فمثلاً " الوعظة "

التي يلقيها القسيس أثناء القداس أو خارجه هي معظمها بالعامية – قارن ذلك مثلاً بخطبة الجمعة في المساجد والتي تكون عامة بفصحي تراثية رصينة . وكذلك الصلاة وكثير من الترانيم المسيحية القبطية تكون في غالبها بالعامية المصرية – قارن ذلك أيضاً بلغة الصلاة في الإسلام والتي لا تستعمل فيها أي مفردة عامية علي الإطلاق ، أما الأناشيد و المدائح الإسلامية فهي خليط من الفصحي و العامية بمعني أن بعضها فصيح وبعضها عامي و بعضها يجمع بين الفصحي و العامية في نفس الوقت يلاحظ أن ذكر هذه الأناشيد و المدائح الإسلامية و الغناء بها يحدث بطريقة شبه دائمة خارج المسجد و ذلك بعكس الترانيم المسيحية و القبطية – باللغة العامية – والتي تنشد بصفة شبه دائمة في داخل الكنيسة بطريقة طبيعية ، أضف إلي ذلك أن " الوعظة " في الكنيسة كما ذكرنا من قبل ، تلقي في معظم الأحيان بالعامية المصرية أو بلغة تخلط الفصحي بالعامية دون أدني حرج . نخلص من ذلك أن المسجد في التقليد الإسلامي مرتبط إرتباطاً شبه تام بالفصحي أما الكنيسة . فلا ترتبط بالفصحي وتستعمل فيها العامية بطريقة طبيعية .

أشار مصطفي صادق الرافعي إلي أصداء ما أسماه " الجملة القرآنية " لم يكن مستحباً عند دعاة التجديد في العصر الحديث وكذلك عند القائمين علي ترجمة الإنجيل . و اعتبر الرافعي أن " الجملة القرآنية " هي المثل الأعلي للكتابة العربية منددا بالجملة الإنجيلية " التي أبوا أن ينزلوها منزلتها من اللسان الفصيح و بمن ساروا علي منهجها و بما ترتب علي ذلك من ضعف الأساليب الكتابية " (١٨) (نفوسة سعيد، الدعوة إلي العامية ، ص ٦٤) . ثم أشار إلي إسهامات إبراهيم اليازجي في تصحيح الترجمة العربية للإنجيل و في ذلك يقول " كنت أعرف أن صاحبنا البليغ المدقق الشيخ إبراهيم اليازجي لما أرادوه علي تصحيح الأناجيل رغب إليهم أن يصرف قلمه في الترجمة فينزلها منزلتها من اللسان ويتخير ألفاظها ويزيل عجمتها و يخلصها من فساد التركيب وسوء التأليف و يفرغ عليها جزالة و يجعل لها حلاوة فأبوا عليه كل ذلك ومنعوه منه

و أقاموا فيها بمنزلة من يعرب آخر الكلمة فعليه أن يترك الكلمة إلي آخرها "(نفوسه سعيد، الدعوة إلي العامية ، ص ٦٥) .

محاولة ترجمة الإنجيل إلى العامية المصرية :

ترجم وليم ولكوكس أجزاء من الإنجيل بعهديه القديم والجديد قبل ١٩٢٦ . ولكن تراجمه طبعت بين سنة ١٩٤٠ ـ ١٩٤٩ (٢٠) أنظر تاريخ الدعوة إلي العامية ص ٦١ و ما يليها .) فقد نشر مختارات مترجمة إلي العامية المصرية من إنجيل متي (١٩٤٠) و إنجيل مرقص (١٩٤٤) و المزامير (١٩٤٥) و أعمال الرسل (١٩٧٤) و سفر التكوين (١٩٤٩) وكل هذه المختارات طبعت علي حساب الجمعية البريطانية لنشر الكتب المقدسة (٢١) (انظر سعيد ، تاريخ الدعوة إلي العامية ص ٦١ و الهامش) . وفيما يلي مقتطفات من ترجمة ولكوكس بالعامية وما يقابلها من الترجمة الفصيحة :

النص العامى:

علي كده ما يقوموش الأشرار في القضا ولا الخاطيين في جماعة الصديقين لأن الرب عارف طريق الصديقين وطريق الأشرار تتلاشي .

النص الفصيح:

لذلك لا تقوم الأشرار في الدين ولا الخطاه في جماعة الأبرار لأن الرب يعلم طريق الأبرار أما طريقة الأشرار فتهلك .

النص العامى:

المزمور الأول:

١- يابخت الرجل اللي مشاش في مشورة الأشرار ...
٢- لكن في شريعة الرب سروره و في شريعته يفكر ليل نهار
٣- فيكون زي شجرة مزروعة علي مجاري ميه تدي تمرها في أوانه وورقها مايدبلش وكل اللي يعمله يفلح
٤- الأشرار مش كده لكنهم زي التبن اللي تدريه الريح
٥-

النص الفصيح:

المزمور الأول :

١- طوبي للرجل الذي لم يسلك في مشورة الأشرار
٢- لكن في ناموس الرب مسرته ، وفي ناموسه يلهج نهاراً و ليلاً
٣- فيكون كشجرة مغروسة عند مجاري المياه تعطي ثمرها في أوانه و ورقها لا يذبل وكل ما يصنعه ينجح.
٤- ليس كذلك الأشرار ولكنهم كالعصافة التي تذريها الريح .

وبمقارنة النصين نجد هذه المفردات المتقابلة:

النص العامى	النص الفصيح
١- يابخت	١- طوبي
٢- اللي مامشاش	٢- الذي لم يسلك
٣- شريعة الرب	٣- ناموس الرب

كلمة بخت في العامية المصرية تعني " حظ " أما طوبي الفصيحة فهي ذات أصل سامي (قارن ذلك بالعبرية طوفا) . قارن بين المشي في (مامشاش) و السلوك في (لم يسلك) فالمشي يدل علي الحركة في هذا السياق العامي يتمشي (جناس غير مقصود) مع الأفعال الأخري (ماوقفش / ماجلسش) أما السلوك فهو معنوى ولا يتماشى مع هذه الأفعال. طبعا كلمة "الشريعة" مأخوذة من المفردات الإسلامية بمعني القانون وربما استعلمت في العامية لقرب عامة المسيحين من المفردات الإسلامية التي يتداولها عامة المسلمين أما مفردة " الناموس " وهي مأخوذه من اليونانيين القدامي (Nomos) – فهي مفردة خاصة يستعملها الخواص في كتاباتهم سواء الخواص في العصر الوسيط اوالحديث فهمي مفردة معروفة في كتابات الفلاسفة المسلمين أمثال الفارابي ويمكن القول أن المترجم تجنب هذه المفردة في الترجمة العامية للإنجيل ربما لعدم تداولها من قبل عامة المسيحيين وربما لأنها تعني أيضاً بالعامية المصرية " البعوض " فتجنبها المترجم حتي لا يكون هناك خلط في المعاني .

النص العامي:

أما ولادة يسوع المسيح فكانت زي كده لما كانت مريم أمه مخطوبه ليوسف قبل إجتماعهم انوجدت حبلي من الروح القدس .فيوسف راجلها لكونه صالح و مش عاوز يشهرها . عزم علي فراقها في السر . ولكن وهو بيفكر في الأمور دي إذا بملاك الرب ظهر له في الحلم وقال : يايوسف ابن داوود ما تخافش من اخذ مريم امرأتك لأن اللي هي حبلي به هو من روح القدس . وحاتولد ولد وانت تسمي اسمه يسوع . لأنه هو هايخلص شعبه من خطاياهم . وكل ده حصل علشان يتم اللي تقال عليه من الرب علي لسان النبي القايل أهي العدرا هاتحمل وتولد ولد أسمه عمانوئيل اللي تفسيره الله معنا . ولما قام يوسف من النوم عمل زي ما أمره ملاك الرب و أخذ أمرأته ، و ما عرفهاش لحد ما ولدت ولد يسمي يسوع .

النص الفصيح :

أما ولادة يسوع المسيح فكانت هكذا ، لما كانت مريم أمه مخطوبة ليوسف قبل أن يجتمعا فوجدت حبلي من الروح القدس فيوسف رجلها إذا كان بارا و لم يشأ أن يشهرها أراد تخليتها سراً ولكن في ما هو متفكر في هذه الأمور إذ بملاك الرب ظهر له في الحلم قائلاً : يايوسف ابن داوود لا تخف أن تأخذ مريم أمرأتك . لأن الذي حبل به فيها هو من الروح القدس ، فستلد أبناً و تدعو اسمه يسوع ، لأنه يخلص شعبه من خطاياهم وهذا كله كان لكي يتم ما قيل من الرب بالنبي القائل . هوذا العذراء تحمل وتلد ابناً ويدعون اسمه عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا . فلما استيقظ يوسف من النوم فعل كما أمره ملاك الرب و أخذ أمرأته ، ولم يعرفها حتي ولدت ابنها البكر ودعت اسمه يسوع .

النص العامي	النص الفصيح
- زي كده	- هكذا
- قبل إجتماعهم	- قبل ان يجتمعا
- حبلي	- حبلي
- راجلها	- رجلها
- مش عاوز	- لم يشأ
- فراقها	- تخليتها
- إلا وملاك الرب...	- إذ ملاك الرب...
- إنت تسمي اسمه يسوع	- وتدعوا اسمه يسوع
- خطاياهم	- خطاياهم
- اهي العدرا	- هوذا العذراء

- ومعرفهاش لحد ما ولدت ولد	- ولم يعرفها حتي ولدت أبنها البكر
- وتسمي (أوسمي) اسمه يسوع	- ودعت اسمه يسوع

- هناك مفردات خاصة بالعامية وأخري بالفصحي مثلاً :" زي كده " مقابل " هكذا " و " راجلها " مقابل " رجلها" وهناك تعبيرات متشابهة ولكن ربما لا تفهم بسهولة فمثلاً " قبل إجتماعهم " العامية المقابلة ل " قبل أن يجتمعا " ربما تفهم بمعناها الحرفي الإجتماع الألتقاء في مكان لكن المعني هو " لم يتم الجماع " فهل عدم اختيار كلمة " الجماع " اسلامية الأصل كان مقصوداً في نص الترجمة العامية و الفصيحة ؟ وكلمة " خطاياهم " في النصين (و مفردها خطية وليست خطيئة في النصوص المسيحية العربية) تستعمل بوفرة بدلا من المفردات الإسلامية : الذنوب – المعاصي – الأوزار - ...إلخ) . اما كلمة " معرفهاش " المقابلة للفصيحة " لم يعرفها " فهي تعكس التعبير الإنجيلي في لغته الأصلية فعلي حد علمي كلمة " عرف / يعرف " و مشتقاتها المختلفة لا تحتوي علي المعني الجنسي المجازي المقصود في لغته الإنجيلية (كما في الترجمة الإنجليزية) : "He didn't know her" وهو تعبير إنجيلي استعمل ايضاً في سياق الحديث عن آدم و حواء في " سفر التكوين "

<u>**الأكل والإيمان**</u> :

كتاب ألفه وليم ولكوكس بالعامية المصرية وحاول فيه أن يعالج مواضيع دينية علمية بالعامية . والكتاب علي شبه حوار بين شخص مسيحي اسمه

منصور يوسف والأستاذ الذي يرشده إلي تعاليم المسيحية فيما يتعلق بالأكل والصحة . والكتاب مقسم إلي سبعة فصول :

١- الجسم
٢- ازاي ناكل
٣- أنواع الأكل
٤- الإختبار في الأكل
٥- الرهقان والبلهارسيا
٦- المرض
٧- الصحة

- **<u>الفصل الأول: (الجسم)</u>**

في هذا الفصل يذكر المؤلف أن الصحة هي هبة من عند الله وان عمل الإنسان أن يحافظ علي سلامة جسمه وصحته لأن الجسم وصحته مرتبطان بما يأكله الإنسان .

والحوار يدور بين منصور يوسف والأستاذ :

<u>منصور يوسف</u>: انت بتقول يا أستاذ ان الصحة ميراثنا من الله امال ليه فيه ناس كتير عيانين ؟

<u>الأستاذ:</u> الجواب موجود في الفصول الأولنيين من الكتاب المقدس

<u>منصور</u>: يعني قصدك تقول إن سقوط آدم من جنينة عدن هو الجواب علي سؤالي ؟

<u>الأستاذ:</u> أيوه الكتاب المقدس بيقول ان الله خلق الراجل والمرأة من التراب علي صورته ، وخلقه خلقه عال خالص ، واداهم اكل مخصوص علي شان ياكلوه ويعيشوا ، وخطيه آدم هي خطية كل العالم لحد النهاردة ، والإنسان لسه

مستمر علي أكل الطعام المحرم اللي مابيغذيش ،ولكن يجيب العيا وبعدين الموت . وواحد عالم قال ان اهم سبب للعيا هو الأكل والشرب.

منصور: أمال ليه احنا لما نعيا نقول الله اللي جاب لنا العيا ؟

الأستاذ: احنا نكون غلطانين لما نقول كدا . العيا مايجيش من الله ، ولكن من تصديق إبليس الكداب وعدم مطاوعتنا الله ، فيه امراض تجي لنا بسبب خطايا ابهاتنا لغاية ثالث و رابع جيل . وفيه أمراض نجيبها إحنا لنفسينا ، وكل واحد واجب عليه أنه يخلي جسمه وعقله و صحته كويسه.

ثم تابع الحديث عن الجسم ومكوناته و المعادن الموجودة فيه.

الفصل الثاني: أزاي ناكل ؟(فائدة المضغ)

الفصل الثالث: أنواع الأكل (الأغذية المفيدة للجسم)

الفصل الرابع: الإختبار في الأكل (عن انواع الأدوية المختلفة وكيفية استعمالها)

الفصل الخامس:الرهقان والبلهارسيا (تاريخ إنتشارهما في مصر والأعراض والعلاج اللازم) .**الفصل السادس**: المرض (عن الأمراض النفسية ، أسبابها وعلاجها).

الفصل السابع: الصحة (عن الإيمان كأحسن دواء للجسم والروح معاً)

وأنهي ولكوكس كتابه بهذه القطعة الزجلية التي مازالت ترتل في الكنائس القبطية:

مافيش أحلي منها ساعة الصلاة لله

تنجيني من ضيقي الشديد	وأنال بها رضاه
تبعد عني التعب	وتنور لي قلبي
وتفتح لي باب السما	ويسمعني ربي
حاجاتي يقضيها	أمراضي يشفيها
يعطيني كل أعوازي	ويمتعني بيها
في ساعة أحزاني	ربي لا ينساني
يمسكني باليد اليمني	ويثبت إيماني
مفيش أحلي منها	ساعة الصلاة لله
يفرح بها رب السما	ويعطيني الحياة
وعدنا بالخلاص	ان كنا نصلي له
امراضنا يقدر يشفيها	ان كنا نيجي له
حبه لنا عظيم	ورحمته واسعة
لازم نصلي لربنا	ساعة الصلاة نافعة

(٢٢) (ولكوكس ، ١٩٢٩ في كتاب نفوسة سعيد ١٩٦٤ ، ص ٦٧ – ص ٧١)

ويتضح من هذا النموذج محاولة ربط المادي – الجسدي (الأكل) بالمعنوي – الروحي (الإيمان) فالعامية هنا هي الوسيلة الواسطة بين عالمين يتم التعبير عنهما في حياة الأفراد بطريقتين مختلفتين و بمستوين مختلفين للغة العربية الواحد منهما فصيح بمفرداته معقد بتراكيبه بعيد بصورة او بأخري

بمرجعيته التراثية عن هموم الحياة اليومية و الآخر عامي بمفرداته مألوف بتراكيبه قريب بدلالته وإشاراته لما هو حياتي ، يومي ، و حاضر.

ومسألة ربط الإيمان بالصحة موجودة في التراث الإسلامي فهناك مثلا " الطب النبوي " أما في المسيحية فنجد شواهد عدة لمعجزات شفي فيها المسيح اسقام المرضى وارجع البصر للعميان وهو يبشر ببشارة الخلاص من اسقام الروح . فليس غريباً ونحن بصدد قراءة اولى لمحاولات ترجمة الانجيل الى العامية ان نجد نموذجا لمحاولة ربط الإيمان بالأكل والروح بالجسد والمقدس بالدنس .

ملاحظات عامة :

ليست هذه القراءة إلا محاولة إبتدائية لعرض موضوع هام يتعرض لمسألة ترجمة الإلهي الي لغة البشر والنظرة إلي العلاقة بين العامية و الفصحي . والملاحظ وجود علاقة شبه عكسية بين قداسة النص ووضوح لغته كأن قداسته ترتكز علي غموض لغته فكلما إقتربت لغته لمفهوم البشر تقلص حجم قداسته وهذا يشرح الهجوم الضاري علي محاولات تبسيط وتعميم المقدس بتقديمه بمفردات و تراكيب العامية (انظر كتاب الدعوة إلي العامية لنفوسة سعيد) . وهذا موضوع يحتاج لبحث طويل وشامل .فلنبدأ

هوامش :

١- Charles Ferguson , “Diglossia” *Word* 15 (1959) ً

٢- السعيد بدوي ، *مستويات اللغة العربية المعاصرة في مصر* (القاهرة : دار المعارف ، ١٩٧٣)

٣- Marilyn Booth, "Poetry in the Vernacular," *The Cambridge History of Arabic Literature: Modern Arabic literature* , Ed M.M. Badawi (Cambridge : Cambridge University Press , 1992)

٤- Kamal Abdel-Malek “ Popular Religious Narratives” in the *Cambridge History of Arabic Literature*: *The Postclassical Period* (Cambridge : Cambridge university Press , 2006 , pp. 330 – 346.

٥- Anwar Chihna , *The Arabic Language: Its Role in History* (Minneapolis, 1969 , p 18)

٦- السعيد بدوي ، *مستويات العربية المعاصرة في مصر* ، ص ٢٢

٧- فؤاد دوارة ، *عشرة أدباء يتحدثون* (القاهرة : دار الهلال – ١٩٥٦) ص ٢٨٦ .

٨- ابن خلدون *المقدمة* ، ج٣ ص ٤٤٤ كما وردت في:

٩- عباس حسن " الدعوة إلي العامية وترك الأعراب إنتكاس في الجهالة وجناية علي القومية " *رسالة الاسلام* رقم ٩.

١٠- أحمد عبد الغفور عطار، *دفاع عن الفصحي* (مكة بدون ناشر) ١٩٧٩ ص ٨١ .

١١- رجاء النقاش *الإنعزاليون في مصر* (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٨١) ص ٤٨

١٢- عمر فروخ ، *القومية الفصحي* (بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٦١) ص ١٣٨ – ص ١٣٩ .

١٣- عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) ، *لغتنا والحياة* (القاهرة : معهد البحوث والدراسات ، ١٩٦٩) ص ١٠١- ص ١١١

١٤- Thompson in, Sasson Somekh, , "Arabic Translations of the Bible" *Journal of Arabic Literature* (JAL)

١٥- اشارة وردت في مقالة ساسون صوميح

١٦- Somekh, "Arabic Translations," *JALl*

١٧- الرافعي كما ورد في كتاب نفوسة زكريا سعيد *تاريخ الدعوة إلي العامية وأثارها فى بمصر* (الإسكندرية : دار نشر الثقافة ، ١٩٦٤) ص ٦٤ .

١٨- المرجع السابق

١٩- نفوسة زكريا سعيد *تاريخ الدعوة إلي العامية* ، ص ٦٥

٢٠- المرجع السابق ص ٦١ وما يليها

٢١- المرجع السابق ص ٦١ والهامش

٢٢- وليم ولكوكس كل الشواهد العامية والفصيحة وردت في كتاب نفوسة زكريا سعيد ، المرجع السابق ، ص ٦٧ – ص ٧١.

الباب الثالث

الفنون الأدبية

سيرة الشعراء

أبو نواس نموذجاً[50]

أبو علي الحسن بن هانئ بن عبد الأول بن الصباح المعروف بأبي نُواس الحكمي الشاعر المشهور؛ كان جده مولى الجراح بن عبد الله الحكمي والي خراسان، ونسبته إليه.

ذكر محمد بن داود بن الجراح في كتاب (الورقة)[51] أن أبا نواس ولد بالبصرة ونشأ بها، ثم خرج إلى الكوفة مع والبة بن الحباب، ثم صار إلى بغداد. وقال غيره: إنه ولد بالأهواز ونقل منها وعمره سنتان. وأمه أهوازية اسمه جُلْبان، وكان أبوه من جند مروان بن محمد، آخر ملوك بني أمية، وكان من أهل دمشق، وانتقل إلى الأهواز للرباط فتزوج جلبان وأولدها عدة أولاد منهم: أبو نواس وأبو معاذ؛ فأما أبو نواس فأسلمته أمه إلى بعض العطارين، فرآه أبو أسامة والِبةُ بن الحباب، فاستحلاهُ[52]، فقال له: إني أرى فيك مخايل، أرى لك أن لا تضيعها، وستقول الشعر، فاصحبني أُخرجك[53]، فقال له: ومن أنت؟ فقال: أنا

---

[50] ـ من كتاب وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان، تحقيق إحسان عباس.

[51] ـ لم يرد هذا في كتاب الورقة المطبوع، وهذا القسم الذي طبع لا يمثل كتاب الورقة لأنه أخلَ بترجمات كثيرة.

[52] ـ ر: فاستحسنه.

[53] ـ أخرّجك: سقطت من س.

أبو أُسامة والبةُ بن الحباب، فقال : نعم، أنا والله في طلبك، ولقد أردتُ الخروج إلى الكوفة بسببك لآخذ عنك وأسمع منك شعرك؛ فصار أبو نواس معه وقدم به بغداد، فكان أول ما قاله من الشعر، وهو صبي[٥٤]:

حامِلُ الهوّى تَعِبُ   يَسْتَخِفُّه[٥٥] الطَّرَبُ
إنْ بكى يَحقُ لهُ[٥٦]   ليسّ ما بهِ لَعِب
تضحكينَ لاهِيةً   والمحبُّ ينتحب
تَعجبينَ منْ سَقَمي   صِحَّتي هِيَ العَجَب

وهي أبيات مشهورة.

وروي أن الخصيب صاحب ديوان الخراج بمصرر سأل أبا نواس عن نسبه فقال: أغناني أدبي عن نسبي، فأمسك عنه.

وقال إسماعيل بن نوبخت: ما رأيت قط أوسعَ علماً من أبي نواس، ولا أحفظ منه مع قلة كتبه، ولقد فتشنا منزله بعد موته فما وجدنا له إلا قِمَطراً فيه جُزاز مشتمل على غريب ونحو لا غير.

وهو في الطبقة الأولى من المولدين، وشعره عشرة أنواع، وهو مجدي في العشرة، وقد اعتنى بجمع شعره جماعة من الفضلاء: منهم أبو بكر الصولي وعلي بن حمزة وإبراهيم بن أحمد بن محمد الطبري المعروف بتُوزُون، فلهذا يوجد ديوانه مختلفاً، ومع شهرة ديوانه لا حاجة إلى ذكر شيء منه.

---

[٥٤] ـ ديوانه: ٣٦٦؛ ولم يرد في س من هذه الأبيات غير بيت واحد.

[٥٥] ـ ر س يستفزه.

[٥٦] ـ الديوان: فحق له.

[وكان أبو نواس قوي البديهة والارتجال؛ روي أن الخصيب قال له مرة وهو بالمسجد الجامع: أنت غير مدافع في الشعر ولكنك لا تخطب، فقام من فوره فقال مرتجلاً:

نحلتكُم يا أهل مصر نصيحتي ألا فخذوا من ناصح بنصيب

رماكم أمير المؤمنين بحيّةٍ أكول لحيّات البلاد شروب

فإن يكُ باقي إثم فرعون فيكمُ فإن عصا موسى بكف خصيب

ثم التفت إليه وقال: والله لا يأتي مثلها خطيب مصقع فكيف رايت؟ فاعتذر إليه وحلف: ما كنت إلا مازحاً][٥٧].

ورأيت في بعض الكتب أن المأمون كا يقول: لو وصفت الدنيا نفسها لما وصفت بمثل قول أبي نواس[٥٨]:

ألا كل حيّ هالكٌ[٥٩] وابنُ هالكٍ وذو نَسَبٍ في الهالكين عريقِ

إذا امتَحَنَ الدنيا لبيبُ تكشَّفتُ له عن عَدُوّ في ثياب صديقِ

والبيت الأول بنظر إلى قول امرئ القيس[٦٠]:

فبَعضَ اللوم عاذلتي فإني سيكفيني التجاربُ وانتِسابي

إلى عِرق الثَّرى وشجَت عُروقي وهذا الموتُ يسلبني شَبابي

وقد سبق في ترجمة الحسن البصري نظير هذا المعنى:

---

٥٧ ـ زيادة من د.

٥٨ ـ ديوانه: ١٩٢.

٥٩ ـ الديوان: أرى كل حي هالكاً.

٦٠ ـ ديوان: امرئ القيس: ٩٧-٩٨.

وما أحسن ظنه بربه عز وجل حيث يقول[61]:

[تكثَّر ما استطعت من الخطايا   إذا كان القدوم على كريم

وقال وهي من رواية أخرى][62]:

تَكَثَّرْ ما استطَعتَ من الخطايا   فإنك بالغٌ ربّاً غَفُورا

ستبصرُ إن ورَدْتَ عليه عَفُواً   وتلقى سيداً ملكاً كبيرا

تَعَضُّ ندامةً كَفَّيْكَ مما   تركتَ مخافَةَ النار السُّرورا

وهذا من أحسن المعاني وأغربها؛ وأخباره كثيرة.

ومن شعره الفائق المشهور قصيدته الميمية التي حسده عليها أبو تمام حبيب المقدم ذكره ووازنها بقوله[63]:

دمَنٌ أَلَمَّ بها فقال سَلامُ   كم حل عُقدَةَ صبره الإلمامُ

وأول قصيدة أبي نواس المشار إليها، وهي مما مدح به الأمين محمد بن هارون الرشيد أيام خلافته[64]:

يا دارُ ما صنَعتْ[65] بكِ الأيامُ لم يَبقَ فيكِ بَشاشةٌ تُستامُ[66]

يقول من جملتها في صفة ناقته:

---

[61] ـ لم ترد في باب الزهد من ديوانه.

[62] ـ زيادة من د.

[63] ـ ديوان أبي تمام ٣: ١٥٠.

[64] ـ ديوان أبي نواس: ٦٣.

[65] ـ الديوان: فعلت.

[66] ـ الديوان: ضامتك والأيام ليس تصام.

وتجشَّمَتْ بي هَوْلَ كل تَنوفَةٍ هَوْجاء فيها جُرأةٌ إقدامُ

تَذَر المطيَّ وراءها فكأنها صفٌّ تَقَدَّمُهُنَّ وهي إمام

وإذا المطيُّ بنا بَلَغْنَ محمداً فظهورهُنَّ على الرجال حَرام

وهذا البيت له حكاية سيأتي ذكرها في ترجمة ذي الرمة غيلان الشاعر المشهور.

وقد أذكرني هذا البيت واقعةً جرت لي مع صاحبنا جمال الدين محمود بن عبد الله الإربلي الأديب المجيد في صناعة الألحان وغير ذلك، فإنه جاءني إلى مجلس الحكم العزيز بالقاهرة المحروسة في بعض شهور سنة خمس وأربعين وستمائة وقعد عندي ساعة، وكان الناس يزدحمون[٦٧] لكثرة أشغالهم حينئذ، ثم نهض وخرج، فلم أشعر إلا وقد حضر غلامه وعلى يده رقعة مكتوب فيها هذه الأبيات:

يا أيها المَولى الذي بوُجودهِ أبدت محاسِنَها لنا الأيامُ

إني حججتُ إلى مقامك حجَّة الـــ أشواق لا ما يوجبُ الإسلام

وأنخْتُ الحَرَم الشريف مطِيَّتي فتَسَرَّبت واشتاقها الأقوام

فظللت أنشِدُ عند نِشداني لها بيتاً لمن هو في القريض إمام

(وإذا المطيُّ بنا بلغن محمداً فظهورُهُنَّ على الرجال حَرام)

فوقفت عليها وقلت لغلامه: ما الخبر؟ فذكر أنه لما قام من عندي وجد مداسه قد سُرق، فاستحسنت منه هذا التضمين. والعرب يشبهون النعل بالراحلة، وقد جاء هذا في شعر المتقدمين والمتأخرين، واستعمله المتنبي في مواضع من شعره.

---

٦٧ - هـ: مزدحمين.

ثم جاءني من بعد جمال الدين المذكور، وجرى ذكر هذه الأبيا، فقلت له: ولكن أنا اسمي أحمد، لا محمد، فقال: علمت ذلك، ولكن أحمد ومحمد سواء، وهذا التضمين حسن ولو كان الاسم أي شيء كان.

وكان محمد الأمين المقدم ذكره قد سخط على أبي نواس لقضية جرت له معه، فتهدده بالقتل وحبسه، فكتب إليه من السجن[٦٨]:

بك أستجير من الردى مُتّعَوّذا من شطوِ باسِكَ

وحَياةِ رأسك لا أعُو دُ لمثلها، وحياةِ راسِكْ

مَنْ ذا يكونُ أبا نُوا سِكَ إن قتلتَ أبا نواسِكُ[٦٩]

وله معه وقائع كثيرة.

[حدث أحمد بن معاوية الباهلي عن عطاء الملك قال: دخلنا المسجد الجامع فإذا على السارية –مكتوب بخط جليل- التي إليها أبو عبيدة يجلس:

صلى الإله على لوطٍ وشيعته أبا عبيدة قل بالله آمينا

قال: فقال لي أبو عبيدة: امحه، قلت: لا أناله، فركع وارتفعت على ظهره حتى محوته فقلت: لم يبق إلا الطاء، فقال: الطامة في الطاء، فمحتها، فلما جلس قال: والله ما أنهم بهذا إلا الخبيث الماجن المتهتك –يعني أبا نواس –؛ قال: فبلغ قوله أبا نواس، فحلف أنه لم يفعل ذلك، فقبل يمينه.

وكان أبو عبيدة يحب أبا نواس ويقدمه لظرفه وأدبه، وكان أبو نواس يتعلم من أبي عبيدة ويشنأ الأصمعي ويهجوه، فقيل له: ما تقول في الأصمعي؟ فقال: بلبل

---

٦٨ ـ ديوانه: ١٠٧.

٦٩ ـ قوله: ومن شعره الفائق حتى هذا الموضع لم يرد في المسودة، وعند موضعه علامة تحويل.

في قفص؛ قيل: فما تقول في خلف الأحمر؟ قال: جمع العلم وفهمه؛ قيل: فما تقول في أبي عبيدة؟ قال: ذاك أديم طوي على علم][70].

[وكان بمصر رجل يُعرف بالحسن بن عمر الأجهري يقول الشعر الضعيف، وكان ناقص العقل، فقيل له: إن أردت أن يعلو شأنك في الشعر فاهجُ أبا نواس، فأتاه وهو جالس في المجلس والناس حوله فأنشده:

ألا قل للنواسي الض ـعيف الحال والقدر

خبرنا منك أحولاً فلم نحمدك في الخبر

وما روعت بالمنظ ـر ولكن رعت بالكدر

قال: وكان هذا الشاعر من أوحش الناس صورة، فنظر إليه أبو نواس وقال: بم أهجوك وبأي شيء أصفك وقد سبقني الله تعالى إلى توحش منظرك وتقبيح مخبرك؟ وهل أكون إن قلت شيئاً إلا سارقاً من ربي ومتكلفاً على ما قد كفاني؟ فقال له بعض من معه: اهجه على حال لا نقول إنه أفحمك، فقال من زن شعره:

بما أهجوك لا أدري لساني فيك لا يجري

إذا فكرت في هجو ك أبقيت على شعري

قال: فقاموا على أبي نواس فقبلوا رأسه وصفقوا الأيدي جهراً][71].

[حدث الصولي عن عبد الله بن محمد بن حفص قال: غلست يوماً إلى المسجد فإذا بأبي نواس يكلم امرأة عند باب المسجد، وكنت أعرفه في مجالس الحديث والآداب، فقلت له: مثلك يقف هذا الموقف بحق أو باطل! فاعتذر ثم كتب إليّ ذلك اليوم هذه الأبيات:

---

[70] - زيادة من ر س.

[71] - زيادة انفردت بها ر.

إن التي أبصرتها سَحرَاً تكلمني رمول

دسَّت إلي رسالة كادت لها نفسي تزول

من واضح الخدين يق ـصر خطوه ردف ثقيل

متبنكب قوس الصبا يرمي وليس له رسيل

فلو أن أُذنك عندنا حتى تسمَّع ما تقول

لرأيت ما استقبحت من أمري لديك هو الجميل..][٧٢]

[وحكى الصولي عن إسماعيل بن نصر أخي محمد بن نصر الذي يقول فيه أبو نواس من جملة قصيدة:

فصلى هذه في وقت هذي فكل صلاته أبداً قضاء

وذاك محمد تفديه نفسي وحق له وقلَّ له الفداء

قال: رأيت أبا نواس وقد صلى الظهر وقام يتطوّع فقلت له: ما بدا لك في هذا؟

قال: ليصعد إلى السماء اليوم خبر ظريف.

حكى الصولي عن أبي العتاهية قال: لقيت أبا نواس في المسجد الجامع فعذلته وقلت له اما آن لك أن ترعوي؟ أما حان لك أن تزدجر؟ فرفع رأسه إلي وقال:

أتراني يا عتاهي تاركاً تلك الملاهي

أتراني مفسداً بالنس ـكِ عند القوم جاهي

قال: فلما ألححت عليه بالعذل أنشأ يقول:

---

[٧٢] ـ زيادة من ص ر وقد استطردت النسختان بعد ذلك إلى ذكر حكاية طويلة قليلة الأهمية في ترجمة أبي نواس، لا نظن أن المؤلف يتورّطفي إيراد أمثالها، ولذلك لم نثبتها.

لن ترجع الأنفس عن غيها   مالم يكن منها لها زاجر

قال: فوددت أني قلت هذا البيت بكل شيء قلته.

وقال أبو العتاهية: قد قلت عشرين ألف بيت في الزهد وددت أن لي مكانها الأبيات الثلاثة التي قالها أبو نواس وهي:

يا نواسي توقَّر   وتعزَّ وتصبَّر

إن يسكن ساءك دهرٌ   فلما سرّك أكثر

يا كبير الذنب عفو الله عن ذنبك أكبر

وأشيع عن أبي نواس أنه رجع عما كان عليه من البطالة وشرب الخمر وزهد في اللذات، فاجتمع أصحابه وأقبلوا عليه يهنئونه بذلك، فوضع بين يديه باطية وجعل لا يدخل عليه أحد يهنئه إلا شرب بين يدي رطلاً وأنشد:

قالوا نزعت ولمّا يعلموا وطري في كل أغسد ساجي الظرف مياسِ

كيف النزوع وقلبي قد تقسّمه لحظ العيون وقرع السن بالكاسِ

قال محمد بن نافع: كانأبو نواس لي صديقاً، فوقع بيني وبينه هجرة في آخر عمره،ثم بلغتني وفاته فتضاعف علي الحزن؛ فبينا أنا بين النائم واليقظان إذ رأيته فقلت: أبا نواس؟ قال: لات حين كنية، قلت: الحسن بن هاني؟ قال: نعم، قلت: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي بأبيات قلتها في علّتي قبل موتي وهي تحت الوسادة؛ فأتيت أهله فلما رأوني أجهشوا بالبكاء فقلت لهم: قال أخي شعراً قبل موته، قالوا: لا نعلم إلا أنه دعا بدواة وقرطاس وكتب شيئاً لا ندري ما هو، قلت: ايذنوا لي أدخل؛ قال: فدخلت إلى مرقده فإذا ثيابه لم تحرك بعد، فرفعت وسادة فلم أر شيئاً ثم رفعت أخرى فإذا أنا برقعة فيها مكتوب:

يا رب إن عظمت ذنوبي كثرة   فلقد علمت بأن عفوك أعظم

إن كان لا يدعوك إلا محسنٌ فمن الذي يرجو ويدعوه المجرم

أدعوكَ ربُ كما أمرتَ تضرعاً فإذا رددت يدي فمن ذا يرحم

ما لي إليك وسيلة إلا الرجا وجميل عفوك ثم أني مسلم][٧٣]

وقد سبق فيترجمة أبي عمر أحمد بن القسطلي ذكر بعض قصيدة أبي نواس الرائية.

وذكره الخطيب أبو بكر في (تاريخ بغداد) وقال: وُلد في سنة خمس وأربعين وقيلسنة ست وثلاثين ومائة، وتوفي في سنة خمس، وقيل ست، وقيل ثمان وتسعين ومائة ببغداد ودفن في مقابر الشونيزي، رحمه الله تعالى.

وإنما قيل له أبو نواس لذؤابتين كانتا له تنوسان على عاتقيه.

والحَكمي –بفتح الحاء المهملة والكاف وبعدها ميم_ هذه النسبة إلى الحكم بن سعد العشيرة، قبيلة كبيرة باليمن منها الجراح بن عبد الله الحكمي، وكان أمير خراسان وقد تقدم أن أبا نواس من مواليه فنسب إليه. وقد تقدم الكلام على سعد العشيرة في ترجمة المتنبي في حرف الهمزة.

وأما الصولي فتأتي ترجمته في المحمدين، وعلي بن حمزة لم أقف له على ترجمه[٧٤].

---

[٧٣] ـ زيادة من ص ر.

[٧٤] ـ قد صرَح ابن النديم (الفهرست: ١٦٠) أن علي بن حمزة الأصفهاني عمل ديوان أبي نواس على الحروف، وقد ترجم ياقوت (معجم الأدباء ١٣: ٢٠٣) لعلي بن حمزة الأصفهاني هذا ويؤخذ من ترجمته أنه من رجال القرن الثالث.

في الشعر مطلقاً وأصناف الصنعات الشعرية[٧٥]

من الجملة الأولى في المنطق من كتاب (الشفا)

-ابن سينا-

نقول نحن أولاً إن الشعر هو كلام مخيل مؤلف من أقوال موزونة متساوية- وعند العرب: مقفاة. ومعنى كونها موزونة أن يكون لها عدد إيقاعي؛ ومعنى كونها متساوية هو أن يكون كل قول منها مؤلفاً من أقوال إيقاعية فإن عدد زمانه مساوٍ لعدد زمان الآخر-؛ ومعن كونها مقفاة هو أن تكون الحروف التي يختم بها كل قول منها واحدة.

ولا نظر للمنطقي في شيء من ذلك إلا في كونه كلاماً مخيلاً: فإن الوزن ينظرُ فيه: أما بالتحقيق والكلية فصاحب علم الموسيقى، وأما بالتجربة وبحسب المستعمل عند أمة أمة فصاحبُ علم العروض؛ ينظر فيها صاحب علم القوافي. وإنما ينظر المنطقي في الشعر من حيث هو مثيل، والمخيل هو الكلام الذي تذعنُ له النفس فتنبسط عن أمور وتنقبض عن أمور من غير روية وفكر واختيار، وبالجملة تنفعل له انفعالاً نفسانياً غير فكري، سواء كان القول مصدقاً به < أو غير مصدق به؛ فإن كونه مصدقاً به> غير كونه مخيلا أو غير مخيل. فإنه قد يصدق بقول من الأقوال ولا ينفعل عنه؛ فإن قيل مرة أخرى، وعلى هيئة أخرى، فكثيراً ما يؤثر الانفعال ولا يحدث تصديقاً. وربما كان المتيقن كذبه مخيلاً. وإذا كانت محاكاة الشيء بغيره تحرك النفس، وهو كاذب، فلا عجب أن تكون صفة الشيء على ما هو عليه تحرك النفس وهو صادق؛ بل ذلك أوجبُ لكن الناس أطوع للتخيّل منهم للتصديق. وكثير منهم إذا سمع التصديقات استنكرها وهرب منها. وللمحاكاة شيء من التعجيب ليس للصدق، لأن الصدق المشهور كالمفروغ منه ولا طراء له؛ والصدق المجهول غيرُ

[٧٥] - من كتاب الشفا/ المنطق –لابن سينا، تحقيق عبد الرحمن بدوي- القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦.

ملتفت إليه؛ والقول الصادق إذا حرف عن العادة وألحقَ به شيء تستأنس به النفس، فربما أفاد التصديق والتخييل. وربما شغل التخييل عن الالتفات إلى التصديق والشعور به. والتخييل إذعان، والتصديق إذعان، لكن التخييل إذعان للتعجب والالتذاذ بنفس القول؛ والتصديق إذعان لقبول أن الشيء على ما قيل فيه. فالتخييل يفعله القول بما هو عليه، والتصديق يفعله القول بما القول فيه عليه أن يلتفت فيه إلى جانب حال المقول فيه.

والشعر قد يقال للتعجيب وَحدَه، وقد يقال للأغراض المدنية؛ -وعلى ذلك كانت الأشعار اليونانية. والأغراض المدنية هي في أحد أجناس الأمور الثلاثة: أعني المشوربة، والمشاجرية، والمنافرية. وتشترك الخطابة والشعر في ذلك. لكن الخطابة تستعمل التصديق، والشعر يستعمل التخييل.

والتصديقات المظنونة محصورة متناهية يمكن أن توضع أنواعاً ومواضع؛ وأما التخييلات والمحاكيات فلا تحصر ولا تحد. وكيف، والمحصور هو المشهور أو القريب، غير كل ذلك المستحسن في الشعر، بل لمستحسن فيه المخترع المبتدع.

والأمور التي تجعل القول مخيلاً منها أمور تتعلق بزمان القول وعدد زمانه، وهو الوزن؛ ومنها أمور تتعلق بالمسموع من القول، ومنها أمور تتعلق بالمفهوم من القول؛ ومنها أمور تتردد بين المسموع والمفهوم. وكل واحد من المعجب بالمسموع أو المفهوم هو على وجهين: لأنه إما يكون نفس المعنى غريباً من غير صنعة فيه [غير] إلا غرَابةُ المحاكاة والتخييل الذي فيه؛ وإما أن يكون المتعجب منه صادراً عن حيلة في اللفظ أو المعنى إما بحسب البساطة أو بحسب التركيب. والحيلة التركيبية في اللفظ مثل : التسجيع، ومشاكلة الوزن، والترصيع، والقلب، وأشياء قيلت في (الخطابة).

وكل حيلة فإنما تحدث بنسبة ما بين الأجزاء. والنسبة إما بمشاكلة أو بمخالفة. والمشاكلة إما تامة، وإما ناقصة. وكذلك المخالفة: إما <تامة، وإما> ناقصة. وجميع ذلك إما أن يكون بحسب اللفظ، أو بحسب المعنى. والذي بحسب اللفظ:

فإما في الألفاظ الناقصة الدلالات، أو العديمة الدلالات كألادوات والحروف التي هي مقاطع القول؛ وإما في الألفاظ الدالة البسيطة؛ وإما في الألفاظ المركبة. والذي بحسب المعنى فإما أن يكون بحسب بسائط المعاني، وإما أن يكون بحسب مركبات الماني. ولنبدأ من القسم الأول فنقول: إن الصيفات التي بحسب القسم الأول نسبة أزاخر المقاطع وأوائلها. فالنظمُ المسمى المرَصع كقوله:

فلا حسمتُ مَنْ يعد فقدانه الظُّبَى ولا كَلمَتَ مَنْ بعدِ هِجْرانه السُّمْرُ

ومنها تداخلُ الأدوات وتخالفها وتشاكلها كــ (من) و (إلى) من باب المتخالفات، و (من) و (عن) من باب المتشاكلات.

وأما [الصناعة التي بحسب القسم الثاني فالذي بالمشاكلة تكرر في الأجزاء وتداخل الأدوات و] الصيغات التي بحسب القسم الثاني فالذي بالمشاكلة التامة فهو أن تتكرر في البيت أللفاظ متفقة أو متفقة الجوهر مخالفة التصريف والتي بالمشاكلة الناقصة فأن تكون متقاربة الجوهر، أو متقاربة الجوهر والتصريف. ومثال الأول: العين والعين، ومثال الثاني: الشمل والشمال؛ مثال الثالث والرابع الفارهُ، والهارِف، أو العظيم والعليم، والصابح والسايح، أو السهاد والسُّها.

هذا هو التشاكل الذي في اللفظ بحسب ما هو لفظ. وقد يكون ذلك في اللفظ بحسب المعنى، وهو أن يكون <لفظان> اشتهرا مترادفين أو أحدهما مقولاً على مناسب الأجزاء [١٨٧ ب] أو مجانسة، واستعمل على غير تلك الجهة كالكوكب والنجم فيراد به البيت، أو السهم والقوس ويراد به الأثر العلوي.

وأما الذي بحسب المخالفة فإذا ليس لفظ من الألفاظ بمخالف للفظ من جهة لفظيته، فإذن إن خالف فمعناه أن يخالف، وهو المعنى الذي يكون اشتهر له، فتكون الصيفة التي على هذا السبيل في ألفاظ أو لفظين يقع أحدهما على شيء والآخر على ضده أو ما يظن أنه ضده وينافيه، او ما يشاكل ضده ويناسبه ويتصل به وقد استعمل على غير تلك الجهة كالسواد التي هي القرى، والبياض أو الرحمة، وجهنم وما جرى مجراه.

الفنون الأدبية:

المُلح[٧٦]

-أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحُصري القيرواني-

وقف أبو العيناء على باب صاعد مَخْلَد[٧٧] فقيل له إنه يصلي فانصرف، ثم عاوده، فقيل له إنه يصلي. فقال: لكل جديد لذة. وكان صاعد نصرانياً ثم ارتقت به الحال أن توزر للموفق بن أحمد بن المتوكل، وكان أخوه المعتمد الخليفة ولم يكن له مع الموفق أمرٌ ولا نهي، وقد قال المعتمد لما ملك عليه أخوه الأمر، أو قيل على لسانه:

أليْسَ من العجائب أنَّ مثلي   يرى ما قلَّ ممتنعاً عليهِ

وتؤخذ باسمه الدنيا جميعاً   وما مِنْ ذاك شيءٌ في يديهِ

ولما أجاب الصولي أبا القاسم بن عبد الله ملك المغرب اقتضى ذكر ولد العباس والخلفاء خليفةً خليفةً حتى انته إلى المعتمد فقال:

ومعتمدٌ مِنْ بعدهم وموفق   يرددُ من إرثِ الخلافة ما ذَهَبْ

مُوَازٍ لهم في كل فَضُلٍ وسُؤددِ   وإن لم يكن في العد منهم لمن حَسَبْ

٧٦- من كتاب جمع الجواهر في المُلح والنوادر، لأبي إسحاق إبراهيم بن علي بن تميم الحُصري القيرواني، ت ٤٥٣هـ. تحقيق رحاب خضر عكاوي، بيرةن: دار المناهل.

٧٧ - صاعد بن مَخْلد: وزير من أهل بغداد. كان نصرانياً وأسلم على يد الموفق العباسي واستكتبه سنة ٢٦٥هـ، ووجهه في المهمات ولقب بذي الوزارتين. ثم أراد الموفق مالاً لقتال عمرو بن الليث الصفار فلتكأ صاعد، فسجنه الموفق سنة ٢٧٢هـ فظل في السجن إلى سنة ٢٧٥هـ، ونقل إلى دار في الجانب الغربي من بغداد فتوفي فيها سنة ٢٧٦هـ.

ولما احتاج الصولي إلى ذكر الموفق لشاهمته وحزامته، وكأن القصيدة إنما أجاب بها على المقتدرين بن جعفر بن المعتضد بن الموفق، فلو لم يذكره لانقطع عليه ما أراد.

وكان المعتمدُ مضعوفاً، وكان أمرهُ قبل تمكن الموفق في يد وصيف حتى قال باذنجانة الكاتبُ[٧٨]:

يا دولة باثرة كاسفة ما تُبْتَغى

خليفة مستضعف بين وصيف وبُغا[٧٩]

يقول ما قالا له كما تقول الببّغا

ودخل أبو خالد يزيد المهلبي[٨٠] على المعتمد مراتٍ، فأنشده قصاد على الدال؛ فقال: يا يزيد؛ وما أراك تَعْدُ الدال؟ فقال: وكيف أعزك الله يا أمير المؤمنين واسمي يزيد، وأبي محمد، وأكنى بأبي خالد، وأنت المعتمد، وتسمى بأحمد، ومن صفاتك السيد والماجد والجواد، فأي أَدَعُ الدال؟

وهذا كقول أبي صدقة المدني وقد قيل له: ما أشد إلحافك؟ فقال: تلومونني على ذلك وأنا اسمي مسكين، وكُنيَتي أبو صدقة، واسم أبي صدقة، واسم امرأتي فاقة.

---

[٧٨] ـ ورد في الكامل لابن الأثير ج٧ ص ١٤٥: [في ذكر حصار المستعين ببغداد] فقال بعض البصريين ويعرف بباذنجانة. وكان الحصار سنة ٢٥١هـ.

[٧٩] ـ وصيف وبغا مملوكان تركيان كانا من أكابر الأمراء في بغداد أيام المتوكل وبعده بقليل. توفي بغا سنة ٢٤٨هـ، ويميز بالكبير وقتل وصيف سنة ٢٥٣هـ.

[٨٠] ـ يزيد بن محمد بن المهلب بن المغيرة، من بني المهلب بن أبي صفرة، أبو خالد المعروف بالمهلبي، شاعر محسن راجز من الندماء الرواة، من أهل البصرة، اشتهر ومات ببغداد سنة ٢٥٩هـ. اتصل بالمتوكل العباسي ونادمه ومدحه ورثاه بقصيدة من عيون الشعر أوردها المبرد في الكامل.

الطُرف:

من طرف أبي العيناء

ووقف أبو العيناء على باب إبراهيم بن رباح قيل: هو مشغول. فقال: إذا شغل بكأس يمناه، وبحرِ يُسراه، وانتسب إلى أبٍ لا يعرف أباه، لم يحفل بِحجابِ من أتاه.

ودخل أبو العيناء على المتوكل؛ فقال: أي شيء تحسن؟ قال أَفْهَم وأُفْهِم، وآخذ من المجلس ما حوى، فمرة أغْلب ومرة أُغلب. قال كيف شُربُك للنبيذ؟ قال أَعْجزُ عن قليله وأُفتضحُ عند كثيره. قال: فما تقول في بلدك البصرة؟ قال: ماؤها أُجَاج[٨١]، وحرها عذاب، وتطيب في الوقت الذي تطيب فيه جهنم. قال: ارفع حوائجك إلينا.قال: قد رفعتُها إلى الله، فما أب نجاحه فليس ينفعني شرحه. قال: نحبُّ أن تلزم مجلسنا. قال: يا أمير المؤمنين، إن أجهل الناس من يَجهلُ نفسه؛ أنا امرؤٌ محجوب والمحجوب تختلف إشارته، وقد يجوز قصده، فيصغي إلى غير يحدثه، ويقبل بحديثه على غير من يسمع منه، وجائز أن يتكلم بكلام غير راض، ومتى لم أفرق بين هذين هلكت. وأخرى:كل من في مجلسك يخدمك، وأنا أحتاج أن أُخدم، ولم أقل هذا جهلاً منَي بما في هذا المجلس من الفائدة، ولكني اخترت العافية على التعرض للبلاء. قال الفتحُ بنُ خاقان: يا أمير المؤمنين، هذا رجل عاقل عارف بنفسه وبحق الملوك. قال: فيلزمنا في كل الأوقاتِ لزوم الفرض الواجب.

وبلغ أبا العيناء أن المتوكل قال: لولا أن أبا العيناء ضرير لنادَمنَاه. فقال : إن أعفاين أميرُ المؤمنين من رؤية الأهِلّة[٨٢] وقراءة نقش الفصوص[٨٣] فأنا أصلحُ

---

[٨١] ـ شديد الملوحة والمرارة مثل ماء البحر، وجاء في قوله تعالى: [مَرَجَ البَحرينِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلحٌ أُجَاجٌ] [الفرقان، الآية ٥٣].

[٨٢] ـ جمع هِلال وهو غرة القمر، وتحتاج رؤيته إلى نظر ثاقب في الليلتين الأوليين من أول الشهر ولليلتين من آخره.

للمنادمة. وإنما هذا تولُّع منه بلسانه؛ واقتدار على الكلام، وإلا فقد تعافى من ذلك المقام.

ودخل على إبراهيم بن المدبر وعنده الفضل اليزيدي معلم ولده وإبراهيم جالس. فقال للمعلم: في أيّ باب هذا؟ قال في باب الفاعل والمفعول به. فقال: هذا بابي وباب الوالدة أعزّها الله. فغضب اليزيدي ونض.

أخذه البحتريُّ فقال لإبراهيم بن المدبر:

أي شيءٍ ألهاكَ عن سر من را ... ءَ وظلَّ للعيشِ فيها ظليلِ

اقتصار على أحاديث فَصْل ... وهو مستكرةٌ كثيرُ الفضولِ

لم تكن نُهزة[84] الوضيع ولا رو ... حك كانت لِفْقاً لرُوحِ الثقيلِ

فعلام اصطنعت منكسف البا ... لِ معار الحذاق نَزر القبولِ

إن ترده تجده أخلق من شَيْ ... ـبِ الغواني ومن تعفّي الطلولِ

مُسرجاً مُلجماً وما متَع الصب ... ـح إدلاجاً للجسِّ والتطفيلِ

غيرَ أنَ المعلمين على حال (م) ... قليلي التمييز ضَعفي العقولِ

فإذا ما تذكَرَ الناس معنى ... من مبينِ الأشعارِ أو مجهولِ

قال هذا لنا ونحن كشفنا ... غيبَه للسؤالِ والمسؤولِ

ضرب الأصمعي فيهم أم الأح ... ـمر أم لحقوا [...] الخليلِ[85]

---

[83] ـ الفص بتثليث الفاء ما يركب في الخاتم من الحجارة الكريمة. وقد جرت عادة الخلفاء أن ينقشوا على الفصوص بعض الحكم والأمثال السائرة أو بعض ألقابهم وأسمائهم.

[84] ـ فرصة، يقال هو نُهزة المختلس أي صيد لكل واحد.

أبداً شأنه التردّد في الفا عل من والديه والمفعولِ

المسامرة والمنادرة:

شرط المسامر والمنادِر[86]

-أورده الحصري والقيرواني-

ومن شرط المُسامِر والمنادر أن يكون خفيف الإشارة لطيف العبارة، ظريفاً رشيقاً، لبِقاً رفيقاً، غير فدم ولا ثقيل، ولا عنيف ولا جَهول، قد لبِس لكل حالة لباسها، وركب لكل آلة أقراسها، يعرف كيف يخرج مما يدخل فيه، إذا خاف ألا يُستحسن ما يأتيه، كما ذُكر عن الفتح بن خاقان أنه كان من المتوكل فرمى المتوكل عصفوراً فأخطأه فقال: (أحسنت يا أمير المؤمنين!) فنظر إليه نظرةً منكرةً، فقال: (.. إلى الطائر حتى سَلِم)! فضحك المتوكل.

ويجب إذا حكى النادرة اللطيفة والحكمة الطريفة ألا يُعربها فتثقل، ولا يقطعها فتبرد. وكذلك لو ذهب بما يحتاج إلى الإعراب من كلام الفصحاء والأعراب، إلى اللحن، لاستغث واسترث. ويجب على اللبيب المطرب ألا يطيل فيُمل، ولا يُقصِر فيُخل، فللكلام غاية، ولنشاط السامعين نهاية.

... كم طريفة من الخطاب، ومليحة من الجواب خلصت من الهلاك من نصبت له الأشراك، وسلمت من الحتوف من أصلتت له السيوف! قال الأصمعي: خرج الحجاج متصيداً. فوقف علىأعرابي يرعى إبلا وقد انقطع عن صحابه، فقال: (يا

---

[85] ـ الأحمر هو خلف بن حيان أبو محرز المعروف بالأحمر، (توفي سنة ١٨٠هـ) معلم الأصمعي ومعلم أهل البصرة، والخليل هو الخليل بن أحمد بن عمرو واضع علم العروض (توفي سنة ١٧٠هـ). كلمة نابية رأينا من الأفضل حذفها.
والبيت ورد: أم التحقوا بابن الخليل، والصواب ما أثبتناه من ديوان البحتري.

[86] ـ الحصري (٤٥٣/١٠٦٠): جمع الجواهر، ص ١٩.

أعرابي، كيف سيرة أميركم الحجاج؟) فقال الأعرابي: (عشوم ظلوم،لا حيّاه الله ولا بيَّاهُ!) قال الحجاج: (فلو شكوتمُوه إلىامير المؤمنين؟) قال: (هو أظلمُ منه وأغشمُ، عليه لعنةُ الله)! فبينما هو كذلك إذ أحاطت به جنوده، فقال الحجاج: (أتدري من أنا؟) قال: (وما عسيت أن تكون؟) قال: (أنا الحجاج). فقال الأعرابي: أوتدري من أنا؟ أما مولى بني عامر، أُجن في الشهر مرتين هذه إحداهما...).

النوادر

أ ــ منافع العصا[87]

ــ الجاحظ ــ

خرجت من بغداد وأنا أريد الرقة مستخفياً، وأنا شاب خفيف الحال. فصحبني من أهل الجزيرةفتى ما رأيت بعده مثله. فذكر أنه تغلبي من ولد عمرو بن كلثوم. ومعه مزود وركوة وعصا. فرأيته لا يفارقها وطالت ملازمته لها. فكذت من الغيظ عليه أرمي بها في بعض الأودية. فكنا نمشي، فإذا أصبنا دواب ركبناها، وإذا لم نصب الدواب مشينا.

فلما برزنا على حمارينا تخلف المكاري. فان حماره يمشي، فإذا تلكأ أكرهه بالعصا. وكان حماري لا ينساق وأعلم أنه ليس شيء في يدي يُكرهه فسبقني الفتى إلى المنزل فاستراح وأراح، ولم أقدر على البراح حتى وافاني المكاري. فقلت: هذه واحدة.

---

[87] ـ الجاحظ (٢٥٥هـ/ ٨٦٩م): البيان والتبين، ج٣ (سندوبي)، ص ٢٥.

فلما أردنا الخروج من الغد، لم نقدر على شيء نركبه، فكنا نمشي. فإذا أعيى، توكأ على العصا، حتى انتهى إلى المنزل، وقد تفسخت من العياء، وإذا فيه فضل كبير. فقلت: هذه ثانية.

فلما كان في اليوم الثالث، ونحن نمشي في أرض ذات أخافيق وصدوع، إذ هجمنا على حيّة منكرة فساورتنا، ولم تكن عندي حيلة إلا خذلانه وإسلامه إليها والهرب منها، فضربها بالعصا حتى قتلها. قلت: هذه ثالثة، وهي أعظمهن.

فلما خرجنا في اليوم الرابع قرمت والله إلى اللحم، وأنا هارب معدم، إذا أرنب قد اعترضت فحذفها. فما شعر والله إلا وهي معلقة وأدركنا ذكاتها. فقلت: هذه رابعة.

ب ــ غفلة مفرطة[٨٨]

ــ الحصري القيرواني ــ

كان بمصر شريف من ولد أبي العباس بأبي جعفر الشق، شبيه بابن الجصاص في الغفلة والجد والنعمة. قال أبو القاسم بن محمد التنوخي: بعثني أبي إليه من قرية تعرف بــ (تلا) يستقرضه عشرة أرادب قمحاً، وثلاثين زوج بقر، وكتب معي بذلك رقعة. فأتيت ليه وسلمت عليه ودفعت إليه الرقعة. فقال: ذكرت أباك بخير حرسه الله وأسعده، فهو صاحبي وصديقي وخليطي. وأين هو الآن؟

قلت: بقرية تلا، أعز الله سيدي الشريف.

قال: نعم، حفظه الله. هو بالفسطاط معنا، وقد انقطع عنا كذا. ما كنت أظنه إلا غائباً.

---

[٨٨] ـ إبراهيم الحصري (٤٥٣هـ/ ١٠٦٠م): جمع الجواهر...) ص ٢٧١.

قلت: لا يا سيدي، هو بتلا.

قال: فما لك ما قلت لي؟ فما كان سبيله أن يؤنسني برقعة من قبله؟

قلت: يا سيدي، قد دفعت إليك رقعته.

قال: وأين هي؟

قلت: تحت البساط.

فأخذها وقرأها وقال: قل لي الآن: كان لك أخ أعرفه حار الرأس حاد الذهن، يحسن النحو والعروش والشعر. فما فعل الله به؟

قلت: أنا هو، أعزك الله.

قال: وما الذي جئت فيه؟

قلت: والدي بعثني إليك برقعة يسألك فيها قرض عشرة أرادب قمحاً وثلاثين زوج بقر.

قال: وهو الآن بالفسطاط؟

قلت: لا يا سيدي، هو بتلا.

قال: نع. وإنما ذاك الفتى أخوك؟

قلت: لا، أنا هو. وقد ضجرت من شدة غفلته وكثرة نسيانه لما أقول. حتى أقبل كاتبه أبو الحسين فقال له: سل هذا الفتى ما أراد. فسألني فعرفته فأخبره فقال له: نفذ له حاجته. فشكرت الشريف ونهضت.

ج ـ أبو حنيفة وجاره المغنّي[٨٩]

ـ أبو الفرج الأصفهاني ـ

كان لأبي حنيفة جارٌ بالكوفة يغني، فكان إذا انصرف، وقد سكر، يغني في غرفته ويسمع أبو حنيفة غناءه فيُعجبه، وكان كثيراً ما يغني: [من الوافر]

أضاعوني وأي فتًى أضاعوا ليوم كريهةٍ وسِدادِ ثَغْرِ

فلقيه العسَسُ ليلةً فأخذوه وحُبس. ففقد أبو حنيفة صوته تلك الليلة، فسأل عنه من غدٍ فأخبر. فدعا بسواده وطويلته فلبسهُما، وركب إلى عيسى بن موسى فقال له إن لي جاراً أخذه عسسُك البارحة فحُبس، وما علمت منه إلا خيراً. فقال عيسى: سلّموا إلى أبي حنيفة وقال له سرا:ألست كنتَ تغني كل ليلة:

أضاعوني وأي فتًى أضاعوا

فهل أضعناك؟

ـ قال: لا والله أيها القاضي، ولكن أحسنت وتكرمت، أحسن الله جزاءك.

ـ قال: فعُد إلى ما كنت تغنيه، فإني كنت آنس به، ولم أرَ به بأساً.

ـ قال: أفعل.

---

[٨٩] ـ أبو الفرج الأصفهاني (٣٥٦هـ/ ٩٦٧م): الأغاني، ج ٧١ ص ٤١٤.

المعز الفاطمي يخترع القلم الخزّان[٩٠]

(نريد أن نعمل قلماً يُكتب به بلا استمداد من دواة، يكون مداده من داخله. فمتى شاء الإنسان كتب به فأمده وكتب بذلك ما شاء. ومتى شاء تركه فارتفع المدادُ، وكان القلم ناشفاً منه، يجعله الكاتب في كُمه أو حيث شاء فلا يؤثر فيه ولا يرشَح شيء من المداد عنه، ولا يكون ذلك إلا عندما يُبتغى منه ويُراد الكتابةُ به، فيكون آلةً عجيبة لم نعلم أنّا سُبقنا إليها...).

فما مّر بعد ذلك إلا أيام قلائلُ حتى جاء الصانع الذي وصف له الصنعة، [جاء] به معمولاً من ذهب، فأودعه المدادَ وكتب به فكتب. وزاد شيئاً من المداد على مقدار الحاجة، فأمر بإصلاح شيء منه فأصلحه وجاء به؛ فإذا أخذه الكاتب وكتب به، كتب أحسنَ كتاب ما شاء أن يَكتُبَ به، ثم إذا رفعه عن الكتاب أمسك المداد.

الملوك والحكمة

حكمة الخليفة المعتضِد[٩١]

رفع إلى الخليفة المعتضد أن طائفة من الناس يجتمعون بباب الطاقِ ويجلسون في دكان شيخ تبان ويخوضون في الفضول والأراجيف وفنونِ من الأحاديث، وفيهم قوم سراة وأهلُ بيوتات، سوى من يسترقُ السمع منهم من خاصة الناس. وقد تفاقم فسادهم وإفسادهم. فلما عرف الخليفة ذلك ضاق ذرعاً، وحرج صدراً، وأمتلأ غيظاً، فدعا بعبيد الله بن سليمان ورمى بالرفيقة إليه، وقال: أنظر فيها وتفهمها! ففعل. وشاهدَ من تربّد وجه المعتضد ما أزعج ساكن صدره وشرد آلف صبره، فقال: تتقدّم؛ يا أمير المؤمنين، بأخذهم وصلب بعضهم، وإحراق

---

[٩٠] ـ القاضي النعمان بن محمد (ت ٣٦٣/ ٩٧٤): كـ. المجالس والمسايرات، ص ٣١٩.

[٩١] ـ أبو حيان التوحيدي (٤٠٠/١٠١٠): الإمتاع، ج٣، ص ٨٩/٩٠.

بعضهم، وتغريق بعضهم، فإن العقوبة إذا اختلفت، كان الهولُ أشد، والهيبة أفشى والزجر أنجع والعامةُ أخوفَ.

فقال المعتضد –وكان أعقل من الوزير –: والله قد بردت لهيب غضبي بفورتك هذه، وما علمت أنك تستجيز هذا في دينك وهديك ومروءتِك، ولو أمرتك ببعض ما رأيتَ بعقلك وحزمك، لكان من حُسن المؤازرة ومبذول النصيحة والنظر إلى الرعية الضعيفة الجاهلة أن تسألني الكف عن الجهل، وتبعثني على الحلم، وتحبب إليَّ الصفح، وترغبني في فضل الإغضاء على هذه الأشياء. وقد ساءني جهلُك بحدود العقاب، وبما تقابل به هذه الجرائر، وبما يكون كُفءاً للذنوب. أما تعلم أن الرعية وديعة الله عند سلطانها؟ وأن الله يسائله عنها: كيف سُستها؟ ولعله لا يسألها عنه، وإن سألها، فليؤكدَ الحجة عليه منها. ألا تدري أن أحداً من الرعية لا يقول ما يقول إلا لظلم لِحقه أو لحق جاره، وداهية نالته أو نالت صاحباً له؟ وكيف نقول لهم: كونوا صالحين أتقياء مقبلين على معايشكم، غير خائضين في حديثنا، والعرب تقول في كلامها: غلبنا السلطانُ، فلبس فروتنا، وأكل خُضرتنا. وحنق المملوك على المالك معروف. وإنما يُحتمل السيد على صروف تكاليفه، ومكاره تصاريفه، إذا كان العيش في كنفِهِ رافغاً، والأملُ فيه قويًّا، والصدر عليه بارداً، والقلب معهُ ساكناً.

لَنْ آكُلَ لحمَ فيل أبداً![92]

ركبت البحر مع جماعة من الصوفية، فكسر المركب بنا، فنجا منا قوم على خشب من أخشاب المركب. فوقعنا إلى مكان لاندري أي مكان هو، فأقمنا فيه أياماً لا نجد ما نقتاتُه، فأحسسنا بالموت. فقال بعضنا لبعض: تعالوا حتى نجعل الله على أنفسنا عهداً أن ندع له شيئاً، فلعله تعالى يرحمُنا فيخلصنا من هذه الشدة. فقال بعضنا: لا أُفطر الدهر! وقال آخر: أصلّي كل يوم كذا وكذا ركعة. وقال ثالث: أدع اللذاتِ، إلى أن تعهد كل منا بترك شيء، وأنا ساكت. فقالوا لي: قل شيئاً! فلم يجئ على لساني إلا أن قلتُ: لا أكلُ لحمَ فيل أبداً! فقالوا : أَهزل في مثل هذه الحال؟ فقلت: والله ما تعمدت الهزل، ولكني منذ بدأتم وأنا أعرض على نفسي شيئاً أدعه لله عز وجل فلا تطاوعيني، ولا يخطر على قلبي غيرُ الذي لفظت به.وما أجرى الله هذا على لساني، ولا ألهمه قلبِي إلا لأمرٍ...

شهادة الحمير[93]

كان بمكة رجل سفيه يجمع بين الرجال والنساء. فشكا ذلك أهل مكة فشكا ذلك أهل مكة إلى الوالي، فغربه إلى عرفات، فاتخذها منزلاً ودخل مكة مستتراً، فلقي حرفاءه من الرجال والنساء فقال: ما يمنعكم؟ قالوا: وأين بك وأنت بعرفات؟ قال: حمار بدرهمين وقد صرتم إلى الأمن والنزهة. قالوا: نشهد أنك صادق.

وكانوا يأتونه، وكثر ذلك حتى أفسد على أهل مكة أحداثهم وسفهاءهم وحواشيهم، فعادوا بالشكاية إلى أمير مكة، فأرسل إليه فأتي به، فقال: أي عدو الله، طردتك من حرم الله، فصرت إلى المشعر الأعظم تفسد فيه وتجمع الفساق!

---

[92] ـ التنوحي (ت ٣٨٤/٩٩٤): الفرج بعد الشّدة ص ٢٨٨.

[93] ـ أمالي القالي (٣٥٦/٩٧٦)، ج ٢، ص ٣٠٨.

فقال: أصلح الله الأمير، يكذبون عليّ ويحسدونني. قالوا: بيننا وبينه واحدة. قال: ما هي؟ قالوا: تجمع حمير المكارين وترسلها بعرفات، فإن لم تقصد إلى بيته لما تعرف من إتيان الخراب والسفهاء إياه، فالقول ما قال. فقال الوالي: إن في هذا لدليلاً. وأمر بحمير فجمعت ثم أرسلت، فقصدت نحو منزله. فأتاه بذلك أمناؤه. فقال: ما بعد هذا شيء، جردوه!

فلما نظر إلى السياط قال: لا بد من ضربي، أصلح الله الأمير؟ قال: لابد منه. قال: اضرب، فوالله ما في هذا شيء أشد علينا من أن يسخر منا أهل العراق فيقولون: أهل مكة يجيزون شهادة الحمير.

فضحك الأمير وقال: والله لا أضربك اليوم! وأمر بتخلية سبيله.

كنية نفيسة[٩٤]

كان عندنا شيخ حارس من علوج الجبل[٩٥]، وكان يكنى أبا خزيمة. فقلت لأصحابنا: هل لكم في مسألة هذا الحارس عن سببه كنيته؟ فلعل الله أن يفيد من هذا الشيخ علماً، وإن كان في ظاهر الرأي غير مأمول ولا مطمع. وهذه الكنية زرارة بن عدس[٩٦] وكنية خازم بن خزيمة [٩٧] وكنية حمزة بن أدرك[٩٨] وكنية فلان وفلان. وكل هؤلاء إما قائد متبوع، وإما سيد مطاع، فمن أين وقع هذا العلج الألكنُ على هذه الكنية؟

---

[٩٤] ـ الجاحظ (٨٦٩/٢٥٥): البيان والتبيين (هارون)، ٢٤/٤.

[٩٥] ـ الجبل: مقاطعة بين العراق وفارس.

[٩٦] ـ زرارة بن عدس التميمي، سيد جاهلي، وهو أبو حاجب ولقيط بن زرارة.

[٩٧] ـ خازم بن خزيمة النهشلي، والٍ من ولاة العباسيين على خراسان.

[٩٨] ـ حمزة بن أدرك: قائد فرقة من فرق الخوارج أيام هارون الرشيد.

فدعوته فقلت له: هذه الكنية كناك بها إنسان أو كنيت بها نفسك؟ قال: لا، ولكني كنيت بها نفسي. قلت: فلم اخترتها على غيرها؟ قال: وما يدريني؟ قلت: ألك ابن يسمّى خزيمة؟ قال: لا. قلت: أفكان أبوك أو عمّك أو مولى لك يسمّى خزيمة؟ قال: لا. قلت: فاترك هذه الكنية واكتنِ بأحسنَ منها وخذ مني ديناراً. قال: لا والله، ولا بجميع الدنيا.

[ومن نوادر الفقهاء والمغفلين والمرائين وغيرهم][99]

وسأل رجل بعض الفقهاء عن القبلة للصائم في رمضان؟ فقال: تكره للشاب ويرخصُ فيها للشيخ. قال إنها في معشوقة؟ قال: يابن أخي، هذا يكره في شوال.

قيل لمغفل: قد غلا الدقيق. فقال: وما أُبالي؛ إني أشتري الخبز من السوق.

قال حيان بن غضبان العجلي –وقد ورث نصف دار أبيه: أريد أن أبيع نصف حصتي من الدار وأشتري الباقي، فتصير الدار كلها لي.

وشكا أهل بلدة إلى المأمون والياً عليهم؛ فقال: كذبتم عليه، قد صح عندي عدله فيكم وإحسانه إليكم. فقال شيخ منهم: يا أمير المؤمنين؛ فما هذه المحبة لنا دون سائر رعيتك، قد عدل فينا خمس سنين فانقله إلى غيرنا حتى يشمل عدله الجميع، وتريح معنا الكل؛ فضحك منهم وصرفه عنهم.

قال دعبل[100]: ما غلبني إلا مخنث؛ قلت له: والله لأهجونك. قال: والله لئن هجوتني لأخرجن أمك في الخيال.

---

[99] ـ من كتاب جمع الجواهر في المُلح والنوادر لأبي إسحاق إبراهيم بن علي بن تميم الحُصري القيراوني، (ت ٤٥٣هـ)، تحقيق رحاب خضر عكاوي، بيروت، دار المناهل.

[100] ـ دِعْبل بن علي بن رزين الخزاعي، أبو علي: شاعر صريح ومعارض، وهو جاء أيضاً. أصله من الكوفة (ولد سنة ١٤٨هـ) وسكن بغداد. كان صديقاً للبحتري. كان بذيء اللسان ضد السلطة مولعاً بالهجو

ورُثي[101]: بعض المرائين على باب بعض الملوك، وبين عينيه سجادة[102] عظيمة، فقيل له: مثل هذا الدرهم بين عينيك، وأنت محتاجٌ إلى أبواب الملوك! فقال: إنه ضُربَ على غير السكة.

وعمل بعض المرائين بين عينية سجادة دلكها بنواة وثوم، وعصب الثوم بين عينيه ونام؛ فتحرّكت العصابة؛ فصارت في ناحية صدغة سجادة كبيرة. فقال له ابنه: ما هذا يا أبتِ؟ فقال: أصبح أبوك ممن يعبد الله على حَرْف[103].

ومن أملح ما في هذا قول أبي نواس وقد نهاهُ الأمين عن الخمر[104]:

عينُ الخليفة بي موكلةٌ   عَقَد الحذار بطَرْفِها طَرفِي

صحَت علانيتي له وأرى   دينَ الضمير له على حَرْفِ

ولئن وعدتك تَرْكَهَا عِدَةً   إني عليك لخائفٌ خَلفي

وقال ابن المعتزّ:

يأيها الجاني ويستَخفِي   ليس تجنّيك من الظرفِ

إنك والشوق إلينا كمن   يُؤْمِنُ بالله علي حَرْفِ

محوتَ آثارَك عن وُدِّنا   غير آثارك في الصُحْفِ

فإن تحامَلْتَ لنا زَوْرَةً   يوماً تحاملت على ضَعفِ

والحط من أقدار الناس. هجا الخلفاء الرشيد والمأمون والمعتصم والواثق. توفي ببلدة تدعى الطيب (بين واسط وخوزستان) سنة ٢٤٦هـ.

[101] ـ في الأصل رؤي، والصحيح على الوجه الذي أثبتنا.

[102] ـ الخُمرة المسجود عليها ويقال لها المسجدة. قال ابن الأنباري: دراهم الأسجاد هي دراهم ضربها الأكاسرة وكان عليها صور، وقيل صورة كسرى فمن أبصرها سجد لها أي طأطأ رأسه لها وأظهر الخضوع.

[103] ـ من قوله تعال في سورة الحج، الآية ١١: [وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٍ].

[104] ـ ديوانه ص ٦٦.

وأتى ابن عائشة إلى بعض الملوك فأنشده:

اعطفْ عليَّ فالكريم يعطفُ   قد غلق الرَّهنُ وملَّ المسلفُ

وأرتُهِنَ الدفُّ وبيعَ المصحفُ[١٠٥]

فقال: يا فاسق، أترهن دفًّا وتبيع مصحفاً! قال: اتّكلت في المصحف ـ أعزك الله تعالى وأجلّك.

[نوادر بهلول][١٠٦]

قال رجل لبهلول المجنون[١٠٧]: قد أمر أمير المؤمنين لكل مجنون بدرهمين. فقال له بهلول:فهل أخذت نصيبك.

وأودَ بهلول بعض الأفنية بالكوفة عشرين درهماً ورجل خياط ينظر إليه من حيث لا يعلم به بهلول؛ فلما انصرف أخذ الخياطُ. فمر به فقال: يا فلانٌ خذ بيدك عشرة دراهم وخذ ثلاثين وخذ كذا... حتى بلغ المائة. قال: وزدها عشرين كم يكون المال؟ قال: مائة وعشرين. قال: أصبت ومضى. فقال الخياط في نفسه: ما أظنه إلا يمضي بهذه الدراهم التي حسبها ليزيدها على العشرين فلأردنها إلى موضعها، فإذا زاد عليها أخذتُ الجميع ففعل؛ فَكَرَّ بهلول إلى الموضع، فأخذ

---

[١٠٥] ـ الشاعر سلم بن عمرو بن حماد (توفي نحو ١٨٦هـ) سمي الخاسِر لأنه باع مصحفاً واشترى بثمنه طنبوراً.

[١٠٦] ـ من كتاب جمع الجواهر.

[١٠٧] ـ بُهلُول بن عمرو الصيرفي، أبو وهيب: من عقلاء المجانين. له أخبار ونوادر وشعر. ولد ونشأ في الكوفة، استقدمه الرشيد وغيره من الخلفاء لسماع كلامه. كان في البدء من المتأدبين ثم وسوس فعرف بالمجنون. توفي سنة (نحو ١٩٠هـ). جاء في البيان والتبين للجاحظ (ج ٢ ص ٢٣٠): ومن مجانين الكوفة بهلول، وكان يتشيع، فقال له إسحاق بن الصبّاح: أكثر الله في الشيعة مثلك. قال: بل أكثر اله في المرجئة مثلي وأكثر في الشيعة مثلك.

الدراهم وأحدث في موضعها ثم مضى؛ فقام الرجل مسرعاً، فلما أدخل يده امتلأت حدثاً، ولم يجد شيئاً؛ فعارضه بهلول، وقال: خذ في يدك كذا وكذا. كم في يدك؟ قال: مائة وعشرون. قال: ما في يدك إلا حدث، فانتشر خبرُ الخياط، وولع الصبيان فيه حتى هرب من الكوفة.

ولبهلول هذا حِكَمٌ؛ وكان يتشيع فقيل له يوماً: أيّما أفضل أبو بكر أم علي رضي الله عنهما؟ فقال له: أما وأنا في كِندة فعليّ، وأما وأنا في ضبة فأبو بكر. وكندة بالكوفة من غُلاة الرافضة، وبنو ضبة أهل سنّة.

ولما دخل الرشيدُ الكوفة خرج الناس للنظر إليه، فناداه بهلولُ ثلاثاً. فقال: مَنِ المجترئ عليّ في هذا الموضع؟ قيل: بهلول المجنون. فرفع السجَافة[١٠٨] وقال: بهلول؟ قال: لبيك يا أمير المؤمنين، روينا عن أيمن بن نائل قال: حدثنا قدامة عن ابن عبد الله العامري قال: رأيت رسول الله (ص) يرمي جمرة العقبة لا ضرب ولا طرد ولا قِيل بين يديه إليك إليك؛ وتواضعُك في سفرك هذا خيرٌ لك من تجبرك وتكبرك. قال: فبكى الرشيدُ حتى جرَت دموعُه على الأرض، وقال: أحسنت يا بهلول، زِدْنَا يرحمك الله.

قال: وروي أن النبي (ص) قال: (إيّما رجل آتاه الله مالاً وجمالاً وسلطاناً فأنفق في ماله وعفَّ في جماله وعدَل في سلطانه كُتب في خالص ديوان الله من الأبرار).

قال: أحسنت يا بهلول، وأمر له بجائزة سنية، فقال: يا أمير المؤمنين؛ رُدَّها على من أخذتها منه؛ فلا حاجة لي بها. فقال: يا بهلول؛ إن كان عليك دين قضيناه. قال: يا أمير المؤمنين، هؤلاء أهل الرأي بالكوفة أجمعوا على أن قضاء الدين بالدين لا يجوز. قال فنُجري عليك ما يكفيك؛ فرفع رأسه إلى

١٠٨ ـ السِّجف والسَّجف الستر، والسجافة واحد الأسجاف وسجوف وهي الحجاب والستر، قيل لا تسمى سجافة إلاّ أن تكون مشقوقة الوسط كالمِصراعين.

السماء وقال: يا أمير المؤمنين؛ أنا وأنت في عيالِ الله، ومُحالٌ أن يَذكُرَك وينساني؛ فأرسل الرشيد السجفَ وسار.

وقيل: إن بهلولاً كان يستعمل الجنون ستراً على نفسه.

[من نوادر المجانين][109]

وقال هارون المخزومي: رأيتُ مجنونين يتنازعان رغيفاً يقول أحدهما: هذا أنت تأكله، ويقول الآخر: بل أنت تأكله. قال: فقلت لهما –وأنا أظن أن أربح عليهما: أنا آكله. فقالا: يا أحمق، إنه مع أدم. فقلت: وما أدمه؟ قالا: وجء[110] الحلق وصَفع العنق. فوليت عنهما، فقالا: يا مجنون؛ لولا بشاعة الأدم لكنا أكلناه منذ حين.

وقيل لسعيد العامير –وكان من أصحاب النوبهاوي[111]: لقد حظيت بكثرة المال. قال: فإني بعتك مالي كله بحبة من عقل غفار الموسوس. قلت: وأي شيء رأيت من عقله؟ قال: رأيته يوماً وقد وقف عليه رجلان أحدهما سكران، فجعل السكران يفتري عليه وهو يفتري على الصاحي؛ فقلت له: لم لا تشتم الذي

---

[109] ـ من كتاب جمع الجواهر.

[110] ـ وَجَأَ فلاناً بالسكين أو بيده ضربه في أي موضع كان فهو موجوء والوجءُ هو اللّكزُ.

[111] ـ نوبهار بناء للبرامكة ببلخ. قال عمر بن الأزرق الكرماني: كانت البرامكة أهل شرف على وجه الدهر ببلخ قبل ملوك الطوائف وكان دينهم عبادة الأوثان فوصفت لهم مكة وحال الكعبة بها وما كانت قريش ومن والاها من العرب يأنون إليها ويعظمونها فاتخذوا بيت النوبهار مضاهاة البيت الله الحرام ونصبوا حوله الأصنام وزينوه بالديباج والحرير... وتفسير النوبهار البهار الجديد لأن نو الجديد. وكانت سُنتهم إذا بنوا بناء حسناً أو عقدوا باباً جديداً... كللوه بالريحان وتوخوا لذلك أول ريحان يطلع في ذلك الوقت. فلما بنوا ذلك البيت جعلوا عليه أول ما يظهر من الريحان وكان البَهار قسمي نوبهار لذلك. وكانوا يسمون السادن الأكبر برمك لتشبيههم البيت بمكة، فكان كل من ولي منهم السدانة برمكاً.
ولما فتح عبد الله بن عامر بن كريز خراسان أنفذ قيس بن الهيثم حتى قدم مدينة بلخ وقدم بين يديه عطاء بن السائب فدخل بلخ وخرب النوبهار.
وقال أبو بكر الصولي: حدثنا محمد بن الفضل المذاري عن علي بن محمد النوفلي قال: كان برمك يعمر النوبهار ويقوم به وهو اسم لبيت النار الذي كان ببلخ يعظم قدره بذلك، فصار ابنه خالد بن برمك بعده.

يشتمك؟ قال: لأن معه شيطاناً لا أقوى عليه، فالتفت إلي السكران وقال: يابن الفاعلة؛ أتحرضه علي؟ ورفع رجله من الأرض فشيعني بها موضحة[١١٢] ومر يعدو. فقال غفار: من هذا فررت.

[من نوادر أبي نواس]

ومر عثمان بن حفص الثقفي بأبي نواس وقد خرج من علة وهو مصفر الوجه، وكان قثمان أقبح الناس وجهاً.فقال له عثمان: مالي أراكَ مصفراً؟ فقال أبو نواس: رأيتك فذكرت ذنوبي. قال: وما ذِكْرُ ذنوبك عند رؤيتي؟ فقال: خفت أن يعاقبني الله فيمسخني قرداً مثلك.

ولما حبس الأمينُ أبو نواس دخل عليه خالُ الفضل بن الربيع[١١٣]، وكان يتعهَّدُ المحبوسين، ويسألُ عنهم وكانت فيه غفلةٌ، فأتى أبا نواس وقال: ما جرمُك حتى حُبست في حبس الزنادقة؟ أزنديق أنت؟ قال: معاذ الله. قال: أتعبد الكبش؟ قال: ولكني آكلهُ بصوفه. قال: أتعبد الشمس؟ قال: والله ما أجلِسُ فيها من بعضها، فكيف أعبدها! قال: أفتعبد الديك؟ قال: لا والله، بل آكله، ولقد ذبحت ألف ديك، لأن ديكاً نقرني مرة، فحلفت ألا أجد ديكاً إلا ذبحته. قال: فلأي شيء حُبست؟ قال: لأني أشربُ شرابَ أهل الجنة، وأنامُ خلفَ الناس. قال: وأنا أيضاً أفعلُ، ذلك، ثم خرج إلى الفضل فقال: ما تحسنون جوار الله تحبسون من لا ذنب له، سألتُ رجلاً في الحبس عن خبره، فقال كذا وكذا، وعرفه بكل ما جرى بينه وبين أبي نواس، فضحك ودخل على الأمين فأخبره الخبر، فأمر بتخليته للحال.

---

١١٢ ـ أوضحت الشجة في الرأس أي كشفت العظم، والموضحة الشجة التي بلغت العظم فكشفته.

١١٣ ـ الفضل بن الربيع بن يونس، أبو العباس: وزير أديب حازم. كان أبوه وزيراً للمنصور العباسي واستحجبه المنصور لما ولي أباه الوزارة. ولما آل الأمر إلى الرشيد واستوزر البرامكة كان الفضل من كبار خصومهم إلى أن ضربهم الرشيد تلك الضربة القاصمة. قال صاحب غربال الزمان: وكانت نكبتهم على يديه، وولي الوزارة إلى أن مات الرشيد، واستخلف المأمون فأقره في وزارته فعمل على مقاومة المأمون، ولما ظفر المأمون استتر الفضل سنة ١٩٦هـ، ثم عفا عنه وأهمله طيلة حياته، وتوفي بطوس سنة ٢٠٨هـ.

[الأمين يحبس أبا نواس]

وكان أبو نواس حُبس فيي أيام الأمين مرتين؛ إحداهما أنه بلغ الأمين قوله[١١٤]:

ومستعبد إخوانه بثرائه　لبسْتُ له كبراً أبرَّ على الكبر
إذ ضمَّني يوماً وإياهلاِ مَجْلسٌ　رأى جانبي وَعراً يزيدُ على الوعرِ
أُخالِفه في شَكلِه وأجرُّهُ　على المنطق المنزور والنظَرِ الشَّزر
فوالله لا ألوِي لساني بحاجةٍ　إلى أحدِ حتى أُوَسَّدفي قبري
وقد زادني تيهاً على الناس أنني　أرانيَ اغناهم وإن كنتُ ذا فَقرِ
فلو لم أنل فخراً لكانت صيانتي　فمي عنجميع الناس حَسبِيَ من فخر
فلا يطمعنَّ في ذاك مني طامع　ولا صاحبُ التاجِ المحجب في القصر

فقال: وبلغ بك الأمر إلى أن تعرض بي في شعر بأبن اللخناء[١١٥]! فقال سليمان بن أبي جعفر[١١٦]: هو والله يا أمير المؤمنين زنديق، وقد شهد عندي جماعة أنه شرب ماء مطر مع خمر، فقيل له: لم فعلت ذلك؟ قال: لأشرب الملائكة فإنه كان مع كل قطرة ملك، فأمر بحبسه فقال[١١٧]:

يا رب إن القومَ قد ظلموني　وبلا اقترافِ خطيئةٍ حبسوني
وإلى الجحودِ بما عليه طوَيتي　بالزور والبهتان قد نسبوني

---

[١١٤] ـ ديوانه ص ٥٩٧.

[١١٥] ـ لَجِن أنتن، كان منتن المغاين وهي مطاوي الجسد، فهو ألخن ومؤنثها لخناء، ويقال (ابن اللخناء) أي لخنَ.

[١١٦] ـ من ولاة البصرة أيام هارون الرشيد العباسي.

[١١٧] ـ ديوانه ص ٥٩٦.

أما الأمين فلستُ أرجو دَفْعَه عنَي فمن لي اليومَ بالمأمونِ

فقال المأمون لما بلغه ذلك: والله لئن أدركته لأُحسن إليه، فمات قبل دخول المأمون بغداد.

ولما دخل بها سنة أربع ومائتين وأتاه الشعراء يمدحونه قال: ما فعل أبو علي الحسن بن هاني؟ قالوا: توفي، فلم يسمع منهم شعراً وتوجع وقال: لقد ذهب ظرف الزمان بموته، وانحطت رتبة الشعر بذهابه.

وكان أبو نواس في آخر أيام الأمين مستخفياً فلم يظهر حتى قُتلَ؛ لأنه كان أملح الناس وجهاً، وكان أبو نواس إذا نظر إليه بقي باهتاً فقال فيه[١١٨]:

عُذب قلبي ولا أقولُ بمن أخاف مَن لا يخافُ من أحَدِ

إذا تفكرت في هواي له مست رَأسي هل طار من جَسَدِي

إني على ما ذكرتُ من فَرقي لآمل أن أناله بيدي

وقال:

يا قاتل الرجلَ البريَّ (م) وسالباً عز المليك

كيف السبيلُ لِلثم سا لفتيك أو تقبيل فِيك

الله يعلمُ أنني أهوى هواك وأشتهيك

وأضُدُّ عنك حذارِ أن تقعَ الظنونُ عليّ فيك

---

[١١٨] - ديوانه ص ٤٢٥.

[الصياد والملك] [١١٩]

(مائة ليلة وليلة)

وقد زعموا أن صياداً أتى بسمكة إلى بعض الملوك فأعجبته فأمر له بأربعة آلاف درهم [١٢٠] فقالت له/ زوجته:

ــ ما فعلت شيئاً. أمرت لصياد بأربعة آلاف درهم في سمكة واحدة، فما تأمر لصاحب درة؟

فقال لها:

ــ ما أصنع وأنا أمرت بذلك ولا يستقيم لمثلي أن يرجع فيما أمر به [١٢١].

ــ إذا جاء غداً فقل له: (السمكة التي أتيتني بها ذكر أم أنثى؟) فإن قال: (أنثى) فقل له: (لا يقع بصري عليك حتى تأتيني بالذكر) وإن قال ذكر فقل له ائتني بالأنثى).

فلما كان في اليوم الثاني جاء الصياد إلى الملك فسأله كما قالت له الجارية فقال الصياد:

ــ أضحلك الله الأمير. إنها خنثى، لا هي ذكر ولا هي أنثى [١٢٢].

قال: فضحك الملك وأمر له بأربعة آلاف درهم.

فلما خرج الصياد بالدراهم سقط له درهم على الأرض. فأبى أن يتركه فتناوله من الأرض. فنظرت إليه امرأة الملك فقالت:

---

[١١٩] ـ من كتاب مائة ليلة وليلة. تحقيق محمود طرشونة. طبعة ليبيا ـ تونس: الدار العربية للكتاب ١٩٧٩.

[١٢٠] ـ ح: أبعمائة دينار. ت: أربعة آلاف دينار.

[١٢١] ـ ح: ما أصنع، ولا ينبغي للملوك أن يعودوا في أعطياتهم. ب٢: ولا يليق بمثلي الرجوع فيما أمرت به.

[١٢٢] ـ التفسير من ت: أما ب ١ وب٢ وح فقد اتفقت على الجواب التالي: (إنها بكر لم تتزوج).

ــ ما رأيت أقل حياء[١٢٣] من هذا الصياد: سقط له درهم واحد من دراهم كثيرة فأبى أن يتركه لأحد أعواننا.

ــ سقط لك درهم واحد من عدد كثير في قصرنا فانحنيت من أجله وأبيت أن تتركه.

فقال له الصياد:

ــ أعز الله الملك، رأيت في الدرهم اسمك الكريم فرفعته من الأرض إجلالاً لك لئلا تطاه الأقدام[١٢٤].

فأمر له بأربعة آلاف درهم أخرى وكتب على باب المدينة: (إن من العدم مطاوعة النساء)[١٢٥].

وهنا أدرك شهرزاد الصبح فسكتت عن الكلام.

[حكاية الصياد]

قالت بلغني أيها الملك السعيد أنه كان رجلاً صياداً وكان طاعناً في السن وله زوج وثلاثة أولاد وهو فقير الحال وكان من عادته أنه يشبكته كل يوم أربع مرات لا غير ثم إنه خرج يوماً من بعض الأيام في وقت الظهر وأتى إلى شاطئ البحر وحط مقطفه وشمر قميصه وخاض في البحر وطرح شبكته وصبر إلى أن استقرت في الماء وجمع خيطانها فوجدها ثقلت فجذبها فلم يقدر على ذلك فجاء بالطرف للبر ودق وتدأً ربطها وتعرى وغطس في الماء حول الشبكة وما زال يعافر حتى أطلعها ففرح وطلع ولبس ثيابه وأتى إلى الشبكة

---

[١٢٣] ـ ت: ما رأيت أخسّ من هذا الصياد.

[١٢٤] ـ ت: إني رأيت في الدرهم صورة وجهك الكريم، والجهة الأخرى عليها اسم الله تعالى.

[١٢٥] ـ أ: إن من الحزم عدم مطاوعة النساء.

فوجد فيها حماراً ميتاً وقد خرق الشبكة فلما رأى ذلك حزن وقال لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ثم إن الصياد قال إن هذا الرزق عجيب وأنشد يقول:

يَا خَائِضاً فِي ظَلاَمِ اللَّيلِ وَالْهَلَكَهْ ا ۟قْصِرْ عَنَاكَ فَلَيْسَ الرِزْقُ بالْحَرَكه

أما تَرَى الْبَحرَ وَالصَّيادَ مُنْتَصِباً لِرِزْقِه وَنُجُومُ اللَّيلِ مُحْتَبِكه

قَدْ خَاضَ فِي وَسْطِهِ وَالْمَوْجُ يَلطِمُهُ وَعَيْنُهُ لَم تَزَلْ فِي كَلْكَلِ الشَّبَكَة

حَتَّى إذَا بَاتَ مسرُوراً بِلَيْلَتِهِ بِالْحُوْتِ قَد شَقَّ سَفُّودُ الرَّدى حَنَكَه

إبْتَاعَهُ مِنْهُ مَنْ قَدْ بَاتَ لَيْلَتَهُ سَالِمٍ مِنَ البَرْدِ فِي خَيْرٍ مِنَ الْبَرَكَه

سُبْحَانَ رَبَيَ يُعْطِي ذَا وَيَحْرِم ذَا هذَا يَصِيدُ وَهذَا يَأْكُلُ السَّمَكَهْ

ثم قال هيا لابد من كرامة إن شاء الله تعالى وأنشد يقول:

وَإذَا بُلِيْتَ بِعُسْرَةٍ فَالْبَسْ لَهَا صَبْرَ الْكَرِيْمِ فَإنَّ ذلِكَ احْزَمُ

لاَ تَشْكُوَنَّ إلَى الْعِبَادِ فَإنَّمَا تَشْكُو الرَّحِيْمِ إلَى الَّذِي لاَ يَرْحَمُ

ثم خلصه من الشبكة وعصرها فلما فرغ من عصرها نشرها وخاض البحر وقال بسم اله وطرحها وصبر عليها حتى استقرت فثقلت ورسخت أكثر من الأول فظن أنه سمك فربط الشبكة وتعرى ونزل وغطس إلى أن خلصها وعاقر إلى أن طلعها على البر فوجد فيها زيراً كبيراً وهو ملآن رمل وطين فلما رأى ذلك ـاسف وأنشد يقول:

يَا حُرْقَةَ الدَّهْرِ كُفّي اِنْ لِمْ تُكَفَّيْ فَعُفي

خَرَجْتُ أَطْلُبُ رِزقِي وَجَدتُ رِزقِي تُوُفَّيْ

كَمْ جَاهِلٍ فِي الثرَيَّا وَعَالِمِ فِي الثَّرَا مَخفِي

ثم إنه رمى الزير وعصر شبكته ونظفها واستغفر الله تعالى وعاد إلى البحر ثالث مرة ورمى الشبكة وصبر عليها حتى استقرت وجذبها فوجد فيهاشقافاً وقوارير وعظاماً فاغتاظ جداً وبكى وأنشد يقول:

هُوَ الرزْقُ لاَ حلٌّ لَدَيْكَ وَلاَ رَبْطُ وَلاَ أَدَبُ يُعطِيكَ رِزْقاً وَلاَ خَطُّ

وَلاَ الْحَظُّ وَالأَرْزَاقُ إِلاَّ مُقَسَّمُ فَأَرْضَ بِهَا خِصبُ وَأَرْض بِهَا قَحْطُ

تَحُطُّ صُرُوفُ الدَّهْرِ كُلَّ مُهَذَّبِ وَتَرفعُ مَنْ لاَ يَسْتَحِقُّ لَهُ الْحَظُّ

فيَا موْتُ زُرْ أنَّ الْحَياة ذَمِيْمَة إذَا انحَطَّتِ البَازَاتُ وَارْتَفَعَ الْبَطُّ

فَلاَ عَجَباً إنْ كُنتَ عَايَنْتَ فَاضِلاً فَقِيْراً وّذا نَقْصِ بِدَوْلَتِهِ يَسْطُو

فَطَيْرٌ يَطُوفُ الأَرْضَ شَرْقاً وَمَغرِباً وَآخَرُ يُعطَى الطَّيبَاتِ وَلاَ يخْطُو

ثم إنه رفع رأسه إلى السماء وقال: اللهم إنك تعلم أني لم أرم شبكتي كل يوم إلا أربع مرات وقد رميت ثلاثاً ولم يأتني شيء فارزقني اللهم في هذه المرة برزقي ثم إنه سمى الله ورمى الشبكة في البحر وصبر إلى أن استقرت وجذبها فلم يطق جذبها وإذا بها اشتبكت في الأرض فقال لا حول ولا قوة إلا بالله ثم أنشد:

أُفَّ لِلدُّنيا إذَا كَانتء كَذَا أَنَا فِيهَا فِي بَلاَءِ وَأَذى

إنْ صَفا عَيْشُ امْرِئ فِي صُبْحِهَا جرَّعَتْهُ مُمسِياً كَاس الرّدَى

وَلَقَدْ كُنْتُ إذَا مَا قِيْلَ مَنْ أَنعَمُ الْعَالَمِ عَيْشاً قِيلَ ذَا

وتعرى وغطس عليها وصار يجاهد فيها إلى أن طلعت على البر وفتح الشبكة فوجد فيها قمقم نحاس أصر ملآن وفمه مختوم برصاص عليه طبع خاتم سيدنا

سليمان بن داود عليهما السلام فلما رآه الصياد فرح وقال هذا أبيعه في سوق النحاس فإنه يساوي عشرة دنانير ذهب ثم إنه حركه فوجده ثقيلاً ووجده مسدوداً فقال في نفسه يا ترى أيش في هذا القمقم أفتحه وأنظر ما فيه وبعده أبيعه ثم إنه أخرج سكيناً وعالج في الرصاص إلى أن فكه من القمقم وحطه إلى جانب الأرض وهزه لينكب ما فيه فلم ينزل منه شيء فتعجب غاية العجب ثم إنه خرج من القمقم دخان صعد إلى عنان السماء ومشى على وجه الأرض وبعد ذلك تكامل الدخان واجتمع والتم وانتفض فصار عفريتاً رأسه في السحاب ورجلاه في التراب برأس كالقبة بأيد كالمداري برجلين كالسواري بفم كالمغار وأسنان كالحجارة ومناخير كالإبريق وعينين كأنهما سراجين أعبس أغلس فلما رأى الصياد ذلك العفريت ارتعدت فرائصه ةتشبكت أسنانه ونشف ريقه وعمي عن طريقه فلما رآه العفريت قال لا إله إلا الله سليمان نبي الله ثم قال العفريت يا نبي الله لا تقتلني فإني لا عدت أخالف لك قولاً ولا أعصي لك أمراً فقال له الصياد أيها المارد تقول سليمان نبي الله وسليمان مات من مدة ألف وثمانمائة سنة ونحن في آخر الزمان فما قصتك وما حديثك وما سبب دخولك في هذا القمقم قال فلما سمع المارد كلام الصياد قال لا إله إلا الله أبشر يا صياد، فقال الصياد بماذا تبشرني فقال بقتلك في هذه الساعة شر قتلة. قال الصياد تستاهل على هذه البشارة يا قيم العفاريت بزوال الستر عنك يا بعيد لأي شيء تقتلني وأي شيء يوجب قتلي وقد خلصتك من القمقم ونجيتك من قرار البحر وطلعت بك إلى البر فقال العفريت تمن علي أي موتة تموت بها وأي قتلة تقتل بها. فقال الصياد ما ذنبي وما جزائي منك؟ قال العفريت: اسمع حكايتي يا صياد. قال الصياد قل وأوجز في الكلام فإن روحي وصلت إلى أنفي فقال اعلم يا صياد إني من الجن المارقين وقد عصيت سليمان بن داود عليهما السلام أنا وصخر الجني فأرسل لي وزيره آصف بن برخيا فأتى بي كرهاً وقادني وأنا ذليل على رغم أنفي وأوقفني بين يديه فلما رآني سليمان استعاذ مني وعرض عليّ الإيمان والدخول تحت طاعته فأبيت فدعا بهذا القمقم وحبسني فيه وختم عليَّ بالرصاص وطبعه بالاسم الاعظم وأمر الجن فاحتملوني وألقوني في وسط البحر فأقمتماية عام وقلت في قلبي كل من خلصني أغنيته إلى الأبد فمرت ماية عام ولم يخلصني

أحد ودخلت علي ماية أخرى فقلت كل من خلصني فتحت له كنوز الأرض فما خلصني أحد فمر علي أربعماية عام أُخر فقلت لك من خلصني أقضي له ثلاث حاجات فلم يخلصني أحد فغضبت غضباً شديداً وقلت في نفسي كل من خلصني في هذه الساعة قتلته ومنيته كيف يموت وها أنت قد خلصتني ومنيتك كيف تموت. فلما سمع الصياد كلام العفريت قال يا الله العجب أنا ما جئت أخلصك إلا في هذه الأيام. ثم قال الصياد للعفريت أعف عن قتلي يعف الله عن قتلك ولا تهلكني يسلط الله عليك من يهلكك فقال المارد لا بد من قتلك فتمن عليّ أي موتة تموتها فلما تحقق ذلك منه الصياد راجع العفريت وقال اعف عني إكراماً لما أعتقتك فقال العفريت وأنا ما أقتلك إلا لأجل ما خلصتني فقال له الصياد يا شيخ العفاريت أصنع معك مليحاً تقابلني بالقبيح ولكن لم يكذب المثل حيث قال هذا الشعر:

فَعَلْنَا جميلاً قَابَلُونَا بِضِدِهِ   وَهذَا لَعَمْرِي مِنْ فِعالِ الْفَواجِرِ

وَمَن يَفْعَل الْمَعْرُوفَ مَعْ غَيْرِ أَهْلِهِ   يُجازَى كَمَا جُوزِي مُجِيْرُ أُم عَامِرِ

فلما سمع العفريت كلامه قال له لا تطل فلا بد من موتك. فقال الصياد هذا جني وأنا إنسي وقد أعطاني الله عقلاً كاملاً وها أنا أدبر في هلاكه بحيلتي وبعقلي وهو يدبر بمكره وخبثه ثم قال للعفريت لا بد من قتلي، قال نعم. فقال له بالاسم الأعظم المنقوش على خاتم سليمان بن داود عليهما السلام أسألك عن شيء وتصدقني فيه قال نعم ثم إن العفريت لما سمع ذكر الاسم الاعظم اضطرب واهتز وقال له سل وأوجز، فقال له أنت كنت في هذا القمقم والقمقم لا يسع يدك ولا رجلك فكيف يسعك كلك؟ فقال له العفريت وأنت لا تصدق أنني كنت فيه فقال الصياد لا أصدقك أبداً حتى أنظرك بعيني فأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الرابعة قالت لها أختها أتمي لنا حديثك إن كنت غير نائمة فقالت بلغني أيها الملك السعيد أن الصياد قال للعفريت لا أصدّقك أبداً حتى أنظرك

بعيني، فقد انتفض العفريت وصار دخاناً على البحر واجتمع ودخل القمقم قليلاً قليلاً حتى استكمل الدخان داخل القمقم وإذا بالصياد أسرع وأخذ سدادة الرصاص المختومة وطبعها على فم القمقم ونادى على العفريت وقال له تمن عليَّ أي موتة تموتها، والله لأرمينك في هذا البحر وأبني لي هنا بيتاً وكل من أتى هنا أمنعه أن يصطاد وأقول له هنا عفريت كل من طلع به يمنّيه كيف يموت وكيف يقتله فلما سمع العفريت كلام الصياد ورأى نفسه محبوساً وأراد الخروج فلم يقدر ومنعه خاتم سليمان، وعلم أن الصياد تحايل عليه فقال أنا كنت أمزح معك، فقال له الصياد تكذب يا أحقر العفاريت وأقذرها وأصغرها، ثم إن الصياد أخرج القمقم إلى جانب البحر فقال له العفريت لا لا، فقال الصياد أي أي، ورقق المارد كلامه وتخضع وقال ما تريد تصنع بي يا صياد، قال ألقيك في البحر إن كنت أقمت فيه ألفاً وثمانماية سنة، فأنا أخليك تمكث فيه إلى أن تقوم الساعة. أنا ما قلت لك ابقني يبقك الله ولا تقتلني يقتلك الله فأبيت قولي وما أردت إلا أن تغدر بي فأرماك اله في يدي فغدرت بك فقال العفريت افتح لي حتى أحسن إليك، فقال له الصياد تكذب يا ملعون أنا مثلي ومثلك مثل وزير الملك يونان والحكيم دوبان فقال العفريت وما وزير الملك يونان والحكيم دوبان وما قصتهما.

المقَامَةِ القِرْديَّة[126]

(من مقامات بديع الزمان الهمداني)

حدثنا عيسى بن هشام قال: بينما أنا بمدينة السلام. قافلاً من البلد الحرام[127]. أميس ميس الرجلة. على شاطئ الدَّجلة[128]. أتأمل تلك الطرائف. وأتقصى تلك الزخارف[129]. إذ انتهيت إلى حلقة رجال مزدحمين يلوي الطرب أعناقهم[130]. ويشقُّ الضحك أشداقهم. فساقني الحرص إلى ما ساقهم[131]. حتى وقفت بمسمع صوت رجل دون مرأى وجهه لشدَّة الهجمة. وفرط الزحمة[132]. فإذا هو قراد

---

[126] ـ من مقامات بديع الزمان الهمداني أبي الفضل أحمد بن الحسين بن يحيى المتوفي ٣٩٨هـ، تحقيق الإمام محمد عبده.

[127] ـ مدينة السلام: مدينة بغداد. وقافلاً: أي راجعاً. والبلد الحرام: مكة.

[128] ـ أميس: من ماس إذا تبختر. الرجلة: جمع رجل أي أمشي كما يمشي الرجال على شاطئ نهر الدجلة وهو نهر بغداد شقيق الفرات.

[129] ـ الطرائف: جمع طريفة وهي الطرفة الأمر المعجب المستحسن. والتقصّي: المبالغة في طلب الوقوف على دقائق شيء. فهو يتقصى الزخارف بنظره حتى لا يفوته منها فائت.

[130] ـ أي أن الطرب أخذ منهم حتى إنه ليميل أعناقهم من جانب إلى جانب. وهذه عادة الطرب يميل بعنقه ويضطرب بجميع بدنه.

[131] ـ حرصه على الاستقصاء ساقه إلى ما ساقهم حرصهم إليه وهو ما التفوا حوله فاندفاعه إلى ما اندفع إليه الجماعة وطلبه الوقوف حيث وقفوا هو حرصه على العلم بما يرى. أما حرصهم فريما لا يكون إلا على استملاح المجون.

[132] ـ أي وقف بحيث يسمع صوت الرجل ولا يرى وجهه لشدة ما يسرع الناس للوقوف عليه. وشدة الهجمة: مِنْ هجم البرد أسرع دخوله. والفرط: الإفراط ومجاوزة الحد أي لبلوغ الازدحام إلى حد يفوق المعروف منه.

يرقص فردهُ. ويضحك من عنده. فرقصت رقص المُحرج[١٣٣]. وسرت سير الأعرج[١٣٤]. فوق رقاب الناس يلفظُني عاتق هذا لِسرَّة[١٣٥] ذاك. حتى افترشتُ لِحية رجُلين. وقعدتُ يعد الأين[١٣٦]. وقد أشرقني الخجل بريقه. وأرهقني[١٣٧] المكان بضيقه. فلما فرغ القرادُ من شُغله. وانتفض[١٣٨] المجلس عن أهله. قُمتُ وقد كساني الدّهشُ حُلتهُ[١٣٩]. ووقفت لأرى صورته. فإذا هو والله أبو الفتح الإسكندري. فقلت ما هذه الدَّناءةُ ويحك! فأنشأ يقول:

الذنبُ لِلأيامِ لاَ لِي   فَاعْتِب عَلَى صَرْفِ اللَّيَالِي[١٤٠]

بِالحُمْقِ أدْرَكتُ المُنَى   وَرَفَلْتُ فِي حُللِ الجَمَالِ[١٤١]

---

[١٣٣]- أرقص القرد: حمله على اللعب في وثباته وحركاته المعروفة. أما رقص عيسى بن هشام فهو نزواته ووثباته في الإسراع إلى مكان منه القراد وقرده. والمحرج: الكلب المقلد بالحرج أي الودع ولا يقلد بذلك حتى يكون معلماً وهو إذا اشتد في الجري كان كل شده وثباً وقفزاً

[١٣٤]- سير الأعرج: لا يخلو من صعود وهبوط وانحدار إلى الجوانب. ومن يسرع في المزدحم فهذا سيره.

[١٣٥]- الناس جلوس وليس بينهم فرج يطأها في سيره للوصول إلى حيث يرى القرد فكان يسير فوق أعناق الناس يلفظه أي يرميه عاتق الأول إلى سرة الثاني أي بطنه. عبر عن البطن بالسرة لأن السرة في وسط البطن فإذا رمى إليها فقد رمى إلى البطن.

[١٣٦]- انتهى سيره إلى آخر الحلقة من قبل القراد وليس فيها مكان للجلوس على الأرض فجلس بين رجلين كأن نصف مجلسه على وجه أحدهما ونصفه على وجه الآخر فقد افترش لحيتيهما وهو مبالغة في شدة الازدحام. والأين: الإعياء من التعب. ويروي: بين أثنين بدل بعد الأين.

[١٣٧]- أصل المثل أشرقت فلاناً بريقه إذا وقفت دون ما يريد من قول وفعل. ولكنه يريد أن الخجل أجرى من لساني ريقاً غزيراً حتى أغصني به لكثرته فإضافة الريق إلى الخجل إضافة السبب لى المسبب. وهكذا يقال: الخجل يسيل الريق والخوف يجففه. وأرهقه: كلفه من المشقة ما لا يطاق لضيقه. ويروى: أزهقني بالزاي المعجمة من قولهم: أزهق السهم عن الهدف إذا أجازه عنه كأن المكان لضيقه ألقاه خارجاً عنها.

[١٣٨]- كأن المجلس طائر ينفض ما على جناحيه من ماء أو تراب ليميطه عنهما وهو ينتفض: أي يهتز لنفض ما على بدنه من ذلك. والمراد خلو المجلس من أهله.

[١٣٩]- الدهش: الذهول. وحلة الدهش: ما يظهر على الوجه وسائر الأعضاء من علاماته وآثاره.

[١٤٠]- صرف الليالي: ما تتصرف به في الناس من نوائبها.

[١٤١]- أراد من الحمق التحامق والتباله فإن صاحب الحيلة ليس بأحمق. وكثيراً ما أفاد الحمق أهله عند أهله وأكسبهم أعظم أمانيهم لديهم. ورفل في حلله وأثوابه إذ جر ذيولها متبختراً. أراد أنه بحمقه كسي في نظر الناس جمالاً ضافياً يرفل في أثوابه أو أنه بالحمق كسب المال فاكتسى به أفخر الثياب وهي مجلبة الجمال.

المقامات الواسطية

من مقامات الحريري

حكى الحارثُ بن همَّام قال: ألجأني حُكم دهر قاسط، إلى أن أنتجع أرض واسط، فقصدتها وأنا لا أعرفُ بها سكناً، ولا أملكُ فيها مسكناً، ولما حللتُها حُلول الحوت بالبيداء، والشعرة البيضاء في اللمة السوداء، قادني الحظ والناقص، والجد الناكص، إلى خان ينزله شذاذ الآفاق، وأخلاطُ الرفاق، وهو لنظافة مكانه وظرافة سُكانه؛ يُرغب الغريب في إيطانه، وينسيه هوى أوطانه، فاستفردت منه بحُجرة، ولم أُنافس في أجرة، فما كان إلا كلمح طرف، أو خط حرف، حتى سمعت جاري بيت بيت، يقول لنزيله في البيت؛ قُم يا بني لأقعد جدك، ولا قام ضدُّك، واستصحب ذا الوجه البدري؛ واللون الدري، والأصلُ النقي، والجسم الشّقي؛ الذي قُبض ونُشِر، وسُجِن وشُهرَ وسُقي وفُطمَ، وأُدخل النار بعد ما لُطم؛ ثم اركض إلى السوق، ركض المشوق، فقابض به الاقح الملقح؛ المُفسد المُصلح؛ المُكمِد المُفرح، المُعني المُرَوح، ذا الزفير المُحرِق والجَنيين المُشرق؛ واللّفظ المقنِع، والنَّيل الممتِع؛ الذي إذا طُرِق، رَعَدَ وبَرَقَ، وبَاحَ بالحُرَق، ونفث في الخِرقَ، قال فلما قرَّت شِقْشِقَةُ الهادِر، ولم يبق إلاَّ صَدر الصَّادر، برز فتى يَمِيس، وما معهُ أنيس، فرأيتُها عُضلة تلعَب بالعُقُول، وتُغرى بالدخُول في الفضول، فانطلقتُ في أَثَر الغُلاَم، لأخبُرَ فَحْوى الكلام، فلم يَزل يسعى سَعْي العفاريت ويتفقدُ نَضَائد الحوانيت، حتى انتهى الرَّوَاح، إلى حِجَارة القدَّاح، فناوَل بائِعها رغيفاً، وتناوَل حِجراً لَطِيفا فعجبت من فَطانة المُرسِل والمرْسَل، وعلمْتُ أنها سَرُوجِيَّة وإن لم أسْأل، وَما كذَّبْتُ أَنْ بَادَرت إلى الخَان، مُنطَلِق العِنان، لأنظر كُنهَ فهمي، وهل قَرطس في التَّكَهُّنِ سَهْمِي فإذا أنا في الفَراسَة فارس، وأبُو زَيدِ بوصيدِ الخانِ جاليس، فتهادينا بُشرى الالتقاء، وتقارضنا تحِيةَ الأصدقاء، ثم قال ما الذي نابَك حتى زَايلتَ جنابك، فقلتُ دهرٌ هاض، وجورٌ فاض؛ فقال والذي أنزَل المطر من الغَمام، وأخرَجَ الثَّمر مِن الأكمام؛ لقد فسد الزَّمان، وعمَّ العُدوان، وعُدِم المعون، والله المُسْتعان، فكيف أفلتَّ، وعلى أيَّ وصفَيكَ أجفلتُ، فقلت اتخذتُ اللّيلُ قَمِيصاً، وَأدلَجت فيه

خميصاً فأطرق ينكت في الأرض ويُفَكِّر في ارتياد القرض والفَرض، ثم اهتزَّ هِزَّة مَن أكتبهُ قنص؛ أو بدت له فُرص، وقال قد علِق بقلبي أن نصاهِر من يَأسُو جِراحَك، ويَرِيشُ جَناحَك؛ فقلتُ وكيفَ أجمعُ بينَ غُل وقُل، ومن الذي يرغبُ في ضلَّ بن ضُل، فقال أنا المشِيرُ بِكَ وَالَيكَ، وَالوَكيِلُ لك وعليك، مع أنَّ دِين القوم جبرُ الكسِير وفكُّ الأسِير، واحتِرامُ العَشير، واسْتِنصاحُ المُشِير، إلاَّ أنَّهُم لو خطب إليهم إبراهيم ابنُ أدهَم، أو جَبلة بن الأيهَم، لمَا زوجُوه إلا على خمسمائة درهم أقتِدَاء بِما مَهَرَ الرَّسُولُ (ص) زَوْجاتِه، وعَقَد بِهِ أَنْكِحَةً بَنَاتِه على أنك لن تُطالب بِصداق، ولا تُلْجأ إلى طلاق، ثم إني سأخطُبُ في موقف عقدك، ومجْمَع حشدِك؛ خُطبة لم تفتُق رتق سِمْعَ؛ ولا خُطِبَ بِمِثلِهَا في جمع. قال الحارث بن همام: فازدَهاني بِوصف الخُطبَة المَتْلُوَّة، دونَ الخطبة المَجلُوَّة حتى قلتُ له قد وَكلتُ إليك هذا الخطب، فَدَبِّرْهُ تدبير من طب لمن حب، فنهض مُهَرولاً؛ ثم عاد مُتَهَلِلاً، وقال أَبْشِر بإعتاب الدَّهر، واختلاب الدر؛ فقد وليتُ العقد، وأَكفلتُ النَّقد وكأن قد ث أخذ في مواعدةِ أهل الخان، وإعداد حَلْوَاء الخِوان، فلما مدَّ اللَّيل أطنابه، وأغلَقَ كلَّ ذي بابٍ بابَه، أذَّنَ في الجماعَةَ: ألا احضِرُوا في هذه الساعة، فلم يبق فيهم إلاَّ من لبَّى صوتَه، وحضرَ بيته، فلما اصطفُّوا لديه، واجتَمَع الشَّاهدُ والمشهُودُ عليه؛ جعل يرفعُ الأُضطرلاب ويضعُه، ويلحظ التَّقويم ويدعه، إلى أن نَعَس القومُ، وغشِيَ النَّوم، فقلت يا هذا ضع الفأس في الرَّأس، وخلص الناس من النعاس، فنظر نظرةً في النُّجُوم، ثم انتشط من عُقلِة الوُجُوم، وَاقسَمَ بالطُّور، والكِتاب المسطور لينكشفَنَّ سرُّ هذا الأمر المستور؛ وَلينتشرنَّ ذكره إلى يوم النُّشور، ثم إنه جثا على رُكبتِه، واسترعى الأسماع لخُطبته، وقال الحمد لله المَلِكِ المحمُود المالِك الودود مصرو كل مولود، ومآل كل مطرود، ساطِح المِهاد؛ ومُوطد الأَطواد؛ ومُرسِلِ الأمْطار، ومُسهِلِ الأوطَارِ وعَالِم الأسرار ومَذرِكِها ومُدمر الأملاك ومهلكها، ومُكَور الدهور ومكررها ومورد الأمور ومصدرها عم سماحُهُ وكمل وهطل رُكَامُهُ وَهَمَل وطاوَع السُّول والأَمل وأوسعَ المُرمِل والأزمل، أحمَدُهُ حمداً ممدوداً مداه، وأُوَحدُهُ كما وحَّده الاوَّاهُ، وَهُوَ الله لا إله للأُمَمِ سِوَاه، ولا صادِع لما عدَّلَهُ وسوَّاه، أرسَلَ محمداً عَلماً للإسلام وإماماً للحُكام ومُسدداً للِرعاع، ومُعطلاً

أحكام ود وسواع، أعلمَ وعلم وحكم وأحكَم، وأصل الأُصُول ومَهَّدَ، وأكدَ الوُعُود وأوعَدَ واصل اللهُ له الإكرام، رَوحَهُ دار السلام، ورَحِم آلهُ الكِرام، ما لمَعَ ألِ، وملع رال، وطلع هلال، وسُمِع اعلمُوا رعاكم اله أصلح الأعمال، واسلُكُوا مسَالِكَ الحلال واطرحوا الحرام ودعوه، واسمعُوا أمرَ اللهِ وعُوه وصِلوا الأرحامَ وراعُوها، وعاصُوا الأهواء واردعُوها، وصاهِروا لُحَم الصلاح والورع، وصارموا رهط اللهو والطمع، ومُصاهِرُكم أطهَرُ الأحرار مَولِداً، وأسرُهم سُوددا، وأحلاهم مورِداً، وأصحُّهم موعداً، وها هو أمَّكُم حل حرمُكم مملكاً عَرُوسكم المُكرمة، وماهراً لها كما مهَر، الرَّسول أُم سلمة وهو أكرم صِهر أُودِعَ الأولاد، وملكَ ما أراد، وماسها مُملكَةٌ ولا وهِم، ولا وكس مُلاحِمُهُ ولا وُصِم، أسألُ الله لَكُم إحماد وِصالِهِ وَدَوَامَ إسعادِهِ، وألهمَ كلا، إصلاح حالِهِ والإعدادَ لِمعادِهِ ولهُ الحمدُ السرَّمَد، والمدحُ لِرَسولِه محمد... فلمَّا فرغ من خطبته البديعة النظام العرية من الإعجام، عقدَ العقدَ على الخمس المثين، وقال لي بالرفاء والبنين، ثم أحضرَ الحلواء التي كان أعدَّها وأبدى الآبِدة عندها، فأقبلتُ إقبال الجماعة عليها، وكِدتُ أهوي بيدي إليها، فزجرني عن المُؤاكلةِ وأنهضني للمناولة، فوالله ما كان بِأسرع من تصافُح الأجفان، حتى خرَّ القومُ لِلأذقان، فلما رأيتُهُم كأعجاز نخلٍ خاويةٍ أو كصرعى بِنتِ خابية، عَلمتُ إنها لإحدَى الكِبر، وأُمُّ العِبر، فقلتُ له يا عُدَيَّ نفِسه؛ وعُبيد فلسِه، أعددت للقوم حلوى، أم بَلوى، فقال لم أعدُ خبيص البنج، في صِحافِ الخلنج، فقلتُ أُقسِمُ بِمَن أطلعها زُهراً، وهدى بها السَّارين طُرّا؛ لقد جئت شيئاً نُكراً، وأبقيتَ لك في المُخزياتِ ذِكرا؛ ثم جِرت فِكرةَ في صيور أمره؛ وخيفة من عدوى عره، حتى طارت نفسي شعاعاً، وأُرعدت فرائِصِي ارتياعاً؛ فلما رأى استطارةَ فرقي، واستشاطه قلقي، قال ما هذا الفكرُ المرمِض، والرَّوعُ المومض، فإن يكُن فكرُك في أجلي، من أجلي، فأنا الآن أرتعُ وأطفِر؛ وأُقوي هذه البقعة مِني وأُقفر، وكم مِثلهم فارَقْتُها وهي تصفر، وإن يكُن نظراً لِنفسك، وَحَذراً من حبسك، فتناول فُصالة الخبيص، وطب نفساً عَنِ القميص، حتى تأمن المُستعدي والمُعدي، ويتَمهدَ لك المُقامُ بَعدِي، وإلاَّ فالمفر المقرَّ، قبل أن تُسحب وتُجَرَّ، ثم عَمَد لاستِخراج ما في البُيُوت، مِنَ الأكياسِ والتُّخُوت، وجعل يستخلص خالصة كل

مخزون ونُخبة كل مذروع وموزون، حتى غادَرَ ما ألغاهُ فخُّه، كعظم استُخرِجَ مُخُّه، فلما همَّنَ ما اصطفاهُ ورزم وشَمَّر عن ذراعيه وتَحزَّمَ، أقبل عليَّ إقبالَ من لبِسَ الصَّفَاقة، وخَلع الصَّداقة، وقال هل لك في المُصاحبة إلى البطيحة، لأُزوجك بأُخرى مليحة، فأقسمت له بالذي جعلهُ مُباركاً أَينما كا، ولم يجعَلهُ مِمن خانَ في خان، إنه قِبل لي بنكاح حُرتَين، ومُعاشرةِ ضَرَّتَين، ثم قلتُ له قولَ المُتطبع بِطَباعِه، قد كفتني الأولى فخراً، فاطلُبْ آخرَ لِلأُخرَى، فَتَبسَّم كلاَمي، وَدَلَفَ لالتِزامي، فلويتُ عنه عِذارِي، وَأبديتُ له ازوراري، فلمَّا بَصُرَ بانقِباضي، وَتجلَّى له إعراضي، أنشد:

يا صارفاً عَنّي المود ... ة والزَّمان لهُ صُرُوف
وَمُعَنَّفي في فَصح منْ ... جاوَزْتُ تعنيفَ العَسُوف
لا تَّلْحِني فيما أَتَيـــ ... ـــتُ فإِنَّني بِهِمُ عَرُوف
ولقد نَزَلتُ بِهِمْ فَلَمْ ... أَرَاهُمْ يُراعُون الضيُوف
وَبَلَوْتُهُمْ فَوَجَدْتُهُم ... لمَّا سبَكْتُهُمُ زُيُوفُ
ما فِيهِم إلاَّ مُخيــــ ... ـــفٌ إنْ تَمَكَّنَ أوْ مَخُوف
لاَ بالصَّفِي ولا الوَفِيَّ ... ولاَ الحَفي وَلا العَوف
فَوَثبتُ فِيهم وَثبةَ الـــــ ... ـــذَّنبِ الضَّرِي عَلَى الْخَرُوف
وَترَكتُهُمْ صرْعَى كأَنَّـــ ... ـــهمُ سُقُوا كأْس الحُتُوف
وَتَحكَّمَتْ فيما اقتنو ... هُ يَدي وهُم رغمُ الأُنوف
ثم انثَنَيْتُ بِمغنمِ ... حُلوِ المجاني وَالقُطُوف
ولَطَالَما خَلَّفْتُ مَكـــــ ... ـــلمُومَ الحَشَا خَلْفِي يَطُوف

وتَرتُ أربَابَ الارَا　　　ئِكِ والدَّارانِكِ والسُّجُوف

ولكُم بلغتُ بِحِلَتي　　　ما ليس يُبلغُ بالسُّيُوف

ووقَفت في هزلِ تُرا　　　عُ الأُسْدُ فيه مِنَ الوقُوف

ولَكم سَفَكْتُ وكم فَتَكْـــــ　　　ــتُ وكم هَتَكْتُ حمى أُنُوف

وكم ارْتِكاضِ مَّوبِقِ　　　لي في الذُّنوب وكم خُفوف

لَكِنَي أَعْدَدتُ حُسْـ　　　ـنَ الظَّن بالمَوْلَى الرَّؤُوف

قال فلما انتهى إلى هذا البيت لج في الاستِعبار، وألظْ بالاستغفار، حتى استمال هوى قلبي المُنحَرِف، ورَجَوتُ له ما يُرجى لِلمُقترف المعُترف، ثم إنه غَيَّض دمعةُ المُهمِل وَتأبطَ جِرَابَهُ وانس، وقال لابنه: احتمِل البَاقي، واللهُ الواقي، قال المُخبرُ بهذه الحكاية: فلما رأيتُ انسياب الحيَّة، وانتهاء الدَّاءِ إلى الكيَّة، علمتُ أنَّ تريثي بالخان مُجلةٌ للهَوَان، فضممتُ رُحَيلي وجمعتً للرحلةِ ذَيلي، وبِتَّ لَيلَتي أسرِي إلى الطيب، وَأَحتَسبُ الله على الخطيب.

الباب الرابع

السيرة والتراجم

السيرة الذاتية:

سيرة الشيخ الرئيس[١٤٢]

ابن سينا

كان والدي من أهل بلخ[١٤٣] وانتقل منها إلى بخارى[١٤٤] في أيام الأمير نوح بن منصور[١٤٥]، واشتغل بالتصرف وتولى العمل في أثناء أيامه بقرية من ضياع بخارى يقال لها خرميثن، وهي من أمهات القرى بتلك الناحية، وبقربها قرية يقال لها أفشَنَة، فتزوج أبي منها بوالدتي وقطن بها وتبنك[١٤٦]. ووُلدتُ أنا فيها ثم ولد أخي ثم انتقلنا إلى بخارى؛ وأُحضر لي معلم القرآن ومعلم الأدب وكملت العشر من العمر وقد أتيت على القرآن وعلى كثير من الأدب حتى كان يُقضى مني العجب.

---

[١٤٢]- هذه السير الثلاثة (لإبن سينا، والتوحيدي، والغزالي) مأخوذة من كتاب مختارات من النثر العربي، تحرير د. وداد القاضي، بيروت، المؤسسة العربية.
من عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة (القاهرة، ١٨٨٢) ٢: ٢-٤. وابن سينا هو علي الحسين بن عبد الله ابن سينا، الفيلسوف المشهورن ولد سنة ٣٧٠هـ/٩٨٠م، وكانت نشأته ببخارى. تقلد الوزارة في همذان. من أشهر كتبه: (الشفاء)، وفي الطب له كتاب (القانون) وهو الكتاب المرجع في أوروبا العصر الوسيط، ولمدة ستة قرون.

[١٤٣]- بلخ: إحدى مدن خراسان.

[١٤٤]- بخارى: إحدى المدن الكبرى في منطقة ما وراء النهر.

[١٤٥]- نوح بن منصور (٣٦٥-٣٨٧/ ٩٧٦-٩٩٧) أحد أمراء الدولة الساماتية.

[١٤٦]- تبنك بالمكان: أقام به وتأهل.

وكان أبي ممن أجاب داعي المصريين ويعد من الإسماعيلية[١٤٧]. وقد سمع منهم ذكر النفس والعقل على الوجه الذي يقولونه ويعرفونه هم وكذلك أخي؛ وكانوا ربما تذاكروا ذلك بينهم وأنا أسمعهم وأدرك ما يقولونه ولا تقبله نفسي وابتدأوا يدعونني إليه. وكانوا يُجرُون على ألسنتهم أيضاً ذكر الفلسفة والهندسة وحساب الهند[١٤٨]. ثم كان أبي يوجهني إلى رجل يبيع البقل قيم بحساب الهند فكنت أتعلم منه.

ثم وصل إلى بخارى أبو عبد الله الناتلي[١٤٩] وكان يدعي التفلسف فأنزله أبي دارنا واشتغل بتعليمي. وكنت قبل قدومه أشتغل بالفقه والتردد فيه إلى إسماعيل الزاهد، وكنت أفره السائلين وقد ألفت طرق المطالبة ووجوه الاعتراض على المجيب على الوجه الذي جرت عادة القوم به. ثم ابتدأت بقراءة كتاب إساغوجي[١٥٠] على الناتلي فلما ذك لي حد الجنس أنه المقول على كثيرين مختلفين بالنوع في جواب (ماهو)؟ فأخذته في تحقيق هذا الحد بما لم يسمع بمثله، وتعجب مني كل العجب وكان أي مسألة قالها تصورتها خيراً منه، وحذر والدي من شغلي بغير العلم، حتى قرأت ظواهر المنطق عليه، وأما دقائقه فلم يكن عند منها خبر. ثم أخذت أقرأ الكتب على نفسي وأطالع الشروح حتى أحكمت علم المنطق، فأما كتاب أوقليدس[١٥١] فإني قرأت عليه من أوله خمسة أشكال أو ستة ثم توليت بنفسي حل بقية الكتاب بأجمعه. ثم انتقلت إلى المجسطي[١٥٢] ولما فرغت من مقدماته وانتهيت إلى الأشكال الهندسية قال لي

١٤٧ـ الإسماعلية فرقة باطنية، وقد نجحت في إنشاء الدولة الفاطمية بأفريقية ثم بمصر، وكانت دعوة (المصريين) أي الفاطميين قد وجدت لها مجالاً في الدولة السامانية في خراسان وما وراء النهر إلى أن توقفت حوالي ٩٤٢/٣٣٠.

١٤٨ـ يعني الحساب الذي تستعمل فيه الأرقام الهندية (١،٢،٣...).

١٤٩ـ الناتلي: الحكيم أبو عبد الله حسين بن إبراهيم، والناتلي نسبة إلى قرية ناتل بطبرستان.

١٥٠ـ إيساغوجي (Isogoge): كتاب المدخل إلى المنطق من تأليف فرفوريوس الصوري.

١٥١ـ أوقليدس (Euclid): وكتابه هو أصول الهندسة.

١٥٢ـ المجسطي (Almagest): كتاب بطلميوس في الفلك.

الناتلي (تول قراءتها وحلها بنفسك ثم اعرضها علي لأبين لك صوابه من خطئه). وما كان الرجل يقوم بالكتاب فحللته، فكم من شكل ما عرفه إلا حين عرضته عليه وفهمته إياه. ثم فارقني الناتلي متوجهاً إلى كركانج[١٥٣].

واشتغلت أنا بتحصيل الكتب من الفصوص[١٥٤] والشروح من الطبيعيات والإلهيات وصارت أبواب العلم تنفتح علي. م رغبت في علم الطب وقرأت الكتب المصنفة فيه. وعلم الطب ليس هو من العلوم الصعبة فلذلك برزت فيه في أقل مدة حتى بدأ فضلاء الأطباء يقرأون عليَّ علم الطب. وتعهدت المرضى فانفتح علي من أبواب المعالجات المقتبسة من التجربة ما لا يوصف. وأنا مع ذلك مشغول بالفقه وأناظر فيه وأنا يومئذ من أبناء ست عشرة سنة.

ثم توفرت على العلم والقراءة سنة ونصفاً فأعدت قراءة المنطق وجميع أجزاء الفلسفة. ولم أنم في هذه المدة ليلة واحدة بطولها ولا اشتغلت بالنهار بغيره. وجمعت بين يدي ظهوراً[١٥٥]، فكل حجة كنت أنظر فيها أثبت ما فيها من مقدمات قياسية وترتيبها وما عساها تنتج، وأراعي شروط مقدماتها حتى تتحقق لي تلك المسألة. والذي كنت أحير فيه من المسائل ولا أظفر فيه بالحد الأوسط في القياس أتردد بسبب ذلك إلى الجامع وأصلي وأبتهل إلى مبدع الكل حتى يفتح لي المنغلق منه ويسهل المتعسر، وأرجع بالليل إلى داري وأحضر السراج بين يدي وأشتغل بالقراءة والكتابة. فمهما غلبني النوم أو شعرت بضعف عدلت إلى شرب قدح من الشراب لكيما تعود إلي قوتي، ثم أرجع إلى القراءة. ومهما أخذني نوم كنت أرى تلك المسائل بأعينها في منامي، واتضح لي كثير من المسائل في النوم. ولم أزل كذلك حتى استحكم معي جميع العلوم ووقفت عليها بحسب الإمكان الإنساني. وكل ما علمته في ذلك الوقت فهو كما علمته الآن لم

---

[١٥٣]- كركانج: عاصمة إقليم خوارزم.

[١٥٤]- (الفصوص جمع فص، وهو كنه الشيء وحقيقته، والمقصود هنا متون الكتب الأصلية من غير أن تلحقها شروح.

[١٥٥]- الظهور: مجموعة من الورق (أو البطاقات).

أزدد إلى اليوم فيه شيئاً، حتى أحكمت العلم المنطقي والرياضي وانتهيت إلى العلم الإلهي. وقرأت كتاب ما بعد الطبيعة[١٥٦] فلم أفهم ما فيه والتبس عليَّ غرض واضعه حتى أعدت قراءته أربعين مرة وصار لي محفوظاً، وأنا مع ذلك لا أفهمه ولا المقصود به، وأيست من نفسي وقلت: (هذا كتاب لا سبيل إلى فهمه). فحضرت يوماً وقت العصر في الوراقين[١٥٧] فتقدم دلال بيده مجلد ينادي عليه، فعرض عليَّ فرددته رد متبرم معتقد أن لا فائدة في هذا العلم. فقال لي: (اشتره فصاحبه محتاج إلى ثمنه وهو رخيص. وأبيعكه بثلاثة دراهم). فاشتريته فإذا هو كتاب أبي نصر الفارابي[١٥٨] في أغراض كتاب ما بعد الطبيعة. ورجعت إلى داري وأسرعت قراءته فانفتح عليَّ في الوقت أغراضُ ذلك الكتاب لأنه كان قد صار لي محفوظاً على ظهر قلب. وفرحت بذلك وتصدقت في اليوم الثاني بشيء كثير على الفقراء شكراً لله تعالى.

١٥٦- يعني كتاب (Metaphysics) لأرسطو وقد ترجمه حنين بن إسحاق.

١٥٧- الورّاقون هنا يعني سوق الوراقين وهم باعة الكتب وناسخوها.

١٥٨- أبو نصر محمد بن محمد، يُعرف بالمعلم الثاني. انتقل إلى بغداد بعد مدينته فاراب على نهر جيحون. اتصل أيضاً بسيف الدولة الحمداني بحلب، وتوفي بدمشق. يحسن اليونانية واللغات المعروفة حينذاك. وجاءت تسمية المعلم الثاني لقيامه بشرح مؤلفات أرسطو (المعلم الأول). وله ما ينيف على مائة مؤلف. في الفلسفة والموسيقى، أبرزها (آراء المدينة الفاضلة) و (كتاب الحروف) و (المدخل إلى صناعة الموسيقى). توفي سنة ٣٣٩هـ/ ٩٥٠م).

أبو حيَّان التوحيدي[159] يحرق كتبه[160]

وأفاني كتابك الذي وصفت فيه ما نال قلبك والتهب في صدرك من الخبر الذي نمى إليك[161] فيما كان مني من إحراق كتبي النفسية بالنَّار وغسلها بالماء، فعجبت من انزواء وجه العذر عنك في ذلك، كأنك لم تقرأ قوله جل وعزّ: [كُل شَيءٍ هَالِكٌ إلاَّ وَجهَهُ لَهُ اَلحُكمُ وَإلَيهِ تُرجَعُونَ]. وكأنك لم تأبه لقوله تعالى: [كُلُّ مَن عَلَيَها فَانِ(٢٦)]. وكأنك لم تعلم أنه لا ثبات لشيء من الدنيا وإن كان شريفَ الجوهر كريم العنصر، ما دام مُنقلباً بيد الليل والنهار، معروضاً على أحداث الدَّهر وتعاور[162] الأيَّام.

ثم إني أقول: إن كان –أيَّدك الله- قد نَقبَ خُفك ما سمعتَ، فقد أدمى أَظَلي[163] ما فعلتُ، فليهُن عليك ذلك، فما انبرت له ولا اجترأتُ عليه حتى استخرت الله عزَّ وجل فيه أياماً وليالي، وحتى أوحى إليَّ في المنام بما بعث راقدَ العزم، وأجد فاترَ النية، وأحيا ميتَ الرأي، وحث على تنفيذ ما وقع في الرُّوع[164] وتريع[165] في الخاطر، وأنا أجود عليك الآن بالحُجة في ذلك إن طالبت، أو بالعذر إن استوضحت، لتثق بي فيما كان مني، وتعرف صنع الله تعالى في تثبيته لي:

---

[159] ـ هو علي بن محمد بن العباس، ولد في شيراز يو نيسابور، وتوفي سنة ٤١٤هـ/١٠٢٤م. وقضى أغلب حياته في بغداد، واحترف الوراقة لدى كبار الوزراء البويهيين؛ أبي الفضل ابن العميد وابنه أبي الفتح، وكذلك الصاحب ابن عبَّاد. نادم الوزير البويهي ببغداد، أبو عبد الله العارض ابن سعدان، وله قدم مجالسات (الإمتاع والمؤانسة). ولديه كتب كثيرة.

[160] ـ من رسالة كتبها إلى صديق له (معجم الأدباء لياقوت ١٥: ١٦-٢٦) وتاريخ الرسالة سنة ٤٠٠هـ.

[161] ـ نمى إليك: بلغك.

[162] ـ تعاورته: تداولته وتناوبته.

[163] ـ الخف للجمل كالحافر لذوات الحافر، وكذلك الأظل، وهو باطن الخف، ونقب: تَحَرَّق، والكلام على المجاز.

[164] ـ الرُوع: القلب.

[165] ـ تريع: جرى أو جاء وذهب.

إن العلم –حاطك الله- يراد للعمل، كما أن العمل يراد للنجاة، فإذا كان العمل قاصراً عن العلم، كان العلم كلاًّ[١٦٦] على العالم، وأنا أعوذ بالله من علم عاد كَلاًّ وأورث ذُلاً، وصار في رقبة صاحبه غُلاً[١٦٧]، وهذا ضرب من الاحتجاج المخلوط بالاعتذار؛ ثم اعلم –علَّمك الله الخير- أن هذه الكتب حوت من أصناف العلم سرَّه وعلانيتَه، فأما ما كان سرا فلم أجد له من يتحلى بحقيقته راغباً، وأما ما كان علانية فلم أُصب من يحرص عليه طالباً، على أَني جمعت أكثرها للناس ولطلب المثالة[١٦٨] منهم ولعقد الرياسة بينهم ولمد عندهم، فحُرمتُ ذلك كله –ولا شك في حسن ما اختاره الله لي وناطه بناصيتي[١٦٩]، وربطه بأمري- وكرهت مع هذا وغيره أن تكون حجة عليَّ لا لي.

ومما شحذ العزم على ذلك ورفع الحجاب عنه، أني فقدت ولداً نجيباً، وصديقاً حبيباً، وصاحباً قريباً، وتابعاً أديباً، ورئيساً مُثيباً[١٧٠]، فشق عليَّ أن أدعها لقوم يتلاعبون بها، ويدنسون عرضي إذا نظروا فيها، ويشمتُون بسهوي وغلطي إذا تصفحوها، ويتراءون[١٧١] نقصي وعيبي من أجلها، فإن قلت: ولم تسِمُهُم[١٧٢] بسوء الظن، وتقرع جماعتهم بهذا العيب؟ فجوابي لك أن عِيَاني منهم في الحياة هو الذي يحقق ظني بهم بعد الممات. وكيف أتركها لأناس جاورتهم عشرين سنة[١٧٣]

---

[١٦٦]- الكلُّ: الثقل.

[١٦٧]- الغُلُّ: القيد.

[١٦٨]- المَثالةُ: حسن الحال.

[١٦٩]- ناطه بناصيتي، ناط: ربط، والناصية مقدم شعر الرأس، والتعبير مجازي أي قدَّره لي، أو خصَّني به.

[١٧٠]- المثيب: اسم الفاعل من أثاب بمعنى جازى وكافأ.

[١٧١]- التراثي: تفاعل من الرؤية، أي ينظرون أو يرى بعضهم بعضاً.

[١٧٢]- وسمه بكذا أي جعل له سمة وهي العلامة، وهي في الأصل كية يميز بها البعير.

[١٧٣]- إما أن الرقم يحدد أناساً بأعيانهم أقام فيهم أبو حيان تلك المدة، وإما أنه خطأ.

أزمة الغزالي

(من كتاب المنقذ من الضلال)

رأيتُ صبيان النصارى لا يكون لهم نشوء إلا على التنصر، وصبيان اليهود لا نشوء لهم إلا على التهود، وصبيان المسلمين لا نشوء لهم إلا على الإسلام. وسمعت الحديث المروي عن رسول الله (ص) حيث قال: (كلُّ مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه). فتحرك باطني إلى حقيقة الفطرة الأصلية، وحقيقة العقائد العارضة بتقليد الوالدين والأستاذين، والتمييز بين هذه التقليدات. فقلت في نفسي: أولاً إنما مطولب العلمُ بحقائق الأمور، فلا بد من طلب حقيقة العلم ما هي. فظهر لي أن العلم اليقيني هو الذي ينكشف فيه المعلوم انكشافاً لا يبقى معه ريب، ولا يقارنه إمكانُ الغلط والوهم، ولا يتسع القلب لتقرير ذلك، بل الأمان من الخطأ ينبغي أن يكون مقارناً لليقين مقارنة لو تحدى بإظهار بطلانه مثلاً من يقلب الحجر ذهباً والعصا ثعباناً، لم يورث ذلك شكا وإنكاراً؛ فإني إذا علمت أن العشرة أكثر من الثلاثة فلو قال لي قائل: لا، بل الثلاثة أكثر بدليل أني أقلب هذه العصا ثعباناً، وقلبها، وشاهدت ذلك منه، لم أشكَّ بسببه في معرفتي، ولم يحصل لي منه إلا التعجب من كيفية قدرته عليه، فأمَّا الشك فيما علمته، فلا.

ثم علمت أن كل ما لا أعلمه على هذا الوجه ولا أتيقنه هذا النوع من اليقين، فهو علم لا ثقة به ولا أمان معه، وكلُّ علم لا أمان معه فليس بعلم يقيني.

ثم فتشت عن علومي فوجدت نفسي عاطلاً[١٧٤] من علم موصوف بهذه الصفة إلا في الحسيات والضروريات. فقلت: الآن بعد حصول اليأس، لا مطمع في اقتباس المشكلات إلا من الجليّات، وهي الحسيَّات والضروريات. فلا بد من

[١٧٤] ـ أصل معنى العاطل الذي لا حلية له، والمعنى هنا أنه غير مزود بذلك العلم.

إحكامها أولاً لأتيقن أنَّ أن ثقتي بالمحسوسات، وأماني من الغلط في الضروريَّات، من جنس أماني الذي كان من قبلُ في التقليديات، ومن جنس أمان أكثر الخلق في النظريات. فأقبلت بجد بليغ أتأمل في المحسوسات والضروريات، وأنظر هل يمكنني أن أشكك نفسي فيها؛ فانتهى بي طولُ التشكك إلى أن لم تسمح نفسي بتسليم الأمان في المحسوسات أيضاً، وأخذت تتسع للشك فيها وتقول: من أين الثقة بالمحسوسات وأقواها حاسة البصر، وهي تنظر إلى الظل فتراه واقفاً غير متحرك، وتحكم بنفي الحركة؟ ثم بالتجربة والمشاهدة بعد ساعة تعرف أنه متحرك، وأنه لم يتحرك دفعة بغتة، بل على التدرج ذرة ذرة، حتى لم يكن له حالة وقوف. وتنظر إلى الكوكب فتراه صغيراً في مقدار دينار، ثم الأدلة الهندسية تدل على أنه أكبر من الأرض في المقدار. هذا وأمثاله من المحسوسات يحكم فيه الحس بأحكامه، ويكذبه حاكم العقل ويخونه تكذيباً لا سبيل إلى مدافعته. فقلت: قد بطلت الثقة بالمحسوسات أيضاً فلعلَّه لا ثقة إلا بالعقليات اتي هي من الأوليات، كقولنا: العشرة أكثر من الثلاثة، والنفي والإثبات لا يجتمعان في الشيء الواحد، والشيء الواحد لا يكون حادثاً قديماً، موجوداً معدوماً، واجباً مُحالاً. فقالت المحسوسات: بِمَ تأمنُ أن تكون ثقتك بالعقليات كثقتك بالمحسوسات، وقد كنت واثقاً بي، فجاء حاكم العقل فكذبني، ولولا حاكم العقل فكذبني، ولولا حاكم العقل لكنت تستمر على تصديقي، فلعل وراء إدراك العقل حاكماً آخر، إذا تجلى كذب العقل في حكمه، كما تجلى حاكم العقل فكذب الحس في حكمه، وعدمُ تجلي ذلك الإدراك، لا يدل على استحالته. فتوقفت النفسُ في جواب ذلك قليلاً، وأيدت إشكالها بالمنام، وقال: أما تراك تعتقد في النوم أموراً، وتتخيل أحوالاً، وتعتقد لها ثباتاً واستقراراً، ولا تشك في تلك الحالة فيها، ثم تستيقظ فتعلم أنه لم يكن لجميع متخيلاتك ومعتقداتك أصل وطائل؟ فبم تأمن أن يكون جميع ما تعتقده في يقظتك بحس أو عقل هو حق بالإضافة إلى حالتك، لكن يمكن أن تطرأ عليك حالة تكون نسبتها إلى يقظتك كنسبة يقظتك إلى منامك، وتكون يقظتك نوماً بالإضافة إليها!

فلما خطرت لي هذه الخواطر، وانقدحت في النفس، حاولت لذلك علاجاً فلم يتيسر إذ لم يكن دفعه إلا بالدليل، ولم يمكن نصب دليل إلا من تركيب العلوم الأولية. فإذ لم تكن مُسَلّمَةً لم يمكن ترتيب الدليل. فأعضل[١٧٥] هذا الداء، ودام قريباً من شهرين أنا فيهما على مذهب السفسطة بحكم الحال، لا بحكم النطق والمقال، حتى شفى الله تعالى من ذلك المرض، وعادت النفس إلى الصحة والاعتدال، ورجعت الضروريات العقلية مقبولة موثوقاً بها على أمن ويقين، ولم يكن ذلك بنظم دليل وترتيب كلام، بل بنور قذفه الله تعالى في الصدر، وذلك النور هو مفتاح أكثر المعارف.

مذكرات فُتُوَّه

قصة أدبية فكاهية انتقادية تعطيك صورة جلية من أخلاق وعادات وآداب واصطلاحات اختصت بها طبقة من عامة المصريين وهم الذين يلقبون (بالفتوات) الفها بطل وقائعها (المعلم يوسف أبو حجاج) واملاها على صاحب جريدة لسان الشعب وطلب منه نشرها في جريدته فلبى طلبه وقد حافظ فيها على لغة مؤلفها وهاهو اليوم ينشرها في هذا الكتاب

تأليف

المعلم يوسف أبو حجاج

طبعت على نفقة

---

[١٧٥]ـ أعضل: أصبح عضالاً أي لا يتيسّر شفاؤه.

حسني يوسف

صاحب ومحرر جريدة لسان الشعب

المطبعة العربية بمصر

شارع المزين بالوسكى

بسم الله الرحمن الرحيم

تفضل بكتابة هذه المقدمة حضرة الشاعر الكبير والصحافي القدير الاستاذ صاحب الامضاء.

كان يتغيب الأديب حسني افندي يوسف صاحب جريدة (لسان الشعب) أحياناً، وجريدته تطبع في مطبعتي، فأضطر إلى القاء آخر نظرة على الجريدة قبلالبدء بطبعها، فيشغلني الاهتمام باصلاح أغلاط الطبع فيها عن الاهتمام بمعانيها، ثم لا أشعر بنفسي إلا واقفاً أمام فصل لا مقدرة لي على التمييز بين خطأ الطبع وخطأ الطبيعة فيهه، أعني فصل (مذكرات فتوة).

كنت أقرأ القطعة من هذه المذكرات وأنا واع ما أقرأ، بعد اعترافي بالعجز عن إصلاح لفتها أو غسل حبشيها ليبيض، فيلذلي الحديث فاستمر، وكلما عرضت لي جملة مما انفردت به عامة مصر أو (فتواتها) على الخصوص، استعنت بأحد من في المطبعة على فهمها بلغة تقرب من الفصحى، فأسمع منه رد العامي في مصر على كل من لا يحسن فهم تعبيره من أبناء الشام أو غيرهم إتكلم بالعربي يا افندي

كان يعجبني في (مذكرات فتوة) أنها صفحة من تاريخ اللغة لا يعترض لها مؤرخو اللغة، فتضيع بعد انقضاء زمانها، وانها صفحة من عادات هذا الفريق من الناس –فريق اهل الفتوة المعروفين في الشام بالقبطايات- لا أجدها إلا في مثل هذه المذكرات، ولا أعلم لماذا يهملها مؤرخو الشعوب أو يعرضون عن درسها وتفهمها.

روح العامة في كل عصر، تكاد تكون صورته الحقيقية، أما طبقة العلماء وذويالمناصب الرفيعة وأصحاب المواهب العالية، ففي الاكتفاء بدرس حالها الاجتماعية، واعتبارها صورة الامة التي هي منها، نقص في البحث وغش من الباحث لمن يسعقبه من ابناء العصور التالية او لمن سيتلو بحثه من ابناء المجتمعات النائية، ولا يمكن القول بأن للعامة صورة واحدة بل العامة تتغير في

أطوارها وأخلاقها وعاداتها، تغيراً محسوسا بما يطرأ عليها من مؤثرات خارجية أو داخلية.

إذن، فذكرات فتوة ليست حديث فكاهة فقط، وانما هي للتاريخ أيضا. وقد أحسن صاحب (لسان الشعب) بأن جمعها في هذا الكتاب الذي ارجو أن يلقى من الرواج ما يشجع صاحبه على نشر سواه، فيقرأ الناس الجديد، وقد يكون فيه ما يفيد.

خير الدين الزركلي.

السلام عليكم يا حضرات القراء يا منبع (اللطافة) والأنسانية ومعدن الذوق ياللي تفهمو الواحده وهيه طايره. وبعد إسمعوا مذكرات أخوكم المسلم وأمركم لله....

اتولدت في شارع الحسينية[١٧٦] اللي (نصه) تبع ثمن الجمالية ونصه الثاني تبع قسم الوايلي وكان أبويا وامي ساكنين في (حارة الحصر) ودي تبع قسم الجماليه، القصد إنو بيت بين عشاق السباللي يكرهو تعليم المدارس يعني (غواة) التعليم (بالمستحد واالساطور) وفيالحقيقة يا إخوان ان أكثر أهالي الحسنية (جزارين يذبحون ويسلخون) وطبعاً لا يكتبون ولا يقرأون...

وكان أبويا عليه الف الف رحمة جزار وله دكان على ناصية شارع النزهة في العباسية ةكان ربنا مسهل له وأشيته معدن، فضل يربيني لما بقى عمري سيع سنين وأنا كل يوم لازم أجيب له تلاتين خناقه وفضلت على كده الى ان كان يوم من الايام اتخانق خالي مع أبويا حتة خناقة (دُبل) وأخرتها بعد لت وعجن كثير بعتوني لكتَّاب (الست السطوحية) الى أدام بوابة الفتوح فكنت كل يوم ما أروحشي إلا بعلقه من خالي وكام زغدة من أمي.

أدخل الكتَّاب ورغيفي تحت باطي فيقابلني العريف يمد إيده بصنعة لطافه ويستلم مني الرغيف ويحطه في دولاب (سيدنا) وانقعد عالشوية الحصر والابراش المقطعة وهات يا أليف لا شيه عليها والبيه واحدة من تحتيها والتيه اتنين من فوقيها وبعد ساعتين تلاته نكتب للواح ونحفض وبعدها نسمع وكل واحد منا ياخد له مقرعتين تلاته وقليل ان ما دخلتش رجليه في (الفلقه)..

---

[١٧٦] ـ الحسينية حي من أحياء مصر تسكنه طائفة كبيرة من الجزارين والحشاشين وهم (الفتوات).

يجي الضهر يخرج جناب العريف ومعاه محسوبكم وولدين كل واحد منا شايل سلطانية تساع عشرة ارطال وتنتنا ماشيين على معمل الطرشي اللي في درب البزازرة نملاهم ونرجع عالكتَّاب وهناك يلموا منا الفلوس اللي أخدناها من أهالينا علشان نأكل بيها ونقعد نطفح الطرشي وبعد ما نخلص ننزل عالقرايه قعدت على كده كثير ثلاث سنين ونص شفت فيها الغُلب والبلا الأزرق لحد ما ربنا مامن عليّ وفارقت الكتَّاب الملعون بعد ما اتعلمت يا دوب أفك الخط وأكتب إسمي وأقرا سطر في الجرنان في ساعه قول في اتنين!!.. أخدني ابويا معاه في الدكان وفضلت فيه لحد ما نسيت الحبة القراية اللي تعلمتها وزياده نهايته عوضنا على الله في تعبنا وشقانا وحقيقة يا جدعان ان (الدوي عالودان امر م السحر) لان والدي الله يرحمه ويجعل متواه الجنه كان يقول لي ليه ياخويا أوديك الكتاب؟ بلا كتاب بلا هباب هو إنته حا تطلع لي صاحب وظفية. أبو كاتو وإلا حا تجيب لي الفار من ديله أدحنا عندنا الكام راس والجوز العجول والدكان ويحلها خالق الخلق ربنا -يعني يا جدعان أبويا هو اللي كان السبب في خسارتي وعدم تعليمي.. سلمت أمري لله وقلعت الطربوش ولبست بدله طاقيه ولاسه وقايضت عالجزمه ببلغه كعبتها ولبستها وبقيت واد بلدي على دين ذوقكم!!..

راحت الأيام وجت الأيام وكبرت وأنا على (هاذوها[١٧٧]) الحاله واتلميت على شلّه كلها نصايب في زكايب ما يعرفوش ربنا إلا بالأشاره بقينا كل ليله نروح خمارة... غرزه... نرم في الحته اللي بالك فيها.. والسبب في كده أبويا لانه لو كان متربي أو متعلم كنت طلعت زيه أو أحسن منه.....

فضلت على كده لحد ما بقى عمري ٢١ سنه طلبوني الجهاديه عيطت أمي وصوطت وباعت اللي وراها واللي قدامها وراحت دفعت لي إل ٢١ جنيه البدليه وانتهينا سنه والتانيه مات أبويا حزنت عليه كام يوم وصهينت وبعد تلاتت أشهر ما فيش غيرهم (وحياة الباتعه) بعت الدكان (أول دش) ورجلي جريت

---

١٧٧ - يريد أن يقول على هذه الحالة.

عالسهر والفنجره والبحبحه. وعنها برمت الفلوس.. عزمت على اني أبيع طور من الطورين اللي خلفهم أبويا واصرف في تمنه ولكن قدر ربك ان الخبر وصل (لأمي) جت تجري مشمره ومعاها كام (مره) م الحاره وعنها وخد يا افندك (ياردح) وانتهت المظاهرة الحريمي (بالحجر) على محسوبك وحقيقي يا جدعان (إن كيدا النسا غلب كيد الرجال) فلست ومصمصت وصبحت عالحديدة (يا مولاي كما خلقتني)... أعمل إيه؟.. رحت اتمحلست لمي وبواسطة الجيران أولاد الحلال عملت لي كل يوم واحده بعشره كنت أخدها منها كل يوم الصبح وأنا نازل وأروح أتلطع طول النهار أنا وأصحابي على قهوة البيومي يوم في يوم بقيت من (مشاديد) عرابي... فما كانتشي تفوت من أدامنا.(زفة فرح والا مطاهر) إلا ونقوم كلنا (للشكل) طالبيت (عشرة بلدي) فان رضيوا رقصنا ونفذوا وان ما رضيوشي (أكلوها أجوازاً وأفراداً...).

في يوم من الايام خرجت م البيت ورحت عالقهوة لقيت (الشله) متفقة على اننا نروح على جنينة الحيوانات على شان نتفرج وقالو لي إيه رأيك قلت زي ما أنتو عاوزين ويالاَّ بينا. يالاّ بينا.. خرجنا الساعه عشره وصلنا الجنينه الضهر وجينا نخش أتاريه كان يوم الحد والدخول بخسمة ضاع[١٧٨] اتعكننا وتننا راجعين نزلنا على الدقي (شدينا كام تعميره) وانبسطنا زخدنا الترماي لحد ما وصلنا للعتبه نزلنا ومشينا لحد ما جينا للحته اللي ورا البوسته وقفنا وقلت للشله إيه رأيكم أنا اشتقت (للتحطيب) والحته دي واسعه ومكن قالوا (وجب) وعنها ودار الشغل.. واتلمت الناس تتفرج تولشي (توت حاوي) فزت على اتنين ولكن التالب حب (يتأنزح) أدام الناس (صد ورد) وخرج عن الحد وراح ناتشني (نبوت) مكن جه في المليان ضحكت عليه الناس وظنو انه (كسبني) وانا اتلبخت ولعب بعقلي الشيطان رحت رافع (نبوتي) ورحت نازل ضرب في كل اللي واقفين علشان (أبرهن) إني واد (مجدع) ما يهمنيش الكتره اتفرقت الناس واتصدر لي واد من الحسنيه وراح لاعن لي ابو خاشي رحت (مطوقه) راح

---

[١٧٨] ـ كان ذلك يوم عيد.

نازل على أسنانه انخرشمجت العسكر وراحو ضاربين حلقيهع العبد الفقير وعلى قسم الموسكي وأخدوا أقوالي وأقوال المضروب و(ستفوا) المحضر وحطوني في الحجز والمغرب ضمنوا عليه خرجت وبعد كام يوم جه الاعلان رحت عالجلسه وكانت في قسم الجمالية وقفت أدام القاضي كلمه والتانيه ملقاليش (سوابق) راح حاكم بالبراءه لان دي كانت أول دفعه في كار الفتونه خرجنا م المحكمة أنا وأصحابي ورحت على البيت أخذت من أمي النص ريال المعلوم وتني خارج عالقهوه قعدنا شويه وأبص ألاقي واحد صاحبي اسمه (بلحه) طب علينا وقاللي قوم كلم المعلم عرابي لانه عاوزك ضروري قلت له (وجب) رحت عالقهوه أنا وبلحه لقيت المعلم عرابي قاعد وجنبه افسخاني والحاج محمد الطباخه وخصمي اللي اتخانق معايه يوم التحطيب فعرفت أنهم عاملين مجلس (عُرفي) سلامو عليكم: عليكم السلام: أهلا وسهلا اتفضل وجات القهوه والحّمِيه وبعد سماع أقوالي وأقواله حكموا الكل ان الحق على خصمي وانه يعمل لي حق والحق في شرع الفتوات أن المحقوق يعمل ليله ويعزم فيها الاخوان وبالاختصار في تاني يوم انعملت ليله (بريمو) وغنا فيها العربي وحضرتها الفتوات ةالعتر وانتهت الليله على خير وسلامه إلا وأنا نايم في البيت سمعت في وش الصبح الواد (بلحه) عمال يندهلي فتحت الشباك وبصيت له قال لي انزل بالعجل اخلص أخدت اللسه على كتفي والبلغه في رجلي ونزلت من غير غسيل وش قلت له صباح الفل خير إنشاالله قال لي نهارك زي اللبن بقى النهارده فيه دخله في بين أقدار[١٧٩] ولازم نبوظ الفرح قلت له وجب رقبتي ومشينا لحد القهوه (غسلت وشي) وقعدنا (اصطبحنا بتعمرتين) ورحنا فطرنا فول عند عمي فلقوس اللي في آخر الحسينية وبعدها رجعنا تاني واطلطعنا اللطعه إياها نلعب كرشينه لحد الساعه اتنين بعد الضهر دخلنا المسمط اتغدينا ورجعنا تاني (لمربط الفرس) ساعه والتانيه إلا ونبص نلاقي (زفه) جايه وقفنا وفي إيدينا الشوم قرّبت الزفه وقدامها رجاله زي الغنم اتقدمت (طالب الشكل) وطلبت عشره بلدي فقرب مني الواد الصرفي فتوة بين أقدار وقاللي (اتلم)

---

[١٧٩] ـ شارع بالقرب من شارع باب النصر بمصر يسمى شارع بير قدار.

عدوكم كانت الكلمه ديه زي سكينه دخلت في رقبة محسوبكم (طأطأت) فيهم أنا وزملائي اتفركشت الزفه (وباظ) نظامها (وطارت) حراسها وجات عساكر البوليس واشتغلت الصفافير وقتها كنا احنا (زغنا) لحد ما وصلنا خمارة كوستيه اللي جنب (المراحيل)[١٨٠] اللي في شارع الترمواي اللي رايح العباسيه قعدنا نكيل وسكي كنياك نبيت لغاية المسا قمنا قاصدين بين أقدار ودخلناها وحالا الضرب دار وانكسرت الفوانيس والكراسي وهربت الفراشين والمعازيم وغفير الحارة ركبه عفريت وفضل يصفر في صفارته ابص والقى التمن كله بقى في الحاره ما تقلش كان عندهم خبر وفي الحال انا وبلحة راحو قابضين علينا ودونا التمن وكتبوا لنا محضر (زي الزفت) وبعدين ضمنوا علينا وفضلنا صايمين عن الشكل لغاية يوم الجلسة وبالصدفة اللي زي القندلة كان القاضي اللي حكم لنا بالبراءة أو مرة هو الريس بتاع المحكمة (ساعتها ياخللي) قلت (يا داهية دقي) والله لازم (محبوس محبوس) شويه ونده الحاجب اسمي واسم زميلي وقفنا في القفص بص لي القاضي وهرش في راسه وقاللي –مش أنت برده اللي كنت قدامي من قيمة كم يوم متهم في قضية خناق وضرب قلت له- آيوه يا جناب سعادة البيه. ربنا يخليك لكن الحكاية دي زور قاللي –ادعاء زور ايه ياواد البعيد مادام الغفير والعسكر شاهدين على انك انت وبلحه ضاربين وفيه شهود كمان شاهدين عليكم من الحته قلت له- يا حضرة جناب البيه الغفير والعسكر (واكلين)[١٨١] أما الشهود دول قاعدين تمللي للشهادة الزور بقى بزمتك يخش عقلك الكبير ده ان احنا اللي ضاربين (نُكتة)!! بقى يا سعادة البيه اثنين يضربوا خمسين (عجايب)!. دول كانو أكلوهم أكل وعلى كده لو كنا ضربنابقى ما فيش فيهم (واد جدع) يعشق النبي وضرب منا واحد وخلا فيه اثر للضرب يثبت انه حصل (خناء) ولكن الحمد لله ساعة العسكر ما قبضت عليّ أنا وبلحه طاوعناهم لاننا عارفين ان (القضا عادل) وعلى كل حال المسألة في أيدك والامر أمرك. وسكت قالي لي –طيب (أتركن) ونده بلحه وقال- وانت يا بلحه

---

[١٨٠] - المراحيض.

[١٨١] - أي بمعنا اخدوا رشوة.

وقال بزعيق هي إيه الحكاية يا سعادة اليه بقى بمجرد ما يدعي فلان على فلان انه ضربه تسبت عليه التهمه قال له- تسبت التهمة بشهادة الشهود رد بلحه وقال- شهود دايه يا سعادة البيه (دول مقاطيع سبح) وربنى مين فيهم له صنعه والامين فيهم بيجيب قرشه بعرق جبينه وراح مخبط على الحاجز بتاع القفص بايده خبطه لاكين مُكن وقال- وعلى (ذالوك[182]) أنا طالب التأجيل (لحين التحري) عن الشهود دول فان كانوا ناس لهم مقام وصنعه أنا من غير تحقيق ولا تدقيق مستعد للحبس سبع سنين بالاشغال الشاقه قال له القاضي- طاب وايه رايك في شهادة العسكر والغفير؟ فقال له بلحه انما (بشكل بستفه) ويعني يا سيدي البيه العسكر والغفير شهادتهم انزلت فقال القاضي وتقول ايه انهم قبضوا عليكم وانتم جوا الفرح قال له بلحه أيوه يا سعادة البيه صحيح لان الصرفي صاحبنا ولا حناش واخدين منه خوانه جه على قهوة البيومي وعزمنا وفي يومها رحنا بنيه سليمة ويادوب دخلنا وقعدنا شويه الا والضرب دار... الله. (والبوليس كبس) ومسكونا احنا الاثني بس بقا ما فيش حد كان موجود غيرنا!؟ ايوه كانوا يتوهوا الخانة شوية ويمسكوا لهم تلاته أربعه كمان ولكن الحكاية يا سعادة البيه مدّبره وانته (سيد العارفين) وعلى كلاً سلمت الامر لله ولكزي ما تحكم عليّه (ماشي) فما كان من القاضي الا ان قال الحكم بعد المدوله نهايته قعدنا جنب القفص يحرسنا تلات اربع الواح ميري ونده القاضي على كام قضية كعبلهم وكله بعد المداولة وبعد ما انتهى راح داخل هوه وصاحبنا بتاع النيابه وسابوا الكاتب (يرن) وبعد ما شربوا القهوة وهما جوه اتفتح الباب بتاع الوسط وراح مزعق (لاعوق[183]) المحكمة –محكمة- راحوا داخلين بسلامتهم وقاعدين مطرح ما كانوا وصاحبنا اقاضي مسك ورقة في أيده وراح ناده على كل اصحاب القضايا وهو عمال يقول تلات اشهر خمس أشهر سبع أشهر سنتين قلت نصيبتنا سودة شوية وراح ناده اسمي واسم بلحه وحكمت المحكمة على كل من الاتنين بالحبس شهر مع الشغل والمصاريف قال على جناب الحكومه

---

[182] - يقصد أن يقول وعلى ذلك.

[183] - حاجب المحكمة.

غمرت بلحه وقلت له ينصر دينك يا بلحه قال لي ديهده يا عم (هيّه الفتونه بلاش دا الحبس للجدعان) والغرض دخلنا على أودة التنفيذ يحرسنا بسلامته عسكري ومعاه (صورة الحكم) وأخيراً رحلونا على سجن (ارميدان)...........

دخلت السجن أنا (والواد بلحه) وعنها وقلعونا هدومنا ووزنونا (تقلشي) إحنا خرفان أو اذا نقص وزننا نحاسبهم على فرق الميزان وبعدها جابو لنا مزين حلق لنا روسنا وجه الحكيم كشف علينا ودخلونا الحمام تقولشي حوازه وعنها وسلموا لكل واحد منا قميص ولباس خيش (بلدي) وادوا لك واحد منا نمره حطها على صدره وبعدها حطوا كل اتنين (من ايراد اليوم) في زنزانه وصادف أن بلحه راح مع واحد غيري وجه زميلي واد بأف ابن كلب رزل قعدت أنا وهوه جابوا لكل واحد منا رغيف عيش لونه زي الأرض وطورتين فول مدمس فوقهم ولا أربعين سوسه وخمسه عشرين زلطه بصيت للأكل المؤرف ده وحبيت (أضرب) عن الاكل ولكن الجوع كافر نهايته أكلتهم وأنا مغمض وفي تاني يوم جاني واحد سجان بأف وقال في عقل باله (آدي مسجون جديد لنج استلبخه وأتأنصل عليه) وعنها وراح خابطني رزه على قفايه وقاللي انت ي وله يا مجرم قلت له بتقول إيه يابن اللبوة يا جلنف قال لي –أنا اين لبوه بين الفرطوس رحت مناوله كف لكن دُبل راح راقعني كف تاني رحت مناوله ١٥ زيه راح مزعق جات السجانه على زعيقه وجروني على أودة المأمور دخلت على المأمور (هو شته[١٨٤]) وقلت هو بقى فيه عدل هو بقى في آبون هو القاضي لما حكم عليَّ بالحبس قال شهر مع الشغل والاهانة؟ وأبداً ما قلش كده فما كان من حضرة المأمور إلا انه قام وراح ناتشني حتة شلوت.. جيت أناوله أخو بس يا خساره كنت حافي ومجرم زي ما بيقولم قلت له –بقى انت كمان يا حضرة المأمور ياللي مترببي بتعمل زي الجلنفات دول قال لي- حقيقي انك واد ابن كلب مجرم قلت له – وانت الصادق سعادة البيه يصح برضو لانك ما نلتش الوظيفه دي الا باقباحة فقال المأمور للكاتب ناولني دفتر المحاضر والله يابن البعيد

---

[١٨٤] ـ يعني القانون.

الكلب لأسجنك وأوديك الانفرادي ونهايته فضل يكتب ويزوم ويكتب ومحسوبكم واقف قدامه (لاهو عارف السما م العما) وبعد ماستف المحضر بعتني على الزنزانه وأمر اني أقعد فيها لوحدي يعني حبس انفرادي آكل عيش وميه قعدت على (هاذوها) الحاله زي خمستاشر يوم منهم سبعه على الميه والعيش والباقي بالفول والسوس لكن من غير شغل ولبص والقى المأمور طالبني أروح جلسة التهمه الزور.... خادني واحد عسكري وفي إيدي الكلبش (طبعاً) وتننا ماشيين لحد ما نده الحاجب اسمي وقفت جوا القفص بصيت للقاضي لقيته جدع حليوه عمره يجي سته وعشرين سنه يعني من دوري وقال اسمك فلان وعمرك كام والسين والجيم اللي انتم عارفينها ودخلنا في الجد وقال لي انت ليه يا ولد البعيد بتضرب السجان وتهين المأمور قلت له أبداً يا سعادة البيه لا ضرب حصل ولا إهانه.. غايته ان السجان من دول عاوز المسجون (يعبده) ويقر ان ما فيش إله غيره والمأمور مساعدهم على كده وراخر أخم منهم وانا حعاديهم على ايه مش بزياده ذل السجن قال لي –يعني بقى ما حصلش منك لا ضرب ولا اهانة ولا عدم اتباع القوانين قلت يا خبر أسود أهي القضيه يا جناب البيه ولدت قضيه اسمها عدم اتباع القوانين أقول لك يا سعادة البيه أنا دماغي بتوجعني مادام العباره ظلم في ظلم ضربت وأهنت وخالفت وعملت كل حاجه.. دانتو كفرتونا يا عالم هوه حياخذ الروح الا اللي خلقها وطبيت ساكت فضل صاحبنا القاضي يكلم اللي على شماله شويه واللي على يمينه شويه وكان كل دقيقه يطلع عليه زغيره معرفش فيها ايه وافتكر (انه صاحب كيف) فكان ياخد منها ويحط في بقه وبعدها قال حكمت المحكمة على المتهم فلان بالحبس تلات اشهر مع الشغل والمصاريف على جناب الحكومة برده بصيت له بصه (بنت كلب) وقلت له حقيقي (يحق لك) يا سعادة البيه تحكم بأكثر من كده لان الحق مش عليك الحق على المنزول اللي بتاكله وانت في وسط الجلسه إخيه على كدا (وقريت البخ وياه) لولا ما شدني العسكري من دراعي وراح واخدني على بره وطلعني في العربيه (الملاكي) بتاعة السجن وسوق باسطه على ارميدان ورحنا داخلين زي العاده يعني التفتيش وما ادراك ومن ساعتها (ياخللي) وكل واحد يكلمني أسب له أرمة بوجده لغايه (ماعبروني) من عسكري لشاويش لمأمور وعنها وعملت

السجن (ولا سوق المؤبد) في بيع السجاير حلي المكسب وعزمت بعد ما تنتهي المده على اني أقول (يانفس جددي حظك) لان في السجن كل شيء بلاش والمكسب زياده...

وعلى كده يا حضرات القراء فات على محسوبكم وهوه في السجن شهر ونص من التلات اشهر العلاوه وأهم رقوني لدرجة مخزنجي وده خوفاً من سقالتي ويادوب استلمت مخزن الهدوم وهي ماشيه فكنت كل ما يجي ايراد اسلم بعدد واستلم بعدد وبقيت مش مسجون.. لا العفو (موظف) بقيت أقضي النهار بطوله في نوم وبيع سجاير للجماعة اللي (بالعين[١٨٥]) انصاص فرنكات قبل الحكم عليهم علشان يصرفوا منها وهما في السجن واهو ربك كريم أنا أبيع وأحمد وادي للواد السجان صاحبي وهو يعمل لي التفليته من الشباك بتاع الزنزانه لحد ما جمدت تلاته جنيه رحت مشيعهم مع الواد السجان على البيت ودَّاهم وجاب (الاماره).

في يوم من ذات الايام كنت قاعد عمّال أعد السجاير (والغله) إلا والمأمور طب على محسوبكم ولكن أنا كنت واد حدق رحت رامي الامانه تحت الهدوم وعملت أني بسأويهم وأرصهم وفاتت عليه (الواحده) ولما وقف قدامي رحت راقع له حتة نتفة سلام فقال لي انته ليه منتش شايف شغلك تمام يا يوسف؟ قلت له عيب يا سعادة جناب البيه المأمور مين دا اللي قال لك كده؟ هاتوا لي وأنا أديله قدامك تلاتين بلغه ضحك المأمور وعنها وزق عجله ويغلب على فكري انه كان بيهزر بس. كوعت لحد ماجه وقت (صرف اليمك) رحت صرفته مع السجان وعلى (ذالوك) راحت الايام وجت الايام وانتهت المدة فزعلت لان يوم الافراج جه على سهوه ولا كنتش عملت ترتيبي نهايته سلمت الكام قرش اللي فاضلين معايه للسجان علشان يسلمهم لي بره ولما جت الساعه ١٢ الضهر حمّونا ووزنونا وادونا هدومنا وهي متأندله من المبخره نهايته لبست هدومي بالطول

[١٨٥] ـ كل مجرم في مصر لا يذهب الى المحكمة لمحاكمته الا بعد ان يبتلع ما يوازي ٥٠ قرشاً ليشتري بها سكائر او ماكولات.

والعرض واخذت بلغتي في رجلي وخرجت مع (المنصرف). انا وصلت للباب البراني ولقيت لك الست والدتي ومعاها ولا تلاتين مره من الشلق اللي على الكيف فراحت عكماني وبايساني والحمد لله على السلامه يا بني قلت لها الله يسلمك ولكن الاحسن انك (تزقي) انتي وجوقتك وانا محصلكم فمشيت هي ومظاهرتها وجه السجان إداني الأمانه واديته اللي فيه القسمه وساعتها بصيت لقيت بلحه جي هوّه وخمسه سته من (الشله) وأهلا وسهلا وكفاره وعنها وطلبنا (تكس[١٨٦]) وركبنا ومحسوبكم ركب في الوسط زي العريس ودارت السجاير المحشيه (بالحماس[١٨٧]) وفضلنا نغني لحد ما وصلنا للحته ونزلنا وبلحه دفع أجرة التكس وسابوني وأنا روحت على البيت قابلوني بقى بالهوسه إياها بتاعة النسوان قعدت اتغديت عدوه لكن مكن ورحت داخل على الحمام استحميت ولبست هدومي النضيفه وخدت لي تكويعه لطيفه لحد المغرب قمت لبست جلابيتي الجوخ واتعممت باللاسه[١٨٨] ونزلت الشراريب على عنيّه واخدت حتة شومه على الكيف وتني نازل خرمت على قهوة عرابي وقعدت جنب قصاري الزرع وطلبت (شيشه) وعملت ابو علي جه (عرابي) وسلم عليَّ وقال لي سيبك بقى دول عيال مهما كانت الحاله فقلت له عيب يا عرابي داحنا جدعان نعشق النبي والرجاله ما تفوتش (طارها) واحنا في الكلام ومتله وطب علينا الواد بلحه وسلم علينا بصيت له لقيت وشه مربط فقلت له جرى ايه يا بلحه قال لي الواد الصرفي خلاني قاعد في قهوة (زغيرا) وراح (مالي) فيه هو وشلته وعاوز أرفع عليهم قضيه فقلت لعرابي عن اذنك دقيقتين واخدت بلحه وتني قايم وفي السكه قلت له روح انت وقابلني بكره الصبح عد عرابي فقال لي وجب تني ماشي لحد قهوة (زغير) لقيت الصرفي قاعد جنب ابو سنه الفسخاني فبصيت له بعمة (بستفه[١٨٩]) وقلت السلام عليكم فردوا الجماعة اللي قاعدين الا هو ما

---

[١٨٦] ـ اتومبيل اجره.

[١٨٧] ـ اسم من أسماء الحشيش.

[١٨٨] ـ قطعة منسوجة من الحرير الملون تلف حول رأس كل (فتوه).

[١٨٩] ـ اي نظر توبيخ واحتقار وسخرية.

ردش السلام فقربت منه وقلت له إيه ذا يا واد يا بشت انته عامل عليّيه فتوه ليه ما بتردش السلام ورحت مناوله شومه على اقصابه راح نازل على الارض وراح قايم رواقعني بكرسي خليت منه وخدته على الشومه ورحت مناوله واحده والتانيه والتالته (على بزازه مؤقته) ومن حرقان الضرب حب يزوغ رحت ماسكه وقالع البلغه من رجلي وفضلت أسفخ له في خلقته لحد ما جت شلته وهجمم رحت هاجم طاخ طواخ طيرتهم وعنها دورت على بلغتي ولبستها وتني راقق عالبيت في الصبح قمت من النوم لبست جلابيتي السكاروته واتعممت بالاسة اللي اشتريتها جديد ونزلت على قهوة عرابي لقيت بلحه قاعد جنب القهوة سلمت عليه وحكيت له على الحكاية ودخلنا على جو القهوة لقينا الصرفي قاعد جنب عرابي والحاج محمد الطباخه ووشه كله محرشم فسلمنا وبعد السلام قعدنا زعق الصرفي وقال لصبي القهوة شفهم يشربوا ايه فقلت وجب اكراما للمجلس اللطيف ووجود الحاج محمد الطباخه واخو يا عرابي القصد شربنا الطلبات والكلام خد واعطا ومن هنا لهنا إصطلحنا وقام الصرفي وباس راسي... عيب هو احنا شويه في البلد؟!... داخلنا اللي طوينا أكبر شنب تحت الجناح.. ما تعبرونا يا خلايق...

اتهديت شهر وبقيت من البيت للقهوة ومن القهوة للبيت فعقلي قال لي وايش بعدها بقى انت فتوه؟ آمنا وصدقنا ومش عيب فتوه وصايع؟. ما تجيش.. اعمل ايه؟.. قلت ياواد كار أبوك ولي بك وعلى كل حال ان ماكانشي في مكسب آهو يبقى للانسان مركز والسلام رحت قابلت (الرخاوي) وقلت له بقى يا معلم سعد مش حانشوف لنا دكان قال لي هوه انته بتاع شغل؟ اقول لك تعالى معايه (في المدبح) علشان تتودك فقلت له طيب يا عم قال لكن على شرط تسمع كلامي وتعبرني ف وسط المعلمين فقلت له وجب يا عم عارف وجب ليه؟ لان اكل المه صنعه آهو اكتسب من (فقامعلم) زي ده وابقى واد من ارباب الصنع... اتفقنا على كده.

وتاني يوم صحيت الصبح بدري وخدت ترماي المدبح وتانني (زاقق[190]) دخلت المدبح لقيت معلمي... الله... (معلمي وأبوها) اشتغلت وانا في المدبح لقيت كل من كان بيعبره فقلت عال الحمد لله انت (فتوه ومعلمك فتوه) فضل شويه إيام خدت طبع عمي وتني لما دخلت مزاجه (وشربت الكار[191]) جه في وقال لي سيبك من المدبح علشان المدبح مرمطه وانته خساره لانك واد فهلوي ويصح تكون في دكان قلت له الامر أمرك تاني يوم حالا لقيت الدكان ما تقولش كان رابط عليها وعلى (ذالوك) خدت بعضي وعلى الدكان ورحت (مخزن) وعارف الدكان دي كانت فين؟ كانت في وسط الميدان بتاع باب الشعرية نهايته قعد في الدكان وعملت معلم وبقى السايب في السايب غايته آخر النهار يجي المعلم بعت بكام اروح (مناوله) اللي بعته ربنا يخده ويمشي ويقول لي الله يسهل لك يا بني.. لقيت زبايني اكترهم ن اياهم.. وبرمجيه وانا ما اكره ما عليّه الا صباح الاشكال دي فالحمد لله محسوبكم شقي ولكن شقاوه بالشرف.

قعدت مدة وانا في ديقة من (هاذوها) الخلق جيت في يوم آخر النهار قلت له بقى يا معلم (اللي يختشي من بنت عمه) قال لي ما يجبش منها عيال فقلت له بس انا ماليش عيشه في الحته دي وغير كده ما تسمعشي مني مش لا سمح الله خوف من حد لكن خوف على بتاع الناس وعلى كده ربنا يطول عمره قال لي تبع اختك يابني روح الدكان التانيه... رحت الدكان التانيه بالكم فين؟ على باب شارع النزهه في وش دكان أبويا يرحمه استلمت الشغل زدت النص وزاد المكسب وكل مادا والمعلم يعبر محسوبكم بقيت عنده زي ابنه وعلى (ذالوك) امتثلت وربنا هداني (لا خناء) ولا (دياولو).

في يوم وأن قاعد على باب الدكان (هجمت) الزباين وفي وسطهم بنت زغرت[192] الى زغرة (أقول لك الحق مفاصلي سابت) سحرتني هوستني

---

[190]- أي ذهب.

[191] - تعلمت وفهمت.

[192]- نظرت.

جذبتني زغرت لها ضحكت قلت يا فتاح يا عليم يا رزاق يا كريم حسيت بدوخه يا حفيظ يا رب مشيت الزباين وهيه واقفه استغربت اكتر وقلت للصنايعي ما تقوم يا جدع تشوف (الصنيوره) عايزه إيه ضحكت الله غريبه أنا عاوزه رطلين إنما على زوقك لكن بكام؟ قلت لها اني وإلا عجالي قالت لي ضاني قلت لها من غير فلوس قالت لي كلام ما اسمعوش (من كل بلاش راح بلاش) وبعد كام (نكته) لطيفه خدت ومشيت قعدت أفتكر وأقلب وأعاير لحد العصر طلبت (تعميره) وقعدت على باب الدكان بعد (التشطيب) إلا وفاتت إنما بشكل (أحيه) زاد تفكيري في كلامها الليف ساعة ما قالت سعيده يا معلم ومشيت وراحت واقفه عند محطة الترمواي وركبت (بريمو) قمت وسبت (الجوزه) جنب الكرسي وجريبت نطوت على السلم ووقفت شويه أشاور عقلي أبص لها. تضحك ومحسوبكم تقولوش اتربط ورجليه إسَّرت. شاورت لي رحت (آزح) بقيت جنبها جه الكمساري رحت مطلع (الفكه[١٩٣]) وقلت هات اتنين فراح مديني تذكرتين وراح (راكن[١٩٤]) قلت دهده هي الحكايه (مأصوديه) حبيت (أزحلقه[١٩٥]) ما عرفتش لكن لك شيء سبب ربنا رزقه بخناقه مع المساعد فراح من قدامنا قلت له روح داهيه لا ترجع البعيد خلي لنا الجو وقعدنا مفيش مطلع غير ربنا قلت لها على فين (العزم) قالت على الموسكي أشتري حاجات قلت لها بقى أنا لسه عمري ما فيش وحده خالقها ربنا انشبكت بيها إلا أنتي قالت لي يا سلام بالعجل كده قلت لها أهو اللي حصل وزي ما بحبك لازم تحبيني قالت وزياده حبه فقلت يا دين النبي أهو كده الحب والا بلاش تني راكب معاها لحد العبته ونزلنا دخلنا محل (استين القديم) وعنها اشترت اللي اشترته وخرجنا (واكننا بدرلارحنا ولا جينا) قلت لها فسحه.. قالت مش وقته بعدين.. ركبنا الترماي بتاع السكاكيني وفي المحطه اللي قبل آخر الخط قالت أنا نازله هنا أحسن حد يشوفني... نزلت وأنا في (كعبها والحداقه) ماشافتنيش وتني وراها

---

[١٩٣] ـ النقود.

[١٩٤] ـ أي وقف.

[١٩٥] ـ تحايل عليه ليبتعد.

لحد ما دخلت البيت.. وقفت على بعد (واتسلطن الغرام) وبقيت يا خللي زي ما أنت راسي (والحب كان صعب عليه) وقفت والانتظار يهلك أخيراً رجعت وأنا راجع لقيت (شلة) جعافره وخد يا تنبيط.. الله. على مين يا واد؟!. عليّه؟!.. الحقيقه (أم لا خرص تعرف بلغاه). ركنت جنب الدوران شويه مليحه (كسحوا) ناحيتي قلت (اللهم اجعلها على شهاده) بقى لنا زمان.. (والشكوي لاهل البصيره عيب) وبالمصادفه شفت الصور في (محود) من شارع المدارس نازل على الحسنية.. ندهت له أوه أبو زيكه. بص وراه شافني جه وقال لي أهلا بالمجدع قلت له يه رأيك مش خناقة المسا في شرعنا (دبل) قال لي إش وأبوها حقه وأخوك (شرقان) قلت أقول لك يا زكي (جس النبض) قال لي نبض إيه يا بو عرب دول نجسهم بالشومه وهب وطيخ طاخ اللي كانوا مضبعين طاروا.. قال وراهم. تتنا وراهم لحد دخلوا قهوة (محمود الفارسي) قاموا اللي قاعدين وفي وسطهم (محمود). مهيص اتخلخوا واتلبخوا ومحمود زعق ارجع يا واد انت وهوّه. واد؟! واد إيه يا فتوة الحلاليف. طب وخليناها ضلمه وخلينالك الفتوه المشهور ما يسواس طورتين فول. كتفناه بلاسته وفتناه في وسط القهوة يمسح بلاطها ورحنا ماشيين دخلنا خماره (بنايوتي) اللي في الضاهر. أول ما شفنا (بنايوتي) قال... إيه خابيبي فين بجاله زمان الصخه موش كويس. قلت له عال قعدنا وهو معانا وهات يا شرب على حساب الخواجه وعنها قضيناها سهره (نص لّبه) وقمنا من الظاهر على الحسينيه قعدنا على قهوة (زغير) لحد الساعة اتنين بعد نص الليل قمنادخلنا كل من هو على بيته.. وفي الصبحيه رحت الدكان لقيت الصنايعي فاتح واللحم ما جاش ضربت التلفون وشويه طلباتنا طبت قعدنا رحمت الدكان وهات يا شغل لحد الساعه حداشر ونص ربنا سهل ما فيش العضم.. قمت عدّيت الغله الحمد لله اتعشت قعدت وطلبت تعميره. الله ربنا.. حقيقي الحب بلا. ماجاتشي (النتايه) إيه السبب؟ ضحك على فون شويه (وطبت) ما تقلش غرقان ورسيت على بر. قالت سعيده قلت سعيده ونص ليه ما سعيداش (سعيده وفوقها رطلين لحمه) قالت هيء هيء لها لا هيئ ولا مهئ إيه طلبات الساده يا قمر. قالت رطلين قلت لها أجيب منين. تشطيب وشطبت وحب وحييت وعربون الحب (خناءه) طنه مملكه. أنس قالت لي لازن الحته بايته

معاك قلت لها انتي شيخه والا عليَّ الحلال وحق من حكم عليّه بالحب (أنا من نار الغرام راح أموت) يا واد وندهت للصنايعي وقلت له خد منها الفلوس وهات لها رطلين لحمه من عند عمك حسين وبصيت لها وقلت لها إلا قولي لي إسمك إيه يا لطافه؟ ضحكت وقالت اسمي روزه قلت اسم الصليب حارس الاسم وأصحابه، قالت لي أنا أتاخرت، قلتلها فضلك (كل تأخيره وفيها خيره[196]) عارفه انتي عملتي (دقت نقص) قالت يا ندامتي إيه اللي عملته (يا حبيبي؟!) ساعة ما قالت يا حبيبي، بصطة نار وحرقت قلب محسوبكم (اتلبخت[197]) وقصرت على ما عندي قلت إيه اللي عملته؟ قلت لها عارفه ساعة ما نزلتي من التماي امبارح وقلتي احسن ما حد يشوفني وسبتيني (أرن[198])، قالت (ترن!) يا قلبي حقك عليَّ أنا محقوقه، قلت لها لا حق ولا مستحق، نهايته عرفت البيت، دحكت وقالت وإيه يعني سعيده ومشيت، وشويه وجه (الصورفي) قال سعيده قلت له أهلا يا (زيكه) قال لي العيال الجعافره عاملين ترتيب الليله قلت له يعني يا زكي واحنا حنتهت من حبة كلاب زي دول قال لي ننهت! طب وحق خالق الخلق ربنا لازم (أشرح) لك أجعص شنب فيهم، والميه تكدّب الغطاس[199]) أما إنت يا اخويا شوف شغلك ودوني ودونهم وأخوك (سبع) ونَفَسك معاه قلت له ربنا يديم المعروف قال سعيده يابو حجاج قلت إزاي لا قهوه ولا حاجه متجيش قال لي سامحني يا أخ أحسن عندي مشوار مهم قلت له مع السلمة فاتني زكي (قعدت) للساعه اتنين بعد الضهر وقلت بداله ده وده قوم روح الحمام.. (قمت لاوشك ولا ضهرك وعلى حمام (البشري) اللي في الحسنيه لان صاحبه أخ عزيز فأول ما دخلت قلت. سعيد (يا عبس[200]) قال أهلا وسهلا دي غيبه بالويبه يا معلم يوسف أنستنا شرفتنا بالحق جدع ابن حلال يعرف خاله نهايته ما

---

[196] ـ مثل عامي يضارع (في التأني السلامه وفي العجلة الندامة).

[197] ـ ارتبكت.

[198] ـ وحيداً.

[199] ـ مثل عامي يضارع (عند الامتحان يكرم المرء أو يهان).

[200] ـ تصغير عباس.

أطولش عليك (شاف مزاجي[201] على الآخر) والمعرفه للطيبه ما فيش أحسن منها وعنها وخدت بعضي وعلى البيت اتغديت ونمت لحد الساعة أربعه ونص مساء قمت خرجت قابلت زكي الصورفي وخدنا بعضينا ومشينا على محطة كبري الليمون قطعنا تذاكر للمرج.. ورحنا راكبين البابور (وزكي) يقول لي على فين يا بو حجاج قلت له دهده يا (زيكه[202]) محنش يا أخي على الخير والشر سوا فقال بس مش طب ساكت تقول لي عشان الواحد يبقى على (بصيرة) فقلت له (بالعربي خناءه) وصلنا المرج ودخلنا عند (الحلابي[203]) لقينا (محمود الفلكي[204]) الله يرحمه فأول ما شافنا قام وقال أهلا وسهلا (بالعتر[205]) قعدنا ودارت (الكراسي الممونه بالحماس الفُلّي[206]) خصمي اللي أنا قاصده قاعد. الله. حُكم حتما من ضربه وان نتش أضربه لازم أرمي نفسي تحت بابورولا يقولوش اني نوبت على شيء ولا بلاش.. قعدنا بقت الساعه تسعه استأذن الفلكي. وخرج شويه وطب الحجاج البري[207] قال أهلا وسهلا ودهده يا (حلابي) أتاني النور عندك من حتتنا قلت له النور هَلْ بقدومك الغرض قعدنا بقت الساعه عشره إلا عشره قاعد لابد زي الفار اللي خايف من القط طالت القعده أستأذنت من (الحجاج) وقمت أنا وزكي وصلنا المحطه ودنا القطر وفي الليله دي روحنا وفي تاني يوم جاني واحد صاحبي من بولاق وعزمني في فرح أخوه وقال لي لازم (الزّفه) قلت له الفرح إمته قال النهارده قلت له بكل ممنونيه وسعيده ماشي بعد ما إديتة وعد شرف بأني أروح له الساعه أربعه ولما جه الميعاد لبت وتني رايح على بلحه وزكي الصورفي ورحنا احنا التلاته

---

[201] ـ أدي الواجب كما أريد.

[202] ـ تصغير زكي.

[203] ـ صاحب محرقه حشيش مشهور هناك.

[204] ـ فتوه مشهور قتله فتوة آخر يدعى محمود الحكيم نفته الحكومة المصرية من سنة تقريبا.

[205] ـ لقب يطلع على الفتوات.

[206] ـ الحشيش.

[207] ـ أحد مشاهير الفتوات.

لقينالك بولاق وقفه على رجل) قال إيه؟ ازاي ناش مش من الحته يستلموا الزفه!!!... وخد أن خصمي إياه اللي قصدته ورحت علشانه قهوة (الحلابي) من نفس بولاق عال (أهي جت مع العمي طابات) الغرض قابلنا صاحبنا أخو العريس أطولش عليك استلمنا الزفه وخرجت واحنا قدامها لحد ما رجعناها بالسلامه وقعدنا في الفرح الا ودخل خصمي (البولاقي) سكران واحنا الطبع سكارى نيله قوي قابله العريس وقال له أهلا وسهلا قام رد عليه –لا هلا ولا سهلا أنتو ناس تقعوا في عب الغريب... هو احنا مش جدعان طب خليهم يحموكم... قمت أنا من جنب أخو العريس وقلت لصاحبنا إياه إحنا نخمي لجان وفي أقرب وقت اسخطك ولكن الصبر طيب وأدي شنبي[٢٠٨] ان ما كنش ضحك عليك أهل حتتك.. فقال لي أنته؟! فقام (بلحه) وقال له أيوه هوَّه وان كان فيه أتخن منك تجيبه لكن عيب إحنا نكرمك الليله دي بس وزي ما انت عايز قول قال له أقول يه انته يتهوشين فقام (الصورفي) وراح ناتشه حتة راس وقال له (فوق) واتكلم عدل.. اترمى الارض واستحلاها (نومه) رحت مقومه وقلت له روح على الحلال عن دراعي ما أنا ضاربك الا وأنته فايق وعلى شرط في وسط بولاق قدام ولاد حتتك الغرض انتهت الليله وروَّحنا الساعه خمسه صباحاً وزي ما أنا على الدكان وبلحه والصورفي روحم قعدت في الدكان زي العادة إنما (مقريف) عشان منمتش وزعلان من مسأله الواد إياه بعد (التشطيب قمت طوالي على بولاق أنا (وبلحه والصورفي) لقينا صاحبنا قاعد في قهوه هناك فراح الصورفي (منبهه) بشومه و (بلحه) شكه مقلب) فراح قايم وقال متخلوا (البأف) ده يتقدم وشاور عليَّه فرج (بلحه) وقال له لو اتقدم ده قول علي حياتك السلام فأحسن لك روّح لعيالك قال عيال إيه وراح هاجم عليّه رحت جايبه الارض[٢٠٩] وأنا فوقه وطلعت (الجنبيه[٢١٠]) من رجلي و (رقعته) تلات سكاكين

---

[٢٠٨]- الفتوات يقسمون بشاربهم.

[٢٠٩]- طرحته أرضا.

[٢١٠]- سكين كبيره يحملها الفتوات داخل قرابه من الجلد ملفوف بسيور حول سيقان أرجلهم لاستعمالها عند الحاجة.

فرّش[٢١١]في الارض وجه العسكري والشارع هاص[٢١٢] نجري.. عيب داحنا نرمي رقبتنا ونمشي وراها.. قبضوا علينا ورحنا على تمن بولاق رحلونا على سجن الاستئناف وفضلنا تحت التحقيق

ادحنا يا خللي[٢١٣] تحت التحقيق والدكان فيها اخويه (ورزقكم في السماء وما توعدون والحمد لله على الحبس والجدعنه واللي مكتوب على الجبين ترائيه العيون) اللي قالوه قالوه واللي قلنا قلناه وثبتوا علينا التهمه. الله. احنا الزباين البريمو. أحنا في السجن ومنتظرين (الجبا) من قاضي الاحالة. اش ارمي. جنايه الحمد لله على كده. لله الله. يا ربنا عبيدك المساكين اتضايقوا. مافيش صبر عايزين نسمع نطق الحكم. سنة.. اتنين. تلاته. رقبتي سدّاده قلت (لبلحه) وقعنا وجت رجلنا يا حظ فقال لي (بلحه) جت رجلنا ايه ودي إش تكون حنب حنحسب حساب ايه أدي إحنا فتوات وارباب سجون. صهين دالبي من ربنا لان ما يصحش اننا نكون فتوات ويبقى الواحد منا طول وعرض وصيته لافف وضارب الدنيا[٢١٤] كلها.

---

[٢١١]ـ تمدد.

[٢١٢]ـ أزدحم.

[٢١٣]ـ يا عزيزي.

[٢١٤]ـ ذائع الصيت

أحمد فؤاد نجم

الفاجومي

السيرة الذاتية الكاملة

دار الأحمدي للنشر

أهل زمان يقولوا: الحق حبيب الله.

موسى نبي.. عيسى نبي.. محمد نبي.. وكل حي وله نبي.. وكل من له نبي يصلي عليه..

أنا الفاجومي.. في سوق الرجال؟.. محض مواطن.. لا اسم ولا كسم.. ولا سعر.

إنما بقى حسب الأوراق الرسمية وختم النسر.. أنا مواطن كامل الأهلية.

الأسم.. أحمد فؤاد نجم.

الوظيفة.. شاعر.

الديانة.. مسلم وموحد بالله.

النوع.. ذكر.

وفرق دا ودا باتمتع بجنسية مصر العربية

ولا تتعجب يا صديقي.. إنها إرادة الله.

اللي شفته ح أقوله.. من طقطق لسلامو عليكو.

عجبك كلامي؟ اشتري.. وأهل زمان يقولوا.. الشاري كسبان والبايع خسران – ما عجبكش الكلام؟ بين الشاري والبايع يفتح الله.. وربك رازق البعض من البعض وغاني البعض عن البعض.

الله يرحمك يا امه.. هي اللي علمتني اللماضة دي!

كانت واحدة فلاحة.. لا بتكتب ولا بتفك الخط –إنما أجارك الله كانت في الكلام مكلمة.. بس مش أي كلام- وكانت لما تبدأ ما تنتهيش زي أبريق العسل اللي ميل على بزبوزه وهاتك يانز.

ما تعرفش كانت بتجيب ده كله منين؟ إشي حواديت على إشي نوادر على إشي حكم وأمثال على إشي مواويل في شكوى الزمان!

لما كان الهوى ييجي سواء كانت تحطني في حجرها وتفضل تزققني لحد ما أشبع وأرتوي والإش بقى لما كان الوجد يستحكم ويحرك الشجن الحجر.. سخن ومفرهد وعرقان ومشروخ لكن جواه خيط حرير ناعم ماتعرفلوش أول من آخر.. يشدك من شراشيب قلبك ويفضل يطرحك في الهوا (دوخيني يا لمونه) وبعد الدوخة ينزلك على كفوف الراحة مستحمي ومغسول بدموعك.

يا حلواني

بيع الحلاوة اللي عندك

يا حلواني

عضيته عضة وبانت

مطرح أسناني

خر العسل يا جميل

وشربته بحفاني

والناس تنقط بفضة

والدهب غالي

وأنا بانقط حبيبي

بس بوصالي

يا حلواني.. بيع الحلاوة اللي عندك
أنا بقى يا سيدي كنت أسمع من هنا وهاتك يا نهنهة وهاتك يا شنهفة وعياط لحد مازوري يوجعني وعنيًّا تدغبش وخدودي تولع من لسع ميَّة العين اللي عاملة لها على كل خد مجرى.

وحتى لما كنا بنتخانق ودا كان بيحصل يومياً وبدون أسباب جوهرية.. كانت تبدأ الموشح بلعن سنسفيل جدود اليوم المنيَّل بستين نيلة اللي هو يوم ٢٢ مايو سنة ١٩٢٩.

كان يوم أسود يوم ما جبتك.. كان صباحه أسود من مساه.. الصبح وعلى ريق النوم يا فتاح بلا مفتاح جاني الخبر اللي هو أسود من قرون الخروب قال إيه؟ أبوك الله يجحمه مطرح ماراح كان عايز يتجوز علي..

والنبي ماني مسامحاه ليوم حاشر عزت ابن مريم القادرة الفاجرة اللي رمت عيالها لحمه حمرا وراحت الأنيتة اتجوزت حسن أبو مطر البغليط أبو فلايط اللي كرشه يبلع مال النابي ويقول مابي.

الضهر وف قوله الله أكبر زعق غراب البين جاب خبر الحاج متولي الطحش المزين جوز أختي منتهى الحزينة اللي جت يا قلب أمها تفرح ما التقتلهاش مطرح واتهجلت يا كبدي والحنة لسه في إديها.

صفار شمس فرقع وأبور الجاز في بطن البت فردوس بنت جارتنا وراحت يا قلبي شابة تقول للعمر قوم لما أقعد مطرحك.. لكن برضه ما تعظمش ع اللي خلقها وقبل مايرجعوا من دفنتها جاني الطلق فيك يا مخفي الاسم وبعد خزق

ومزق وهدة حيل نزلت يا مقصوف الرقبة وياريتك ما نزلت.. كل عيال المسلمين بتنزل بدماغها إلا إنت اللي تنضرب في كمينك.. نازل برجليك لما كنت حتموتني.. وبقت ستك سعدة الداية تخبط كف على كف وتقول آدي صحيح الزمن اللي وصى عليه حسان اليماني وشالوني ع الاستبالية هيلا بيلا وأنا بين الموت والحيا.. لكن ربك خلق الطب والدوا وخلص روح من روح.. وهناك نزلوا المرحومة.. فلقة القمر آدي الشعر وآدي الوش وآدي شرطة العين.. سميناها فاطنة وهي فاطنة.. أتاريها نازلة يا قلب أمها ميتة وتلاقيك انت اللي قتلتها يا مجرم يابن المجرم).

يبقى حسب رواية الست الوالدة وبغض النظر عن مجموعة الكوارث اللي اتجمعت لاستقبالي نزل محسوبكم متهم بارتكاب جناية قتل وكمان مش مكفيني.. لا.. نازل برجليًا.. يعني نازل ماشي!

وأهو من يومها.. وأنا ماشي.. بلاد الله.. خلق الله.. اتفرج ع الناس والناس تتفرج عليَّ.. حاطط همي في قلبي وكاتم الدم ع القيح لحد ما جرى ما جرى.. وصلوا على خير الورى.

أمي جابت تلتاشر بطن.. منهم أربعة مجوز.. يبقى المجموع في عين العدو سبعتاشر مواطن بالتمام والكمال.

أنا كنت عضو في المجوز الرابع والأخير من مسلسل حشو وتفريغ احشاء المواطنة المصرية هانم مرسي نجم أمي عليها السلام.

السبعتاشر مواطن اللي انجبتهم السيدة الوالدة بالاشتراك مع السيد الوالد صفصفوا على خمسة زائد واحد في عداد المفقودين اللي هو.. على.. والباقي اتكل على الله وعشان كده كانت المرحومة بتسمينا (فضلة الموت) وكانت فخورة بينا جداً.. لأسباب لم تتضح بعد.. كانت تتجعص في مجالس النسوان وتقول بالفم المليان.. أنا أم الرجالة يابت.. تقولها بالاطة ولا الأميرة فوزية مرات الملك إيران اللي كنا بنغني لهم زمان وإحنا عيال:

حسن يا عمر

قوم ارفع العلم

الملكة فوزية

والملك إيران

داخلين الجمعية

يحفظوا القرآن

أمي تبقى بنت عم أبويا محمد أفندي عزت ضابط البوليس الحليوة المعجباني البرمجي اللي مقطع السمكة وديلها وملهلب قلوب النسوان ومسهر العذارى في المضاجع.. خدها وهي بنت تلتاشر سنة.. حسب روايتها.. شافها وهي بتلعب مع البنات في الحارة.. سأل:

ــ مني البنت البيضة أم شعر أصفر وعيون فروزي دي.

قالو له:

ــ دي هانم بنت عمك.

قال لهم:

ــ عمي مين؟

قالو له:

ــ عمك الحاج مرسي.

صاحبنا ماكدبش خبر.. على بيت عمه وطلبها منه لا إحم ولا دستور ستي آمنة اللي كانت زي الأرنبة الرومي الرقيقة الجميلة ما قدرتش تمسك نفسها ورفعت صوتها لاول مرة في وش جدي الرهيب

ــ البنت لسه جاهلة يابو عباس

قال لها:

ــ الجاهل بكرة يكبر يام عباس

قالت له:

ــ بس عزت فلاتي وديله نجس يابو عباس.

قال لها:

ــ إدعي له ربنا يتوب عليه ويهديه يام عباس

قال له:

ــ لأ بقى.. ياكلها التمساح ولا ياخدها السفاح.

جدي اعتبر الفقرة الأخيرة من كلام ستي آمنة خروج على النص وادب الحوار رايع شايل إيده اللي زي المرزبة ورازعها قلم مكومها ع الأرض وراح حاطط رجله على رقبتها زي الزير سالم ما عمل مع الأسد اللي كل حماره.. وزعق بعلو صوته:

ــ ابن عمها ياخدها من ع الجمل يا بنت المزين

———————

اجعص عروسة أيامها كان بيندفع فيها خمسة جنيه.. لكن أمي أندفع فيها خمستاشر جنيه دهب مجيدي عداً ونقداً.. وفي ظرف أسبوع كانوا جهزوها وشوروها وعلى بيت العدل دوَّروها.

وهي بتركب التختروان حضنتها ستي آمنة وقالت لها من بين دموعها اللي نازلة تسح:

ـ كان بدري عليك يا قلب أمك يا بنتي.. منه لله أبوكي اللي باعك بيعه جزارى.

شخطت أمي زنوبة اللي هي خالتي الكبيرة في ستي آمنة:

ـ يامه حرام عليكي ما تفسريش في وشها.

وطبطبت على أمي وقالت لها:

ـ يغلبك بالمال وتغلبيه بالعيال ياختي.

وودت وشها الناحية التانية وانفجرت بالعياط.

الوداع يا عزبة أبو نجم.. اختلطت الزغاريت بالدموع واتحرك الركب الميمون بالعروسة الطفلة هانم أم مرسي وعلى مصر أم الدنيا عشان تعمر وتتمر وتعيش مع جوزها في التبات والنبات وتخلف صبيان وبنات.

بعض الناس الللطيبين وأولهم ستي آمنة طبعاً كانوا حاطين إديهم على قلوبهم وخايفين ع البت المفعوصة من وحش الغلا الكاسر محمد أفندي عزت الشهير في عالم النساء بالزناتي خليفة.. وتلاقيه هو كما كان بيتهيأله إنها حتبقى حمل على كتافه.. بت بقى فلاحة عبيطة لا راحت ولا جت ومحتاجة الرعاية والتغذية زي أي جاموسة في زريبة جده الشيخ نجم الكبير المؤسس الأولة لعيلة أبو نجم الشهيرة.

مالحقش الزمان يروح ولا ييجي وف ظرف سنة كانت البت الفلاحة المفعوصة بقت الست أم علي عمدة نسوان شارع سيدي المعاليفي بشبرا البلد.. على سن ورمح.. واتحول كازانوفا الجبار اللي هو السيد الوالد إلى زوج مطيع جداً يفكرك بالخروف الصومالي المستورد.. عديم القرن واللية.

أولاً: بطل السنكحة ع القهاوي لأنها اتعلمت له سراً كل ألعاب التسلية من كوتشينة بجميع أنواعها لضومنه عربي وأمريكاني لطاولة وفاجئته بمستوى محترفين وكانت بتقعد كل ليلة تغلبه على كل لون يابطيسطا بعد ما يسرق ويحيص ويزوزغ واحنا ينتفرج على غلبه وحركاته ولعبه اللي مش نضيف ونضحك في سرنا.

ثانياً: بطل الصرمحة وهجر مجالس الأنس وإخوان الحجر لأنها عملت له عدة بيتي وكانت بتجالسه وتجانسه ولأن –الكيف مناقلة- كانت بتشاركه صد رد لغاية ماتوصله لمرحلة الانسجام التام وهذا هو المراد من رب العباد.

قُصر الكلام.. مسكت في رقبته زي الأوبة الإنجليزي وفضلت تحبل له وتولد له.. وتولد له وتحبل له.. لحد ما شنكلته بالعيال.

بس الأكادة حطت كتفها في كتفه وزاملته بشرف وجدعنة واتغربت معاه في كل بلد راحها ورا أكل عيشه.. من مصر لاسكندرية وم اسكندرية لطنطا ومن طنطا للسويس بلد الغريب وم السويس لبنها العسل ومن بنها ينهي قطر الغربة رحلته بينا في محطة الوصول الأخيرة.. الزقازيق عاصمة الشرقية (بلدي).

كان المرحوم أبويا سايب سلك البوليس – واتعيِّن في وزارة المالية ولما وصلنا الزقازيق- استلم عمله (رئيس خزينة المحكمة الكلية بالزقازيق).

بلدنا عزبة أبو نجم تبعد عن الزقازيق ٢٤ كيلو متراً ويمكن ده هو اللي شجع أبويا يبني لنا بيت في العزبة ويمكن تكون كتافة تعبت م الشيلة فقال في عقل باله:

ـ ما تريح يا واد حبتين من هم المرا والعيال ووجع القلب.

القصد قعدنا في بيت العزبة وقعد هو لوحده في بيت الزقازيق، وكان بيشرفنا بزياراته المفرحة كل يوم خميس بعد الظهر ويقضي معانا الجمعة ويصبح السبت يسافر على شغله.

أنا في الأيام دي كان عمري حوالي خمس سنوات.. يعني شفت أبويا كويس.. كان راجل جميل.. زي عود الزان.. وكان نضيف وشبلي حتى وهو لابس الجلابية السواكبيس البيضا.. كا بيبقى زي القمر.. وكان أب شديد الحنان وأحياناً شديد القسوة مرة كلني قلم على سهوة دوشني لأني كنت ماسك عصفورة من رقبتها ومعلقها!

كنا بنستنى زيارته زي العيد.. كان بييجي محمل بالهدايا الجميلة وكان يحطنا كلنا في حضنه ويدي كل واحد هديته والفرح والحنان بينطوا من عنيه.

وكان ليلة مابيجي البيت يتملي ضيوف يتعشوا ويسهروا ع البراندة حوالين النار والدخان المغمس والحواديت والقفشات والضحك والانبساط.. وكنت أنا الوحيد بين إخواتي اللي مسموح لي أحضر القعدة وكان أبويا يسلطني على أي واحد من الضيوف اتمتم واشحط واتف في خلقته وابويا يضحك من قلبه وياخدني في حضنه (مش عارف ليه).

يعني رجعت هانم أم مرسي الى قواعدها في عزبة أبو نجم.. البت المفعوصة اللي خرجت امبارح من الحجلة على بيت العدل رجعت النهاردة حاجة تانية.. ما بقاش اسمها هانم. بقت الست أم عبد العزيز بعد ما ضاع منها على البكرى وأول الفرحة... ضاع في السفر والغربة ماعرفتلوش طريق جرة لكن كان دايماً حاضر معانا في حواديتها عن جماله ونباهته وأحياناً في غناها الحزين اللي كان بيسحرني ويبكيني.

انا شفتها في الفترة دي دارت واستدارت وخراط البنات خرطها على ذوقه.. الشعر الأصفر كاس صدرها وضهرها زي الشال القطيفة ومبروز وشها اللي كان لونه بمبي من غير دهان والعيون الفروزي اللي تغرق فيها العين ماتجيبش قرارها والعود الفارع زي نأز الطرفه.. وفوق دا كله كانت زي أبويا نضيفة ومشلبنه ـما أعرفش أنا طالع نتن لمين؟ـ

والسؤال اللي لسه محيرني حتى وقتنا هذا:

ـ مين ابن الشيطان اللي كان شار عليها تركب سنانها فوق تحت.. دهب؟

انا بطبيعتي ما باحبش الدهب ويبدو انه هو كان بيبادلني الشعور لكن الدهب اللي كان في بق المرحومة لما باعته سنة سنة وضرس ضرس أنقذ بعضنا من المرض وانا أولهم وانقذنا جميعاً من عضة الجوع موت أبويا المفاجئ يوم الجمعة ٨ يوليو سنة ١٩٣٥.

التاريخ ده أنا قريته على حيطة قاعة الفرن الجواني بخط عبد العزيز أخويا الجميل اللي كان مالي حيطان البيت في شكل حكم ومواعظ وأحياناً أشعار في الحب وشكوى الزمان.. مثلاً:

أفديه إن حفظ الهوى أو ضيَّعا..

ملك الفؤاد فما عسى أن أصنعا..

من لم يذق ظلم الحبيب.. كظنه..

حُلواً فقد جهل المحبة وادعى..

أو

إن قل مالي فلا خِلّ يصاحبني

وإن زال مالي فكل الناس خلاني

فكم عدو لأجل المال صاحبني

وكم صديق بفقد المال عاداني

أو

لو كان الفقر رجلاً لقتله

أو

القناعة كنز لا يفنى.. إلخ

الجمعة ٨ يوليو ١٩٣٥.

يومها كنا قاعدين على مصطبة خالي حسن أبو مهدي.. الرجالة لابسين الهدوم المزهرة والنسوان لسه شعورهم مبلولة من حمام الصبح.

كان موضوع الدردشة هو المقارنة والمفاضلة بين مهارة أبويا ومهارة السيد أبو دقاق شيخ الغفر في النيشان والرماية وأخيراً قال خالي حسن أبو مهدي حسماً للمناقشة:

ـ سيد أبو دقاق ابن ليل مايركب شيخ غفر وشطارته إنه بيصيد في الضلمة لكن عزت ابن عمي اتعلم النيشان في المدرسة وشطارته إنه بيصيد في النور وهو دا الفرق بين سلاح الحكومة وسلاح الحرامية والمنسر.

وفجأة سمعنا صوات جاي من ناحية دارنا وضحك خالي حسن وقال:

ـ دا على أبو سماحة بيضرب بهية ما هو النهاردة الجمعة.

وقال أبو عبد الله ابن عمي (تاجر التموين):

ـ برضه خروف يا علي يابو سماحة.. تضر ما تضرب برضه خروف.

لكن عبد اللطيف أبو مصطفى ماخلصوش كلام أبو عبد الله فسأله:

ـــ طب إنت يابو عبد الله تقدر تعمل زيه وتضرب الست نفيسة؟

قال له:

ـــ يا حمار يابن الحمار ما هو لو نط الليلادي زيي ماكانش بقى في حيل للضرب.

وضحك خالي حسن وقال:

ـــ العوض على الله في الرجالة ياولاد.. يظهر إننا دخلنا عصر الرخا.

وفوجئنا بأمي زنوبة هاجمة علينا بحلة مليانة وراحت دالقة نصها فوقي (نيلة زرقا) وهي بتولول وتقول:

ـ أبوك مات يايتيم.. يا خراب بيتك يا هانم.. ياشماتة العدويين فيكي ياختي.

جرينا كلنا على بيتنا.. فتشت بعيني على أبويا لقيته نايم ومتمدد على السرير النحاس وعينه مفتحة مطغية وشفت أمي مرمية ع الأرض مغمى عليها وأمي زنوبة مغرقاها نيلة زرقا.. يا سنة سودا ياولاد.. أبويا مات.

مات محمد أفندي عزت الحليوة المعجباني البرمجي اللي كان مقطع السمكة وديلها وملهلب قلوب النسوان ومسهر العذارى في المضاجع.. مات في عز الشباب ياولداه.. مات وهو متوضي لصلاة الجمعة ودا معناه في رأي زنوبة إنه ع الجنة حدف لكن أمي هانم كان لها رأي تاني.. إنه مات ومفيش في جيبه غير تلاته جنيه كانوا هما كل التركه اللي فاتها رئيس خزينة محكمة الزقازيق الكلية لولاده الخمسة القصر وأرملته الشابة الجميلة الست أم عبد العزيز.

أنا أحمق من الحماقة

من كتاب يا أهلي يا حُبي يا حِتة من قلبي لأحمد فؤاد نجم

فاجومي .. يعني إيه؟

الحمدلله على كل حال.. وتصدق ما تصدقش أنت وشوقك.. أنا بصراحة كنت منتظر اللي حصل ده.. لكن مش بالحجم ده.. أولا روز اليوسف ارتفع توزيعها إلى الضعف تقريبا.. أنا اتأكدت بنفسي.. صحيح أنا قبضتش ولا صرفت من هنا ولا من هنا.. لكن كنت أسعد الناس بالنتايج اللي حققها نشر الفاجومي.

ليه بقى؟ أنا أقول لك ليه بقى –النجاح ده أكد لي إني ماشي صح وإن مفهومي عن وظيفة المبدع صحيح ميه في الميه وواقعي ميه في الميه.

المسألة مش فلوس ومكسب سريع.. أبدا اللي أبقى من الفلوس ومن الحظوة عند الحكام هو حب الناس البسطاء واحترامهم واللي يدوق يعرف أنا بقى دقت وعرفت ومش مستعد أخسر ده تحت أي مسمى وتعالوا نحسبها بالورقة والقلم.. أولا أنا باقدر أبص في وشي في المراية.. ثانيا أنا باقدر أنام بعمق في الوقت والمكان اللي باختارهم.. ثالثا أنا عمري الآن سبعة وستين سنة والحمد الله باتمتع بصحة نفسية وذهنية وبدنية أكتر من أي شاب –قولولي بقى حد يقدر يشتري دا كله بالفلوس؟

نرجع بقى لموضوعنا لأن جميع اللي قروا المذكرات تقريبا سألوني –فاجومي يعني إيه؟ - والحقيقة إن كلمة فاجومي في العامية المصرية بتستخدم للدلالة

على الشخص المندفع اللي يقدر يقول- يا غولة عينك حمرا- بنفس السهولة اللي يقول بيها كلمة –سلامو عليكو-

وأنا ح اضرب لك مثل بحكاية شعبية مالهاش علاقة بكتب المؤرخين الرسميين والحكاية دي كان بطلها الأول شيخ أزهري وكان بطلها التاني السلطان سليم الأول أو الخاقان الأعظم زي ما كانو بيسموه.

بعد الإيقاع بالسلطان العظيم طومان باي قائد المقاومة الشعبية ضد الغزو العثماني لبر مصر المحروسة وإعدامه وتعليقه على باب زويلة.. خاف القتلة من غضبة الشعب المصري اللي كان بيعشق طومان باي لدرجة إن العامة كانوا بيسموه طومان باي المصري رغم أصوله الملوكية.. وهداهم تفكيرهم لفكرة الإعلام –اللعبة السرمدية لحكم الشعوب- وطبعا أيامها لا كان فيه صحافة ولا إذاعة ولا تليفزيون لكن كان فيه الجوامع والكنايس.. إذا خطب المشايخ والقسس على المنابر باسم أي هلفوت يصبح سلطانا على البلاد والعباد والناس تقول.. آمين وفي زيارته الأولى للأزهر الشريف اصطحب الخاقان الأعظم خازنداره محمل بأكياس الدنانير ولدراهم.. وكان كل ما يوصل أحد الأروقة ينتفض شيخ الرواق ومجاورينه ويأدوا مجموعة من الشقلباظات إمام السلطان وهم يرددون الدعاء والابتهال إلى العلي القدير بأن يحفظ مولانا الخاقان الأعظم حاكم البلاد وسيد العباد –ومات الملك عاش الملك! ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وأما رواق الصعايدة كانت المفاجأة.

شيخ الرواق راجل هزيل ممصوص شكله طالع م القرافة يشم هوا وراجع تاني قاعد ومادد رجليه في وش الموكب السلطاني وملمومين حواليه شوية مجاورين مقشفين.. وكلهم بيرددوا ويعيدوا تلاوة الآية الكريمة –بسم الله الرحمن الرحيم (قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون) صدق الله العظيم –وانتظر مولانا السلطان أن ينتهي هذا الترتيل ويأتي دور الشقلباظات، ودول أبدا كل ما ينتهوا يبدءوا من جديد وبدأت خلقة الخاقان

تتقلب وشفاتيره تبيض ويبرطع بغل الغضب في دماغه وأدرك الوزير الكارثة اللي ممكن تحصل فسجد أمام الخاقان وقال له ما معناه إن نور طلعته طمس الرؤية عند الشيخ والمجاورين وإن ده راجل متفاني في عمله وإنه يستحق الرضا السلطاني ويبدو إن السلطان اقتنع أو تظاهر بالاقتناع فقال –عفارم عفارم- وانتهت الجولة على خير.. وأثناء توزيع العطايا حدث هذا الحوار بين الخازندار والشيخ المقشف.. قال الخازندار:

ـ وأنت يا هذا.

قال له الشيخ:

ــ /اذا يا.. ماذا.

قال له:

ـ أتدري أنك قد نلت الرضا والقبول من مولانا السلطان.

ورد الشيخ:

ـ وكيف لا أدري وأنا أقصد بأن الرزايا قدر.

ويبدو أن الخازندار لم يفهم تلميح الشيخ، فقال له:

ــ أمدد يدك يا رجل وخذ عطيتك المضاعفة وادعو لمولانا السلطان بالنصر.

ورد الشيخ بهدوء:

ـ أذهب بعطيتك هذه إلى جهنم ولا تنس أن تقول لمولاك.. إن الذين يمدون أرجلهم لا يمدون أيديهم.

إيه رأيكم بقى. مش هو دا الفاجومي.

الباب الخامس

الفلسفة واللغة والمنطق

اللغة و المنطق

مناظرة أبي سعيد السيرافي و بشر بن يونس

ـ أبو سعيد السيرافي:

حدثني عن المنطق ماذا تعني به؟ فإنا إذا فهمنا مرادك، كان كلامنا معك في قبول صوابه، ورد خطئه، على سنن مرضي وطريقة معروفة.

ـ أبو بشر متى بن يونس:

أعني به أنه آلة من آلات الكلام، يعرف بها صحيح الكلام من سقيمه، وفاسد المعنى من صالحه، كالميزان، فأني أعرف به الرجحان من النقصان، والشائل من الجانح

السيرافي:

أخطأت!! لأن صحيح الكلام من سقيمه يعرف بالنظم المألوف، والإعراب المعروف، إذا كنا نتكلم العربية، وفاسد المعنى من صالحه يعرف بالعقل (...) إذا كان المنطق وضعه رجل من يونان على لغة أهلها، واصطلاحهم عليها، وما يتعارفون به من رسومها وصفاتها، فمن أين يلزم الترك والهند والفرس والعرب أن ينظروا فيه!! ويتخذوه قاضيا وحكما لهم وعليهم، ما شهد به قبلوه، وما أنكره رفضوه؟

.متى:

إنما لزم ذلك لأن المنطق يبحث عن الأغراض المعقولة، والمعاني المدركة، وتصفح للخواطر السانحة والسوانح الهاجسة، والناس في المعقولات سواء، ألا ترى أن أربعة هي نصف ثمانية عند جميع الأمم؟ وكذلك ما أشبهه؟

. السيرافي:

لو كانت المطلوبات بالعقل والمذكورات باللفظ ترجع في شعبها المختلفة وطائقها المتباينة إلى هذه المرتبة البينة في أربعة وأربعة وأنها ثمانية، زال الاختلاف وحضر الاتفاق، لكن ليس الأمر هكذا، ولقد موهت بهذا المثال، ولكم عادة بمثل هذا التمويه، ولكن مع هذا أيضا كانت الأغراض المعقولة والمعاني المدركة لا يوصل لها إلا باللغة الجامعة للأسماء والأفعال والحروف، أفليس قد لزمت الحاجة إلى معرفة اللغة؟

. متى:

نعم

. السيرافي:

أخطأت!! قل في هذا الموضع بلى!.

. متى:

بلى، أنا أقلدك في مثل هذا.

. السيرافي:

أنت إذن لست تدعونا إلى علم المنطق، إنما تدعونا إلى تعلم اللغة اليونانية، وأنت لا تعرف لغة يونان، فكيف صرت تدعونا إلى لغة لا تفي بها، وقد عفت منذ زمن طويل، وباد أهلها، وانقرض القوم الذين كانوا يتفاوضون بها،

ويتفاهمون أغراضهم بتصاريفها، فكأنك تقول: لا حجة إلا عقول يونان، ولا برهان إلا ما وضعوه، ولا حقيقة إلا ما أبرزوه.

. متى:

لا، ولكنهم من بين الأمم أصحاب عناية بالحكمة والبحث عن ظاهر هذا العالم وباطنه، وعن كل ما يتصل به وما ينفصل عنه، وبفضل عنايتهم ظهر ما ظهر، وانتشر ما انتشر، وفشا ما فشا، ونشأ ما نشأ، من أنواع العلم وأصناف الصنائع، ولم نجد هذا عند غيرهم.

. السيرافي:

أخطأت وتعصبت وملت مع الهوى، فإن علم العالم مبثوث في العالم، بين جميع من في العالم، ولهذا قال القائل:

العلم في العالم مبثوث ونحوه العاقل محثوث.

وكذلك الصناعات مفضوضة على جميع من على جدد الأرض، ولهذا غلب علم في مكان دون علم، وكثرت صناعة في بقعة دون صناعة، وهذا واضح، والزيادة عليه مشغلة،... وليس واضع المنطق يونان بأسرها، وإنما هو رجل منهم، قد أخذ عمن قبله كما أخذ عنه من بعده، وليس هو حجة على هذا الخلق الكثير والجم الغفير، له مخالفون منهم ومن غيرهم، ومع هذا فالاختلاف في الرأي والنظر والبحث والمسألة والجواب سنح وطبيعة، فكيف يجوز أن يأتي رجل بشيء يرفع به هذا الخلاف!!! ويخلخله أو يؤثر فيه، ولقد بقي العالم بعد منطقة على ما كان عليه قبل منطقة، فامسح وجهك بالسلوة عن شيء لا يستطاع، لأنه منعقد بالفطرة والطباع، وأنت لو فرغت بالك وصرفت عنايتك إلى معرفة هذه اللغة التي تحاورنا بها وتجارينا فيها وتدارس أصحابك بمفهوم أهلها، وتشرح كتب يونان بعادة أصحابها لعلمت أنك غني عن معاني يونان،... كما أنك غني عن لغة اليونان.

أسألك عن حرف واحد وهو دائر في كلام العرب، ومعانيه متميزة عند أهل العقل، فاستخرج أنت معانيه من ناحية منطق أرسطاطاليس الذي تدّلُ به وتباهي بتفخيمه، وهو [الواو ما أحكامه؟ وكيف مواقعه؟ وهل هو على وجه أو على وجوه؟].

. متى:

هذا نحو، والنحو لم أنظر فيه، لأنه لا حاجة بالمنطقي إليه، وبالنحوي حاجة شديدة للمنطق، لأن المنطق يبحث عن المعنى، والنحو يبحث عن اللفظ، فإن مر المنطقي باللفظ فبالعرض، وإن عثر النحوي على المعنى فبالعرض، والمعنى أشرف من اللفظ، واللفظ أوضح من المعنى.

. السيرافي:

أخطأت!! لأن الكلام، والنطق واللفظ والإفصاح والإعراب والإبانة والحديث والاخبار والاستخبار والعرض والتمني والنهي والحض والدعاء والنداء والطلب كلها من واد واحد بالمشاكلة والمماثلة، ألا ترى أن رجلا لو قال: "نطق زيد بالحق ولكن ما تكلم بالحق، وتكلم بالفحش ولكن ما قال الفحش، وأعرب عن نفسه ولكن ما أفصح، وأبان المراد ولكن ما أوضح، أو فاه بحاجته ولكن ما لفظ، أو أخبر ولكن ما أنبأ" لكان في جميع هذا محرفا ومناقضا، وواضعا الكلام في غير حقه، ومستعملا اللفظ على غير شهادة عقله وعقل غيره، والنحو منطق ولكنه مسلوخ من العربية، والمنطق نحو ولكن مفهوم باللغة. وإنما الخلاف بين اللفظ والمعنى، إن اللفظ طبيعي، والمعنى عقلي، ولهذا كان اللفظ بائنا على الزمان، لأن الزمان يقفو أثر الطبيعة بأثر آخر من الطبيعة، ولهذا كان المعنى ثابتا على الزمان، لأن مستملي المعنى العقل، والعقل الهي، ومادة اللفظ طينية، وكل طيني متهافت،وقد بقيت أنت بلا سام لصناعتك التي تنتحلها، وآلتك التي تزهى بها، إلا أن تستعير من العربية لها معنى فتعار، ويسلم لك ذلك بمقدار، من كثيرها من أجل تحقيق الترجمة، واجتلاب الثقة والتوقي من الخلة اللاحقة.

. متى:

يكفيني من لغتكم هذه الاسم والفعل والحرف، فإني أتبلغ بهذا القدر إلى أغراض قد هذبتها يونان.

. السيرافي:

أخطأت لأنك في هذا الاسم والفعل والحرف فقير إلى وصفها وبنائها، على الترتيب الواقع في غرائز أهلها.. أنت إلي تعرف اللغة العربية أحوج منك إلى تعرف معاني اليونانية، على ان المعاني لا تكون يونانية ولا هندية، كما أن اللغات تكون فارسية وعربية وتركية، ومع هذا تزعم أن المعاني حاصلة بالعقل والفحص والفكر، فلم يبق إلا أحكام اللغة، فلم تزري على العربية وأنت تشرح كتب أرسطو بها؟ مع جهلك بحقيقتها.

وحدثني عن قائل قال لك: "حالي في معرفة الحقائق والتصفح بها والبحث عنها حال قوم كانوا قبل واضع المنطق، انظر كما نظروا، وأتدبر كما تدبروا، لأن اللغة قد عرفتها بالمنشأ والوراثة، والمعاني نقرتُ عنها بالنظر والرأي والتعقب والاجتهاد" ماذا تقول له: أتقول: إنه لا يصح هذا الحكم ولا يستتب هذا الأمر لأنه يعرف هذه الموجودات من غير الطريق التي عرفتها أنت، ولو قلدك بقولك لفرحت بتقليده لك، -وإن كان على باطل- مما تفرح باستقلاله وإن كان على حق وهذا هو الجهل المبين والحكم المشين.

فلسفة اللغة

كمال عبد الملك

(من كتاب: فلسفة دردشة فلسفية فى قالب فكاهى باللهجة المصرية، قيد النشر)

شحاته : تعرف يا برعي انا بدأت افهم دلوقتي ان كلامنا عن الفلسفة هو عبارة عن لعب بالالفاظ .

برعي :بالضبط ! اهو انت فهمت الحكاية وما فيها .

شحاته :يعني انت بتعترف ان الفلسفة هي عبارة عن لعب بالالفاظ ؟

برعي : طبعا يا شحاته امال عايز الكلام عن الفلسفة يكون ازاي ؟ بالضحك بالزغزغة ؟

لما علت اصوات المعارضة ضد سياسات الرئيس السادات كان له خطاب شهير سمّي فيه معارضة المثقفين و الكتاب ب "رزالة المثقفين " وكلمة رزالة هنا استعملها الرئيس السادات بذكاء لانها عبرت عن ضيقه بالمعارضة اللي مثّلها وقتها كتّاب ومثقفين كبار قوي مصر زي توفيق الحكيم و محمود فوزي و لويس عوض ودول كان لهم شنة ورنة و بيكتبوا في الاهرام و الناس بتحترمهم فلما استعمل الرئيس كلمة "رزالة " بيّن انه مش عاجبه كلامهم ولكن في نفس الوقت ادي الانطباع ان في مصر فيه حرية للمثقفين يترازلوا لو عايزين . اهو لما الرئيس قال كدا كان بيمارس شئ اسمه " فلسفة اللغة ".

استاذ الفلسفة لودفيج وتنجنستاين وزملاؤه في جامعة اوكسفورد في الخمسينات من القرن ال ٢٠ شافوا ان القضايا الفلسفية الكلاسكية – زي مثلا مسألة ان الانسان مخير او مسيَّر ، وجود الله ، الى اخره هي مسائل معقدة قوي

لان الفلاسفة طرحوها بلغة معقدة و غير مفهومة وان مهمتهم كاساتذة فلسفة انهم يبسطوا المعقد و المكعبر ويخلو لغة الفلسفة زي الخيارة السرحة ويحلوا ألغاز التفكير الفلسفي . مثلا ديكارت بتاع القرن ال ١٧ قال البني ادم متركب من عقل و جسم وان العقل هو زي الروح اللي بتحرك ماكينة الجسم . بعدها بقرون الفلاسفة قعدت تحاول تعرف يعني ايه " الروح " اللي قصدها ديكارت – اي شئ الروح دي؟

واحد من تلامذة وتجنستاين اللى اسمه جلبرت رايل قال بما معناه " يا جماعة انتم بدأتم بالسؤال الغلط ! الروح دي مش شئ . شوفوا الطريقة اللى احنا بنتكلم بيها عن القضايا العقلية هنلاقي ان كلامنا هو فى الواقع وصف مختزل لسلوك معين .

الموقف دا هيوضح ان الزوجين كان المفروض انهم يستعملوا صياغة تانية لسؤالهم .

زوجين في شقة جديدة كانوا عايزين يبيضوا الشقة بنفسهم فسألوا جارهم اللي عنده شقة بنفس الحجم كام صفيحة بياض لازم يستعملوها قام قال لهم ٨ صفايح . اشتروا ال٨ صفايح وبدأوا يبيضوا الشقة و بعد الصفيحة ال ٣ الشقة كلها كانت اتبيضت .طبعا اتضايقوا خالص وراحوا للجار يسألوه: "اخذنا بنصيحتك ودلوقتي فضل عندنا ٤ صفايح من البياض الغالي – نصحتيك دي كلفتنا كثير."

قام الجار رد عليهم بدهشة وقال :" يا خبر! انتم كمان حصلكم كدا؟"

اووبس !

وتجنستاين قال ان كل الاغلاط الموجودة فى الفلسفة الغربية مصدرها هو "وقوعنا تحت سحر اللغة " يعنى الكلام اللى بنستعمله ممكن يخدعنا ويخلينا نصنف الاشياء بطريقة غلط فى غلط . الصيغة النحوية ، ترتيب الكلمات فى

الجملة الفلسفية دا ممكن فيه استعباط لينا يعنى اللغة هنا بتستهبلنا فمثلا الفليسوف هيدجر فى كتابه المهم " الكينونة والزمن Being and Time ناقش " العدم " كأنه شئ فى حد ذاته .

ودي نكتة بتوضح اللخبطة اللى بتسببها اللغة :

شحاتة : انا عارف ان النهاردا عيد ميلادك كل سنة وانت طيب يا برعي عقبال ميت سنة انشالله – ميت سنة و ٣ شهور!

برعي : و انت طيب يا شحاته – بس اشمعني و ٣ شهور؟

شحاته : علشان مش عايزك تموت فجأة! ٣شهور كفاية علشان استعد نفسياً لفراقك يا صديقي العزيز!

اذا افتكرت ان شحاته هنا كان واقع تحت سحر اللغة فانتظر شوية علشان تشوف ازاي بلحة البهلوان اللي بيشتغل في السيرك كان ضحية ساذجة لالاعيب اللغة:

بلحة راح عند الدكتور النفساني علشان يشوف حل لمشكلته: خطب خمس مرات وكل مرة خطيبته تفسخ الخطلوبة .

الدكتور النفساني: ومستغرب ليه ؟انت رحيتك زي الزفت . انت بتشتغل ايه ؟

بلحه بفخر: في السيرك عندنا استعراضات كل يوم يا دكتور

الدكتور :يعني بتعمل ايه بالضبط ؟

بلحة: بامشي ورا الفيل كل ما لامؤخذة الفيل يعملها امسح وراه .بس مهما استحميت برضة الريحة الفظيعة دي لازقة فيا .

الدكتور: الحل بسيط سيب الشغله دي وشوف لك شغلة تانية نضيفة .

بلحة: اسيب الشغلة دي !اسيب السيرك و الاستعراض و الناس اللي بتصقف لنا ؟

اسيب الشو بيزنس ؟ show business

طبعاً انت شايف اللي حصل هنا : بلحه خلط بين المعني الفعلي لكلمة "استعراض " "شو بيزنس " اللي بالنسبة له عبارة عن ازاله مخلفات الفيل و المعني الرمزي اللي بيشير الي الاستعراض و الاضواء وتصفيق الجمهور .بلحة هنا ضحية الالاعيب الماكرة للغة .

يعني اللغة ممكن تبقي لئيمة بنت لئيمة – الكلمة ممكن يبقي لها كذا معني: المعاني الواضحة و المعاني المستخبية و المعاني المراوغة و المعاني اللي بتغمز لك بعينها و المعاني البجحة اللي ينذب في عينها رصاصة و المعاني الخجولة اللي حاطة برقع الاستعارة و الكناية و المجاز المرسل علي وشها.

جون اوستن John Austin استاذ الفلسفة في اوكسفورد مرة شرح النقطة دى : " لما الواحد منا يقول " أنا اوعدك " دي كلمة مختلفة عن " أنا برسم " . لما بتقول "انا برسم "دي لاتعادل القيام بالرسم لكن لما بتقول "اوعدك "يبقي هنا دي تعادل القيام بالتعهد انك هتعمل حاجة لفلان . طبعاً الحكاية ان استعمالنا للكلمات في سياق و محاولتنا لاستعمال نفس الكلمات في سياق تاني ممكن يسبب لخبطة ومتاهات في المعني وهو دا تاريخ الفلسفة من ساعة ما بدأت.

الحكمة وأقسامها[٢١٥]:

الحواس والخيال والانفعال والنفس والعقل

لابن سينا

الحكمة استكمال النفس الإنسانية بتصور الأمور، والتصديق بالحقائق النظرية العملية على قدر الطاقة البشرية.

والحكمة المتعلقة بالأمور النظرية التي إلينا أن نعلمها، وليس إلينا أن نعملها تسمى (حكمة نظرية). والحكمة المتعلقة بالأمور العملية التي إلينا أن نعلمها ونعملها تسمى الحكمة العملية: حكمة مدنية، وحكمة منزلية، وحكمه خلقية. ومبدأ هذه الثلاثة مستفاد من جهة الشريعة الإلهية، وكمالات حدودها تستبين بالشريعة الإلهية، وتتصرف فيها بعد ذلك القوة النظرية من البشر بمعرفة القوانين العملية منهم، وباستعمال تلك القوانين في الجزئيات.

والحكمة المدنية فائدتها أن تعلم كيفية المشاركة التي تقع فيها بين أشخاص الناس ليتعاونوا على مصالح الأبدان، ومصالح بقاء نوع الإنسان. والحكمة المنزلية فائدتها أن تعلم المشاركة التي ينبغي أن تكون بين أهل منزل واحد لتنظم به المصلحة المنزلية. والمشاركة المنزلية تتم بين زوج وزوجته، ووالد ومولود، ومالك وعبد. وأما الحكمة الخلقية ففائدتها أن تعلم الفضائل وكيفية اقتنائها لتزكو بها النفس، وتعلم الرذائل وكيفية توقيها لتتطهر عنها النفس.

وأما الحكمة النظرية فأقسامها ثلاثة: حكمة تتعلق بما في الحركة والتغير، وتسمى حكمة طبيعية، وحكمة تتعلق بما من شأنه أن بجرده الذهن عن التغير، وإن كان وجوده مخالطاً للتغير، ويسمى حكمة رياضية، وحكمة تتعلق بما

---

[٢١٥]- من عيون الحكمة لابن سينا، تحقيق د. عبد الرحمن بدوي.

وجوده مستغن عن مخالطة التغير فلا يخالطه أصلاً، وإن خالطهُ فبالعرض، لأن ذاته مفتقرة في تحقيق الوجود إليه، وهي الفلسفة الأولية. والفلسفة الإلهية جزء منها، وهي معرفة الربوبية.

ومبادئ هذه الأقسام التي للفلسفة النظرية مستفادةٌ من أرباب الملة الإلهية على سبيل التنبيه. ومتصرف على تحصيلها بالكمال بالقوة العقلية على سبيل الحجة.

ومن أوتي استكمال نفسه بهاتين الحكمتين والعمل على ذلك بإحداهما، فقد أوتي خيراً كثيراً.

الحيوان والحواس

... ثم يتولد الحيوان باعتدال أكثر، فيكون مزاجه مستحقاً لأن يكمل بنفس دراكة، محركة بالاختبار. ولهذه النفس قوتان: قوة مدركة، وقوة محركة. والقوة المدركة: أما في الظاهر فهي هذه الحواس الخمس وأما في الباطن فالحس المشترك، والمصورة، والمتخيلة، والمتوهمة، والمتذكرة.

فيول الحواس وأوجبها للحيوان، والذي به يكون الحيوان حيواناً من بين سائر الحواس هو اللمس، وهو قوة من شأنها أن تحس بها الأعضاء الظاهرة بالمماسة، والخشونة، وسائر ما يتوسط بين هذه ويركب منها. ثم قوة الذوق، وهي مشعر المطاعم وعضوها اللسان، ثم قوة الشم، وهي مشعرُ الروائح، وعضوها جزءان من الدماغ في مقدمة شبيهان بحلمتي الثدي، ثم قوة السمع، وهي مشعر الأصوات، وعضوها العصبة المنغرسة على سطح باطن الصماخ، ثم قوة البصر، وهي مشعر الألوان، وعضوها الرطوبة الجليدية في الحدقة.

وكلّ واحدٍ من هذه المشاعر فإن المحسوس يتأدى إليها. أما الملموس فيكون بلا واسطة عربية بل بالمماسة. وأما المطعوم، فبتوسط الرطوبة. وقد غلط من ظن أن الإبصار يكون بخروج شيءٍ من البصر إلى المبصرات يلاقيها، فإنه إن كان جسماً امتنع أن يكون في بصر الإنسان جسمٌ يبلغ من مقداره أن يلاقي نصف

كرة العالم وينبسط عليها. ثم إنه مع ذلك كان متصلاً بالبصر فهو أعظم، وإن كان منفصلاً لم يتأذ مدركه إلى البصر، وإن كان متصلاً وجب أن يكون غير تام الاتصال، إذ لا يدخل جسم في جسم فتكون تأديته محالة لانقطاعه، أو يكون ما يتخلله من الهواء يؤدي فلا يحتاج إلى خروجه. وإن كان عرضاً كان من العجب أن يخرج عرض عن جسم إلى جسم آخر. وأيضاً إن كان جسماً فإما أن تكون حركته بالطبع أو بالإرادة. فإن كان بإرادة كان لنا مع التحديق أن نقبضه إلينا فلا نرى به شيئاً. وإن كان خروجه طبيعياً كان إلى بعض الجهات دون بعض. فإن الحركة الطبيعية إلى جهة واحدة تكون. وإن كان إذا خالط الهواء قليلُه أحال الهواء آلة للإدراك، كان يجب إذا كثر الناظرون –أن يرى كل واحد منهم أحسن مما لو انفرد، لأن الهواء يكون أكمل انفعالاً للكيفية المحتاج إليها في أن يكون آلة. ولو كان الإحساس بملامسة الشعاع لكان المقدار يدرك كما هو. وأما إن كان بالتأدية إلى الرطوبة الجليدية، فنقول: إنه يجب أن يكون الابعد يرى أصغر.

الحواس الباطنة

أما القوى المدركة في الباطن، فمنها القوة التي تنبعث منها قوى الحواس الظاهرة، وتجتمع بتأديتها إليها، وتسمى (الحس المشترك)، ولولاها لما كان إذا أحسسنا بلون العسل إبصاراً حكمنا بأنه حلو، وإن لم تُحِس في الوقت حلاوته. وذلك لأن القوة واحدة واجتمع فيها ما أداه حِسان: من حلاوة ولون في شيءٍ واحد، فلما ورد عليه أحدهما كان الثاني ورد معه. ولولا أن فينا شيئاً اجتمع فيه صورة الحلاوة والصفرة لما كان لنا أن نحكم أن الحلاوة غيرُ الصفرة، ولا أن نحكم أن هذا الأصفر حلو.

وهذا الحس المشترك تقرن به قوة تحفظ ما تؤديه الحواس إليه من صور المحسوسات حتى إذا غابت عن الحس بقيت فيه بعد غيبها، وهذا ما يسمى الخيال والمصوّرة، وعضوهما مقدّم الدماغ.

وها هنا قوة أخرى في الباطن تدركُ في الأمور المحسوسة ما لا يدركه الحس، مثل القوة في الشاة التي تدرك من الذئب ما لا يدركه الحس ولا يؤديه الحس، فإن الحس لا يؤدي إلا الشكل واللون، فأمّا أن هذا ضار أو عدو منفور عنه فتدركه قوة أخرى وتسمى وهماً. وكما أن للحس خزانةً هي المصورة، كذلك للوهم خزانة تسمى (الحافظة) وعضو هذه الخزانة مؤخر الدماغ.

فهذه القوى التي في باطن الحيوانات –أعني الحس المشترك، والخيال، والوهم، والمتخيلة، والحافظة. والحس المشترك غير الخيال بالمعنى، لأن الحافظ غير القابل، والحفظ في كل شيء بقوة، غير قوة القبول. ولو كان الحفظ بقوة القبول لكان الماء يحفظ الأشكال كما يقبلها، بل للماء قوة قابلة، وليس له قوة حافظة. والقوة المتخيلة خاصتها دوام الحركة ما لم تغلب. وحركتها محاكيات الأشياء بأشباهها وأضدادها، فتارةً تحاكي المزاج كمن تغلب عليه السوداء فتخيل له صوراً سوداء، ومحاكاة أذكار سبقت، أو محاكاة أفكار رجيت.

الإنسان

... ومن الحيوان الإنسان: يختص بنفس إنسانية تسمى (نفساص ناطقة)، إذ كان أشهر أفعالها وأول آثارها الخاصة بها النطق. وليس يعني بقولهم: نفس ناطقة – أنها مبدأ المنطق فقط، بل جعل هذا اللفظ لقباً لذاتها.

ولها خواص: منها ما هو من باب الإدراك، ومنها ما هو من باب الفعل، ومنها ما هو من باب الانفعال. فأما الذي لها من باب الفعل في البدن والانفعال، ففعل ليس يصدر عن مجرد ذاتها من غير حاجة إلى البدن. ولنفسر كل واحد من هذه:

فأما الأفعال التي تصدر عنها بمشاركة البدن والقوى البدنية: فالتعقل والروية في الأمور الجزئية فيما ينبغي أن يفعل وما لا ينبغي أن يُفعل بحسب الاختيار. ويتعلق بهذا الباب استنباط الصناعات العملية والتصرف فيها كالملاحة والفلاحة والصباغة والنجارة.

وأما الانفعالات فأحوال تتبع استعدادات تعرض للبدن مع مشاركة النفس الناطقة، كالاستعداد للضحك، والبكاء، والخجل، والحياء، والرحمة، والرأفة، والأنفة، وغير ذلك.

وأما الذي يخصها –وهو الإدراك- فهو التصور للمعاني الكلية. وبنا حاجة أن نصور لك، كيفية هذا الإدراك فنقول: إن كل واحد من أشخاص الناس مثلاُ هو إنسان. لكن له أحوال وأوصاف ليست داخلة في أنه إنسان، ولا يعرى هو منها في الوجود، مثل حده في قده ولونه وشكله، والملموس منه، وسائر ذلك، فإن تلك كلها، وإن كانت إنسانية، فليست بشرطٍ في أنه إنسان، وإلا لتساوي فيها كلها أشخاص الناس كلهم. ومع ذلك فإنا نعقل أن هناك شيئاً هو الإنسان، وبئس ما قال من قال: إن الإنسان هو هذه الجملة المحسوسة! فإنك لا تجد جملتين بحالة واحدة. وهذه الأحوال الغريبة تلزم الطبيعة من جهة قبول مادتها، صورتها: فإن كل واحد من أشخاص الناس تتفق له مادة على مزاج واستعداد خاص. وكذلك يتفق له وقت وزمان وأسباب أخرى تعاون على إلحاق هذه الأحوال للماهيات من جهة موادها. ثم الحس –إذا أدرك الإنسان- فإنه تنطبع فيه صورة ما للإنسان من حيث هي مخالطة هذه الأعراض والأحوال الجسمانية. ولا سبيل لها أن ترتسم فيها مجرد ماهية الإنسان حتى يكون ما يشاكل فيها نفس تلك الماهية. وهذا يظهر بأدنى تأمل. والحس كأنه نزع تلك الصورة عن المادة وأخذها في نفسه، ولكن نزع إذا غابت المادة غاب، ونزع مع العلائق العرضية المادية، فإذن لا مخلص للحس إلى مجرد الصورة. وأما الخيال فإنه قد يجرد الصورة تجريداً أكبر من ذلك، وذلك أنه يستحفظ الصورة، وإن غابت المادة. لكن ما يتراءى للخيال من الصورة المأخوذة عن الإنسان مثلاً، لا تكون مجردة عن العلائق المادية، فإن الخيال ليس يتخيل صورة إلا على نحو ما من شأن الحس أن يؤدي إليه. وأما الوهم، فإنه وإن استثبت معنى غير محسوس فلا يجرده إلا متعلقاً بصورة غير خيالية.

فإذن لا سبيل لشيء من هذه القوى أن يتصور ماهية شيءٍ مجردةً عن علائق المادة وزوائدها إلا للنفس الإنسانية، فإنها التي تتصور كل شيءٍ بحده كما هو،

منقوصة عنه العلائق المادية، وهو المعنى الذي من شأنه أن يوقع على كثيرين كالإنسان من حيث هو إنسان فقط. فإذا تصور هذه المعاني تعدى التصور إلى التصديق بأن يؤلف منها على سبيل القول الجازم، فالشيء في الإنسان الذي تصدر عنه هذه الأفعال يسمى نفساً ناطقة، وله قوتان: إحداهما مُعدة نحو العمل ووجهها إلى البدن، وبها يميزُ بين ما ينبغي أن يفعل وبين ما لا ينبغي أن يفعل، وما يحسن ويقبح من الأمور الجزئية –ويقال له (العقل العملي)، ويستكمل في الناس بالتجارب والعادات، والثانية قوة مُعدة نحو النظر والعقل الخاص بالنفس، ووجهها إلى فوق، وبها ينال الفيض الإلهي. وهذه القوة قد تكون بعد بالقوة لم تفعل شيئاً ولم تتصور، بل هي مستعدة لأن تعقل المعقولات، بل هي استعداد ما للنفس نحو تصور المعقولات –وهذا يسمى (العقل بالقوة) و (العقل الهيولاني). وقد تكون قوة أخرى أخرج منها إلى الفعل، وذلك بأن تحصل للنفس المعقولات الأولى على نحو الحصول الذي نذكره، وهذا يسمى (العقل بالملكة). ودرجة ثالثة هي أن تحصل للنفس المعقولات المكتسبة، فتحصل النفس عقلاً بالفعل، ونفس تلك المعقولات تسمى (عقلاً مستفاداً)، ولأن كل ما يخرج من القوة إلى الفعل فإنما يخرج بشيء يفيده تلك الصورة، فإذن العقل بالقوة إنما يصير عقلاً بالفعل بسبب يفيده المعقولات ويتصل به أثره، وهذا الشيء هو الذي يفعله العقل فينا. وليس شيءٌ من الأجسام بهذه الصفة. فإذن هذا الشيء عقلُ بالفعل وفعال فينا فيسمى عقلاً فعالاً، وقياسه من عقولنا قياس الشمس من أبصارنا: فكما أن الشمس تشرق على المُبصَراتِ فتوصلها بالبصر، كذلك أثر العقل الفعال يشرق على المتخيلات فيجعلها بالتجريد عن عوارض المادة معقولات، فيوصلها بأنفسنا.

قِدَم العالم وحدوثه[٢١٦]

للغزالي

اختلف الفلاسفة في قِدَم العالم؛ فالذي استقر عليه رأي جماهيرهم المتقدمين والمتأخرين، القول بقدمه، وأنه لم يزل موجوداً مع الله تعالى، ومعلولاً له، ومساوقاً له غير متأخر عنه بالزمان، مساوقة العلة للمعلول، ومساوقة النور للشمس، وأن تقدم الباري عليه، كتقدم العلة على المعلول، وهو تقدم بالذات والرتبة، لا بالزمان.

... ولكن لا خير في التطويل، فلنحذف من أدلتهم ما يجري مجرى التحكم أو التخيل الضعيف، الذي يهون على كل ناظر حله، ولنقتصر على إيراد ما له وقع في النفس، مما يجوز أن ينهض مشككاً لفحول النظّار، فإن تشكيك الضعفاء بأدنى خيال ممكن.

وهذا الفن من الأدلة ثلاثة:

الأول قولهم: يستحيل صدور حادث من قديم مطلقاً لأنا إذا فرضنا القديم ولم يصدر منه العالم مثلاً، فإنما لم يصدر لأنه لم يكن للوجود مرجح، بل كان وجود العالم ممكناً إمكاناً صرفاً. فإذا حدث بعد ذلك، لم يخلُ إما أن [يكون قد] تجدد مرجح، أو لم يتجدد؛ فإن لم يتجدد مرجح بقي العالم على الإمكان الصرف، كما (كان) قبل ذلك، وأن تجدد مرجح فمن محدث ذلك المرجح؟ ولم حدث الان ولم يحدث من قبل؟ والسؤال في حدوث المرجح قائم.

---

[٢١٦]ـ من تهافت الفلاسفة، للغزالي

وبالجملة، فأحوال القديم إذا كانت متشابهة، فإما أن ا يوجد عنه شيء قط، وإما أن يوجد على الدوام؛ فأما أن يتميز حال الترك على حال الشروع فهو محال.

وتحقيقه أن يقال: لمَ لمْ يحدث العالم قبل حدوثه؟ لا يمكن أن يحال ذلك على عجزه عن الإحداث، ولا على استحالة الحدوث، فإن ذلك يؤدي إلى أن ينقلب القديم من العجز إلى القدرة، والعالم، من الاستحالة إلى الإمكان، وكلاهما محالان؛ ولا يمكن أن يقال: لم يكن قبله غرض ثم تجدد غرض، ولا يمكن أن يحال على فقد آلة ثم على وجودها، بل أقرب ما يتخيل أن يقال: لم يرد وجوده قبل ذلك؛ فيلزم أن يقال: حصل وجوده لأنه صار مريداً لوجوده بعد أن لم يكن مريداً، فتكون قد حدثت الإرادة، وحدوثه في ذاته محال، لأنه ليس محل الحوادث، وحدوثه لا في ذاته لا يجعله مريداً.

ولنترك النظر في محل حدوثه، أليس الإشكال قائماً في أصل حدوثه؟ وأنه من أين حدث؟! ولم حدث الآن قبله؟! أحدث الآن لا من جهة الله؟! فإن جاز حادث من غير محدث، فليكن العالم حادثاً لا صانع له، وإلا فأي فرق بين حادث وحادث؟! وإن حدث بإحداث الله، فلم حدث الآن ولم يحدث قبل؟! ألعدم آلة أو قدرة أو عرض أو طبيعة، فلما تبدل ذلك بالوجود حدث؟! عاد الإشكال بعينه. أو لعدم الإرادة؟، فتفتقر الإرادة إلى إرادة، وكذا الإرادة الأولى، ويتسلسل إلى غير نهاية.

فإذن قد تحقق بالقول المطلق أن صدور الحادث من القديم.. محال، وتقدير تغير حال محال... ومهما كان العالم موجوداً واستحال حدوثه؟ ثبت قدمه لا محالة.

فهذا أخيل أدلتهم... إذ يقدرون ههنا على فنون من التخييل لا يتمكنون منها في غيرها...

الاعتراض من وجهين، أحدهما أن يقال: بم تنكرون على من يقول: إن العالم حدث بإرادة قديمة، اقتضت وجوده في الوقت الذي وجد فيه، وأن يستمر العدم إلى الغاية التي استمر إليها، وأن يبتدئ الوجود من حيث ابتدأ، وأن الوجود قبله

لم يكن مراداً فلم يحدث ذلك، وأنه في وقته الذي حدث فيه مراد بالإرادة القديمة، فحدث لذلك؛ فما المانع من هذا الاعتقاد وما المُحيل له؟!

فإن قيل: هذا محال بين الإحالة، لأن الحادث موجب ومسبب، وكما يستحيل حادث بغير سبب وموجب، يستحيل وجود موجب قد تم بشرائط إيجابه وأركانه وأسبابه، حتى لم يبق شيء منتظر البتة، ثم يتأخر الموجب؛ بل وجود الموجب عند تحقق الموجب بتمام شروطه ضروري، وتأخره محال، حسب استحالة وجود الحادث الموجب بلا موجب.

فقيل وجود العالم كان المريد موجوداً، والإرادة موجودة، ونسبتها إلى المراد موجودة، ولم يتجدد مريد، ولم تتجدد إرادة، ولا تجدد للإرادة نسبة لم تكن، فإن كل ذلك تغير، فكيف تجدد المراد، وما المانع من التجدد قبل ذلك؟!

وحال التجدد لم يتميز عن الحال السابق في شيء من الأشياء، وأمر من الأمور، وحال من الأحوال، ونسبة من النسب، بل الأمور كما كانت بعينها، ثم لم يكن يوجد المراد، وبقيت بعينها كما كانت، فوجد المراد؛ ما هذا إلا غاية الإحالة.

وليس استحالة هذا الجنس من الموجب والموجَب الضروري الذاتي، بل وفي العرفي والوضعي...

... فإن كانت الإرادة القديمة في حكم قصدنا إلى الفعل، فلا يتصور تأخر المقصود إلا لمانع، ولا يتصور تقدم القصد، فلا يعقل قصد في اليوم إلى قيام في الغد إلا بطريق العزم، وإن كانت الإرادة القديمة في حكم عزمنا، فليس ذلك كافيا في وقوع المعزوم عليه، بل لا بد من تجدد انبعاث قصدي عند الإيجاد، وفيه قول بتغيُّر القديم، ثم يبقى عين الإشكال في أن ذلك الانبعاث أو القصد أو الإرادة وما شئت فسمه، لمَ حدث الآن ولم يحدث قبل ذلك، فإما أن يبقى حادث بلا سبب أو يتسلسل إلى غير نهاية.

ورجع حاصل الكلام إلى أنه وجد الموجب بتمام شروطه ولم يبق أمر منتظر، ومع ذلك تأخر الموجب ولم يوجد في مدة لا يرتقي الوهم إلى أولها، بل آلاف السنين لا تنقص منها شيئاً، ثم انقلب الموجب بغتة من غير أمر تجدد، وشرط تحقق، وهو محال في نفسه.

والجواب أن يقال: استحالة إرادة قديمة متعلقة بإحداث شيء، أي شيء كان، تعرفونه بضرورة العقل أونظره؛ وعلى لغتكم في المنطق، تعرفون الالتقاء بين هذين الحدين بحد أوسط أو من غير حد أوسط، فإن ادعيتم حداً أوسط وهو الطريق النظري، فلا بد من إظهاره، وإن ادعيتم معرفة ذلك ضرورة، فكيف لم يشارككم في معرفته منحالفوكم، والفرقة المعتقدة لحدوث العالم بإرادة قديمة لا يحصرها بلد، ولا يحصيها عدد، ولا شك في أنهم لا يكابرون العقول عناداً مع المعرفة؛ فلا بد من إقامة برهان على شرط المنطق يدل على استحالة، إذ ليس في جميع ما ذكرتموه إلا الاستبعاد والتمثيل بعزمنا وإرادتنا، وهو فاسد، فلا تضاهي الإرادة القديمة القصود الحادثة، وأما الاستبعاد المجرد فلا يكفي من غير برهان.

فإن قيل: نحن بضرورة العقل نعلم أنه لا يتصور موجب بتمام شروطه من غير موجب، ومجوز ذلك مكابر لضرورة العقل.

قلنا: وما الفصل بينكم وبين خصومكم، إذا قالو لكم: إنا بالضرورة نعلم إحالة قول من يقول: إن ذاتاً واحدة عالمة بجميع الكليات من غير أن يوجب ذلك كثرة، ومن غير أن يكون العلم زيادة على الذات، ومن غير أن يتعدد العلم مع تعدد المعلوم، وهذا مذهبكم في حق الله، وهو بالنسبة إلينا وإلى علومنا في غاية الإحالة؛ ولكن تقولون: لا يقاس العلم القديم بالحادث؛ وطائفة منكم استشعروا حالة هذا فقالوا: إن الله لا يعلم إلا نفسه، فهو العاقل وهو العقل وهو المعقول، والكل واحد، فلو قال قائل: اتحاد العاقل والعقل والمعقول معلوم الاستحالة بالضرورة، إذ تقدير صانع للعالم صنعته محال بالضرورة، والقديم إذا لم يعلم

إلا نفسه، -تعالى عن قولكم وعن قول جميع الزائفين علواً كبيراً- لم يكن يعلم صنعته البتة.

بل لا نتجاوز إلزامات هذه المسألة فنقول: بم تنكرون على خصومكم إذا قالوا: قدم العالم محال، لأنه يؤدي إلى إثبات دورات للفلك لا نهاية لأعدادها، ولا حصر لآحادها، مع أن لها سدساً وربعاً ونصفاً، فإن فلك الشمس يدور في سنة[٢١٧]، وفلك زحل في ثلاثين سنة، فتكون أدوار زحل ثلث عشر أدوار الشمس، وأدوار المشتري نصف سدس أدوار الشمس، فإنه يدور في اثنتي عشرة سنة؛ ثم كما إنه لا نهاية لأعداد دورات زحل، لا نهاية لأعداد دورات الشمس، مع أنه ثلث عشرة، بل لا نهاية لأدوار فلك الكواكب الذي يدور في ستة وثلاثين ألف سنة مرة واحدة، كما لا نهاية للحركة المشرقية التي للشمس في اليوم والليلة مرة.

فلو قال قائل: هذا مما يعلم استحالته ضرورة، فبماذا تنفصلون عن قوله؟ بل لو قال قائل: إعداد هذه الدورات شفع أو وتر، أو شفع ووتر جميعاً، أو لا شفع ولا وتر؛ فإن قلتم: شفع ووتر جميعاً، أو لا شفع ولا وتر، فيعلم بطلانه ضرورة؛ وإن قلتم: شفع، فالشفع يصير وتراً بواحد، فكيف أعوز ما لا نهاية له واحد؟ وإن قلتم: وتر، فالوتر يصير بواحد شفعاً، فكيف أعوزه ذلك الواحد الذي يصير به شفعاً، فيلزمكم القول بأنه ليس بشفع ولا وتر.

فإن قيل: إنما يوصف بالشفع والوتر المتناهي، وما لا نهاية له فلا.

قلنا: فجملة مركبة من آحاد، لها سدس وعشر كما سبق، ثم لا توصف بشفع ولا وتر، يعلم بطلانه ضرورة من غير نظر، فبماذا تنفصلون عن هذا؟!

---

[٢١٧]- طبقاً لنظرية بطليموس القديمة في الفلك، والتي كانت هي المعروفة حتى ذلك الحين، وهي التي كانت تعتقد بأن الأرض ثابتة في وسط العالم وأن الشمس والكواكب تدور حولها.

فإن قيل: محل الغلط في قولكم: إنه جملة مركبة من آحاد، فإن هذه الدورات معدومة، أما الماضي فقد انقرض، وأما المستقبل فلم يوجد، والجملة أشارت إلى موجودات حاضرة، ولا موجود ههنا.

قلنا: العدد ينقسم إلى الشفع والوتر، ويستحيل أن يخرج عنه، سواء كان المعدود موجوداً باقياً أو فانياً. فإذا فرضنا عدداً من الأفراس، لزمنا أن نعتقد أنها لا تخلو من كونها شفعاً أو وتراً، سواء قدرناها موجودة أو معدومة، فإن انعدمت بعد الوجود لم تتغير هذه القضية؛ على إنا نقول لهم: لا يستحيل على أصلكم موجودات حاضرة، هي آحاد متغايرة بالوصف ولا نهاية لها، وهي نفس الآدميين المفارقة للأبدان بالموت، فهي موجودات لا توصف بالشفع والوتر، فبم تنكرون على من يقول: بطلان هذا يعرف ضرورة، كما ادعيتم بطلان تعلق الإرادة القديمة بالأحداث ضرورة. وهذا الرأي في النفوس، هو الذي اختاره (ابن سينا) ولعله مذهب (رسطاليس).

فإن قيل: هذا ينقلب عليكم في أن الله قبل خلق العالم كان قادراً على الخلق بقدر سنة أو سنين، ولا نهاية لقدرته، فكأنه صبر ولم يخلُق، ثم خلق، ومدة الترك متناهٍ أو غير متناهٍ؛ فإن قلتم: متناه، صار وجود الباري متناهي الأول، وإن قلتم: غير متناه، فقد انقضى مدة فيها إمكانات لا نهاية لأعدادها.

قلنا: المدة والزمان مخلوق عندنا، وسنبين حقيقة الجواب عن هذا في الانفصال عن دليلهم الثاني.

فإن قيل: فبم تنكرون من يترك دعوى الضرورة ويدل عليه من وجه آخر؟! وهو أن الأوقات متساوية في جواز تعلُّق الإرادة بها، فما الذي ميز وقتاً معيناً عما قبله وعما بعده، وليس محالاً أن يكون التقدم والتأخر مراداً! بل في البياض والسواد، والحركة والسكون، فإنكم تقولون: يحدث البياض بالإرادة القديمة، والمحل قابل للسواد قبوله للبياض، فلم تعلقت الإرادة القديمة بالبياض دون السواد؟ وما الذي ميز أحد الممكنين عن الآخر في تعلق الإرادة به؟ ونحن بالضرورة نعلم أن الشيء لا يتميز عن مثله إلا بمخصص، ولو جاز ذلك، لجاز

أن يحدث العالم –وهو ممكن الوجود كما أنه ممكن العدم- ويتخصص جانب الوجود المماثل لجانب العدم في الإمكان بدون مخصص؛ وإن قلتم: القديم لا يقال له لم؛ فليكن العالم قديماً ولا يطلب صانعه وسببه، لأن القديم لا يقال فيه لم؛ فإن جاز تخصص القديم بالاتفاق بأحد الممكنين، فغاية المستبعد أن يقول: العالم مخصوص بهيئات مخصوصة، كان يجوز أن يكون على هيئات أخرى بدلاً منها، فيقال: وقع كذلك اتفاقاً، كما قلتم اختصت الإرادة بوقت دون وقت، وهيأة دون هيأة، اتفاقاً. وإن قلتم: إن هذا السؤال غير لازم، لأنه وارد على كل ما يريده الباري، وعائد على كل ما يقدره، فنقول: لا، بل هذا السؤال لازم، لأنه عائد في كل وقت، وملازم لمن خالفنا على كل تقدير.

قلنا إنما وجد العالم حيث وجد، وعلى الوصف الذي وجد، وفي المكان الذي وجد بالإرادة؛ والإرادة صفة من شأنها تمييز الشيء عن مثله، ولولا أن هذا شانها لوقع الاكتفاء بالقدرة. ولكن، لما تساوت نسبة القدرة إلى الضدين، ولم يكن بد من مخصص يخصص الشيء عن مثله، فقيل: للقديم –وراء القدرة- صفة من شأنها تخصيص الشيء عن مثله، فقول القائل لم اختصت الإرادة بأحد المثلين؟

كقول القائل: لم أقتضى العلم الإحاطة بالمعلوم على ما هو به؟ فيقال: لأن العلم عبارة عن صفة هذا شأنها، بل ذأتها تمييز الشيء عن مثله.

زعموا أن القائل بان العالم متأخر عن الله، والله متقدم عليه، ليس يخلو إما أن يريد به أنه متقدم بالذات لا يالزمان كتقدم الواحد على الأثنين، فإنه بالطبع،مع أنه يجوز أن يكون معه في الوجود الزماني، و كتقدم العلة على المعلول، مثل تقدم حركة الشخص، على حركة الظل التابع له، وكحركة اليد مع حركة الخاتم، وحركة اليد في الماء مع خركة الماء، فإنها متساوية في الزمان، وبعضها علة زبعضها معلول إذ يقال، تحرك الظل لحركة الشخص،وتحرك الماء لحركة اليد في الماء، ولا يقال تحرك الشخص لحركة الظل، وتحركت اليد لحركة الماء،وإن كانت متساوية.

فإن أريد بتقدم الباري على العالم هذا، لزم أن يكونا حادثين أو قديممين، واستحال أن يكون أحدهما قديماً والآخر حادثاً، وإن أريد به أن الباري متقدم على العالم و الزمان، بالذات بل بالزمان، فإذن قبل وجود العالم والزمان، زمان كان العالم فيه معدوماً، إذ كان العدمن سابقاً على الوجود، كان الله سابقاً بمدة مديدة لها طرقف من جهة الآخر، ولا طرف لها من جهة الأول؛ فإذن الزمان زمان لا نهاية له، وهو متناقض، ولأجله يستحيل القول بحدوث الزمان، وإذا وجب قدم الزمان، وهو عبارة عن قدر الحركة، وجب قدم الحركة، ووجب قدم المتحرك الذي الذي يدوم الزمان بدوام حركته.

الاعتراض هوأن يقال: الزمان حادث ومخلوق، وليس قبله زمان أصلاً ومعنى قولنا: إن الله متقدم على العالم والزمان،أنه سبحانه كان ولا عالم، ثم كان ومعه عالم.ومفهوم قولنا:كان ومعه عالم،وجود الذاتين فقط، فنعني بالتقدم انفراده بالوجود فقط؛والعالم كشخص واحد،ولو قلنا:كان الله ولا عيسى مثلاً،ثم كان وعيسى معه، لم يتضمن اللفظ إلا وجود ذاتين،وليس من الضرورة ذلك تقرير شيء ثالث،وإن كان الوهم لا يسكت عن تقدير شيء ثالث وهو الزمان، فلا التفات إلى أغاليط الأوهام.

فإن قيل: لقولنا كان الله ولا عالم، مفهوم ثالث سوى وجود اللذات وعدم العالم بدليل أنا لو قدرنا عدم العالم في المستقبل، كان وجود ذات وعدم ذات حاصلاً،ولم يصح أن تقول: كان الله ولا عالم،بل الصحيح أن نقول: يكون الله ولا عالم، ونقول للماضي: كان الله ولا عالم،فبين قولنا:(كان) و(يكون) فرق إذ ليس ينوب أحدهما مناب الآخر، فلنبحث عما يرجع إليه الفرق، ولا شك في أنهما لا يفترقان في وجود الذات ولا في عدم العالم، بل في معنى ثالث فإنا إذا قلنا لعدم العالم في المستقبل: كان الهه تعالى ولا عالم، قيل لنا:هذا خطأ،فإن (كان) إنما يقال على ما مضى، فدل على أن تحت لفظ (كان) مفهوماً ثالثاً،وهو الماضي، و الماضي بذاته هو الزمان، والماضي بغيرة هو الحركة، فإنها تمضي بمضي الزمان، فالضرورة يلزم أن يكون قبل العالم زمان قد انقضى حتى أنتهى إلى وجود االعالم.

قلنا:المفهوم الأصلي من اللفظين وجود ذات وعدم ذات، و الأمر الثالث الذي به افترق اللفظان،نسبة لازمة بالقياس إلينا، بدليل أنا لو قدرنا عدم العالم في المستقبل ثم قدرنا بعد ذلك وجوداً ثانياً، لكنا عند ذلك نقول: كان الله ولا عالم،ويصح قولنا، سواء أردنا به العدم الأول، أو العدم الثاني الذي هو بعد الوجود، وآية أن هذه نسبة، أن المستقبل بعينه يجوز أن يصير ماضياً،فيعبر عنه بلفظ الماضي،وهذا كله لعجز الوهم عن توهم وجود مبتدأ إلا مع تقدير (قبل) له، وذلك (القبل) الذي لا ينفك الوهم عنه،نظن أنه شيء محقق موجود هو الزمان،وهو كعجز الوهم عن أن يقدر تناهي الأجسام فيما يلي الرأس مثلاً إلا على سطح العالم فوقي، ولا بعد أبعد منه،كاع الوهم عن الإذعان لقبوله، كما إذا قيل: ليس قبيل وجود العالم (قيل) هو وجود محقق، نفر الوهم أيضاً عن قبوله، وكما جاز أن يكذب الوهم في تقديره فوق العالم خلاء، هوبعد لا نهاية له، بأن يقال له الخلاء ليس مفهوماً في نفسه، أما البعد فهو تابع للجسم الذي تتباعد أقطاره، فإذا كان الجسم متناهياً، كان البعد الذي هو تابع له متناهياً، فانقطع أن الخلاء والملاء غير مفهوم، فثبت أنه ليس وراء العالم لا خلاء ولا ملاء، وإن كان الوهم لا يذعن لقبوله،وكذلك يقال: كما أن البعد المكاني تابع للجسم،فالبعد الزماني تابع للحركة، فإنه امتداد الحركة،كما أن ذلك امتداد أقطار الجسم، وكما أن قيام الدليل على تناهي أقطار الجسم، منع من إثبات بعد مكاني وراءه، فقيام الدليل على تناهي الحركة من طرفيها،يمنع من تقدير بعد زماني وراءها،وإن كان الوهم متشبثاً بخياله وتقديره ولا يرعوي عنه،إذ لا فرق بين البعد الزماني الذي تنقسم العبارة عنه- عند الإضافة- إلى (قيل)و (بعد) وبين البعد المكاني، الذي تنقسم العبارة عنه-عند الإضافة- الى (فوق) و (تحت)، فإن جاز إثبات (فوق) لا (فوق) فوقه،جاز إثبات (قبل) ليس قبله (قبل) محقق،إلا خيالي وهمي كما في الفوق، فهذا لازم فليتأمل،فإنهم اتفقوا على أنه ليس وراء العالم لا خلاء ولا ملاء.

فإن قيل: هذه الموازنة معوجّة، لأن العالم ليس له (فوق) ولا (تحت) لأنه كري، وليس للكرة (فوق) ولا (تحت)، بل إن سميت جهة (فوقاً) فمن حيث إنها بالإضافة إليك، والأخرى (تحتاً) فمن حيث إنها تلي رجلك، فهو اسم تجدد له بالإضافة إليك، والجهة التي هي (تحت) بالإضافة إليك، هي (فوق) بالإضافة إلى غيرك، إذا قدرته على الجانب الآخر من كرة الأرض واقفاً يحاذي أخمص قدمه أخمص قدمك، بل الجهة التي تقدرها فوقك من أجزاء السماء نهاراً، هي بينها تحت الأرض ليلاً، وما هو تحت الأرض يعود إلى فوق الأرض بالدور... فالفوق والتحت نسبة محضة إليك، لا تختلف أجزاء العالم وسطوحه فيها؛ وأما العدم المتقدم على العالم، والنهاية الأولى لوجوده، فذاتي له لا يتصور أن يتبدل فيصير سابقاً، فطرفا نهاية وجود العالم اللذان أحدهما أول، والثاني أخر، طرفان ذاتيان ثابتان، لا يتصول التبدل فيهما بتبدل الإضافات إليه البتة، بخلاف (الفوق) و (التحت)؛ فإذن أمكننا أن نقول: ليس للعالم (فوق) ولا (تحت)، ولا يمكنكم أن تقولوا: ليس لوجود العالم (قبل) ولا (بعد)، وإذا ثبت (القبل) و(البعد)، فال معنى للزمان سوى ما يعبر عنه بـ (القبل) و (البعد).

قلنا: لا فرق، فإنه لا غرض في تعيين لفظ (الفوق) و (التحت)، بل نعدل إلى لفظ (الداخل) و (الخارج)، ونقول: للعالم داخل وخارج، فهل خارج العالم شيء من ملاء أو خلاء؟ فسقولون: ليس وراء العالم لا خلاء ولا ملاء، وإن عنيتم بالخارج سطحه الأعلى فله خارج، وإن عنيتم غيره فلا خارج له؛ فكذلك إذا قيل لنا: هل لوجود العالم (قبل)؟ قلنا: إن عنيتم هل لوجود العالم بداية، أي طرف منه ابتدأ، فله (قبل) على هذا، كما للعالم خارج على تأويل أنه الطرف المكشوف والمنقطع السطحي، وإن عنيتم بـ (قبل) شيئاً آخر فلا قبل للعالم، كما أنه إذا عني بخارج العالم شيء سوى السطح، قيل لا خارج للعالم. فإن قلتم لا يعقل مبدأ وجود لا (قبل) له، فيقال: ولا يعقل تناهي وجود من الجسم لا خارج له، فإن قلت خارجه سطحه الذي هو منقطعه لا غير، قلنا: بداية وجوده التي هي طرفُهُ لا غير.

بقي أن نقول: إن الله تعالى وجوداً ولا عالم معه، وهذا القول أيضاً لا يوجب إثبات شيء آخر، والذي يدل على أن هذا عمل الوهم، أنه مخصوص بالزمان والمكان، فإن الخصم وإن اعتقد قدم الجسم بذعن وهمه لتقدير حدوثه، ونحن وإن اعتقدنا حدوثه، ربما أذعن وهمنا لتقدير قدمه. هذا في الجسم، فإذا رجعنا إلى الزمان لم يقدر الخصم على تقدير حدوث زمان لا (قبل) له –وخلاف المعتقد يمكن وضعه في الوهم تقديراً وفرضاً- وهذا مما لا يمكن وضعه في الوهم، كما في المكان فإن من يعتقد تناهي الجسم ومن لا يعتقد، كل واحد يعجز عن تقدير جسم ليس وراءه لا خلاء ولا ملاء، بل لا يذعن وهمه لقبول ذلك، ولكن قيل: صريح العقل إذا لم يمنع وجود جسم متناهٍ بحكم الدليل، لم يلتفت إلى الوهم، فكذلك صريح العقل لا يمنع وجوداً مفتتحاً ليس قبله شيء، وإن قصر الوهم عنه فلا يلتفت إليه، لأن الوهم لما لم يألف جسماً متناهياً إلا وبجنبه جسم آخر، أو هواء تخيله خلاء، لم يتمكن من ذلك في الغائب؛ فكذلك لم يألف الوهم حادثاً إلا بعد شيء آخر، فكاع عن تقدير حادث ليس له (قبل) هو شيء موجود قد انقضى، فهذا هو سبب الغلط، والمقاومة حاصلة بهذه المعارضة.

الرد على الغزالي لابن رشد في بيان عجزهم عن إقامة الدليل على أن للعالم صانعاً وعلة وأن القول بالدهر لازم لهم[٢١٨]

(ابن رشد، ت١١٩٨)

قال أبو حامد: فنقول: من ذهب إلى أن كل جسم فهو حادث لأنه لا يخلو عن الحوادث عقل مذهبهم في قولهم أنه افتقر إلى صانع وعلة. وأما أنتم فما الذي يمنعكم من مذهب الدهرية وهو أن العالم قديم كذلك ولا علة له ولا صانع وإنما

---

[٢١٨] ـ من كتاب تهافت التهافت لابن رشد (٥٩٥هـ/١١٩٨م). تحقيق محمد العريبي، بيروت دار الفكر.

وهو أبو الوليد محمد بن أحمد، الفيلسوف المشهور المعروف بالحفيد. وهو من قرطبة، ونشأ بإشبيلية، وبها تولى القضاء. استقدمه المنصور الموحدي إلى مراكش وأكرمه قبل أن يُوغرُ صدره عليه وبأمر بحرق كتبه. وهو فقيه وعالم وطبيب.

العلة للحوادث. وليس يحدث في العالم جسم ولا ينعدم جسم وإنما يحدث الصور والأعراض فإن الأجسام هي السموات وهي قديمة والعناصر الأربعة التي هي حشو فلك القمر وأجسامها وموادها قديمة وإنما يتبدل عليها الصور بالامتزاجات والاستحالات. ويحدث النفوس الإنسانية والحيوانية والنباتية فهذه الحوادث تنتهي عللها إلى الحركة الدورية. والحركة الدورية قديمة ومصدرها نفس قديمة للفلك فإذا لا علة للعالم ولا صانع لأجسامه بل هو كما هو عليه لم يزل قديماً كذلك بلا علة أعني الأجسام فما معنى قولهم: إن هذه الأجسام وجودها بعلة، وهي قديمة.

قلت: الفلاسفة تقول إن من قال إن كل جسم محدث وفهم من لحدوث الاختراع من لا موجود، أي من العدم فقد وضع معنى من الحدوث لم يشاهده قط، وهذا يحتاج ضرورة إلى برهان. فأما ما حمل عليهم من الاعتراضات في هذا الفصل حتى ألزمهم القول بالدهر فقد قلنا: الجواب عن ذلك فيما سلف فلا معنى للإعادة. وجملة الأمر أن الجسم عندهم سواء كان محدثاً أو قديماً ليس مستقلاً في الوجود بنفسه وهي عندهم في الجسم القديم واجبة على نحو ما هوعليه في الجسم المحدث. إلا أن الخيال لا يساعد كيفية وجودها في القديم كما يساعد في الجسم المحدث، ولذلك لما أراد أرسطو أن يبين كون الأرض مستديرة بطبائعها أنزلها محدثة ليتصور العقل منها العلة ثم ينقلها إلى الأزلية، وذلك في المقالة الثانية من (السماء والعالم).

ولما أتى بالشناعات التي تلزم الفلاسفة أخذ مجاوباً عنهم ومعانداً لأجوبتهم. فقال:

فإن قيل: كل ما لا علة له فهو واجب الوجود وقد ذكرنا من صفات واجب الوجود ما تبين به أن الجسم لا يكون واجب الوجود.

قلنا: وقد بينا فساد ما ادعيتموه من صفات واجب الوجود وأن البرهان لا يدل إلا على قطع السلسلة وقد انقطع عند الدهري في أول الأمر إذ يقول لا علة للأجسام. وأما الصور والأعراض فبعضها علة للبعض إلى أن تنتهي إلى

الحركة الدورية وهي بعضها سبب للبعض كما هو مذهب الفلاسفة وينقطع تسلسلها بها. ومن تأمل ما ذكرناه علم عجز كل من يعتقد قدم الأجسام عن دعوى علة لها ولزمه الدهر والإلحاد كما صرح به فريق فهم الذين وفوا بمقتضى نظر هؤلاء.

قلت: كل هذا قد وقع الجواب عنه والتعريف بمرتبته من الأقاويل التصديقية فلا معنى لإعادة الكلام في ذلك.

وأما الدهرية، فالحس هو الذي اعتمدت عليه وذلك أنه لما انقطعت الحركات عندها بالجرم السماوي وانقطع به التسلسل ظنت أنه قد انقطع بالعقول ما انقطع بالحس وليس كذلك.

وأما الفلاسفة فإنهم اعتبروا الأسباب حتى انتهت إلى الجرم السماوي، ثم اعتبروا الأسباب المعقولة فأفضى بهم الأمر إلى موجود ليس بمحسوس، هو علة ومبدأ للوجود المحسوس، وهو معنى قول سبحانه: (وَكَذَلِكَ نُرِى إبراهِيمَ مَلَكُوتَ السَمَوَاتِ وَالأَرضِ) الأية.

وأما الأشعرية فإنهم جحدوا الأسباب المحسوسة أي لم يقولوا بكون بعضها أسباباً لبعض، وجعلوا علة الموجود المحسوس موجوداً غير محسوس بنوع من الكون غير مشاهد ولا محسوس، وأنكروا الأسباب والمسببات وهو نظر خارج عن الإنسان بما هو إنسان.

قال أبو حامد معانداً للفلاسفة في قولهم:

فإن قيل: إن الدليل على أن الجسم لا يكون واجب الوجود أنه إن كان واجب الوجود لم يكن له علة لا خارجة ولا داخلة، وإن كان له علة لكونه مركباً كان باعتبار ذاته ممكناً وكل ممكن يفتقر إلى واجب الوجود.

قلنا: لا يفهم لفظ واجب الوجود وممكن الوجود فكل تلبيساتهم في هاتين اللفظتين فلنعدل إلى المفهوم وهو: نفي العلة وإثباته فكأنهم يقولون: هذه الأجسام له علة ام لا علة لها فيقول الدهري لا علة لها فما المستنكر وإذا عني بالإمكان والوجوب هذا فنقول: إنه واجب وليس بممكن وقولهم: الجسم ليس يمكن أن يكون واجباً تحكم لا أصل له.

قلت قد تقدم من قولنا: إنه إذا فهم من واجب الوجود ما ليس له علة، وفهم من ممكن الوجود ما له علة لم تكن قسمة الموجود بهذين الفصلين معترفاً فإن للخصم أن يقول: ليس كما ذكر بل كل موجود لا علة له. لكن إذا فهم من واجب الوجود الموجود الضروري، ومن الممكن الممكن الحقيقي، أفضى الأمر ولا بد إلى موجود لا علة له وهو أن يقال: إن كل موجود فأما أن يكون ممكناً، أو ضرورياً. فإن كان ممكناً فله علة، فإن كانت تلك العلة من طبيعة الممكن تسلسل الأمر فيقطع التسلسل بعلة ضرورية، ثم يسأل في تلك العلة الضرورية إذا جوز أيضاً أن من الضروري ما له علة وما ليس له علة، فإن وضعت العلة من طبيعة الضروري الذي له علة لزم التسلسل وانتهى الأمر إلى علة ضرورية ليس لها علة.

وإنما أراد ابن سينا أن يطابق بهذه القسمة رأي الفلاسفة في الموجودات. وذلك أن الجرم السماوي عند الجميع من الفلاسفة هو ضروري بغيره. وأما هل الضروري بغيره فيه إمكان بالإضافة إلى ذاته ففيه نظر. ولذلك كانت هذه الطريقة مختلة إذا سلك فيها هذا المسلك، فأا مسلكه فهو مختل ضرورة لأنه يقسم الموجود أولاً إلى الممكن الحقيقي والضروري، وهي القسمة المعروفة بالطبع للموجودات.

ثم قال أبو حامد مجيباً للفلاسفة في قولهم على أن الجسم ليس بواجب الوجود بذاته لكونه له أجزاء هي علته.

فإن قيل: لا ينكر أن الجسم له أجزاء وأن الجملة إنما تتقوم بالأجزاء وأن الأجزاء تكون سابقة في الذات على الجملة.

قلنا ليكن كذلك فالجملة تقومت بالأجزاء واجتماعها ولا علة للأجزاء ولا لاجتماعها، بل هي قديمة كذلك بلا علة فاعلية. فلا يمكنهم رد هذا إلا بما ذكروه من لزوم نفي الكثرة عن الموجود الأول، وقد أبطلناه عليهم ولا سبيل لهم سواء.

فبان أن من لا يعتقد حدوث الأجسام فلا يصل الاعتقاد في الصانع أصلاً.

قلت: هذا القول لازم لزوماً لا شك فيه لمن سلك طريقة واحب الوجود في إثبات موجود ليس بجسم. وذلك أن هذه الطريقة لم تسلكها القدماء، وإنما أول من سلكها فيما وصلنا ابن سينا وقد قال: إنها أشرف من طريقة القدماء. وذلك أن القدماء إنما صاروا إلى إثبات موجود ليس بجسم هو مبدأ للكل من أمور متأخرة وهي الحركة والزمان. وهذه الطريقة تفضي إليه فيما زعم؛ أعني إلى إثبات مبدأ بالصفة التي أثبتها القدماء من النظر في طبيعة الموجود بما هو موجود. ولو أفضت لكان ما قال صحيحاً، لكنها ليس تفضي، وذلك أن واجب الوجود بذاته إذا وضع موجوداً فغاية ما ينتفي عنه أن يكون مركباً من مادة وصورة، وبالجملة أن يكون له حد، فإذا وضع موجوداً مركباً من أجزاء قديمة من شأنها أن تتصل بعضها ببعض كالحال في العالم وأجزائه صدق على العالم وأجزائه أنه واجب الوجود. هذا كله إذا سلمنا أن ههنا موجوداً هو واجب الوجود. وقد قلنا نحن: إن الطريقة التي سلكها في إثبات موجود بهذه الصفة ليست برهانية ولا تفضي بالطبع إليها إلا على النحو الذي قلنا. وأكثر ما يلزم هذا القول أعني ضعف هذه الطريقة عند من يضع أن ههنا جسماً بسيطاً غير مركب من مادة وصورة وهو مذهب المشائين. لأن من يضع مركباً قديماً من أجزاء بالفعل فلا بد أن يكون واحداً بالذات. وكل وحدة في شيء مركب فهي من قبل واحد هو واحد بنفسه؛ أعني بسيطاً، ومن قبل هذا الواحد صار العالم واحداً، ولذلك يقول الإسكندر: إنه لا بد أن تكون ههنا قوة روحانية سارية في جميع أجزاء العالم كما يوجد في جميع أجزاء الحيوان الواحد قوة تربط أجزاءه بعضها ببعض، والفرق بينهما أن الرباط الذي في العالم قديم من قبل أن الرابط قديم، والرباط الذي بين أجزاء الحيوان ههنا كائن فاسد بالشخص غير كائن ولا فاسد بالنوع من قبل الرباط القديم من قبل أنه لم يمكن فيه أن يكون غير كائن ولا فاسد

بالشخص، كالحال في العالم. فتدارك الخالق سبحانه هذه النقص الذي لحقه بهذا النوع من التمام الذي لا يمكن فيه غيره كما يقوله أرسطو في كتاب (الحيوان).

وقد رأينا في هذا الوقت كثيراً من أحصاحب ابن سينا لموضع هذا الشك قد تأولوا على ابن سينا هذا الرأي وقالوا: إنه ليس يرى أن ههنا مفارقاً وقالوا: إن ذلك يظهر من قوله في واجب الوجود في مواضع، وإنه المعنى الذي أودعه في فلسفته يظهر من قوله في واجب الوجود في مواضع، وإنه المعنى الذي أودعه في فلسفته المشرقية. قالوا: وإنما سماهما فلسفة مشرقية لأنها مذهب أهل المشرق، فإنهم يرون أن الآلهة عندهم هي الأجرام السماوية على ما كان يذهب إليه، وهم مع هذا يضعفون طريق أرسطو في إثبات المبدأ الأول من طريق الحركة.

وأما نحن فقد تكلمنا في هذه الطريقة غير ما مرة، الجهة التي منها يقع اليقين فيها، وحللنا جميع الشكوك الواردة عليها، وتكلمنا أيضاً على طريقة الإسكندر في ذلك؛ أعني الذي اختاره في كتابه الملقب (بالمبادئ) وذلك أنه يظن أنه عدل عن طريقة أرسطو. كلتا الطريقتين صحيحه، لكن الطريقة الأشهر في ذلك هي طريقة أرسطو. ولكن إذا حققت طريقة واجب الوجود عندي على ما أصفه كانت حقاً وإن مكان فيها إجمال يحتاج إلى تفصيل، وهو أن يتقدمها العلم بأصناف الممكنات الوجود في الجوهر، والعلم بأصناف الواجبة الوجود في الجوهر. وهذه الطريقة هي أن نقول إن الممكن الوجود في الجوهر الجسماني يجب أن يتقدمه واجب الوجود بإطلاق وهو الذي لا قوة فيه أصلاً، لا في الجوهر ولا في غير ذلك من أنواع الحركات. وما هو هكذا فليس بجسم. مثال ذلك: إن الجرم السماوي قد ظهر من أمره أنه واجب الوجود في الجوهر الجمساني وإلا لزم أن يكون هنالك جسم أقدم منه، وظهر من أمره أنه ممكن الوجود في الحركة التي في المكان، فوجب أن يكون المحرك له واجب الوجود في الجوهر، وألا يكون فيه قوة أصلاً، لا على حركة، ولا على غرها، فلا يوصف بحركة، ولا سكون، ولا بغير ذلك من أنواع التغيرات. وما هو بهذه

الصفة فليس بجسم أصلاً، ولا قوة في جسم. وأجزاء العالم الأزلية إنما هي واجبة الوجود في الجوهر: إما بالكلية كالحال في الأسطقسات الأربع، وإما بالشخص كالحال في الأجرام السماوية.

ما بين الشريعة والفلسفة[٢١٩]

ــ ابن رشد ــ

١ ــ أما أن الشرع دعا إلى اعتبار الموجودات بالعقل وتطلب معرفتها به، فذلك بين في غير ما آية من كتاب الله، تبارك وتعالى، مثل قوله تعالى: (فاعتبرُوا يَأولي الأبصر) وهذا نص على وجوب استعمال القياس العقلي، أو العقلي والشرعي معاً. ومثل قوله تعالى: (أَلَم يَنْظُروا في مَلَكُوتِ الَسَمواتِ والأرضِ وَمَا خَلَقَ اللهُ مِن شيءٍ) وهذا نصب بالحث على النظر في جميع الموجودات.

واعلم أن ممن خصو الله تعالى بهذا العلم وشرفه به، إبراهيم عليه السلام. فقال تعالى: (وكَذلكَ نُرِىَ إبراهيم ملكُوت السَمَواتِ وَالأرضِ) الآية. وقال تعالى: (أَفَلاَ يَنظُرونَ إلىَ الإبل كيفَ خُلِقَت(١٧) وَإلىَ الَسَمَاءِ كيفَ رُفعت) ــ وقال: (وَيَتَفكَرُونَ فِي خَلقِ الَسَمواتِ والأرضِ) إلى غير ذلك من الآيات التي لا تُحصى كثرة.

٢ ـ وإذا تقرر أن الشرع قد أوجب النظر بالعقل في الموجودات واعتبارها، وكان الاعتبار ليس شيئاً أكثر من استنباط المجهول من المعلوم واستخراجه منه، وهذا هو القياس أو بالقياس، فواجب أن نجعل نظرنا في الموجودات بالقياس العقلي، وبين أن هذا النحو من النظر الذي دعا إليه الشرع وحث عليه، هو أتم أنواع النظر بأتم أنواع القياس ــوهو المسمى (برهاناً)- وإذا كان الشرع

---

[٢١٩]- من كتاب (فصل المقال) (تحقيق ألبير نصري نادر، بيروت، ١٩٦١) ص ٢٨-٣٥. كما ورد في كتاب وداد القاضي مختارات من النثر العربي.

قد حق على معرفة الله تعالى وسائر موجوداته بالبرهان، وكان من الأفضل –أو الأمر الضروري- لمن أراد أن يعلم الله تبارك وتعالى، وسائر الموجودات بالبرهان، أن يتقدم أولاً فيعلم أنواع البراهين وشروطها، وبما يخالف القياس البرهاني القياس الجدلي، والقياس الخطابي، والقياس المُغالطي، وكان لا يمكن ذلك دون أن يتقدم فيعرف قبل ذلك ما هو القياس المطلق، وكم أنواعه، وما منه قياس، وما منه ليس بقياس. وذلك لا يمكن أيضاً إلا ويتقدم فيعرف قبل ذلك أجزاء القياس التي منها تُركب –أعني المقدمات وأنواعها- فقد يجب على المؤمن بالشرع الممتثل أمره بالنظر في الموجودات أن يتقدم قبل النظر فيعرف هذه الأشياء التي تتنزل من النظر منزلة الآلات من العمل.

٣ ــ فإنه كما أن الفقيه يستنبط من الأمر بالتفقه في الأحكام وجوب معرفة المقاييس الفقهية على أنواعها، وما منها قياس وما منها ليس بقياس، كذلك يجب على العارف أن يستنبط من الأمر بالنظر في الموجودات وجوب معرفة القياس العقلي وأنواعه، بل هو أحرى بذلك، لأنه إذا كان الفقيه يستنبط من قوله تعالى: (فاعتبروا يأُولي الأبصر) وجوب معرفة القياس العقلي.

٤ ــ وليس لقائل أن يقول: (إن هذا النوع من النظر في القياس العقلي بدعة، إذ لم يكن في الصدر الأول). فإن النظر أيضاً في القياس الفقهي وأنواعه هو شيء استُنبط بعد الصدر الأول، وليس يُرى أنه بدعه. فكذلك يجب أن نعتقد في النظر في القياس العقلي...

٥ ـ وإذا تقرر أنه يجب بالشرع النظر في القياس العقلي وأنواعه، كما يجب النظر في القياس الفقهي، فبين أنه إن كان لم يتقدم أحد ممن قبلنا بفحص عن القياس العقلي وأنواعه، أنه يجب علينا أن نبتدئ بالفحص عنه، وأن يستعين في ذلك المتأخر بالمتقدم، حتى تكمل المعرفة به. فإنه عسير أو غير ممكن أن يقف واحد من الناس تلقائه وابتداء على جميع ما يحتاج إليه من ذلك، كما أنه عسير أن يستنبط واحد جميع ما يحتاج إليه من معرفة أنواع القياس الفقهي، بل معرفة القياس العقلي أحرى بذلك، وإن كان غيرنا قد فحص عن ذلك؛ فبين أنه يجب

علينا أن نستعين على ما نحن بسبيله بما قال من تقدمنا في ذلك، وسواء كان ذلك الغير مشاركاً لنا أو غير مشارك في الملة.. وأعني بغير المشارك من نظر في هذه الأشياء من القدماء قل ملة الإسلام. وإذ اكان الأمر هكذا، وكان كل ما يُحتاج إليه من النظر في أمر المقاييس العقلية قد فحص عنه القدماء أتم فحص، فقد ينبغي أن نضرب بأيدينا إلى كتبهم، فننظر فيما قالوه من ذلك: فإن كان كله صواباً قبلناه منهم، وإن كان فيه ماليس بصواب نبهنا عليه.

٦ ـ فإذا فرغنا من هذا الجنس من النظر وحصلت عندنا الآلاتُ التي بها نقدر على الاعتبار في الموجودات ودلالة الصنعة فيها، فإن من لا يعرفُ الصنعة لا يعرف المصنوع، ومن لا يعرف المصنوع لا يعرف الصانعَ، فقد يجب أن نشرع في الفحص عن الموجودات على الترتيب والنحو الذي استفدناه من صناعة المعرفة بالمقاييس البرهانية. وبين أيضاً أن هذا الغرض إنما يتم لنا في الموجودات بتداول الفحص عنها واحداً بعد واحد، وأن يستعين في ذلك المتأخر بالمتقدم، على مثال ما عرض في علوم التعاليم[٢٢٠]. فإنه لو فرضنا صناعة الهندسة في وقتنا هذا معدومة، وكذلك صناعة علم الهيئة، ورام إنسان واحد من تلقاء نفسه أن يدرك مقادير الأجرام السماوية وأشكالها وأبعاد بعضها عن بعض، لما أمكنه ذلك، مثل أن يعرف قدر الشمس من الأرض، وغير ذلك من مقادير الكواكب، ولو كان أذكى الناس طبعاً، إلا بوحي أو شيء يشبه الوحي. بل لو قيل له إن الشمس أعظم من الأرض بنحو مائة وخمسين ضعفاً، أو ستين، لعد هذا القول جنوناً من قائله. وهذا شيء قد قام عليه البرهان في علم الهيئة قياماص لا يشك فيه من هو من أصحاب ذلك العلم.

وأما الذي أحوج في هذا إلى التمثيل بصناعة التعاليم، فهذه صناعة أصول الفقه والفقه نفسه، لم يكمل النظر فيها إلا في زمن طويل. ولو رام إنسان اليوم من تلقاء نفسه أن يقف على جميع الحُجج التي استنبطها النظار من أهل المذاهب في مسائل الخلاف التي وقعت المناظرة فيها بينهم في معظم بلاد الإسلام –ما

٢٢٠ـ علوم التعاليم هي ما يسمى علوم الأوائل كالهندسة وعلم الهيئة (الفلك)..إلخ.

عدا المغرب- لكان أهلا أن يُضحك منه، لكون ذلك ممتنعاً في حقه مع وجود ذلك مفروغاً منه. وهذا أمر بين بنفسه، ليس في الصنائع العلمية فقط، بل وفي العملية. فإنه ليس منها صناعة يقدر أن يُنشئها واحد بعينه، فكيف بصناعة الصنائع، وهي المحكمة؟

وإذا كان هذا هكذا، فقد يجب علينا إن الفينا لمن تقدمنا من الأمم السالفة نظراً في الموجودات واعتباراً لها بحسب ما اقتضته شرائط البرهان أن ننظر في الذي قالوه من ذلك وما أثبتوه في كتبهم: فما كان منها موافقاً للحق قبلناه منهم وسررنا به، وشكرناهم عليه، وما كان منها غير موافق للحق نبهنا عليه وحذرنا منه وعذرناهم.

٧ ـ فقد تبين من هذا أن النظر في كتب القدماء واجب بالشرع، إذ كان مغزاهم في كتبهم ومقصدهم هو المقصد الذي حثنا الشرع عليه. وإن من نهى عن النظر فيها من كان أهلاً للنظر فيها ـوهو الذي جمع أمرين أحدهما ذكاء الفطرة، والثاني العدالة الشرعية والفضيلة الخلقية- فقد صد الناس عن الباب الذي دعا الشرعُ منه الناس إلى معرفة الله، وهو بابُ النظر المؤدي إلى معرفته حق المعرفة. وذلك غاية الجهل والبعد عن الله تعالى. وليس يلزم من أنه إن غوى غاو بالنظر فيها، وزل زال، إما من قبل نقص فطرته، وإما من قبل سوء ترتيب نظره فيها، أو من قبل غلبة شهواته عليه، أو أنه لم يجد معلماً يُرشده إلى فهم ما فيها، أو من سوء ترتيب نظره فيها، أو اجتماع هذه الأسباب فيه، أو أكثر من واحد منها، أن نمنعها عن الذي هو أهل للنظر فيها. فإن هذا النحو من الضرر الداخل قبلها هو شيء لحقها بالعرض لا بالذات. وليس يجب فيما كان نافعاً بطباعه وذاته أن يترك بمكان مضرة موجودة فيه بالعرض.. بل نقول إن مثل من منع النظر في كتب الحكمة من هو أهل لها، من أجل أن قوماً من أراذل الناس قد يُظن بهم أنهم ضلوا من قبل نظرهم فيها، مثل من منع العطشان شرب الماء البارد العذب حتى مات من العطش، لأن قوماً شرقوا به فماتوا. فإن الموت عن الماء بالشرق أمر عارض، وعن العطش أمر ذاتي وضروري.

وهذا الذي عرض لهذه القناعة هو شيء عارض لسائر الصنائع. فكم من فقيه كان الفقه سبباً لقلة تورعه وخوضه في الدنيا، بل أكثر الفقهاء كذلك تجدهم، وصناعتهم إنما يقتضي بالذات الفضيلة العملية. فإذا لا يبعد أن يعرض في الصناعة التي تقتضي الفضيلة العلمية ما عرض في الصناعة التي تقتضي الفضيلة العملية.

٨ ـ وإذا تقرر هذا كله وكنا نعتقد ـمعشر المسلمين- أن شريعتنا هذه الإلهية حق وأنها التي نبهت على هذه السعادة، ودعت إليها، التي هي المعرفة بالله عز وجل وبمخلوقاته، فإن ذلك متقرر عند كل مسلم من الطريق الذي اقتضته جبلته وطبيعته من التصديق: فمنهم من يصدق بالبرهان، ومنهم من يصدق بالأقاويل الجدلية تصديق صاحب البرهان بالبرهان، إذ ليس في طباعه أكثر من ذلك، ومنهم من يصدق بالأقاويل الخطابية كتصديق صاحب البرهان بالأقاويل البرهانية.

وذلك أنه لما كانت شريعتنا هذه الإلهية قد دعت الناس من هذه الطرق الثلاث عم التصديق بها كل إنسان، إلا من جحدها عناداً بلسانه، أو لم تتقرر عنده طرق الدعاء فيها إلى الله تعالى لإغفاله ذلك من نفسه. ولذلك خص عليه السلام بالبعث إلى (الأحمر والأسود)، أعني لتضمن شريعته طرق الدعاء إلى الله تعالى. وذلك صريح في قوله تعالى: (أدعُ إلى سَبيلِ رَبَكَ بِالحكمةِ والموعِظةِ الحسنة وجدلهم بالتي هي أحسن).

واذا كانت هذه الشريعة حقا وداعية إلى النظر المؤدي إلى معرفة الحق، فإنا معشر المسلمين نعلم على القطع أنه لا يؤدي النظر البرهاني إلى مخالفة ما ورد به الشرع. فإن الحق لا يضاد الحق، بل يوافقه ويشهد له.

٩ ـ وإذا كان هذا هكذا، فإن أدى النظر البرهاني إلى نحو ما من المعرفة بموجود ما، فلا يخلو ذلك الموجود أن يكون قد سكت عنه في الشرع أو عُرف به. فإن كان مما قد سُكت عنه فلا تعارض هنالك، وهو بمنزلة ما سُكت عنه من الأحكام، فاستنبطها الفقيه بالقياس الشرعي. وإن كانت الشريعة نطقت به فلا

يخلو ظاهرُ النطق أن يكون موافقاً لما أدى إليه البرهان فيه أو مخالفاً. فإن كان موافقاً، فلا قول هنالك. وإن كان مخالفاً، طلب هنالك تأويله. ومعنى التأويل هو إخراج دلالة اللفظ الحقيقية غلى الدلالة المجازية ـمن غير أن يخل في ذلك بعادة لسان العرب في المتجوز- من تسمية الشيء بشبيهه أو بسببه أو لاحقه أو مقارنه أو غير ذلك من الأشياء التي عددت في تعريف أصناف الكلام المجازي.

في معرفة الحكمة والمعلول وبلوغ الإيمان بالخالق:

موت الظبية وأثره في تفكير حي[٢٢١]

ـ ابن الطفيل ـ

ما زال الهزال والضعف يستولي على الظبية[٢٢٢] ويتوالى، إلى أن أدركها الموت، فسكنت حركاتها بالجملة وتعطلت جميه أفعالها. فلما رآها الصبي على تلك الحالةجزع جزعاً شديداً، وكادت نفسه تفيض[٢٢٣] أسفاً عليها. فكان يناديه الصوت الذي كانت عادتها أن تجيبه عند سماعه، ويصبح بأشد ما يقدر عليه: فلا يرى لها عند ذلك حركة ولا تغيراً. فكان ينظر إلى أذنيها وإلى عينيها فلا يرى بها آفة ظاهرة، وكذلك كان ينظر إلى جميع أعضائها فلا يرى بشيء منها آفة. فكان يطمع أن يعثر على موضع الآفة فيزيلها عنها، فترجع إلى ما كانت عيه، فلم يتأت له شيء من ذلك ولا استطاعه. وكان الذي أرشده لهذا الرأي ما

---

[٢٢١]- من كتاب (حي بن يقظان) (تحقيق جميل صليبا وكامل عياد، دمشق، ١٩٣٩) ص ٩١-٩٨ (وتحقيق أحمد أمين، القاهرة، ١٩٥٩) ص ٧٤-٧٨ كما ورد في كتاب وداد القاضي مختارات من النثر العربي.
ابن طفيل (٥٨١هـ/١١٨٥م) الفيلسوف والطبيب الأندلسي المشهورصاحب هذه القصة الفلسفية وله رسالة في النفس وشعر، وكذلك أبحاث طبية مشتركة مع الفيلسوف والطبيب الأندلسي ابن رشد.

[٢٢٢]- الظبية التي أرضعت حي بن يقظان وربته.

[٢٢٣]- فاضت نفسه بمعنى مات.

كان قد اعتبره في نفسه قبل ذلك: لأنه كان يرى أنه إذا غمض عينيه أو حجبهما بشيء لا يبصر شيئاً حتى يزول ذلك العائق، وكذلك كان يرى أنه إذا أدخل إصبعيه في أذنيه وسدهما لا يسمع شيئاً حتى يزول ذلك العارض وإذا أمسك أنفه بيده لا يشم شيئاً من الروائح حتى يفتح أنفه. فاعتقد من أجل ذلك أن جميع ما لها من الإدراكات والأفعال، قد تكون لها عوائق تعوقها، فإذا أزيلت تلك العوائق، عادت الأفعال.

فلما نظر إلى جميع أعضائها الظاهرة ولم ير فيها آفة ظاهرة –وكان يرى مع ذلك العطلة قد شملتها ولم يختص بها عضو دون عضو –وقع في خاطره أن الآفة التي نزلت بها إنما هي في عضو غائب من العيان، مستكن[٢٢٤] في باطن الجسد، وأن ذلك العضو لا يُغني عنه في فعله شيء من هذه الأعضاء الظاهرة. فلما نزلت به الآفة عمت المضرةُ وشملت العطلة، وطمع له أنه عثر على ذلك العضو وأزال عنه ما نزل به، لاستقامت أحواله وفاض على سائر البدن نفعه، وعادت الأفعال إلى ما كانت عليه.

وكان قد شاهد قبل ذلك في الأشباح[٢٢٥] الميتة من الوحوش وسواها أن جميع أعضائها مصمتة[٢٢٦] لا تجويف فيها إلا القحف[٢٢٧] والصدر والبطن، فوقع في نفسه أن العضو الذي بتلك الصفة لن يعدو أحد هذه المواضع الثلاثة؛ وكان يغلب على ظنه غلبة قوية أنه إنما هو في الموضع المتوسط من هذه المواضع الثلاثة؛ إذ كان قد استقر في نفسه أن جميع الأعضاء محتاجة إليه، وأن الواجب بحسب ذلك أن يكون مسكنه في الوسط. وكان أيضاً إذا رجع إلى ذاته، شعر بمثل هذا العضو في صدره، لأنه كان يعترض سائر أعضائه، كاليد والرجل والأذن والأنف والعين والرأس ويقدر مفارقتها، فيتأتي له أنه كان يستغني

٢٢٤ـ مستكن: مختف.

٢٢٥ـ الأشباح: الأجساد.

٢٢٦ـ المصمت: الذي لا جوف له.

٢٢٧ـ القحف: تجويف الرأس.

عنها، وكان يقدر في رأسه مثل ذلك ويظن أنه يستغني عنه، وكذلك كان عند محاربته الوحوش أكثر ما كان يتقي من صياصيهم[٢٢٨] على صدره، لشعوره بالشيء الذي فيه.

فلما جزم الحكم بأن العضو الذي نزلت به الآفة إنما هو في صدرها، أجمع على البحث عليه والتنقير عنه، لعله يظفر به، ويرى آفته فيزيلها. ثم إنه خاف أن يكون نفس فعله هذا اعظم من الآفة التي نزلت بها أولاً فيكون سعيه عليها.

ثم إنه تفكر: هل رأى من الوحوش وسواها، من صار في مثل تلك الحال، ثم عاد إلى مثل حاله الأول؟ فلم يجد شيئاً! فحصل له من ذلك اليأس من رجوعها إلى حالها الأول إن هو تركها، وبقي له بعض رجاء رجوعها إلى تلك الحال إن هو وجد ذلك العضو وأزال الآفة عنه. فعزم على شق صدرها وتفتيش ما فيه، فاتخذ من كسور الأحجار الصلدة وشقوق القصب اليابسة أشباه السكاكين، وشق بها بين أضلاعها حتى قطع اللحم بين الأضلاع، وأفضى إلى الحجاب المستبطن للأضلاع، وطمع بأنه إذا تجاوزه ألفى مطلوبه؛ فحاول شقه، فصعب عليه لعدم الآلات، ولانها لم تكن إلا من الحجارة والقصب، فاستجدها ثانية واستحدها، وتلطف في خرق الحجاب حتى انخرق له، فأفضى إلى الرئة فظن أولاً أنها مطلوبه؛ فما زال يقلبها ويطلب موعض الآفة بها.

وكان أولاً إنما وجد منها نصفها الذي هو الجانب الواحد، فلما رآها مائلة إلى جهة واحدة، وكان قد اعتقد أن ذلك العضو لا يكون إلا في الوسط في عرض البدن، كما هو في الوسط في طوله، فما زال يفتش وسط الصدر حتى ألفى (القلب) وهو مجلل بغشاء في غاية القوة، مربوط بمعاليق[٢٢٩] في غاية الوثاقة، والرئةُ مطيفة[٢٣٠] به من الجهة التي بدأ بالشق منها، فقال في نفسه: إن كان لهذا

---

[٢٢٨] ـ الصياصي: القرون.

[٢٢٩] ـ المعاليق: جمع معلاق وهو ما يعلق الشيء به.

[٢٣٠] ـ مطيفة: دائرة.

العضو من الجهة الأخرى مثل ما له من هذه الجهة، فهو في حقيقة الوسط، لا محالة أنه مطلوبي، لا سيما مع ما أرى له من حسن الوضع، وجمال الشكل، وقلت التشتت، وقوة اللحم، وأنه محجوب بمثل هذا الحجاب الذي لم أر مثله لشيء من الأعضاء.

فبحث عن الجانب الآخر من الصدر، فوجد فيه الحجاب المستبطن للأضلاع، ووجد الرئة على ما وجده من هذه الجهة. فحكم بأن ذلك العضو هو مطلوبه، فحاول هتك حجابه وشق شغافه[٢٣١]؛ فبكد واستكراه ما قدر على ذلك، بعد استفراغ مجهوده.

وجرد القلب فرآه مصمتاً من كل جهة، فنظر هل يرى فيه آفة ظاهرة؟ فلم ير فيه شيئاً؛ فشد عليه يده، فتبين له أن فيه تجويفاً؛ فقال: لعل مطلوبي الأقصى إنما هو في داخل هذا العضو، وأنا حتى الآن لم أصل إليه. فشق عليه، فألقى فيه تجويفين اثنين: أحدهما من الجهة اليمنى، والآخر من الجهة اليسرى، والذي من الجهة اليمنى مملوء بعلق منعقد، والذي من الجهة اليسرى خال لا شيء فيه. فقال: لن يعدو مطلبي أن يكون مسكنُه أحد هذين البيتين. ثم قال: أما هذا البيت الأيمن، فلا أرى فيه غير هذا الدم المنعقد. ولا شك أنه لم ينعقد حتى صار الجسد كله إلى هذا الحال، إذ كان قد شاهد أن الدماء كلها متى سالت وخرجت، انعقدت وجمدت، ولم يكن هذا إلا دماً كسائر الدماء، وأنا أرى أن هذا الدم موجود في سائر الأعضاء لا يختص به هذا الموضع الذي أجدني لا أستغني عنه طرفة عين، وإليه كان انبعاثي من أول. وأما هذا الدم فكم مرة جرحتني الوحوش والحجارة فسال مني كثير منه فما ضرني ذلك ولا أفقدني شيئاً من أفعالي، فهذا بيت ليس فيه مطلوبي. وأما هذا البيت الأيسر فأراه خالياً لا شيء فيه، وما أرى ذلك لباطل، فإني رأيت كل عضو من الأعضاء إنما هو لفعل يختص به، فكيف يكون هذا البيت على ما شاهدت من شرفه باطلاً؟ ما أرى إلا

---

[٢٣١]ـ الشغاف: غشاء القلب.

أن مطلوبي كان فيه! فارتحل عنه وأخلاه، وعند ذلك، طرأ على هذا الجسد من العطلة ما طرأ: ففقد الإدراك وعدم الحراك؟

فلما رأى أن الساكن في ذلك البيت قد ارتحل قبل انهدامه، وتركه وهو بحاله، تحقق أنه أحرى أن لا يعود إليه بعد أن حدث فيه من الخراب والتخريق ما حدث. فصار عنده الجسدُ كله خسيساً لا قدر له بالإضافة إلى ذلك الشيء الذي اعتقد في نفسه أنه يسكنه مدة ويرحل عنه بعد ذلك. فاقتصر على الفكرة في ذلك الشيء ما هو؟ وما الذي ربطه بهذا الجسد؟ وإلى أين صار؟ ومن أي الأبواب خرج عند خروجه من الجسد؟ وما السبب الذي أزعجه إن كان خرج كارهاً؟ وما السبب الذي كره إليه الجسد، حتى فارقه إن كان خرج مختاراً؟

وتشتت فكره في ذلك كله، وسلا عن ذلك الجسد، وطرحه،

حي بن يقظان

النصوص الأربعة ومبدعوها

دراسة وتحقيق

يوسف زيدان

ثانياً: حَيُّ بنُ يَقظَان

لابن طُفيل

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله العظيم الأعظم، القديم الأقدم، العليم الأعلم الحكيم الأحكم، الرحيم الأرحم: الكريم الأكرم، الحليم الأحلم (الّذِى عَلّمَ بِالقلم علم الإنسانَ ما لم يعلم)[٢٣٢] و (كَانَ فضلُ اللهِ عليكَ عظيماً)[٢٣٣].

أحمده على فواضل النعماء، وأشكره على تتابع الآلاء. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، صاحب الخُلق الطاهر، والمعجز الباهر، والبرهان القاهر، والسيف الشاهر؛ صلوات الله عليه وسلامه، وعلى آله وأصحابه، أُولى الهمم العظائم، وذوي المناقب والمعالم.. على جميع الصحابة والتابعين، إلى يوم الدين، وسلم تسليما كثيراً.

سألتَ أيها الأخر الكريم، الصفى الحميم –منحك الله البقاء الأبدي، وأسعدك السعد السرمدي- أن أبث إليك ما أمكنني بثه، من أسرار الحكمة المشرقية[٢٣٤]، التي ذكرها الشيخ الرئيس، أبو علي بن سينا (بقوله:)[٢٣٥] فاعلم أن من أراد الحق الذي لا جمجمة فيه، فعليه يطلبها والجد في اقتنائها.

---

[٢٣٢]- سورة العلق، الآيتان الرابعة والخامسة.

[٢٣٣]- سورة النساء، آية ١١٣.

[٢٣٤]- يعلق أحمد أمين على ذلك بقوله: أختلف المستشرقون اختلافاً طويلاً في تفسير هذه الكلمة، هل هي رديف لكلمة حكمة الإشراق أو هي مقابلة لكلمة حكمة المغاربة؟ ولو كانت نسبة إلى الإشراق، لكانت الحكمة الإشراقية، لا المشرقية، فنحن نرجح أن تكون نسبة إلى المشرق، مقابلة لحكمة المغرب، وهي حكمة اليونان ومن إليهم، ويرجح هذا أن لابن سينا كتاباً في المنطق يسمى منطق المشارقة يرد به على منطق أرسطو أي منطق المغاربة. (انتهى).
نقول: كتاب ابن سينا في المنطق، عنوانه: منطق المشرقيين (لا المشارقة) وقد استخدم ابن سينا الكلمة نفسها حين أشار لمن يريد (الحق الذي لا جمجمة فيه) فعليه (بكتبنا المشرقية).. فالظاهر من ذلك أن وصف مشرق يراد به الحكمة الغامضة البعيدة ولا ننسى هنا أن الهند والصين، وهي بلاد حكمة، كانت. آنذاك بالنسبة للعالم الإسلامي: مشرق. وقد أشار ابن سينا إلى تلك العلوم التي وصلتنا من المشرق.

[٢٣٥]- ما بين القوسين لم يرد في النشرتين (نشرة أحمد امين ونشرة فاروق سعد) وأضفناه هنا ليستقيم به الكلام. وما يرد بعد القوسين هو كلام ابن سينا في الشفاء حيث أكد أن هذا الكتاب هو شرح لآراء المشائين (الأرسطيين) أما من اراد الحق الذي لا جمجمة فيه، فعليه بالكتب المشرقية، وقد نقل ابن طفيل عبارة ابن سينا بشيء من التصرُّف، فلم ينتبه لذلك ناشرو النص. وجعلوا العبارة لابن طفيل!

ولقد حرك منى سؤالك خاطرًا شريفًا أفضى بي، والحمد لله، إلى مشاهدة حالٍ لم أشهدها قبل، وانتهى بي إلى مبلغ، هو من الغرابة بحيث لا يصفه لسان، ولا يقوم به بيان؛ لأنه من طور غير طورهما وعالم غير عالمها[٢٣٦].

غير أن تلك الحال، لما لها من البهجة والسرور واللذة والحبور[٢٣٧]، لا يستطيع من وصل إليهان وانتهى إلى حد من حدودها، أن يكتم أمرها أو يخفى سرها. بل يعتريه من الطرب والنشاط، والمرح والانبساط، ما يحمله على البوح بهامجملة دون تفصيل، وإن كان ممن لم تحذقه العلوم قال فيها بغير تحصيل، حتى إن بعضهم قال في هذه الحال سبحانى ما أعظم شأنى، وقال غير أنا الحق! وقال غيره: ليس في الثوب إلا الله[٢٣٨]. وأما الشيخ أبو حامد الغزالي (رحمة الله عليه) فقال متمثلاً عند وصوله إلى هذا الحال، بهذا البيت:

فَكَانَ مَا كان مِمَّا لَسْتُ أَذكُرهُ   فظُنَّ خيرًا ولا تسألْ عن الخبرِ[٢٣٩]

وإنما أدبته[٢٤٠] المعارف، وحذقته العلوم.

وانظر إلى قول أبي بكر بن الصائغ[٢٤١]، المتصل كلامه في صفة الاتصال، فإنه يقول: إذا فُهم المعنى المقصود من كتابه ذلك، ظهر عند ذلك، أنه لا يمكن أن يكون معلومًا من العلوم المتعاطاة في رتبته، وحصل متصوره بفهم ذلك المعنى، في رتبة يرى نفسه فيها مباينًا لجميع ما تقدم، مع اعتقادات أُخرى –

---

[٢٣٦]- يقصد: عالم اللسان وعالم البيان.

[٢٣٧]- الإشارة هنا غلى احوال الطريق الصوفي. وهي الأحوال التي لا ترقي اللغة العادية للتعبير عنها.

[٢٣٨]- هما: البسطامي والحلاج.

[٢٣٩]- البيت من بحر البسيط، وقد اجاب به الإمام الغزالي (أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الطوسي، المتوفي ٥٠٥ هجرية) عندها سُئل عن حاله بعد أن ترك حياة الظاهر وسلك طريق الصوفية.. ونلاحظ هنا تقدير ابن طفيل للإمام الغزالي (راجع ما قلناه في الدراسة).

[٢٤٠]- يشير للإمام الغزالي.

[٢٤١]- هو ابن باجة. راجع ما كتبناه عنه في الدراسة، عند الكلام عن ابن طفيل.

ليست هيولانية[٢٤٢]- وهي أجل من أن تُنسب إلى الحياة الطبيعية، بل هي أحوال من أحوال السعداء، منزهة عن تركيب الحياة الطبيعية، خليقة أن يقال لها: أحوال إلهية. يهبها الله سبحانه وتعالى لمن يشاء من عباده.

وهذه الرتبة التي أشار إليها أبو بكر[٢٤٣]، يُنتهى إليها بطريق العلم النظري والبحث الفكري.. ولا شك أنه بلغها، ولم يتخطها.

وأما الرتبة التي أشرنا إليها نحن أولا، فهي غيرها، وإن كانت إياها، بمعنى أنه لا ينكشف فيها أمرٌ، على خلاف ما انكشف في هذه[٢٤٤]. وإنما تغايرها بزيادة الوضوح، ومشاهدتها بأمر لا نسميه قوةً إلا على المجاز، إذ لا نجد في الألفاظ الجمهورية، ولا في الاصطلاحات الخاصة؛ أسماء تدل على الشيء، الذي يُشاهد به ذلك النوع من المشاهدة.

وهذه الحال التي ذكرناها، وحركنا سؤالك إلى ذوق منها، هي من جملة الأحوال التي نبه عليها الشيخ أبو علي[٢٤٥] حيث يقول: ثم إذا بلغت به الإرادة والرياضة حدًّا ما، عنت له خلسات من اطلاع نور الحق، لذيذة كأنها بروق تومض إليه، ثم تخمد عنه، ثم إنه تكثر عليه هذه الغواشي إذا أمعن في الارتياض، ثم إنه ليوغل في ذلك حتى يغشاه في غير الارتياض، فكلما لمح شيئاً عرج[٢٤٦] منه إلى جناب القدس، فيذر من أمره أمرًا، فيغشاه غاش، فيكاد يرى الحق في كل شيء. ثم إنه لتبلغ به الرياضة مبلغًا، ينغلب له وقته سكينة، فيصير المخطوف مألوفاً، والوميض شهابًا بينًا، وتحصل له معارفه مستقرة، كأنها صحبة مستمرة، إلى ما

---

[٢٤٢]- يقصد: ليست مادية. والهيولا، كلمة يونانية قديمة، أستخدمها أرسطو في فلسفته الطبيعية للدلالة على ما يُصنع منه الموجود الطبيعي؛ أي: مادته.

[٢٤٣]- يقصد: ابن باجة.

[٢٤٤]- هذه المقابلة بين الرتبتين، هي التي ظهرت في مقابلة ابن عربي وابن رشد. راجع ذلك فيما أوردناه بالقسم الأول من الكتاب، وهي ما يظهر أيضا في كلام السهروردي عن الحكمة البحثية والحكمة العملية (الذوقية).

[٢٤٥]- يقصد ابن سينا.. والنص التالي ورد في آخر الإشارات والتنبيهات.

[٢٤٦]- في النشرتين (عاج) وهي غير ذات معنى!.

وصفه من تدريج المراتب وانتهائها إلى النيل، بأن يصير سِره مرآة مجلوةً[٢٤٧]، يحاذي بها شطر الحق، وحينئذ تدر عليه اللذات العُلى، ويفرح بنفسه، لما بها من أثر الحق. ويكون له في هذه الرتبة، نظرٌ إلى الحق، ونظر إلى نفسه، وهو بعد متردد.. ثم إنه ليغيب عن نفسه، فليحظ جناب القدس فقط، وإن لحظ نفسه، فمن حيث هي لاحظة؛ وهناك يحق الوصول.

فهذه الأحوال التي وصفها، إنما أراد بها أن تكون له ذوقاً، لا على سبيل الإدراك النظري المستخرج بالمقاييس وتقديم المقدمات وإنتاج النتائج. وإن أردت مثالاً، يظهر لك به الفرق بين إدراك هذه الطائفة وإدراك سواها، فتخيل حال من خُلِقَ مكفوف البصر، إلا أنه جيد الفطرة قوى الحدس ثابت الحفظ مسدد الخاطر؛ فنشأ منذ كان في بلدة من البلدان، وما زال يتعرف أشخاص الناس بها، وكثيراً من انواع الحيوان والجمادات وسِكك المدينة ومسالكها وديارها وأسواقها، بما له من ضروب الإدراكات الأُخر، حتى صار يمشي في تلك المدينة بغير دليل، ويعرف كل من يلقاه، ويسلم عليه بأول وهلة؛ وكان يعرف الألوان، وحدها، بشروح أسمائها وبعض حدود تدل عليه.. ثم إنه بعد أن حصل على هذه الرتبة، فُتح بصره، وحدثت له الرؤية البصرية، فمشى في تلك المدينة كلها، وطاف بها فلم يجد أمرًا على إختلاف ما كان يعتقده، ولا أنكر من أمرها شيئاً، وصادف الألوان على نحو صدق الرسوم عنده، التي أنت رُسمت له بها. غير أنه في ذلك كله، حدث له أمران عظيمان، أحدهما تابع للآخر وهما: زيادة الوضوح والانبلاج.. واللذة العظيمة.

فحال الناظرين الذين لم يصلوا إلى طور الولاية، هي حالة الأعمى الأولى، والألوان التي في هذه الحال معلومة بشروح أسمائها، هي تكل الامور التي قال

---

[٢٤٧]- سوف يستخدم ابن عربي مصطلح (المرآة المجلوة) ليشير به إلى نفس المعنى الذي قصد إليه ابن سينا..

يقول ابن عربي في فصوص الحكم ما نصه: لما شاء الحق سبحانه، من حيث أسماؤه الحسنى التي لا يبلغها الإحصاء، أن يرى أعيانها، وإن شئت قلت أن يرى عينه، في كون جامع يحصر الأمر كله.. أوجد العالم كله وجود شبح مستو لا روح فيه، فكان كمرآة غير مجلوة.. فاقتضى الأمر جلاء مرآة العالم، فكان آدم عين جلاء تلك المرآة (فصوص الحكم، بتحقيق د. أبو العلا عفيفي – دار الكتاب العربي، بيروت ص٤٨).

عنها أبو بكر[248] إنها: أجل من أن تنسب إلى الحياة الطبيعية، يهبها الله لمن يشاء من عباده ـ وحال النظار الذين ولوا إلى طور الولاية، ومنحم الله تعالى ذلك الشيء، الذي قلنا إنه لا يسمى قوة، إلا على سبيل المجاز.. هي الحالة الثانية. وقد يوجد، في النادر، من كان أبدًا ثاقب البصيرة مفتوح البصر، غير محتاج إلى النظر ولستُ أعتي، أكرمك الله بولايته، بإدراك أهل النظر ها هنا، ما يدركونه من عالم الطبيعة. وبإدراك أهل الولاية، ما يدركونه مما بعد الطبيعة.. فإن هذين المدركين، متباينان جدا بأنفسهما، ولا يلتبس أحدهما بالآخر. بل الذي نعنيه بإدراك أهل النظر، ما يدركونه مما بعد الطبيعة، مثل ما أدركه أبو بكر.. ويشترط في إدراكهم هذا، أن يكون حقًا صحيحًا، وحينئذ يقع النظير بينه وبين إدراك أهل الولاية الذين يعتنون بتلك الأشياء بعينها، مع زيادة وضوح، وعظيم التذاذ.

وقد عاب أبو بكر هذا الالتذاذ، على القوم، وذكر أنه للقوة الخيالية، ووعد بأن يصف ما ينبغي أن تكون حال السعداء عند ذلك، بقول مفسر مبين. وينبغي أن يقال له، ها هنا: لا تستحل طعم شيء لم تذق، ولا تتخط رقاب الصديقين! ولم يفعل الرجل شيئًا من ذلك، ولا وفى بهذه العهدة. وقد يشبه، أن منعه عن ذلك، ما ذكره من ضيق الوقت، واشتغاله بالنزول إلى وَهْرَان[249] أو رأى أنه، إن وصف تلك الحال، اضطره القول إلى أشياء فيها قدحٌ عليه، في سيرته، وتكذيب لما أثبته من الحث على الاستكثار من المال، والجمع له، وتصوئيف وجوه الحيل في اكتسابه.

.. وقد خرج بنا الكلام، إلى غير ما حرَّكتنا إليه بسؤالك، بعض خروج بحسب ما دعت الضرورة إليه، وظهر بهذا القول أن مطلوبك، لم يتعد أحد غرضين:

---

[248] ـ ابن باجة.

[249] ـ مدينة مشهورة بشمال أفريقية (انظر: معجم البلدان ٥/٣٨٥) وهي تقع اليوم بالجزائر، قريبًا من تلمسان.

إما أن تسأل عما يراه أصحاب المشاهدة والأذواق والحضور في طرو الولاية، فهذا مما لا يمكن إثباته على حقيقة أمره في كتاب. ومتى حاول أحد ذلك، وتكلفه بالقول أو الكتب، استحالت حقيقته، وصار من قبيل القسم الآخر النظري، لأنه إذا كُسيَ الحروف والاصوات وقرب من عالم الشهادة، لم يبق على ما كان عليه بوجه ولا حال، واختلفت العبارات فيه اختلافاً كثيرًا، وزلت به أقدامُ قوم عن الصراط المستقيم، وظن بآخرين أن أقدامهم زلت، وهي لم تزل. وإنما كان كذلك، لانه أمرٌ لا نهاية له في حضرة متسعة الأكناف، محيطة غير محاط بها[٢٥٠].

والغرض الثاني من الغرضين اللذين قلنا إن سؤالك لن يتعدى أحدهما، هو أن تبتغي التعريف بهذا الأمر على طريقة أهل النظر. وهذا، أكرمك الله بولايته، شيءٌ يُحتمل أن يوضع في الكتب وتتصرف به العبارات، ولكنه أعدم من الكبريت الأحمر[٢٥١]. ولا سيما في هذا الصقع، الذي نحن فيه[٢٥٢]. لأنه من الغرابة في حد، لا يظفر باليسير منه، إلا الفردُ بعد الفرد، ومن ظفر بشيء منه، لم يكلم الناس إلا رمزًا، فإن الملة الحنيفية والشريعة المحمدية، قد منعت من الخوض فيه وحذرت عنه.

ولا تظنن أن الفلسفة التي وصل إلينا في كتب أرسطو طاليس وأبي نصر[٢٥٣] وفي كتاب الشفاء[٢٥٤] تفي بهذا الغرض الذي أردته، ولا أن أحدًا من أهل الأندلس كتب فيه شيئًا كفاية. وذلك أن من نشأن بالأندلس، م أهل الفطرة

---

[٢٥٠] ـ ربما أوضح هذا المعنى، القصة المروية عن اجتماع ابن سينا وأبي سعيد بن أبي الخير، فقد روى أنهما اجتمعا نحو ثلاثة أيام، فلما افترقا سأل تلاميذ ابن سينا شيخهم، عن رأيه في أبي سعيد فقال: ما أعرفه يراه. وسأل تلاميذ أبي سعيد شيخهم عن ابن سينا، فقال: ما أراه يعرفه ويريدان بالمعرفة: العلم عن طريق الفلسفة والمنطق. ويريدان بالرؤية: الكشف الذي يحصل للصوفيين عند بلوغهم الغاية (تعليق أحمد أمين). والذي يوضح هذا المعنى، حقًا، هو العبارة الشهيرة للنفرى: كلما اتسعت الرؤية، ضاقت العبارة!

[٢٥١] ـ كان القدماء يستخدمون تعبير الكبريت الأحمر للإشارة إلى ما هو شديد الندوة.

[٢٥٢] ـ يريد بلاد الأندلس، وقد كانت فيها الفلسفة والتصرف نادرين.

[٢٥٣] ـ الفارابي.

[٢٥٤] ـ كتاب لابن سينا.

الفائقة، قبل شيوع علم المنطق والفلسفة فيها، قطعوا أعمارهم بعلوم التعاليم[٢٥٥]، وبلغوا فيها مبلغًا رفيعًا، ولم يقدروا على أكثر من ذلك. ثم خلف من بعدهم خلفٌ زادوا عليهم بشيء من علم المنطق، فنظروا فيه، ولم يُفض بهم إلى حقيقة الكمال. فكان فيهم من قال:

بَرَّحَ بي أَنَّ علومَ الوَرَى   اثنانِ ما إنْ فيهما مِنْ مَزيد

حقيقة يُعْجِزُ تَحصِيلُها   وباطل تَحْصِيلَهُ ما يُفيدْ

ثم خلف من بعدهم خلفٌ آخر، أحذق منهم نظرًا، وأقرب إلى الحقيقة.. ولم يكن فيهم أثقب ذهنًا، ولا أصح نظرًا، ولا أصدق رؤيةً من أبي بكر بن الصائغ. غير أنه شغلته الدنيا، حتى اخترمته المنية قبل ظهور خزائن علمه؛ وبث خفايا حكمته. وأكثر ما يوجد له من التأليف، إنما هي غير كاملة، ومجزومة من أواخرها، ككتابه في النفس وتدبير المتوحد وما كتبه في المنطق وعلم الطبيعة. وأما كتبه الكاملة فهي كتب وجيزة، ورسائل مختلسة، وقد صرلح هو نفسه بذلك، وذكر أن المعنى المقصود برهانه في رسالة الاتصال ليس يعطيه ذلك القول عطاء بينًا، إلا بعد عسر واستكراه شديدين، وأن ترتيب عبارته في بعض المواضع، على غير الطريق الأكمل، ولو اتسع له الوقت، مال لتبديلها.. فهذا حال ما وصل إلينا، من علم هذا الرجل، ونحنُ لم نلق شخصه.

وأما من كان معاصراً له، ممن لم يوصف بأنه في مثل درجته، فلم تر له تأليفًا. وأما من جاء بعدهم من المعاصرين لنا، فهم بعدُ في حد التزايد، أو الوقوف على غير كمال، أو ممن لم تصل إلينا حقيقة أمره.

وأما ما وصل إلينا من كتب أبي نصر[٢٥٦] فأكثرها في المنطق، وما ورد منها في الفلسفة، فهي كثيرة الشكوك؛ فقد اثبت في كتابه الملة الفاضلة[٢٥٧] بقاء

---

[٢٥٥]- يقصد علوم الظاهر والعلوم الطبيعية.

[٢٥٦]- الفارابي.

النفوس الشريرة بعد الموت في آلام لا نهايه لها، ثم صرح في السياسة المدنية بأنها منحلة وسائرة إلى العدم، وأنه لا بقاء إلا للنفوس الفاضلة الكاملة. ثم وصف في شرح كتاب الأخلاق[٢٥٨] شيئًا من أمر السعادة الإنسانية، وأنها إنما تكون في هذه الحياة، التي في هذه الدار، ثم أعقب[٢٥٩] ذلك كلاما هذا معناه: وكل ما يذكر غير هذا فهو هذيان، وخرافات عجائز. فهذا قد أيأس الخلق جميعًا من رحمة الله تعالى، وصير الفاضل والشرير في رتبة واحدة، إذ جعل مصير الكل إلى العدم، وهذه زلةٌ لا تُقال، وعثرة ليس بعدها جبر.. هذا مع ما صرح به من سوء معتقده في النبوة، وأنها بزعمه للقوة الخيالية خاصةً، وتفضيله الفلسفة عليها.. إلى أشياء ليس بنا حاجة إلى إيرادها.

وأما كتب أرسطو طاليس فقد تكفل الشيخ أبو علي، بالتعبير عما فيها، وجرى على مذهبه وسلك طريق فلسفته في كتاب الشفاء وصرح في أول الكتاب، بأن الحق عنده غير ذلك، وأنه إنما ألف ذلك الكتاب على مذهب المشائين، وأن من أراد الحق الذي لا جمجمة فيه، فعليه بكتابه في الفلسفة المشرقية. ومن عنى بقراءة كتاب الشفاء وبقراءة كتب أرسطو طاليس، ظهر له في أكثر الأمور، أنها تتفق! وإن كان في كتاب الشفاء أشياء، لم تبلغ إلينا عن أرسطو. وإذا أُخذ جميع ما تعطيه كتب أرسطو وكتاب الشفاء على ظاهره، دون أن يُتفطن لسره وباطنه، لم يوصل به إلى الكمال، حسبما نبه عليه الشيخ أبو علي في كتاب الشفاء.

وأما كتب الشيخ أبي حامد الغزالي فهي بحسب مخاطبته للجمهور، تربط في موضع، وتحلُّ في آخر، وتكفر بأشياء، ثم ينتحلها[٢٦٠]. ثم إنه من جملة ما كفر

---

[٢٥٧] ـ يُعرف هذا الكتاب بعنوان: آراء أهل المدينة الفاضلة.

[٢٥٨] ـ كتاب لأرسطو.

[٢٥٩] ـ في النشرتين: عقب.

[٢٦٠] ـ في نشرة أحمد أمين: تنتحلها.

به الفلاسفة في كتاب التهافت[٢٦١] إنكارهم لحشر الأجساد، وإثباتهم الثواب والعقاب للنفوس خاصة. ثم قال في أول كتاب الميزان[٢٦٢] إن هذا الاعتقاد، هو اعتقاد شيوخ الصوفية على القطع.. ثم قال في كتاب المنقذ من الضلال والمفصح عن الأحوال إن اعتقاده هو، كاعتقاد الصوفية، وإن أمره إنما وقف على ذلك، بعد طول البحث! وفي كتبه من هذا النوع كثير، يراه من تصفحها وأمعن النظر فيها، وقد اعتذر عن هذا الفعل في آخر كتبا ميزان العمل حيث وصف أن الآراء، ثلاثة أقسام:

رأي يشارك فيه الجمهور فيما هم عليه.. ورأي يكون بحسب ما يخاطب به كل سائل ومسترشد.. ورأي أن يكون بين الإنسان وبين نفسه لا يطلع عليه، غلا من هو شريكه في اعتقاده.

ثم قال بعد ذلك: ولو لم يكن هي هذه، إلا ما يشكك في اعتقادك الموروث، لكفي بذلك نفعًا، فإن من لم يشك لم ينظر، ومن لم ينظر لم يبصر، ومن لم يبصر بقي في العمى والحيرة. ثم تمثل بهذا البيت:

خُذْ ما تَرَاهُ ودَعْ شَيئًا سَمِعْتَ بِه فِي طَلَعَةِ الشَّمْسِ مَا يُغنيك عَنْ زُحَلِ[٢٦٣]

فهذه صفة تعليمه، وأكثره إنما هو رمز وإشارة، لا ينتفع بها غلا من وقف عليها ببصيرة نفسه، أو لإمام سمعها منه ثانيًا، أو من كان معدا لفهمها، فائق الفطرة، فهو يكتفي بأيسر إشارة.

---

[٢٦١]- يقصد تهافت الفلاسفة الذي ألفه الغزالي بعد مقاصد الفلاسفة ورد عليه ابن رشد بكتابه تهافت التهافت (انظر د. بدوي: مؤلفات الغزالي، الطبعة الثانية ١٩٧٧، ص ٥٣-٦٩).

[٢٦٢]- للإمام الغزالي عدة مؤلفات بعنوان الميزان. والمقطوعبصحة نسبته إليه منها: ميزان العمل (مؤلفات الغزالي ص ٩٧).

[٢٦٣]- البيت من بحر البسيط.

وقد ذكر في كتاب الجوهر[٢٦٤] أن له كتبًا مصنونًا بها على غير أهلها، وأنه ضمنها صريح الحق. ولم يصل غلى الأندلس، في علمنا، منها شيء؛ بل وصلت كتبٌ يزعم بعض الناس أنها هي تلك المضنون بها، وليس الأمر كذلك. وتلك الكتب هي كتاب المعارف العقلية[٢٦٥] وكتاب النفخ والتسوية[٢٦٦] ومسائل مجموعة[٢٦٧] وسواها. وهذه الكتب وإن كانت فيها إشارات، فإنها لا تتضمن عظيم زيادة في الكشف، على ما هو مبثوث في كتبه المشهورة.

وقد يوجد في كتاب المقصد الأسني[٢٦٨] ما هو أغمض مما في تلك. وقد صرح هو بأن كتاب المقصد الأسني ليس مصنونًا به، فيلزم من ذلك أن هذه الكتب الواصلة، ليست هي المضنون بها[٢٦٩].

وقد توهم بعض المتأخرين، من كلامه الواقع في آخر كتاب المشكاة[٢٧٠] أمرًا عظيمًا، أوقعه في مهواةٍ لا مخلص له منها، وهو قوله بعد ذكر أصناف المحجوبين بالأنوار، ثم انتقاله إلى ذكر الواصلين: إنهم وقفوا على أن هذا الموجود العظيم، مُتِصفٌ بصفة تنافي الوحدانية المحضة! فأراد أن يلزمه من

---

[٢٦٤]- للإمام الغزالي عدة تآليف بعنوان: الجواهر.. أشهرها جواهر القرآن، وهو المقطوع بصحة نسبته للغزالي، ومن المؤلفات التي تدور الشكوك حول نسبتها له: الجواهر اللآلي في مثلث الغزالي، الجواهر الفاخرة، الجواهر والأنوار ومعدن الحكم والأسرار..إلخ.

[٢٦٥]- المعارف الإلهية ولباب الحكم الإلهية (د. عبد الرحمن بدوي: مؤلفات الغزالي ص ٩٣).

[٢٦٦]- توجد عدة نسخ خطية من هذا الكتاب، بعضها بعنوان النفخ والتسوية، وبعضها بعنوان الأجوبة الغزالية عن المسائل الاخروية (مؤلفات الغزالي ص ٣١٨).

[٢٦٧]- يرجِّح د. عبد الرحمن بدوي، أن تكون هذه المسائل هي مجموعة من فتاوي الغزالي (مؤلفات الغزالي ص ٤٤ وما بعدها).

[٢٦٨]- المقصد الأسني في شرح أسماء الله الحسنى (مؤلفات الغزالي ص ١٣٥).

[٢٦٩]- المضنون به على غير أهله، كتاب مشهور للغزالي، توجد منه عشرات المخطوطات، وطُبع عدة مرات.

ولا ندري لماذا لم يصل هذا الكتاب إلى الأندلس في عصر ابن طفيل؟ هل لأن الغزالي أهداه إلى أخيه أحمد الغزالي وأوصى بأن يُضَنّ بالكتاب، فلم تتوافر نسخه الخطية؟ أم أن الفترة الزمنية الممتدة من وفاة الغزالي سنة ٥٠٥ هجرية، إلى حياة ابن طفيل (المتوفي ٥٨١ هجرية) لم تسمح بانتشار هذا الكتاب؟ ولكن: لماذا هذا الكتاب بالذات، دون بقية أعمال الغزالي التي وصلت لابن طفيل؟!

[٢٧٠]- مشكاة الأنوار ومصفاة الأسرار (مؤلفات الغزالي ص ١٩٣ وما بعدها).

ذلك، أنه يعتقد أن الأول الحق سبحانه، في ذاته كثرة ما: تعالى الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا.

ولا شك عندنا في أن الشيخ أبا حامد، ممن سعد السعادة القصوى، ووصل تلك المواصل الشريفة المقدسة، لكن كتبه المضنون بهان المشتملة على علم المكاشفة، لم تصل إلينا، ولم يتخلص لنا نحن، الحقُّ الذي انتهينا إليه، وكان مبلغنا من العلم تتبع كلامه، وكلام الشيخ أبي علي[٢٧١]، وصرف بعضهما إلى بعض، وإضافة ذلك إلى الآراء التي نبعت[٢٧٢] في زماننا هذا، ولهج بها قومُ من منتحلي الفلسفة، حتى استقام لنا الحق أولا بطريق البحث والنظر، ثم وجدنا منه الآن هذا الذوق اليسير بالمشاهدة. وحينئذ رأينا أنفسنا أهلاً لوضع كلام يؤثر عنا، وتعين علينا أن تكون –أيها السائل- أو من أتحفناه بما عندنا وأطلعناه على ما لدينا، لصحيح ولائك وزكاة[٢٧٣] صفائك.

غير أنا، إذا ألقينا إليك بغايات ما انتهينا إليه من ذلك، من قبل أن تُحكم مبادئها[٢٧٤] معك، لم يفدك ذلك شيئاً، أكثر من أمر تقليدي مجمل. هذا إن أنت حسنت ظنك بنا، بحسب المودة والمؤالفة.. لا بمعنى أنا نستحق أن يُقبل قولنا.

ونحن لا نرضى لك هذه المنزلة، ولا نقنع لك بهذه الرتبة، ولا نرضى لك، إلا ما هو أعلى منها؛ إذ هي غير كفيلة بالنجاة، فضلاً عن الفوز بأعلى الدرجات. وإنما نريد أن نحملك على المسائل التي قد تقدم عليها سلوكنا، ونسبح بك في البحر الذي قد عبرناه أولا، حتى يفضي بك إلى ما أفضى بنا إليه، فتشاهد من ذلك ما شاهدناه، وتتحقق ببصيرة نفسك كل ما تحققناه، وتستغني عن ربط معرفتك بما عرفناه.

---

[٢٧١]- ابن سينا.

[٢٧٢]- في النشرتين نبغت (والكلام يستقيم بما أصلحناه، لأنه يسند في هذه الآراء إلى منتحلي الفلسفة، فليس من المناسب وصفها بالنبوغ.. وقد انتقدها فيما سبق).

[٢٧٣]- في نشرة فاروق سعد: ذكاء.

[٢٧٤]- في نشرة فاروق سعد: مباديها (وهو الإملاء القديم).

وهذا يحتاج إلى مقدارٍ معلوم من الزمان غير يسير، وفراغ من الشواغل وإقبال بالهمة كلها على هذا الفن. فإن صدق منك هذا العزم، وصحت نيتك للتشمير في هذا المطلب، فستحمد عند الصباح مسراك، وتنال بركة مسعاك وتكون قد أرضيت بك وأرضاك، وأنالك حيث تريده من أملك، وتطمح إليه بهمتك وكليتك. وأرجو أن أصل من السلوك بك على أقصدِ[٢٧٥] الطريق وأأمنها من الغوائل والآفات. وإن عرضت الآن إلى لمحة يسيرة، على سبيل التشويق والحث على دخول الطريق، فأنا واصف لك صة حي بن يقظان و أبسال[٢٧٦] وسلامان اللذين سماهما الشيخ أبو علي.. ففي (قَصَصِهِم عِبرَةٌ لأُولي الألبَابِ)[٢٧٧] و (ذِكْرىَ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلبٌ أَو أَلْقى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ)[٢٧٨].

***

ذكر سلفنا الصالح، رضي الله عنهم، أن جزيرة من جزائر الهند التي تحت خط الاستواء، وهي الجزيرة التي يتولد بها الإنسانُ من غير أم ولا أب، وبها شجرٌ يثمر نساء، وهي التي ذكر المسعودي[٢٧٩] أنها جزيرة الواقواق! لأن تلك الجزيرة أعدلُ بقاع الأرض هواء، وأتمُها لشروق النور الأعلى عليها استعداداً، وإن كان ذلك خلاف ما يراه جمهور الفلاسفة وكبار الأطباء، فإنهم يرون أن أعدل ما في المعمورة الإقليم الرابع، فإن كانوا قالوا ذلك، لأنه صحَّ عندهم أنه ليس على خط الاستواء عمارة، لمانع من الموانع الأرضية. فلقولهم إن الإقليم الرابع أعدل بقاع الأرض الباقية، وجهٌ. وإن كانوا إنما أرادوا بذلك، أن ما على خط الاستواء شديد الحرارة، كالذي يصرح به أكثرهم، فهو خطأ يقوم البرهانُ

---

[٢٧٥]- في نشرة فاروق سعد: أقصر.

[٢٧٦]- في نشرة فاروق سعد: أسال.

[٢٧٧]- سورة يوسف، آية ١١١.

[٢٧٨]- سورة ق، آية ٣٧.

[٢٧٩]- هو الرحالة المشهور: أبو الحسن المسعودي، المتوفي ٣٤٦ هجرية. والإشارة إلى ما ذكره عن الواقواق كتابه مروج الذهب ومعادن الجوهر. وقد ذكر هذه الجزيرة، أيضًا، كُل من: الإدريسي في نزهة المشتاق وابن خرداذبة في المسالك والممالك.

على خلافه، وذلك أنه قد تبرهن في العلوم الطبيعية، أنه لا سبب لتكوُّن الحرارة إلا الحركة، أو ملاقاة الأجسام الحارة، والإضاءة. وتبين فيها ايضًا أن الشمس بذاتها غير حارة، ولا متكيفة بشيء من هذه الكيفيات المزاجية، وقد تبين فيها أيضًا، أن الأجسام التي تقبل الإضاءة أتم القبول، هي الأجسام الصقلية غير الشفافة، ويليها في قبول ذلك الأجسام الكثيفة غير الصقيلة. فأما الأجسام الشفافة التي لا شيء فيها من الكثافة، فلا تقبل الضوء بوجه، وهذا وحده مما برهنه الشيخ أب علي خاصة، ولم يذكره من تقدمه.

فإذا صحت هذه المقدمات، فاللازم عنها أن الشمس لا تسخن الأرض، كما تسخن الأجسام الحارة أجسامًا أُخر تماسها؛ لأن الشمس في ذاتها غير حارة، ولا الأرض أيضًا تسخن بالحركة، لأنها ساكنة، وعلى حالة واحدة في وقت شروق الشمس عليه، وفي وقت مغيبها عنها، وأحوالها في التسخين والتبريد، ظاهرة الاختلاف للحس في هذين الوقتين، ولا الشمس أيضًا تسخن الهواء، أولاً، ثم تسخن بعد ذلك الأرض، بتوسط سخونة الهواء! وكيف يكون ذلك؟ ونحن نجد أن ما قرب من الهواء من الأرض، في وقت الحَرِّ، أسخن كثيرًا من الهواء الذي يبعد منه علوًّا!

فبقي أن تسخين الشمس للأرض، إنما هو على سبيل الإضاءة لا غير، فإن الحرارة تتبع الضوء أبدًا، حتى إن الضوء إذا أفرط في المرآة المقعرة، أشعل ما حاذاها. وقد ثبت في علوم التعاليم بالبراهين القطعية، أن الشمس كروية الشكل، وأن الأرض كذلك، وأن الشمس أعظم من الأرض كثيرًا، وأن الذي يستضئ من الأرض في كل وقت، أشد ما يكون الضوء في وسطه، لأنه أبعد المواضع من الظلمة، عند محيط الدائرة، ولأنه يقابل من الشمس أجزاء أكثر، وما قرب من المحيط، كان أقل ضوءًا، حتى ينتهي إلى الظلمة عند محيط الدائرة، الذي ما أضاء موقعه من الأرض قط.

وإنما يكون الموضع وسط الضياء، إذا كانت الشمس على سمت رءوس الساكنين فيه، وحينئذ تكون الحرارة في ذلك الموضع، أشد ما يكون، فإن كان

الموضع مما تبعد الشمس فيه عن مسامته رءوس أهله، كان شديد البرودة جدا[٢٨٠]، وإن كان مما تدوم فيه المسامته، كان شديد الحرارة.

وقد ثبت في علم الهيئة[٢٨١]، أن بقاع الأرض التي على خط الاستواء، لا تسامت الشمسُ، رءوس أهلها سوى مرتين في العام، عند حلولها برأس الحمل، وعند حلولها برأس الميزان. وهي في سائر العام ستة أشهر جنوبًا منهم، وستة أشهر شمالاً منهم، فليس عندهم حرٌّ مفرط، ولا بردٌ مفرط، وأحوالهم بسبب ذلك، متشابهةٌ.

وهذا القول يحتاج إلى بيان أكثر من هذا، لا يليق بما نحن بسبيله، وإنما نبهناك عليه، لأنه من الأمور التي تشهد بصحة ما ذكر من تجويز تولُّد الإنسان بتلك البقعة، من غير أم ولا أب فمنهم من بت الحكم، وجزم القضية، بأن حي بن يقظان من جملة من تكون في تلك البقعة، من غير أم ولا أب.. ومنهم من أنكر ذلك، وروى من أمره خبرًا نقصه عليك؛ فقال:

إنه كان بإزاء تلك الجزيرة، جزيرةٌ عظيمة متسعة الأكناف، كثيرة الفوائد، عامرة بالناس، يملكها رجلٌ منهم شديد الأنفة والغيرة، وكانت له أخت ذات جمال وحسن باهر، فعضلها[٢٨٢] ومنعها من الأزواج، إذ لم يجد لها كفؤاً. وكان له قريب يسمى يقظان فتزوجها سرًا، على وجه جائز في مذهبهم المشهور في زمنهم، ثم إنها حملت منه، فوضعت طفلاً، فلما خافت أن يفتضح أمرها وينكشف سرها، وضعته في تابوت أحكمت زمه، بعد ان اروته من الرضاع، وخرجت به في أول الليل في جملة من خدمها وثقاتها، إلى ساحل البحر، وقلبها يحترق صبابة به وخوفًا عليه، ثم إنها ودعته، وقالت: اللهم إنك قد خلقت هذا

---

[٢٨٠]- الإشارة هنا إلى القطبين: المتجمد الشمالي، المتجمد الجنوبي.

[٢٨١]- الفلك.

[٢٨٢]- بالغ في طلب مهرها.

الطفل، ولم يكن شيئًا مذكورًا[٢٨٣]، ورزقته في ظلمات الأحشاء، وتكفلت به حتى تم واستوى، وأنا قد سلَّمته إلى لطفك، ورجوت له فضلك، خوفاً من هذا الملك الغشوم الجبار العنيد.. فكن له، ولا تسلمه يا أرحم الراحمين! ثم قذفت به في اليم، فصادف ذلك جريُ الماء بقوة المد، فاحتمله من ليلته، إلى ساحل الجزيرة الأخرى المتقدم ذكرها.

وكان المدُّ يصل في ذلك الوقت إلى موضع لا يصل إليه، إلا بعد عام، فادخله الماء بقوته إلى أجمة ملتفة الشجر، عذبة التربة، مستورة عن الرياح والمطر، محجوبة عن الشمس، تزاور عنها إذا طلعت، وتميل إذا غربت[٢٨٤].

ثم أخذ الماء في الجزر عن التابةت الذي فيه الطفل، وبقي التابوت في ذلك الموضع، وعلت الرمال بهبوب الرياح، وتراكمت بعد ذلك، حتى سدَّت باب الأجمة على التابوت، وردمت مدخل الماء إلى تلك الأجمة. فكان المدُّ لا ينتهي إليها. وكانت مسامير التابوت قد قلقلت، وألواحه قد اضطربت، عند رمي الماء إياه في تلك الأجمة.

فلما أشتد الجوع بذلك الطفل، بكى واستغاث وعلج الحركة. فوقع صوته في أذن ظبيةفقدت طلاها[٢٨٥]، خرج من كِنَاسه، فحمله العُقاب. فلما سمعت الصوت، ظنته ولدها، فتتبعت الصوت وهي تتخيل طلاها، حتى وصلت إلى التابوت، ففحصت عنه بأظلافها، وهو ينوء ويئن من داخله، حتى طار عن التابوت لوحٌ من أعلاه، فحنَّت الظبية، وحَنَتْ عليه، ورئمت به، وألقمته حلمتها، وأروته لبنًا سائغًا.. وما زالت تتعهده وتربيه، وتدفع عنه الأذى.

***

---

[٢٨٣]- الأية (هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئًا مذكورًا...) سورة الإنسان، الآية الأولى.

[٢٨٤]- الصورة هنا، مستوحاة من قصة أهل الكهف الواردة في القرآن الكريم (سورة الكهف آية ١٧).

[٢٨٥]- الطلا: ولد الظبي، والكناس: بيتهما.

هذا ما كان من ابتداء أمره عند مَنْ ينكر التولُّد. ونحن نصف هنا كيف تربى، وكيف انتقل في أحواله حتى بلغ المبلغ العظيم.

***

وأما الذين زعموا أنه تولد من الأرض، فإنهم قالوا إن بطنا من أرض تلك الجزيرة تخمرت فيه طينةٌ على مر السنين والأعوام، حتى امتزج فيها الحار بالبارد، والطرب باليابس، امتزاج تكافؤ وتعالد في القوى. وكانت هذه الطينة المتخمرة كبيرةً جدًا، وكان بعضها يفضل بعضاً في اعتدال المزاج والتهيؤ لكتون الأمشاج[٢٨٦]، وكان الوسط منها أعدل ما فيها، ةأتمه مشابهة بمزاج الإنسان، فتمخضت تلك الطينة، وحدث شبه نُفاخات الغليان لشدة لزوجتها، وحدث في الوسط منها لزوجة ونفاخةٌ صغيرة جدًا، منقسمة بقسمين: بينهما حجاب رقيق، ممتلئة بجسم لطيف هوائي في غاية من الاعتدال اللائق به، فتعلق به عند ذلك، الروح الذي هو من أمر الله تعالى، وتشبث به تشبثاً يعسر انفصاله عنه عند الحس، وعند العقل. إذ قد تبين أن هذا الروح، دائمُ الفيضان من عند الله عز وجل، وأنه بمنزلة نور الشمس الذي هو دائم الفيضان على العالم. فمن الأجسام ما لا يستضئ به، وهو الهواء الشفاف جدا، ومنها ما يستضئ به بعض استضاءة، وهي الأجسام الكثيفة غير الصقلية. وهذه، تختلف في قبول الضياء، وتختلف بحسب ذلك ألوانها. ومنها ما يستضاء به غاية الاستضاءة، وهي الأجسام الصقيلة، كالمرآة ونحوها. فإذا كانت هذه المرآة مقعرة على شكل مخصوص، حدثت فيها النار لإفراط الضياء.ز وكذلك الروح، الذي هو من أمر الله تعالى، فياض أبدًا على جميع الموجودات، فمنها ما لا يظهر أثره فيه، لعدم الاستعداد، وهي الجمادات التي لا حياةلها، وهذه بمنزلة الهواء في المثال المتقدم، ومنها ما يظهر أثره فيه، وهي أنواع النبات بحسب استعدادتها، وهذه بمنزلة الأجسام الكثيفة في المثال المتقدم، ومنها ما يظهر أثره فيه ظهورًا كثيرًا، وهي أنواع الحيوان، وهي بمنزلة الصقيلة في المثال المتقدم.

[٢٨٦]ـ الآية (إنا خلقنا الإنسان من نطفة إمشاج) سورة الإنسان، الآية الثانية.

ومن هذه الأجسام الصقيلة، ما يزيد على شدة قبوله لضياء الشمس، أنه يحكى صورة الشمس ومثالها، وكذلك أيضًا من الحيوان، ما يزيد على شدة قبوله للروح، أنه يحكى الروح ويتصور بصورته، وهو الإنسان خاصة؛ وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم: إن الله خلق آدم على صورته[٢٨٧]. فإن قويت فيه هذه الصورة، حتى تتلاشى جميع الصور في حقها، وتبقى هي وحدها، وتحرق سبحات نورها كل ما أدركته، كانت حينئذ بمنزلة المرآة المنعكسة على نفسها، المحرقة لسواها، وهذا لا يكون إلا للأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين. وهذا كله مبين في مواضعه اللائقة به، فليُرجع إلى تمام ما حكوه، من وصف ذلك التخلُّق.

قالوا: فلما تعلق هذا الروح تلك القرارة، خضعت له جميع القوى وسجدت له، وسُخرت بأمر الله تعالى فيكمالها، فتكون بإزاء تلك القرارة، نفاخة أخرى منقسمة ثلاث قرارت، بينها حُجُبٌ لطيفة ومسالك نافذة، وامتلأت بمثل ذلك الهوائي الذي امتلأت منه القراراة الأولى، إلا أنه ألطف منه، وسكن في هذه البطون الثلاثة، المنقسمة منواحدة، طائفةٌ من تلك القوى التي خضعت له، وتوكلت بحراستها والقيام عليها، وإنهاء ما يطرأ فيها من دقيق الأشياء وجليلها، إلى الروح الأول المتعلق بالقرارة الأولى.

وتكون أيضًا، بإزاء هذه القرارة، من الجهة المقابلة للقرارة الثانية، نفاخةٌ ثالثةٌ مملوءة جسمًا هوائيًا، إلا أنه أغلظ من الأولين. وسكن في هذه القرارة، فريق من تلك القوى الخاضعة، وتوكلت بحفظها والقيام عليها، فكانت هذه القرارة الأولى والثانية والثالثة، أول ما تخلق من تلك الطينة المتخمرة الكبرى، على الترتيب الذي ذكرناه.

---

[٢٨٧]ـ الحديث أخرجه البخاري عن أبي هريرة. وجاء في التوراة: خلق الله آدم على صورة الرحمن، على صورة الرحمن خلقه!

واحتاج بعضها إلى بعض، فالأولى منها حاجتها إلى الآخرين حاجة استخدام وتسخير، والأخريان حاجتهما إلى الأولى حاجة المرءوس إلى الرئيس والمدبر إلى المدبر؛ وكلاهما لما يتخلق بعدهما من الأعضاء، رئيس لا مرءوس.

وأحدهما وهو الثاني، أتم رئاسة من الثالث، فالأول منهما لما تعلق به الروح، واشتعلت حرارته، تشكل بشكل النار الصنوبري، وتشكل أيضًا، الجسم الغليظ المحدق به، على شكله، وتكون لحمًا صلبًا، وصار عليه غلاف صفاقي[٢٨٨] يحفظه. وسُمي العضو لكه: قلبًا. واحتاج لما يتبع الحرارة من التحليل وإفناء الرطوبات، إلى شيء يمده ويغذوه، ويخلف ما تحلل منه على الدوام، وإلا لم يطل بقاؤه. واحتاج أيضًا إلى أن يحس بما يلائمه فيجتذبه، وبما يخالفه فيدفعه؛ فتكفل له العضو الواحد بما فيه من القوى التي أصلها منه بحاجته الواحدة؛ وتكفل له العضو الآخر، بحاجته الأخرى.

وكان المتكفل بالحس هو الدماغ، والمتكفل بالغذاء هو الكبد، واحتاج كل واحدٍ من هذين إليه، في أن يمدهما بحرارته، وبالقوى المخصوصة بهما، التي أصلها منه، فانتسجت بينهما لذلك كله، مسالك وطرق، بعضها أوسع من بعض، بحسب ما تدعو إليه الضرورة فكانت الشرايين والعروق.

ثم ما زالوا يصفون الخِلقة كلها، والأعضاء بجملتها، على حسب ما وسفه الطبيعيون في خِلْقة الجنين في الرحم، لم يغادروا من ذلك شيئًا.. إلى أن كمل خلقه، وتمت أعضاؤه، وحصل في حد خروج الجنين من البطن.

واستعانوا في وصف كمال ذلك، بتلك الطينة الكبيرة المتخمرة، وأنها كانت قد تهيّأت لأن يتخلق منها، كل ما يُحتاج إليه في خلق الإنسان من الأغشية المجللة.

---

[٢٨٨]ـ هو الشغاف المحيط بالقلب. وفي نشرة فاروق سعد: صفيق!

نشأة حي بن يقظان

ذكروا، أن جزيرة قريبة من الجزيرة التي ولد بها حي بن يقظان على أحد القولين المختلفين في صفة مبدئه، انتقلت إليها ملة من الملل الصحيحة، المأخوذة عن بعض الأنبياء، المتقدمين صلوات الله عليهم. وكانت ملة محاكية لجميع الموجودات الحقيقية، بالأمثال المضروبة التي تعطي خيالات تلك الأشياء، وتثبت رسومها في النفوس، حسبما جرت به العادة في مخاطبة الجمهور. فما زالت تلك الملة تنتشر بتلك الجزيرة، وتتقوى، وتظهر، حتى قام بها ملكها وحمل الناس على التزامها.

وكان قد نشأ بتلك الجزيرة فتيان من أهل الفضل والرغبة في الخير يسمى أحدهما أبسال[٢٨٩] والآخر سلامان[٢٩٠] فتلقيا تلك الملة وقبلاها أحسن قبول، وأخذا

---

[٢٨٩] - في نشرة فاروق سعد: أسال.

[٢٩٠] - علق أحمد أمين في نشرته، على هذا الموضع، بقوله:

أصل قصة سلامان ،ابسال يونانية، وقد نقلها حنين بن إسحاق إلى العربية، ووضع ابن سينا قصة بهذا الاسم قي هذه الإشارات. خلاصتها أن سلامان ،ابسال كانا أخوين. وكان أبسال أصغرهما سنًا، وقد تربى في حجر أخيه، فنشأ جميل الصورة، عاقلاً، ومتأدبًا عالمًا عفيفًا شجاعًا، فعشقته امرأة سلامانز وقالت لزوجها: أخلطه بأهلك ليتعلم منه أولادك، فقبل سلامن ذلك وقال لأخيه: إن امرأتي بمنزلة أمك. فرضى أبسال. وأكرمته زوجة سلامان، فلما اختلت به أظهرت له عشقها، فانقبض أبسال من ذلك. ولما رأت زوجة سلامان ذلك قالت لزوجها: .وج أخاك بأختي، ثم قالت لأختها: إني ما زوجتك بأبسال ليكون لك زوجاً وحدك، بل لأشاركك فيه. وفي ليلة الزفاف جاءت امرأة سلامان بدلاً من أختها، وأخذت تعانق أبسالا، وتضم صدره إلى صدرها، فلاح برق السماء، بصر بضوئه وجهها، فخرج من عندها، وطلب من أخيه أن يجنده، فولاه قيادة جيشه، وحارب حتى فتح كثيرًا من البلاد، ثم رجع إلى وطنه مكللا بالظفر، وهو لا يحسب أن امرأة أخيه قد نسبته، ولكنها عاودت حبها لها، ورجعت إلى مغازلته، فأبى ذلك، فتوجه للحرب ثانيًا، ولكن امرأة سلامان لما يئست من حبها، أوعزت إلى رؤساء الجيش أن يخذلوه، ففعلوا وظفر به الأعداء، وتركوه طريحًا، فعطفت عليه مرضعة من حيوانات الوحش (وقد اقتبس هذه الفكرة ابن طفيل في: حي بن يقظان) إلى أن انتعش وعوفي، ورجع إلى سلامان فعطف عليه، وعاقب رؤساء الجيش الذين خذلوه.
ثم اتفقت زوجة سلامان مع الطابخ والطاعم، فدسا إليه السم حتى مات. فاغتم سلامان لذلك واعتزل الملك، وأخذ في عبادة ربه، فأطلعه الله على حقيقة الأمر، ففعل بالمرأة والطابخ والطاعم ما فعلوا بأخيه.
وهو يرمز بهذه القصة إلى أن سلامان هو النفس الناطقة، وأبسال هو العقل النظري، وامرأة سلامان هي القوة البدنية الأمارة بالشهوة والغضب. وعشقها لأبسال محاولتها تسخير العقل لها، وإباء أبسال إلى سمو العقل.
وأخت امرأة سلامان إلى نظائر القوة البدنية من النورانيات. والبرق اللامع هو الخطفة الإلهية التي تسنح للإنسان من حين إلى آخر فيحاول الندم، وفتحه للبلاد، رمز إلى الاطلاع النفسي على الملكوت الأعلى. وتغذيه بلبن الوحش رمز إلى الفيض الإلهي، والطابخ هو غلبتهم على العقل وإهلاك سلامان إياهم إشارة إلى غلبة

على أنفسهما بالتزام جميع شرائعها، والمواظبة على جميع أعمالها، واصطحبا على ذلك.

وكانا يتفقهان في بعض الأوقات، فيما ورد من ألفاظ تلك الشريعة في صفة الله عز وجل وملائكته، وصفات المعاد والثواب والعقاب. فأما أبسال منهما، فكان أشد غوصا على الباطن، وأكثر عثورًا على المعاني الروحانية، وأطمع في التأويل. وأما سلامان صاحبه، فكان أكثر احتفاظًا بالظاهر، وأشد بُعدًا عن التأويل، وأوقف عن التصرُّف والتأمل.. وكلاهما مُجد في الأعمال الظاهرة ومحاسبة النفس ومجاهدة الهوى.

وكان في تلك الشريعة، أقوالٌ تحمل على العزلة والانفراد، وتدل على أن الفوز والنجاة فيهما. وأقوالٌ أُخر، تحمل على المعاشرة، وملازمة الجماعة[٢٩١].

فتعلق أبسال بطلب العزلة، ورجح القول فيها، لما كان في طباعه من دوام الفكرة وملازمة العبرة، والغوص على المعاني. وأكثر ما كان يتأتى له أمله من ذلك، بالانفراد.

وتعلق سلامان بملازمة الجماعة، ورجح القول فيها، لما كان في طباعه من الجبن عن الفكرة والتصرف. فكانت ملازمته الجماعة عنده، مما يدرأ الوسواس، ويزيل الظنون المعترضة، ويعيذ من همزات الشياطين.

وكان اختلافهما في هذا الرأي، سبب افتراقهما.

وكان أبسال قد سمع عن الجزيرة التي ذكر أن حي بن يقظان تكون بهان وعرف ما بها من الخصب والمرافق والهواء المعتدل، وأن الانفراد بها يتأتى لملتمسة، فاجمع على أن يرتحل إليها، ويعتزل الناس بها بقية عمره. فجمع ما

النفس على القوى البدنية آخر الأمر.. كما أشار إلى ذلك شارح الإشارات. وهي معانٍ نجدها تدور في حي بن يقظان وقصة سلامان وأبسال ورسالة الطير؛ وكلها لابن سينا.

[٢٩١]- يشير ابن طفيل هنا، إلى البنية المفتوحة للدين، بحيث يستوعب الخبرات الإنسانية المتضادة.

كان له من المال، واشترى ببعضه مركبًا يحمله إلى تلك الجزيرة، وفرق باقية على المساكين، وودع صاحبنه سلامان وركب متن البحر، فحمله الملاحون إلى تلك الجزيرة، ووضعوه بساحلها، وانفصلوا عنها.

فبقى أبسال بتلك الجزيرة يعبد الله عز وجل ويعظمه ويقدسه، ويفكر في أسمائه الحسنى وصفاته العليا، فلا ينقطع خاطره ولا تتكدر فكرته. وإذا احتاج إلى الغذاء، تناول من ثمرات تلك الجزيرة وصيدها، ما يسد به جوعته.

وأقام على تلك الحال مدة، وهو في أتم غبطة وأعظم أنسٍ بمناجاة ربه؛ وكان كل يوم يشاهد من ألطافه، ومزايا تحفه، وتيسيره عليه في مطلبه وغذائه، ما يثبت يقينه ويقر عينه.

وكان في تلك المدة حي بن يقظان شديد الاستغراق في مقاماته الكريمة، فكان لا يبرح مغارته، إلا مرة في الأسبوع، لتناول ما سنح من الغذاء. فلذلك لم يعثر عليه أبسال بأول وهلة، بل كان يتطوف بأكناف تلك الجزيرة، ويسيح في أرجائها، فلا يرى إنسيًا ولا يشاهد أثرًا، فيزيد أنسه وتتبسط نفسه، لما كان قد عزم عليه من التناهي في طلب العزلة والانفراد، إلى أن اتفق في بعض تلك الأوقات، أن خرج حي بن يقظان لالتماس غذائه، وأبسال قد الم بتلك الجهة، فوقع بصر كل منهما على الآخر.

فأما أبسال فلم يشك أنه من العباد المنقطعين، وصل إلى تلك الجزيرة لطلب العزلة عن الاس كما وصل إليها. فخشى إن هو تعرض له، وتعرف به، أن يكون ذلك سببًا لفساد حاله، وعائقًا بينه وبين أمله.

وأما حي بن يقظان فلم يدر ما هو، لأنه لم يره على صورة شيء من الحيوانات التي كان قد عاينها قبل ذلك، وكان عليه مدرعة سوداء من شعر وصوف، فظن أنها لباس طبيعي، فوقف يتعجب منه مليًا.

وولى أبسال هاربًا منه، خيفة أن يشغله عن حاله، فاقتفى حي بن يقظان أثره لما كان في طباعه من البحث عن حقائق الأشياء، فما رآه يشتد في الهرب، خنس عنه وتوارى له، حتى ظن أبسال أنه قد أنصرف عنه، وتباعد من تلك الجهة؛ فشرع أبسال في الصلاة والقراءة والدعاء والبكاء والتضرُّع والتواجد، حتى شغله ذلك عن كل شيء. فجعل حي بن يقظان يتقرب منه قليلاً، وأبسال لا يشعر به حتى دنا منه، بحيث يسمع قراءته وتسبيحه ويشاهد خضوعه وبكاءه، فسمع صوتًا حسنًا وحروفًا منظمة. ولم يعهد مثلها من شيء من أصناف الحيوان، ونظر إلى أشكاله وتخطيطه فرآه على صورته، وتبين له أن المدرعة التي عليه ليست جلدًا طبيعيًا، وإنما هي لباس مُتخذ، مثل لباسه هو.

ولما رأى حسن خشوعه وتضرُّعه وبكائه، لم يشك في أنه من الذوات العارفة بالحق، فتشوهق إليه، وأراد أن يرى ما عنده، وما الذي أوجب بكاءه وتضرعه، فزاد في الدنو منه، حتى أحسن به أبسال فاشتد في العَدْو، واشتد حي بن يقظان في أثره، حتى التحق به، لما كان أعطاه الله من القوة والبسطة في العلم والجسم، فالتزمه وقبض عليه، ولم يمكنه من البراح.

فلما نظر إليه وهو مكتسٍ بجلود الحيوانات ذوات الأوبار، وشعره قد طال حتى جلل كثيرًا منه، ورأى ما عنده من سرعة العدو وقوة البطش، فرق منه فرقا شديدًا، وجعل يستعطفه ويرغب إليه بكلام لا يفهمه حي بن يقظان ولا يدري ما هون غير إنه كان يميز فيه شمائل الجزع. فكان يؤنسه بأصوات كان قد تعلمها من بعض الحيوانات، ويجر يده على رأسه، يمسح أعطافه، ويتملق إليه، ويظهر البشر والفرح به، حتى سكن جأش أبسال وعلم أنه لا يريد به سوءًا.

وكان أبسال قديمًا، لمحبته في علم التأويل، قد تعلم أكثر الألسن ومهر فيها، فجعل يكلم حي بن يقظان ويسائله عن شأنه بكل لسان يعلمه، ويعالج إفهامه، فلا يستطيع. وحي بن يقظان في ذلك كله، يتعجب مما يسمع، ولا يدري ما هو، غير أنه يظهر له البشر والقبول؛ فاستغرب كل منهما أمر صاحبه.

وكان أبسال بقية من زاد، كان قد استصحبه من الجزيرة المعمورة، فقربه إلى حي بن يقظان فلم يدر ما هو، لأنه لم يكن شاهده قبل ذلك. فأكل منه أبسال وأشار إليه ليأكل. ففكر حي بن يقظان فيما كان عقد على نفسه من الشروط في تناول الغذاء، ولم يدر أصل ذلك الشيء الذي قدم له: ما هو، وهل يجوز له تناوله أم لا؟ فامتنع عن الأكل، ولم يزل أبسال يرغب إليه ويستعطفه، وقد كان أولع به حي بن يقظان فخشى إن دام على امتناعه، أن يوحشه؛ فأقدم على ذلك الزاد، وأكل منه.

فلا ذاقه واستطابه، بدا له سوء ما صنع من نقص عهوده في شرط الغذاء. وندم على مافعله، وأراد الانفصال عن أبسال والإقبال على شأنه، من طلب الرجوع إلى ما فعله، وأراد الانفصال عن أبسال والإقبال على شانه، ومن طلب الرجعوع إلى مقامه الكريم، فلم تتأت له المشاهد بسرعة، فرأى أن يقيم مع أبسال في عالم الحس، حتى يقف على حقيقة شأنه، ولا يبقى في نفسه هو نزوع إليه، وينصرف بعد ذلك إلى مقامه، دون أن يشغله شاغل، فالتزم صحبة أبسال.

ولما رأى أبسال أيضًا أنه لا يتكلم، أمن غوائله على دينه، ورجا أن يعلمه الكلام والعلم والدين، فيكون له بذلك أعظم أجر، زلفى عند الله.

فشرع أبسال في تعليمه الكلام أولاً بأول. كان يشير إلى أعيان الموجودات وينطق بأسمائها، ويكرر ذلك عليه، ويحمله على النطق، فينطق بها مقترنًا بالإشارة. حتى علَّمه الأسماء كلها، ودرجه قليلا قليلا، حتى تكلم في أقرب مدة.

فجعل أبسال يسأله عن شأنه، ومن أين صار إلى تلك الجزيرة؟ فأعلمه حي بن يقظان أنه لا يدري لنفسه أبتداءً ولا أباً ولا أمًا، أكثر من الظبية التي ربته. ووصف له شأنه لكه، وكيف ترقى بالمعرفة، حتى انتهى إلى درجة الوصول.

فلما سمع أبسال منه وصف تلك الحقائق، والذوات المفارقة لعالم الحس، العارفة بذات الحق عز وجل. ووصف له ذات الحق تعالى وجل بأوصافة الحسنى، ووصف له ما أمكنه وصفه، مما شاهده عند الوصول من لذات

الواصلين وآلام المحجوبين.. لم يشك أبسال في أن جميع الأشياء التي وردت في شريعته، من أمر الله عز وجل وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وجنته وناره، هي أمثلة هذه التي شاهدها حي بن يقظان فانفتح بصر قلبه وانقدحت نار خاطره، وتطابق عنده المعقول والمنقول[٢٩٢]، وقربت عليه طريقُ التأويل، ولم يبق عليه مُشكل في الشرع إلا تبين له، ولا مغلق إلا انفتح، ولا غامض إلا أتضح.. وصار من أُولي الألباب.

وعند ذلك نظر إلى حي بن يقظان بعين التعظيم والتوقير، وتحقق عنده أنه من أولياء الله: الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون[٢٩٣]؛ فالتزم خدمته، والاقتداء به، والاخذ بإشاراته فيما تعارض عنده من الأعمال الشرعية، التي كان قد تعلمها في ملته.

وجعل حي بن يقظان يستفحصه عن أمره وشأنه، فجعل أبسال يصف له شأن جزيرته، وما فيها من العالم، وكيف كانت سيرهم قبل وصوله الملة إليهم، وكيف هي الآن بعد وصولها إليهم. ووصف له جميع ما ورد في الشريعة، من وصف العالم الإلهي والجنة والنار والبعث والنشور والحشر والحساب والميزان والصراط. ففهم حي بن يقظان ذلك كله، ولم يرد فيه شيئًا على خلاف ما شاهده في مقامه الكريم. فعلم أن الذي وصف ذلك، وجاء به محيق في وصفه، صادق في قوله، رسول من عند ربه، فآمن به، وصدقه، وشهد برسالته.

ثم جعل يسأله عما جاء به من الفرائض، ووضعَهُ من العبادات. فوصف له الصلاة والزكاة والصيام والحج، وما أشبهها من الأعمال الظاهرة؛ فتلقى ذلك والتزمه، وأخذ نفسه بأدائه، امتثالاً للأمر الذي صح عنده صدق قائله، إلا أنه بقي في نفسه أمران، كان يتعجب منهما، ولا يدري وجه الحكمة فيهما:

---

[٢٩٢] ـ سوف يستخدم أبن تيمية بعد ذلك بقرنين من الزمان، هذا التعبير، ويجعل منه عنواناً لكتابه: موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول... وهو المعنى نفسه، في عنوان كتاب ابن رشد، أو فتواه الشهيرة. فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال.

[٢٩٣] ـ قوله تعالى (ألا إن أوَلياءَ الله لاَ خَوفٌ عليهم ولا هم يحزنون).. سورة يوسن، آية ٦٢.

أحدهما: لم ضرب هذا الرول الأمثال للناس في أكثر ما وصفه من أمر العالم الإلهي، وأضرب عن المكاشفة؛ حتى وقع الناس في أمر عظيم من التجسيم، واعتقاد أشياء في ذات الحق، هو منزه عنها وبرئ منها؟ وكذلك في أمر الثواب والعقاب!

والأمر الآخر: لم اقتصر على هذه الفرائض ووظائف العيادات، وأباح الاقتناء للأموال والتوسع في المأكل؛ حتى يفرغ الناس للاشتغال بالباطل، والإعراض عن الحق؟

وكان رأيه هو أن لا يتناول أحد شيئًا، إلا ما يقيم به الرمق. وأما الأموال فلم تكن عنده معنى. وكان يرى ما في الشرع من الأحكام، في أمر الأموال، كالزكاة وتشعبها، والبيوع والربا، والحدود والعقوبات؛ فكان يستغرب ذلك كله ويراه تطويلاً، ويقول: إن الناس لو فهموا الأمر على حقيقته، لأعرضوا عن هذه البواطل، وأقبلوا على الحق، واستغنوا عن هذه كله، ولم يكن لأحد اختصاص بمال يُسأل عنه زكاته، أو تقطع الأيدي على سرقته، أو تذهب النفوس على أخذه مجاهرة.

وكان الذي أوقعه في ذلك، ظنه أن الناس كلهم ذوو فطر فائقة، وأذهان ثاقبة، ونفوس حازمة. ولم يكن يدري، ما هم عليه من البلادة والنقص وسوء الرأي وضعف العزم، وأنهم كالأنعام بل هم أضل سبيلاً[٢٩٤].

فلما اشتد إشفاقه على الناس، وطمع أن تكون نجاتهم على يديه، حدثت له نية في الوصول إليه، وإيضاح الحق لديهم، وتبينه لهم. ففاوض في ذلك صاحبه أبسالاً وسأله: هل تمكنه حيلة في الوصول إليهم؟

فأعلمه أبسال بما هم عليه من نقص الفطرة، والإعراض عن أمر الله. فلم يتأت له فهم ذلك، وبقى في نفسه تعلق بما كان قد أمله. وطمع أبسال أن يهدي الله

---

[٢٩٤]- الإشارة إلى الآية ٤٤ من سورة الأنعام.

على يديه طائفة من معارفه المريدين، الذين كانوا أقرب إلى التخلص من سواهم، فساعده على رأيه. ورأيا أن يلتزما ساحل البحر، ولا يفارقاه ليلاً ولا نهاراً، لعل الله أن يسنى له عبور البحر؛ فالتزما ذلك، وابتهلا إلى الله تعالى بالدعاء: أن يهيئ لهما من أمرهما رشدا[٢٩٥].

فكان من أمر الله عز وجل، أن سفينة في البحر ضلت مسلكها، ودفعتها الرياحُ وتلاطم الأمواج، إلى ساحلها. فلما قربت من البر رأى أهلها الرجلين على الشاطئ فدنوا منهما؛ فكلمهم أبسال وسألهم أن يحملوهما معهم، فأجابوهما إلى ذلك، وأدخلوهما السفينة. فأرسل الله إليهم ريحاً رخاءً، حملت السفينة في أقرب مدة إلى الجزيرة التي أملاها.. فنزلا بها، ودخلا مدينتها.

واجتمع أصحاب أبسال به، فعرفهم شأن حي بن يقظان فاشتملوا عليه اشتمالاً شديداً، وأكبروا أمره، واجتمعوا إليه، وأعظموه، وبجلوه. وأعلمه أبسال أن تلك الطائفة[٢٩٦]، هم أقرب إلى الفهم والذكاء من جميع الناس، وأنه إن عجز عن تعليمهم، فهو عن تعليم الجمهور أعجز.

وكان رأس تلك الجزيرة وكبيرها: سلامان. وهو صاحب أبسال الذي كان يرى ملازمة الجماعة، ويقول بتحريم العزلة. فشرع حي بن يقظان في تعليمهم وبث أسرار الحكمة إليهم، فما هو إلا أن ترقى عن الظاهر قليلاً، وأخذ في وصف ما سبق إلى فهمهم خلافه.. فجعلوا ينقبضون عنه، وتشتمئز نفوسهم مما يأتي به، ويستخطونه في قلوبهم، وإن أظهروا له الرضا في وجهه، إكرامًا لغربته فيهم، ومراعاةً لحقّ صاحبهم أبسال.

وما زال حي بن يقظان يستلطفهم ليلاً ونهارًا، ويبين لهم الحق سرًا وجهارًا. فلا يزيدهم ذلك إلا نبوًا ونفارًا، مع أنهم كانوا محبين للخير، راغبين في الحق. إلا أنهم لنقص فطرتهم، كانوا لا يطلبون الحق من طريقة، ولا يأخذونه بجهة

---

[٢٩٥]- الإشارة إلى الآية ١٠ من سورة الكهف.

[٢٩٦]- لاحظ هنا أن تعبير الطائفة هو الذي كان يطلق على جماعة الصوفية.. وقد سبقه تعبير مريدين.

تحقيقه، ولا يلتمسونه من بابه؛ بل كانوا لا يريدون معرفته من طريق أربابه، فيئس من إصلاحهم، وانقطع رجاؤه من صلاحهم، لقلة قبولهم.

وتصفح طبقات الناس بعد ذلك، فرأى كل حزب بما لديهم فرحون[٢٩٧]، قد اتخذوا إلاههم هواهم[٢٩٨]، ومعبودهم شهواتهم، وتهالكوا في جمع حطام الدنيا، وألهاهم التكاثر حتى زاروا المقابر[٢٩٩] لا تنجع فيه الموعظة ولا تعمل فيهم الكلمة الحسنة، ولا يزدادون بالجدل إلا إصرارًا. وأما الحكمة فلا سبيل لهم إليهما، ولا حظ لهم منها، قد غمرتهم الجهالة، وران على قلوبهم ما كانوا يكسبون[٣٠٠]، ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم[٣٠١].

قلما رأى سُرادق العذاب قد أحاط بهم، وظلمات الحجب قد تغشتهم، والكل منهم -إلا اليسير- لا يتمسكون من ملتهم إلا بالدنيا، وقد نبذوا أعمالهم، على خفتها وسهولتها، وراء ظهورهم، واشتروا به ثمنا قليلاً[٣٠٢]، وألهاهم عن ذكر الله تعالى التجارة والبيع[٣٠٣]، ولم يخافوا يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار[٣٠٤]؛ بان له وتحقق على القطع، أن مخاطبتهم بطريق المكاشفة، لا تمكن. وأن تكليفهم من العمل فوق هذا القدر، لا يتفق. وأن حظ أكثر الجمهور من الانتفاع بالشريعة، إنما هو في حياتهم الدنيا، ليستقيم له معاشه، ولا يتعدى عليه سواه فيما اختص هو به، وأنه لا يفوز منهم بالسعادة الأخروية، إلا الشاذ النادر. وهو: من أراد

---

[٢٩٧]- الإشارة إلى الآية ٥٣ من سورة المؤمنين، والآية ٣٢ من سورة الروم.

[٢٩٨]- الإشارة إلى الآية ٤٣ من سورة الفرقان.

[٢٩٩]- الإشارة إلى الآية الثانية من سورة التكاثر.

[٣٠٠]- سورة المطففين، آية ١٤.

[٣٠١]- سورة البقرة، آية ٧.

[٣٠٢]- الإشارة إلى الآية ١٤ من سورة البقرة (وغيرها من أي القرآن).

[٣٠٣]- الإشارة إلى الآية ١١ من سورة الجمعة.

[٣٠٤]- الإشارة إلى الآية ٣٧ من سورة النور.

حرث الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن[٣٠٥]. وأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هي المأوى[٣٠٦] وأي تعب أعظم، وشقاوةٍ أطمّ، ممن إذا تصفحت أعماله من وقت انتباهه من نومه إلى حين رجوعه إلى الكرى، لا تجد منها شيئًا، إلا وهو يلتمس به تحصيل غاية من هذه الأمور المحسوسة الخسيسة، إما مال يجمعه، أو لذة ينالها، أو شهوة يقضيها، أو غيظ يتشفى به، أو جاه يحرزه، أو عمل من أعمال الشرع يتزين به، أو يدافع عن رقبته، وهي كلها: ظلمات بعضها فوق بعض، في بحر لُجى، وإن منكم إلا واردها، كان على ربك حتما مقضيا[٣٠٧].

فلما فهم أحوال الناس، وأن أكثرهم بمنزلة الحيوان غير الناطق، علم أن الحكمة كلها، والهداية والتوفيق؛ فيما نطقت به الرسل ووردت به الشريعة، لا يمكن غير ذلك، ولا يحتمل المزيد عليه؛ فلكل عمل رجالٌ، وكل ميسرٌ لما خلق له: سنة الله في الذين خلوا من قبل، ولن تجد لسنة الله تبديلاً[٣٠٨].

فانصرف إلى سلامان وأصحابه، فاعتذر عما تكلم به معهم، وتبرأ إليهم منه، وأعلمهم أنه قد رأى مثل رأيهم، واهتدى بمثل هديهم، وأوصاهم بملازمة ما هم عليه من التزام حدود الشرع، والأعمال الظاهرة، وقلت الخوض فيما لا يعنيهم، والإيمان بالمتشابهات والتسليم لها، والإعراض عن البدع والأهواء، والاقتداء بالسلف الصالح، والترك لمحدثات الأمور.

وأمرهم بمجانية ما عليه جمهور العوام من إهمال الشريعة، والإقبال على الدنيا، وحذرهم منه غاية التحذير. وعلم هو وصاحبه أبسال أن هذه الطائفة المريدة القاصرة، لا نجاة لها إلا بهذه الطريق، وأنها إن رُفعت عنه، إلى بقاع

---

[٣٠٥] ـ سورة الشورى، آية ٢٠ ـ سورة الإسراء، آية ١٩.

[٣٠٦] ـ سورة النازعات، آية ٣٧، وما بعدها.

[٣٠٧] ـ مزج ابن طفيل هنا بين جملة آيات قرآنية، وصاغها في عبارة واحدة.. وكأنه يوحي بهذا الأسلوب للسهروردي!

[٣٠٨] ـ سورة الأحزاب، آية ٦٢.

الاستبصار. أختل ما هي عليه، ولم يمكنها أن تلحق بدرجة السعداء، وتذبذبت وانتكست وساءت عاقبتها. وإن هي دامت على ما هي عليه، حتى يوافيها اليقين، فازت بالأمن وكانت من أصحاب اليمين، وأما السابقون السابقون، فأولئك هم المقربون[٣٠٩].

فودعاهم، وانفصلا عنهم، وتلطفا في العود إلى جزيرتهم، حتى يسر الله عز وجل عليهما العبور إليها، وطلب حى ين يقظان مقامه الكريم، بالنحو الذي طلبه أولاً، حتى عاد إليه. واقتدى به أبسال حتى قرب منه أو كاد.. وعبدا الله بتلك الجزيرة، حتى أتاهما اليقين[٣١٠].

***

هذا – أيدنا الله وإياك بروح منه- ما كان من نبأ حي بن يقظان وأبسال وسلامان..

وقد اشتمل على حظ من الكلام، لا يوجد في كتاب، ولا يسمع في معتاد خطاب. وهو من العلم المكنون الذي لا يقبله، إلا أهل المعرفة بالله، ولا يجهله إلا أهل الغرةِ بالله.

وقد خالفنا فيه طريق السلف الصالح[٣١١] في الضنانة به والشح عليه. إلا أن الذي سهل علينا إفشاء هذا السر، وهتك الحجاب؛ ما ظهر في زماننا من آراء مفسدة[٣١٢]، نبعث[٣١٣] بها متفلسفة العصر، وصرحت بها، حتى أنتشرت في البلدان، وعم ضررها، وخشينا على الضعفاء الذين اطرحوا تقليد الأنبياء

---

[٣٠٩]- الإشارة إلى الآية ١٠ من سورة الواقعة.

[٣١٠]- الإشارة إلى الآية ٩٩ من سورة الحجر.

[٣١١]- في نشر أحمد أمين: الأصلح.

[٣١٢]- في نشرة فاروق سعد: فاسدة.

[٣١٣]- في النشرتين: نبغت.

صلوات الله عليهم، وأرادوا تقليد السفهاء والأغبياء؛ أن يظنوا أن تلك الآراء، هي المضنون بها على غير أهلها، فيزيد بذلك حبهم فيها وولوعهم بها.

فرأينا نُلمع إليهم بطرفٍ من سر الأسرار، لنجتذبهم إلى جانب التحقيق، ثم نصدهم عن ذلك الطريق ولم نُخل مع ذلك، ما أودعناه هذه الأوراق اليسيرة من الأسرار، عن حجاب رقيق، وستر لطيف، ينهتك سريعًا لمن هو أهله، وبتكاثف لمن لا يستحق تجاوزه، حتى لا يتعداه.

وأنا أسأل إخواني الواقفين على هذا الكلام، أن يقبلوا عذري فيما تساهلت في تبيينه، وتسامحت في تثبيته. فلم أفعل ذلك إلا لأني تسنمت شواهق يزل الطرف عن مرآها. وأردتُ تقريب الكلام فيها على وجه الترغيب والتشويق في دخول الطريق وأسأل الله التجاوز والعفو، وأن يوردنا من المعرفة به الصفو. إنه منعمٌ كريمٌ، والسلام عليك أيها الأخ المفترض إسعافه، ورحمة الله وبركاته.

الباب السادس

التصوف والشعر الصوفي

كتاب الصدق[٣١٤]

– الشيخ أبو سعيد الخرّاز-

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والسلام على عباده الذين اصطفى، قال الشيخ الامام العارف ابو سعيد احمد بنم عيسى البغدادي الخراز قدس الله روحه ونوّر ضريحه قلت لبعض العلماء أخبرني عن الصّدق كيف هو وما معناه وكيف العمل به حتى أعرفه، فقال الصدق اسم للمعان[٣١٥] كلها وهو داخل فيها أتحب ان اجيب عن مسألتك جواباً مختصراً اجمله ام اشرح لك العلم والعمل بالاصول التي بها تقوم الفروع، قلت اريد الامرين جميعاً ليكون ذلك علماً لي وفقاً ونصرة، فقال وفقت ان شاء الله.

---

[٣١٤]- أبو سعيد أحمد بن عيسى. وُلد في بغداد في بداية القرن التاسع الميلادي، واجتمع بأبي عبيد البوصري، والسري السقطي، وبشر الحافي، وذي النون المصري ومحمد بن منصور وآخرين. وكان كتابه (السر) قد أثار حنق الجنابلة ما بين ٨٧١ و ٨٩١ أثناء ولاية الموفق. كان أبو سعيد قد زار الرملة والقدس وقضى ١١ سنة في مكة، وزار المدينة مراراً. طرد من مكة، وقضى بقية حياته في مصر ومنها سافر إلى البصرة والقيروان. وحاول أن يوفق بين التصرف والشريعة. وله كتاب (اللمع). وتوفي سنة ٢٨٦هـ/٨٩٩ ميلادية).

[٣١٥]- للمعاني.

أعلم انه لا بد للمريد المحقق في إيمانه والمطالب لسلوك سبيل النجاة من معرفة ثلاثة اصول يعمل بها فبذلك يقوى ايمانه وتقوم حقائقه وتثبت فروعه فتصفو عند ذلك الاعمال وتخلص ان شاء الله، فأولها الاخلاص لقول الله عز وجل (فاعبد الله مخلصاً له الدين ألاَ لِلَّهِ الدين الخالص) وقال تعالى (فادعوا الله مخلصين له الدين) وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم (قل اني أمرت أن اعبد الله مخلصاً له الدين) وقال : (قل الله اعبد مخلصاً له ديني) وقال جل ذكره (واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا وكان رسولا نبياً) ونحو هذا القرآن كثير في هذا مقنع، ثم الصدق لقول الله عزل وجل (يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) وقال تعالى (فلو صدقوا الله لكان خير لهم) وقال تعالى (رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) وقال تعالى (واذكر في الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد) وقال (ليسال الصادقين عن صدقهم) وقال تعالى (والصادقين والصادقات) وهذا كثير في القرآن ثم الصبر لقول الله عزل وجل (يا ايها الذين امنوا اصبروا وصابروا) وقال تعالى (ولئن صبرتم لهو خير الصابرين واصبر وما صبرك الا بالله) وقال تعالى (واصبر لحكم ربك فانك باعيننا (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه) وقال تعالى (وصابروا ان الله مع الصابرين) وقال تعالى (وبشر الصابرين) فجعل لهم الكرامة بالبشرى وهذا كثير مؤكد في القرآن.

وذه ثلاثة اسام[٣١٦] لمعان[٣١٧] مختلفة وهي داخلة في جميع الاعمال ولا تتم الاعمال الا بها فاذا فاقت الاعمال فسدت ولم تتم ولا يتم بعض هذه الاصول الثلاثة الا ببعض فمتى فقد احدهما تعطلت الاخر (قال) فالاخلاص فيه والصدق لا يتم الا بالصبر عليه والاخلاص فيه، فاول الاعمال هو الاخلاص فالفرض الواجب ان تؤمن بالله وتعلم وتقر وتشهد الا اله الا الله واحده لا شريك له وانه الاول والاخر والظاهر والباطن الخالق البارئ المصور الرازق المحي المميت

---

[٣١٦] ـ أسامي.

[٣١٧] ـ لمعاني.

الذي اليه ترجع الامور وان محمداً[318] عبده ورسوله جاء بالحق من عند الحق والنبيين حق وبالحق ادوا الرسالة وبالغو في النصيحة وان الجنة حق والبعث حق والمردج الى الله تعالة (يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء) ويكون ذلك عقدك ظاهراً[319] على لسشانك بلا شك ولا ريب ساكن قلبك مطمئن الى ما صدقت به وأقررت، وكذلك لا يعارضك في كل ما جاء من عند الله على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم شك في كل ما ذكر عن ربه عز وجل غير مخالف لما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه وائمة الهدى الذين كانوا قدوة لمن جاء بعدهم من اهل الهداية ثم التابعون[320] من بعدهم ثم علماء كل عصر متبعاً[321] للجماعة مخلصاً في ذلك الله وحده لا تريد إلاّ الله تعالى ليتم إسلامك وإيمانك وتوحيدك.

باب الصدق في الإخلاص الثاني، وهو الامر الذي أمر الله تعالى به حين يقول (فَمَنْ كَانَّ يرجوا لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعباده ربه أحداً)، فمن شرح ذلك ان يكون العبد يريد الله عز وجل بجميع اعماله وافعاله وحركاته كلها ظاهرها وباطنها لا يريد بها الا الله وحده قائماً بعقله وعلمه على نفسه وقلبه راعياً لهمّه قاصداً الى الله تعالى بجميع امره لا يحب مدح احد ولا ثناءه ولا يقرح بعمله إذا اطّلع عليه المخلوقون فإن عارضه من ذلك شيء اتقاه بالسرعة والكراهية، ولم يسكن اليه لكن اذا اثنى عليه احد حمد الله على ستره عليه حين وفقه لحين رآه العباد عليه، نعم ثم يخاف عند ذلك من عمله الردي وسريرته القبيحه التي خفيت على الناس ولم تخف على الله فاشفق من ذلك وخاف ان تكون سريرته اقبح من علانيته، فهكذا يروي في الحديث السريرة اذا كانت اقبح من العلانية فذلك الجور فاذا استوت السريرة والعلانية فذلك العدل واذا فضلت السريرة على العلانية فذلك الفضل.

---

[318]- محمد.

[319]- وظاهر.

[320]- التابعين.

[321]- متبع.

فالواجب على العبد لان يخفي عغمله جهده حتى لا يطلع عليه الا الله تعالى فذلك ابلغ في رضا الله عز وجل وأعظم في تضعيف الثواب وأقرب إلى السلامة وأوهن لكيد العدو وأبعد من الآفات، وروي عن سفيان الثوري رحمه الله انه قال: ما أعبأ بما يظهر من عملثي، ويروي في الحديث ان عمل السر يفضل على عمل العلانية سبعين ضعفاً، ويروي أن العبد ليعمل العمل في السر فيدعه الشيطان عشرين سنة ثم يدعوه الى ان يظهره ويذكره فينقل من ديوان السر الى ديوان العلانية فينقض من صواب العمل وفضله ثم لا يزال يذكره اعماله حتى يذكرها للناس ويتحلى[٣٢٢] اطلاعهم عليها ويسكن الى ثنائهم فيصير رئاء.

فهذه الامور ضد الاخلاص وما زكرنا فهو جملة الاخلاص الذي لا بد للمخلوقين من معرفته والعمل به ولا يسعهم جهله، وتبقى الزيادة في الاخلاص مع العبد اذا حكم هذه الاصول قلت ثم ماذا قال مما يمكن ان يذكر ان يكون العبد لا يرجو الا الله ولا يخاف الا الله ولا يتزين الا لله ورضاه من صخطه، وما بقى من ذكر غاية الاخلاص اكثر وفي هذا بلاغ للمريدين السالكين للطريق.

باب ثم الصدق في الصبر، والصبر اسم لمعان[٣٢٣] وباطنة فأما الزاهرة فهي ثلاث فأولها الصبر على اداء فرائض الله تعالى على كل حال في الشدة والرخاء والعافية والبلاء[٣٢٤] طوعاً وكرهاً ثم الصبر الثاني وهو الصبر عن كل ما نهى الله تعالى عنه ومنع النفس من كل ما مالت اليه بهواها مما ليس لله تعالى فيه رضا[٣٢٥] طوعاً وكرهاً وهذا صيران في موطنين هما فرض على العباد ان يعملوا بهما ثم الصبر الثالث وهو الصبر على النوافل واعمال البر مما يقرب العبد الى الله تعالى فيحمل نفسه على بلوغ الغاية منه للذي رجاه من ثواب الله عز وجل وهكذا يروي ان النبي صلى الله عليه وسلم فيها رواه عن ربه عز

---

[٣٢٢] - ويتحلا.

[٣٢٣] - لمعاني.

[٣٢٤] - والبلى.

[٣٢٥] - رضى.

وجل قال : " ما تقرب اليّ عبدي بمثل ما افترضته عليه ولا يزال عبدي يتقرب اليّ بالنوافل حتى احبه" والصبر الرابع وهو الصبر على قبول الحق ممن جاءك به من الناس ودعاك اليه بالنصيحة فيقبل منه لان الحق رسول من الله جل ذكره الى العباد ولا يجوز لهم رده فمن ترك قبول الحق الذي لا يسعهم جهله ولا يد لهم منه وبقي شرح حقائق الصبر وغايته الذي يكون مع الصابرين بعد احكام هذا الصبر الذي ذكرناه.

قلت : فالصبر في نفسه ما هو وما موجوده في القلب، قال الصبر هو احتمال مكروه النفس وموجوده اذا وقع بالنفس ما تكرههتجرعت ذلك وانفت الجزع وتركت البثّ والشكوى وكتمت ما نزل بها، لأنه يروي في الحديث من بثّ فقد شكا، ألم تسمع الله تعالى يقول (والكاظمين العيظ والعافين عن الناس) أفلا ترى أنه كظم ما كره وشق على نفسه احتماله فصار صابراً، فاذا ابدى الجزع وكافأ من أسأ غليه ولم يعف[٣٢٦] عمن اساء اليه خرج من حدّ الصبر على هذا القياس.

قلت : فيماذا[٣٢٧] يقوى الصابر على الصبر وبماذا[٣٢٨] يتم له قال يروي في الحديث أن الصبر على المكاره من حسن اليقين ويوري ان الصبر نصف الايمان واليقين الايمان كله، وذلك ان العبد لما آمن بالله تعالى وصدق قوله في الذي وعده وتواعده قامت في قلبه الرغبة في ثواب الله تعالى الذي وعده ولزمت قلبه الخشية من عقاب الله الذي تواعده وصحت عند ذلك رغبته وقامت عزيمته في طلب النجاة مما يخافه وهاجب اماله في الظفر بالذي يرجوه فجدّ عند ذلك في الطلب والهرب فسكن الخوف والرجاء قلبه فركب عند ذلك مطية الصبر وتجرع مرارته عند نزوله ومضى في انقاذ العزائم وحذر من نقصها فوقع عليه اسم الصبر.

٣٢٦- يقوا.

٣٢٧- فيما.

٣٢٨- وبما.

باب والصدق اسم لمعان[٣٢٩] كثيرة فأول الصدق هو صدق العبد في الإنابة إلى الله تعالى بالتوبة النصوح لقول الله تعالى بالتوبة النصوح لقول الله عزل وجلّ: (يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً) وقال تعالى: (وتوبوا الى الله جميعاً أية[٣٣٠] المؤمنون لعلكم تفلجون) وقال تعالى(لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار) فأول التوبة هو الندم على ما كان من التفريط في أمر الله تعالى ونهيه والعزمية على ترك العود في شيء مما يكره الله عز وجل ودوام الاستغفار ورد كل مظلمة للعباد من مالهم واعراضهم والاعتراف لله تعالى ولزوم الخوف والحزن والاشفاق الا تكون مصححاً والخوف ان لا تقبل توبتك ولا تامن ان يكون قد رآك الله تعالى على بعض ما يكره فمقتك وهكذا[٣٣١] يروى عن السحن اليصري رضي الله عنه انه قال ما يؤمنني ان يكون قد رآني على بعض ما يكره فقال اعمال ما شئت فلا غفرت ويروى عنه ايضاً انه قال : اخاف ان يطرحني في النار ولا يبالي، وبلغني ان بعض العلماء لقى بعض الناس فقال له : تبت؟ قال : نعم قال قبلت قال لا ادري قال اذهب فادري وقال يفني[٣٣٢] حزن كل ثكلى وحزن النائب ما يفنى

ومن صدق التوبة ترك الاخذان والاصحاب الذين[٣٣٣] اعانوك على تضييع امر الله تعالى والهرب منهم وان تتخذهم اعداء لا يرجعوا[٣٣٤] الى الله فهكذا قال الله تعالى عز وجل، (الاحلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين) ومن صدق التوبة خروج المأثم من القلب والحذر من خفايا التطلع الى ذكر شيء مما اثبت الى الله منه قال الله عز وجل (ودروا ظاهر الاثم وباطنه) واعلم ان المؤمن كلما صحح وكثر علمه بالله تعالى دقت عليه التوبة ابداً الا ترى ان النبي صلى الله

---

[٣٢٩] - لمعاني.

[٣٣٠] - أيها.

[٣٣١] - وهكذى.

[٣٣٢] - يفنا.

[٣٣٣] - والذين.

[٣٣٤] - يرجعون.

عليه وسلم يقول انه ليغان على قلبي فاستغفر الله واتوب اليه كل يوم مائة مرة، فمن طهر قلبه من الاثام والادناس وسكنه النور لم يخف عليه ما يدخل قلبه من خفي الآفة وما يلزمه من القسوة من الهمة بالزلة قبل الفعل فيتوب عند ذلك.

باب ثم الصدق في معرفة النفس والقيام عليها، قال الله عز وجل (يا ايها الذين امنو كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم في الوالدين والاقربين) وقال تعالى في قصة يوسف عليه السلام حين يذكر عنه (وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي) وقال تعالى (واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى)

ترجمان الاشواق[٣٣٥]

سلام على سلمى

سلام على سلمى ومن حل بالحمى وحق لمثلي، رقه ان يسلما[٣٣٦]

وما عليها ان ترد تحية علينا ولكن لا احتكام على الدمى[٣٣٧]

---

[٣٣٥] ـ ترجمان الأشواق لابن عربي، ١٩٦٦.

محي الدين ابن عربي (أو ابن العربي) (٦٣٨هـ/١٢٤٠م) أحد أعظم المتصوفة المسلمين. عاش في الأندلس وشمال أفوٍيقيا ومات في دمشق. من أهم مؤلفاته كتاب الفتوحات المكية، فصوص الحكم، كتاب الإسراء إلى مقام الأسرى، وكذلك الديوان وترجمان الأشواق.

[٣٣٦] ـ يشير بسلمى إلى سليمانية وردت عليه من مقام سليمان، عليه السلام، ميراثاً نبوياً. ومن حل بالحمى

يعني أشباهها. وقوله: بالحمى، أي أنها في مقام لا يناله، وهو النبوة، فإن بابها مسدود فنعته بالحمى، فذوق هذه الحكمة لسليمان، عليه السلام، من كونه تبيأ خلاف ذوقه لها من كونه ولياً، وهو المقام الذي شاركناه فيه بذوقنا لها من الولاية التي هي الدائرة العظمى. وقوله: وحق لمثلي، يعني أنه في مقام المحبة والرقة، إشارة إلى الانتقال إلى عالم اللطف، فإن الكثيف غليظ الحاشية.

يقول: إن يسلم على الوارد عليه فإن السلام في هذه الواردة إنما يتقدم المورود عليه لا الوارد، وسببه لأنه الطالب وليس في قوته المعراج في الحقائق الإلهية، فلما وردت عليه بدأ هو بالسلام عليها. يشير إلى أنه الطالب لها وهو أولى بالقدوم لو أعطت الحقائق العروج، وسبب عدم العروج الجهل الذاتي بالمكانة الإلهية فلا تعرف ولا تقصد بالمعراج لكن بالسؤال.

سروا وظلام الليل ارحى سدوله	فقلت لها صبا غريباً متيما[٣٣٨]

احاطت به الاشواق صوناً وارصدت	له راشقات النيل ايان يمما[٣٣٩]

فابدت تناياها، واومض بارق	فلم ادر من شق الحنادس منهما[٣٤٠]

وقالت: اما يكفيه اني بقلبه	يشاهدني في كل وقت أما اما[٣٤١]

---

[٣٣٧]- يقول: إن ردت التحية علينا فمن باب المئة لا من باب أنه يجب 'ليها ذلك، فإن الله لا يحب عليه شيء تعالى من ذلك فكل ما يكون لنا منه ابتداء أو إعادة إنما ذلك منه منّة سبحانه. وكنى عن هذه النكتة الإلهية السليمانية النبوية بالدمى التي هي صورة الرخام صفة جمادية، أي لا ترد بلسان نطق، لأ،ه لو وردت بلسان نطق لكان نطقها غير ذاتها فتكون مركّبة وهي وحدانية الذات من جميع الجهات، فورودها عين كلامها وعين شهودها وعين سماعها وهكذا جميع الحقائق الإلهية والنسب الربانية، فلو كني عنها بالصورة الحيوانية لم يتبين هذا المقام الذي هو مراد لهذا القائل.

[٣٣٨]- قوله: سروا، الإسراء لا يكون إلا بالليل، وكذا معارج الأنبياء لم تكن قط إلا بالليل لأنه محل الإسرار والكتم وعدم الكشف. وقوله: وظلام الليل، أي حجاب الغيب، أرخى حجابه الذي هو وجود الجسم الكثيف فهو ليل هذه النشأه الحيوانية لما كان ستراً على ما تحويه من اللطائف الروحانية والعلوم الشريفة فلا يدرك جليسه ما عنده إلا بعد العبارة عن ذلك والإشارة إليه.
أي كان سراه بالأعمال البدنية والهمم النفسية وذلك لما سرت ورحلت هذه الحكمة عن قلبه وقت شغله بتدبيره بعض عالمه الكثيف فلما عاد إلى سره وجدها قد رحلت فأسرى خلفها بهممه يطلبها وهو يقول لها: ارحمي صباً، أي مائلاً إليك بالمحبة والصبابة التي هي رقة الشوق، غريباً من أرض وجوده متيماً، أي تيمه الحب، يقول نعبده وتذلله.

[٣٣٩]- يقول: إن الأشواق لما أحاطت بهذا المحب ولزمته في حال بعد وقرب، وصفها بالشوق إليه، ولما كانت التجليات في أوقات تقع في الصور الجميلة الحسنة في عالم التمثيل، كما قال تعالى: (فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرَا سَوِيَاً)، وصف هذه الصور بأنها ترشق قلبه بسهام اللحظ حيث توجه القلب يصف قلبه بعمارات الشهود، كما قال تعالى: (فَأَيَنما تُوَلُّوا فَثَمَ وَجْهُ اللهِ).

[٣٤٠]- لما كان التبسم كشفاً يسرع إليه الستر وكان البرق مثل ذلك لذلك قرنه به ووجد هذا المحب ذاته كلها نوراً كما يستر الليل عند وميض البرق من قوله تعالى: (اللهُ نُورُ السَمَواتِ وَالأَرضِ مَثَلُ نُورِهِ)، وقول النبي (ص)، في دعائه: اللهم اجعل في سمعي نوراً وفي بصري نوراً. وذكر الشعر والبشر والقلب والعظم وجميع الأعضاء إلى أن قال: واجعلني كلي نوراً، يعني بهذا التجلي، والتجلي الذاتي هو البارق لعدم ثبوته.
فكأنه يقول: لما اضاءت زوايا كوني كلها وأضاء هيكل طبيعتي وأنا في مقام حكمة متجلية من حقيقة إلهية في صورة مثالية في مقام بسط وتبسمت هذه الصورة فأشرقت أرضي وسمائي بنورها واستنار ليلي واتفق معها نجل ذاتي مقارن لتبسمها لم أدر ممن أشرق كوني منهما ولا من شق حندس ذاتي من هذين التجليين بنوره.
يقول: التبس علي الأمر في ذلك.

اللقاء السري

ألا يا نسيم الريح بلغ مها نجد بأني على ما تعلمون من العهد[٣٤٢]

وقت لفتاة الحي موعدنا الحمى عديه يوم السبت عند ربى نجد[٣٤٣]

على الربوة الحمراء من جانب الضوى وعن ايمن الافلاج والعلم الفرد[٣٤٤]

فإن كان حقاً ما تقول، وعندها الى من الشوق المبرح ما عندي[٣٤٥]

إليها، ففي حر الظهيرة نلتقي يخيمتها سراً على اصدق الوعد[٣٤٦]

---

[٣٤١]- يقول: قالت هذه الحقيقة الإلهية في هذه الصورة المثالية بلسانها: لا تطلبني من خارج ويكفيه تنزلي عليه بقلبه. كما قال تعالى: (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِين(١٩٣) عَلَىَ قَلْبِكَ) فهو يشاهدني في ذاته في كل وقت. يعني بالأوقات أيام الله الذي يقول تعالى: (كُلَ يَومٍ هُوَ في شَأن)، فتلك أيامه سبحانه التي يوقع الشوق فيها.

[٣٤٢]- يخاطب الرقيقة الروحانية التي يتخذها العارفون سفيراً بينهم وبين ما يريدونه. وقوله: بلغ مها نجد، الأرواح خاصة. وقوله: موعدنا الحمى، يريد حجاب العزة في مشهد من المشاهد أو عند انفصاله من تدبير هذا الجسم بالموت. وأما قوله: غدية، أول زمان التجلي، وجعله يوم السبت لأنه يوم الراحة والفراغ من الخلق. كما ورد في الخبر: عند ربي نجد، يريد المقام العالي.

[٣٤٣]- قوله: قل لفتاة الحي، يريد الروح المناسب له من هذه الأرواح خاصة. وقوله: موعدنا الحمى، يريد حجاب العزة في مشهد من المشاهد أو عند انفصاله من تدبير هذا الجسم بالموت. وأما قوله: غدية، أول زمان التجلي، وجعهل يوم السبت لأنه يوم الراحة والفراغ من الخلق. كما ورد في الخبر: عند ربي نجد، يريد المقام العالي.

[٣٤٤]- قوله: على الربوة الحمراء، مقام الجمال لأن الذين قسموا الألوان يقولون لون الحمرة أجمل. وقوله: من جانب الضوي، العالي منالمراتب، وعن أيمن الأفلاج موطن السرور. والعلم الفرد حضرة الفردانية التي هي دون الأحدية.

[٣٤٥]- ويقول: هذه الحقيقة الروحانية المناسبة له من ذلك العالم الناظرة إليه إن كان حقاً ما تقول في طلبك إيانا وعندك من الشوق إلى ذلك مثل الذي عندنا إليك فعند الاستواء الذي هو عدم الميل وهو وقت حصول الشمس في الوقف فتكنن نسبتها إلى كل شيء على السواء كالنقطة من المحيط. وخيمتها المقام الذي أقوم فيه فينزلها علي إن ينزلني عليها على حسب الحال الحاكم في الوقت. وقوله: سراً يريد مقام الكتم مع ضرب من الالتحام عند الاجتماع. وقوله على أصدق الوعد، يريد وعد المناسبة والحال فإنه أصدق من وعد المقال.

[٣٤٦]- ويقول: هذه الحقيقة الروحانية المناسبة له من ذلك العالم الناظرة إليه إن كان حقاً ما تقول في طلبك إيانا وعندك من الشوق إلى ذلك مثل الذي عندنا إليك فعند الاستواء الذي هو عدم الميل وهو وقت حصول الشمس في الوقف فتكنن نسبتها إلى كل شيء على السواء كالنقطة من المحيط. وخيمتها المقام الذي أقوم فيه فينزلها

فتلقى ونلقي ما نلاقي من الهوى ومن شدة البلزى ومن الم الوجد[٣٤٧]

اصغاث احلام ابشرى منامة انطق زمان كان في نطقه سعدي[٣٤٨]

لعل الذي ساق الاماني يسوقها عياناً فيهدي روضها لي جنى الورد[٣٤٩]

علي إن ينزلني عليها على حسب الحال الحاكم في الوقت. وقوله: سراً يريد مقام الكتم مع ضرب من الالتحام عند الاجتماع. وقوله على أصدق الوعد، يريد وعد المناسبة والحال فإنه أصدق من وعد المقال.

[٣٤٧] ـ يقول: فتلقي إلي ونلقي إليها كل واحد مما عنده مما يحتاج فيه إليه. وذكر شدة الاختيار، فإن الحق جعل هذا تمحيص عباده فقال: (ليبلوكم أيكم أحسن عملا) وقال: لنبلونكم.

[٣٤٨] ـ قوله: أضغاث أحلام، يقول عن هذا الاجتماع: مع حبسي في هذا الهيكل المظلم ما أظن يتصور على حسب ما أريد وما ينبغي إلا بانقطاع العلاقة من جميع الوجوه، وقطع العلاقة عن الجسم والجسد في حق هذا الروح الجزئي محال لأنه أصله وعنه ظهر فقوته فيه بخلاف الملأ الأعلى. أبشرى منامه، يقول: أو حي نبوي أو لسان الزمان وهو القال وذلك لعزة هذا الاجتماع، يقول: كأنه محال وقوعه وإنما هذا والله أعلم لسان الزمان نطق به أو مبشرة أو أضغاث أحلام أي لا حقيقة لها.

[٣٤٩] ـ يقول: لعل هذا يكون كلمة وافقت قدراً. وقوله: فيهدي روضها لي جنى الورد، يشيرإلى ما يحصل له من الذوق فعبر عنه بالجنى.

انتقاد الصوفية

الحلاَّج يصلب[٣٥٠]

لما أتى بالحلاج الحسين بن منصور ليصلب، راى الخشبة والمسامير، فضحك كثيراً حتى دمعت عيناه، ثم التفت الى القوم فرأى الشبلى بينهم فقال له: يا أبا بكر، هل معك سجادتك؟ فقال : ها هي يا شيخ . قال: افرشها لي، ففرشها . فصلى الحسين بن منصور عليها ركعتين، وكنت قريباً منه، فقرأ في الاولى فاتحة الكتاب وقوله تعالى: (ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع)[٣٥١] وقرأ في الثانية فاتحة الكتاب وقوله تعالى: (كل نفس ذائقة الموت)[٣٥٢].

[٣٥٠]- أخبار الحلاج، ص ٧. الحسين بن منصور الحلاج (٣٠٩هـ/٩٢٢م) أحد أهم المتصوفة المسلمين. أهم مؤلفاته كتاب الطواسين وديوان الحلاج.

[٣٥١]- سورة البقرة، الآية: ١٥٥. وتنتهي الآية بـ: (وبشر الصابرين).

[٣٥٢]- سورة آل عمران، الآية: ١٨٥.

جبلة بن حمود الصدفي

ذكر زهده وعبادته وفضله رحمه الله تعالى[٣٥٣]

وكان اول شانه وتعلم كتاب الله حببت اليه دار سحنون فكان يختلف اليه وكان ابوه يصحب السلطان ويرى راي اهل العراق فاراد جبلة يوماً الرواح الى سحنون فاخذه ابوه طاشره ورفعه لئلا يجد ما يمضي به الى سحنون فاخذ جبلة مقنعة امه وتردي بها ومضى الى سحنون فساله فاخبره جبلة فاعطاه سحنون مدرجاً فلما خرج به لحقه رجل فعوضه منه ثوباً وطاشراً، فمضى بهما الى سحنون فساله عن المدرج فاخبره فقال غبنك...

ولما خرج اهل القيروان للقاء الضشيعي مداراة له، غمه ذلك وقال اللهم لا تسلم من خرج يسلم عليه ! فزدوا في الطريق، فقفيل له انهم خرجوا مداراة، فقال اسكت ! ارايت لو نزل الروم بنا فقالوا، انما تنزلون على حكمنا او تجاهدكم هل كان يجوز ان ننزل الروم بنا فقالوا انما تنزلون على حمكمنا او نجاهدكم هل كان يجوز ان ننزل على حكمهم؟ وان عشت سترى من احكام هؤلاء ما هو شر من احكام الشرك!.

---

[٣٥٣]- كتابه القاضي عياض (٥٤٤هـ/١١٤٠م): تراجم أغلبية.

ذمّ المتصوفين[٣٥٤]

-ابو الفرج ابن الجوزي-

ينقلون عن بعض الصوفية أنه قال: سرت الى مكة على طريق التوكل حافياً فكانت الشوكة تدخل في رجلي، فأحكها بالارض ولا أرفعها، وكان عليّ مسح، فكانت عيني اذا المتني ادلكها بالمسح، فذهب احدى عيني.

وأمثال هذا كثير، وربما حملها القصاص على الكرامات، وعظموها عند العوام، فيخايل لهم أن فاعل هذا اعلى مرتبة من الشافعي وأحمد، ولعمري أن هذا من أعظم الذنوب واقبح العيوب لأن الله تعالى قال(ولا تقتلوا انفسكم) وقال النبي صلى الله عليه وسلم " ان لنفسك عليك حقا" وقد طلب ابو بكر رضي الله عنه، في طريق الهجرة، للنبي صلى الله عليه وسلم ظلاً حتى رأى صخرة ففرش له في ظلها..

وكم قد زوق قاصّ مجلسه بذكر أقوام خرجوا الى السياحة بلا زاد ولا ماء، وهو لا يعلم ان هذا من اقبح الافعال، وأن الله تعالى لا يجرب عليه، فربما سمعه جاهل من التائبين فخرج فمات في الطريق، فصار للقائل نصيب في إثمه.

وكم يروون عن ذي النون[٣٥٥] انه لقى امراة في السياحة فكلمها وكلمته، وينسون الاحاديث الصحاح، لا يحل لامراة ان تسافر يوماً وليلة إلا بمحرم، وكم ينقلون أن أقواماً مشوا على الماء ... ولا يحص أن احداً مشى على الماء قط، فإذا سمعوا هذا قالوا : اتنكرون كرامات الاولياء الصالحين؟ فنقول لسنا من المنكرين لها، بل نتبع ما صح.

---

[٣٥٤]- أوردها أبو الفرج ابن الجوزي (٥١٠-٥٩٧): صيد الخاطر، ص ٣٠. وهو عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرش بن الجوزيالفقيه والمؤرخ الحنبلي المعروف. من مؤلفاته المشهورة كتاب المنتظم وكتاب صفات الصفوة عن كبار المتصوفة في الإسلام والذي بين فيه أن المتصوفة العظام هم الذين اتبعوا أثر الصحابة.

[٣٥٥]- ذو النون المصري (ثوبان بن إبراهيم أبو الفيض (٢٤٦هـ/٨٦١م): أحد أوائل الصوفية الكبار. له آراء هامة في ماهية العشق الإلهي والمعرفة.

وكم يحثون على الفقر حتى حملوا خلقاً على اخراج اموالهم ثم آل بهم الامر اما الى التسخط عند الحاجة، واما الى التعرض بسؤال الناس.

أخطاء الصوفية[٣٥٦]

-ابن الجوزي-

أما بناء الأربطة فإن قوماً من المتعبدين الماضين اتخذوها للانفراد بالتعبد.

وهؤلاء، اذا صح قصدهم، فهم على الخطأ من ستة أوجه.

- أحدهما انهم ابتدعوا هذا البيان، وانما بناء اهل الاسلام المساجد.
- والثاني انهم جعلوا للمساجد نظيراً يقلل جمعها.
- والثالث انهم افاتوا انفسهم نقل الخطى الى المساجد
- والرابع انهم تشبهوا بالنصارى بانفرادهم في الديرة
- والخامس انهم تعزبوا وهم شباب واكثرهم محتاج الى النكاح
- .والسادس انهم جعلوا لانفسهم علماً ينطق بانهم زهاد، فيوجب ذلك زيارتهم والتبرك بهم...

[٣٥٦]ـ ابن الجوزي (ت ٥٩٧/١٢٠٠): تلبيس إبليس، ص ١٨٦.

المتصوفة

ابو بكر الشبلي نموذجاً[357]

ابو بكر بن جحدر – وقيل جعفر، وقيل جعفر بن يونس، وهكذا هو مكتوب على قبره – المعروف بالشبلى الصالح المشهور الخراساني الاصل البغدادي المولد والمنشا، كان جليل القدر مالكي المذهب، وصحب الشيخ ابا القاسم الجنيد ومن في عصره من الصلحاء رضي الله عنهم، وكان في مبدأ امره والياً في دنياوند فلما تاب في مجلس خير النساج مضى اليها وقال لاهلها كنت والي بلدكم فاجعلوني في حل، ومجاهداته في اول امر فوق الحد يقال انه اكتحل بكذا وكذا من الملح ليعتاد السهر ولا ياخذه نوم، وكان يبالغ في تعظيم الشرع المظهر، وكان اذا دخل شهر رمضان المبارك جد في الطاعات ويقول هذا شهر عظمه ربي فانا اوبلى بتعظيمه، وكان في آخر عمره ينشد كثيراً.

وكم من موضع لو مت فيه لكنت به نمالاً في العشيره

ودخل يوم على شيخه الجنيد، فوقف بين يديه وانشد:

عودوني الوصال والوصل عذب ورموني بالصد والصد صعب

زعموا حين ازمعوا ان ذنبي فرط حبي لهم، وما ذلك ذنب

لا وحق الخضوع عند التلاقي ما جزا من يحب الا يحب

قال: فاجابه الجنيد:

وتمنيت ان ارا ك فلما رايتكا

---

[357]- من كتاب وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان، ج ٢.

ترجمة الشبلى في تاريخ بغداد (١٤: ٣٨٩)، والمنتظم (٦: ٣٤٧)، وصفة الصفوة (٢: ٢٥٨)، وحلية الأولياء (١٠: ٣٦٦)، والنجوم الزاهرة (٣: ٢٨٩).
أبو العباس شمس الدين بان خلكان (٦٨١هـ/١٢٨٢م)، صاحب الكتاب المشهور وفيات الأعيان والذي أثبتت في سير العديدين من القدماء ومعاصريه.

غلبت دهشة السرو   ر فلم املك البكا

حدث احمد بن منصور بن نصر قال: جاء الشبلى يوماً الى ابي بكر ابن مجاهد فلم يجده في مسجده فسأل عنه فقيل هو عند علي بن المجوسي فلما دخل وقعدنا قال له ابو بكر ان مجاهد يا ابا بكر اخبرت انك تحق الثياب والخبز والاطعمة وما ينتفع الناس فيه، اين هذا من العلم والشرع؟ فقال له : يقول الله (فطفق مسحاً بالسوق والاعناق) (ص٣٣) اين هذا من العلم فسكت ابو بكر ابن مجاهد، فقال كأني قرأتها قط، وقبل انهم عابثوه في مثله فقرأ (انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم) (الانبياء ٩٨) هذه الاطعمة والشهوات حقيقة الخلق ومعبودهم أبرأ منه واحرقه ومن أناشيده:

ودادكم هجر وحبكم قلى   ووصلكم سلم وسلمكم حرب

وحكي عن بعض المعترفين انه انس الى طريقة التصوف واستشرق (وشاور ابا بكر فرده عما اراده) وحذر التعرض له، وعطفته الخواطر عليه فمال الى قرين من هذه الطائفة فعلق بهم واتصل بجملتهم، ثم صحب جماعة منهم متوجهاً الى الحج، فعجز في بعض الطريق من مسايرتهم وقصر عن اللحاق فمضوا وتخلف عنهم، فاستند الى بعض الرمال ارادة الاستراحة من الاعياء، قمر به الشيخ المذكور فقال مخاطباً له:

ان الذين بخير كنت اذكرهم   قضوا عليك وعنهم كنت انهاكا

فقال له الفتى: ما اصنع الآن؟ فقال له:

لا تطلب حياة غير حبهم   فليس يحييك الا من توفاكا

قال محمد بن ابراهيم: حضرت وفاة الشبلي فأمسك لسانه وعرق جبينه فاشار الى وضوء الصلاة فوضأته، وبقي تخليل لحيته، فقبض على يدي وادخل اصبعي في لحيته يخللها، فبكيت وقلت : رجل لم يذهب عليه تخليل لحيته في الوضوء عند نزع روحه وأمساك لسانه.

ودخل عليه أبو الفتح ابن شفيع عائداً في مرضه، فسمعه يقول:

صح عند الناس اني عاشق غير ان لم يعلموا عشقي لمن

قال ابو بكر الشبلي جئت يوماً الى باب الطاق فر أيت والدة تضرب ولدها، فقلت لها : لهذا حرمة، فقال الصبي معارضتك بيني وبين والدتي اشد علي من ضربها، ارأيت احداً يضرب ولده الا من محبته اياه؟ انما ضرب الوالدين تأديب وشفقة وفرط محبة، قال الشبلي: فكأني كنت المقصود بهذه المخاطبة، فانصرفت عنها وانا اقول:

لبيك تصديقاً ايا سيدي من الذي يألم من عثرتكد

وحكي الخطيب في تاريخه، قال ابو الحسن التميمي: دخلت على ابي بكر في داره يوماً وهو يهيج ويقول:

على بعدك ما يصبـ ـر من عادته القرب

ولا يقوى على هجر ك من تيمه الحب

فإن لم ترك العين فقد يبصرك القلب

وذكر الخطيب ايضاً في ترجمة ابي سعد اسماعيل بن علي الواعظ ما مثاله : وانشدنا ابو سعد قال انشدنا طاهر الخثعمي قال انشدني الشبلي لنفسه.

مضت الشبيبة والحبيبة فانبرى دمعان في الاجفان يزدحمان

ما اصنفتني الحادثات رمينني بمودعين وليس لي قلبان

وقال الشبلي ايضاً رايت يوم الجمعة معتوهاً عند جامع الرصافة قائماً عريان وهو يقول انا مجنون الله انا مجنون الله فقلت له لم لا تدخل الجامع وتتوار وتصلي؟ فانشد:

يقولون زرنا واقض واجب حقنا وقد اسقطت حالي حقوقهم عني

اذا ابصروا حال ولم يانف لها ولم يأنفوا منها انفت لهم مني

وكانت وفاته يوم الجمعة ليلتين بقيتا من ذي الحجة سنة اربع وثلاثين وثلثمائة ببغداد، ودفن في مقبرة الخيزران، وعمره سبع وثمانون سنة، رحمه الله تعالى، ويقال انه مات سنة خمس وثلاثين والاول اصح ويقال ان مولده بسر من راى.

والشبلي : بكسر الشيء وسكون الباء الموحدة وبعدها لام – وهذه النسبة الى شبلة وهي قرية من قرى اسر وشنة، واسر وشنة بضم الهمزة وسكون السين المهملة وضم الراء وسكون الواو وفتح الشين المعجمة وفتح النون وبعدها هاء ساكنة - وهي بلدة عظيمة وراء سمرفند من بلاد ما وراء النهر.

وذنباوند: يضم الدال المهملة وسكون النون وفتح الباء الموحدة وبعد الالف واو مفتوحة ثم نون ساكنة وبعدها دال مهملة وهي ناحية من رستاق الري في الجبال – وبعضهم يقول دماوند والاول أصح.

بشر الحافي نموذجاً[٣٥٨]

ابو نصر بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء بن هلال بن ماهان بن عبدالله وكان اسم عبدالله بعبور واسلم على يد علي بن ابي طالب رضي الله عنه، المروزي المعروف بالحافي احد رجال الطريقة رضي الله عنهم، كان من كبار الصالحين واعياء الاتقياء المتورعين اصله من مزو من قرية من قراها يقال لها مابرسام، وسكن بغداد وكان من اولاد الرؤساء والكتاب.

وسبب توبته ان اصاب في الطريق ورقة وفيها اسم الله تعالى مكتبو، وقد وطئتها الاقدام، فاخذها واشترى بدراهم كانت معه غالبية فطيب بها الورقة وجعلها في شق حائط فراى في النوم كأن قائلاً يقول له يا بشر طيبت اسمي لاطيين اسمك في الدنيا والاخرة، فلما تبنه من نومه تاب.

ويحكي انه اتى باب المعافى بن عمران فدق عليه الحلقة فقيل : من؟ فقال بشر الحافي فقالت بنت من داخل الدار، لو اشتريت نعلاً بدائقين لذهب عند اسم الحافي.

وانما لقب بالحافي لانه جاء الى اسكاف يطلب منه شسعاً لاحدى نعليه، وكان قد انقطع فقال له الاسكاف : ما اكثر كلفتكم على الناس !فالقى النقل من يده والاخرى من رجله، وحلف لا يلبس نعلاً بعدها.

وقيل لبشر: باي شيء تاكل الخبر؟ فقال اذكر العافية فاجعلها اداماً.

ومن دعائه : اللهم ان كنت شهرتني في الدنيا لتفضحني في الاخرة فاسلبه عني . ومن كلامه : عقوبة العالم في الدينا ان يعمى يصر قلبه وقال: من طلب الدينا فليتهيأ للذل، وقال بعضهم: سمعت بشراً يقول لاصحاب الحديث : أذوا زكاة هذا الحد\يث قالوا: وما زكاته؟ قال: اعملوا من كل مائتي حديث بخمسة احاديث :

---

[٣٥٨]- من كتاب وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان، تحقيق إحسان عباس، ج١. ترجمته في حلية الأولياء (٨/ ٣٣٦)، وصفة الصفوة (٢: ١٨٣)، وتاريخ بغداد (٧: ٦٧).

(وروي عنه سري السقطي وجماعة من الصالحين، رضي الله تعالى عنهم قال الجوهري، سمعت بشر بن الحارث يقول في جنازة اخته، ان العبد اذا قصر في طاعة الله من يؤنسه، وقال بشر كنت في طلب صديق لي ثلاثين سنة فلم اظفر به، فمررت في بعض الجبال باقوام مرضى وزمنى وعمي وبكم، فسالتهم، فقالوا: في هذا الكهف، رجل يمسح عليهم بيديه فيبرأون بإذن الله تعالى وبركة دعائه، قال فقعدت انتظر فخرج شيخ عليه جبة صوف فلمسهم ودعا لهم، فكانوا يبرأون من عللهم بمشيئة الله تعالى قال: فأخذت ذيله فقال : خل عني يا سري، يراك تأنس بغيره فتسقط من عينه، ثم تركني ومضى،

وكان مولده سنة خمسين ومائسة، وتوفي في شهر ربيع الآخر سنة ست وعشرين، وقبل: سبع وعشرين ومائتين وقيل: يوم الاربعاء عاشر المحرم، وقيل في رمضان بمدينة بغداد وقيل بمرور رحمة الله تعالى،

وكان لبشر ثلاث اخوات، وهن مضغة، ومخة، وزبدة، وكن زاهدات عايدات ورعات، وأكبرهن مضغة ماتت قبل موت أخيها بشر، فحزن عليها بشر حزناً شديداً وبكي بكاء كثراً، فقيل له في ذلك، فقال قرأت في بعض الكتب أن العيد إذا قصر في خدمة ربه سلبه انيسه، وهذه اختي مضغة كانت انيستي في الدنيا.

وقال عبد الله بن احمد بن حنبل : دخلت امراة على ابي فقالت له: يا ابا عبد الله، اني امرة اغزل في الليل على ضوء السراج، وربما طفئس السراج فأغزل على ضوء القمر، فهل عليّ أن أبين غزل السراج في غزل القمر؟ فقال لها أبي : ان كان عندك بينهما فرق فعليك ان تبيني ذلك، فقالت له: يا ابا عبد الله انين المريض هل هو شكوى؟ فقال لها: إني أرجو ان لا يكون شكوى، ولكن هو اشتكاء الى الله تعالى، ثم انصرفت، قال عبد الله، فقال لي ابي: يا بني سمعت انساناً قط يسأل عن مثل ما سألت هذه المراة، اتبعها، قال عبد الله، فتبعتها الى ان دخلت دار بشر الحافي، فعرفت انها اخت بشر، فاتيت ابي فقلت له، ان المرأة أخت بشر الحافي، فقال ابي: هذا والله هو الصحيح، محال ان تكون هذه المراة الا اخت بشر الحافي.

الباب السابع

العادات والتقاليد

الحياة عند الصغار[٣٥٩]

ان اول ما ينبغي ان يتفرس في الصبي ويستدل به على عقله، الحياء، فانه يدل على انه قد احس بالقبيح ومع احساسه به، هو يحذره ويتجنبه ويخاف ان يظهر منه او فيه، فاذا نظرت الى الصبي فوجدته مستحيياً مطرقاً الى الارض غير وقاح الوجه ولا محدق اليه، فهو اول دليل نجابته، والشاهد لك على ان نفسه قد احسنت بالجميل والقبيح وان حياءه هو انحسار نفسه خوفاً من قبيح يظهر منه. وهذا ليس بشيء اكثر من ايثار الجميل والهرب من القبيح بالتمييز والعقل، وهذه النفس مستعدة للتاديب صالحة للعناية لا يجب ان تهمل ولا تترك ومخالطة الاضداد الذين يفسدون بالمقارنة والمداخلة وان كانت بهذه الحال من الاستعداد لقبول الفضيلة، فان نفس الصبي سادجة لم تنقش بعد بصورة، وليس لها اري ولا عزيمة تميلها من شيء الى شيء، فاذا نقشت بصورة وقبلتها، نشأ عليها واعتادها.

---

[٣٥٩]- المؤلف هو أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه (ت ٤٢١هـ/ ١٠٢٩م)، مؤرخ بحّاثة ومتفلسف. أهم كتبه تجارب الأمم وتعاقب الهمم وتهذيب الأخلاق، وآداب العرب والفرس، وترتيب السعادات، ورسالة في ماهية العدل والمقتبس أعلاه من: تهذيب الاخلاق (عن الفكر التربوي عند العرب، مختارات النجار والزربي، تونس ١٩٧٣، ص ٣٠٤).

النساء[٣٦٠]

ابن المقفع

اعلم ان من اوقع الأمور في الدين، وأنهكها للجسد، واتلفها للمال، وأضرها بالعقل، وأسرعها في ذهاب الجلالة والوقار، الغرام بالنساء، ومن البلاء على المغرم بهن أنه لا ينفك بأجم ما عنده، وتطمح عيناه الى ما ليس عنده منهن، وإنما النساء اشباه. وما يرى في العيون والقلوب من فضل مجهولاتهن باطل وخدعة، بل كثير ما يرغب عنه الراغب مما عنده افضل مما تتوق اليه نفسه، وانما المترغب عما في رحله منهن الى ما في رحال الناس كالمترغب عن طعام بيته الى ما في بيوت الناس، بل النساء بالنساء اشبه من الطعام بالطعام، وما في رحال الناس من الاطعمة اشد تفاضلاً وتفاوتاً في رحالهم من النساء.

ومن العجب ان الرجل الذي لا باس في لبه يرى المرأة من بعيد متلففة في ثيابها فيصور لها في قلبه الحسن والجمال، حتى تعلق بها نفسها من غير رؤية ولا خبر مخبر، ثم لعله يهجم منها على اقبح القبح وادم الدمامة، فلا يعظه ذلك عن امثالها، ولا يزال مشغوفاً بما لم يذق، حتى لو لم يبق في الارض غير امرأة واحدة، لظن ان لها شاناً غير شأن ما ذاق، وهذا هو الحمق والشقاء.

ومن لم يحم نفسه ويظلفها ويجلها عن الطعام والشراب والمساء في بعض ساعات قدرته وشهوته، كان أيسر ما يصيبه من وبال أمره، انقطاع تلك اللذات عنه بخمود نار شهوته، وضعف عوامل جسده، وقل من تجد الا مخادعاً لنفسه، عند الطعام والشراب والحمية والدواء، وفي امر مروءته عند الاهواء والشهوات، وفي أمر دينه عند الريبة والشبهة والطمع.

---

[٣٦٠]- أوردها عبد الله بن المقفع (ت ١٤٢هـ/ ٧٥٩م): الأدب الكبير.

الحب:

اخبار المجنون[٣٦١]

من الناس من اثبت وجوده، ومن الناس من لم يثبت، فاما المثبتون فمنهم من قال آسمه مهدي، ومنهم من قال : اسمه قيس وهم الاكثرون.

وهو ابن الملوم بن مزاحم بن قيس بن عدي بن ربيعة[٣٦٢] بن جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر صعصعة.

وقيل: هو قيس بن معاذ احد بني نمير بن عامر بن عقيل وقيل : احد بني جعده بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة.

قالوا: وما يدل على ان اسمه "قيس" قول ليلى صاحبته.

الا ليت شعري والخطوب كثيرة   متى رحل قيس مستقل فراجع

وقال الاصعمي وقد سئل عنه، لم يكن مجنوناً ولكن كانت به لوثه[٣٦٣] كلوثه ابي حية[٣٦٤] النميري.

وروى المنكرون اخباراً تدل على انه لم تكن له حقيقة، من ذلك ما روى ابن دأب[٣٦٥] قال قلت لرجل من بني عامر اتعرف المجنون وتروي شعره؟ قال اوقد فرغنا في شعر العقلاء حتى نروي اشعار المجانين، إنهم لكثير، قلت ليس هؤلاء اعني انما اعني مجنون بني عامر الذي قتله العشق، فقال هيهات! ان

---

[٣٦١]- تجريد الأغاني تأليف ابن واصل الحموي (٦٩٧هـ/١٢٩٨م). تحقيق طه حسين وإبراهيم الأبياري، القسم الأول/ الجزء الأول، القاهرة، قصور الثقافة، ١٩٩٧.

[٣٦٢]- في بعض أصول الأغاني: (مزاحم بن عدس بن ربيعة بن جبلة).

[٣٦٣]- اللوثة، بالضم وتفتح: الحمق وقيل: اللوثة، بالضم: الحبسة في اللسان، وبالفتح: الحماقة.

[٣٦٤]- ستأتي ترجمته في التجريد.

[٣٦٥]- هو عيسى بن يزيد بن بكر بن دأب. كان عالماً وشاعراً.

بني عامر أغلظ أكباداً من ذلك ! إنما يكون هذه في هذه اليمانية الضعاف قلوبها، السخيفة عقولها، الصغلة[٣٦٦] رؤوسها، فأما نزار فلا،

وروي عن الاصمعي انه كان يقول:

رجلان ما عرفا في الدنيا قط إلا بالاسم : مجنون بني عامر، وابن القرية[٣٦٧]، فانهما وضعها الرواة.

وروي عن ابن الكلبي انه قال، حدثت ان حديث المجنون وشعره وضعه فتى من بني أمية كان يهوي ابنة عم له، وكان يكره ان يظهر ما بينه وبينها، فوضع حديث المجنون، وقال الاشعار التي يرويها الناس للمجنون ونسبها اليه.

وروي من اثيته: ان آباء الملوح ما قبل اختلاطه[٣٦٨] فعقر على قبره ناقته وقال:

عقرت على قبر الملوح ناقيتي بذي السرح[٣٦٩] لما ان جفاء الاقارب

وقلت لها كوني عقيراً[٣٧٠] فإنني غدا راجل امشي وبالأمس راكب

فلا يبعدنك الله بابن مزاحم فكل بكأس الموت لا بد شارب

وذكر ان ليلى صاحبته، بنت مهدي بن[٣٧١] سعد بن مهدي بن ربيعة بن الحريش بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة وفيها يقول المجنون:

اخذت محاسن كل ما ضنت محاسنه بحسنه

٣٦٦ـ الصغلة: الصغيرة.

٣٦٧ـ هو أيوب بن زيد بن قيس. والقرية: أمه. كان لسناً خطيباً. وقتله الحجاج لاتهامه بالميل إلى بان الأشعث ـ (وفيات الأعيان).

٣٦٨ـ اختلاطه، أي فساد عقله وتغيره.

٣٦٩ـ ذو السرح: واد بأرض نجد.

٣٧٠ـ العقير: المعقورة، أي المنحورة، وكانوا ينحرون الإبل على قبور الموتى.

٣٧١ـ في بعض أصول الأغاني: (بنت سعد بن مهدي).

كاد الغزال يكونها لولا الثوى[٣٧٢] ونشور قريه

وروى عن الاصعمي انه قال:

سالت اعرابياً من بني عامر بن صعصعة عغن المجنون العامري، فقال: عن ايهم تسألني؟ فقط كان فينا جماعة رموا بالجنون فعن ايهم تسال؟ فقلت عن الذي كان يشبب بليلى، فقال : كلهم كان يشبب بليلى، قلت فانشدني لبعضهم، فانشدني لمزاحم بن الحارث المجنون.

الا ايها القلب الذي لج هائماً بليلى وليداً لم تقطع[٣٧٣] تمائمه

افق قد افاق العاشقون وقد[٣٧٤] اتى لك اليوم ان تلقى طبيباً تلائمه

قلت : فانشدني لغيره، فانشدني لمعاد بن كليب المجنون.

الا طالما لاعبت ليلى وقادني الى اللعو قلب للحسان تبوع

وطال اميراء[٣٧٥] الشوق عيني كلما نزفت دموعاً تستجد دموع

وقد طال امساكي على الكبد[٣٧٦] التي بها من هوى ليلى الغداة صدوع

قلت فانشدني لغير هذين ممن ذكرت، فانشد لمهدي بن الملوح:

---

[٣٧٢] ـ الشوى: الأطراف.

[٣٧٣] ـ التمائم: جمع تميمة، أو هي عوذة تعلق على المولود. ولم تقطع تمائمه، أي لا يزال صغيراً.

[٣٧٤] ـ أنى: حان وقرب.

[٣٧٥] ـ الامتراء: الاستدرار.

[٣٧٦] ـ الكبد: تؤنث وتذكر.

لو ان لك الدنيا وما عدلت به سواها وليلى بائن عنك[٣٧٧] بينهما

لكنت ان ليلى فقيراً وانما يقود اليها ود نفسك حينها

فقلت انشدني لمن بقي من هؤلاء فقال حسبك ! فوالله ان في واحد من هؤلاء لمن يوزن بعقلائكم اليوم!

وذكر ان معاذ بن كليب كان مجنوناً وكان يحب ليلى فشركه في حبها مزاحم بن الحارث العقثيلي، فقال مزاحم يوماً للمجنون:

كلانا يا معاذ يحب ليلى بفي وفيك من ليلى التراب

شركتك في هوى من كان حظي وحظك من مودتها العذاب

لقد خبلت فؤادك ثم ثنت بقلبي فهو مخبول مصاب

فيقال: انه لما سمع هذه الابيات التبس وخولط في عقله.

وروى هارون بن موسى، قال

سألت أبا بكر العدوي[٣٧٨] عن هذه البيتين:

وخبر تماني ان تيماء[٣٧٩] منزل لليلى اذا ما الطيف القى المراسيا

فهذه شهور الصيف عنا قد انقضت فما للموى ترمي بليلى المراميا

فقال: هما لجميل: ولم يعرف المجنون قلت وهل معهما غيرهما؟ قال: نعم، وانشدني:

---

[٣٧٧]ـ بينها، أي وصلها. وهو من أسماء الأضداد، يطلق على الوصل والفراق.

[٣٧٨]ـ في الأصل: (العذري).

[٣٧٩]ـ تيماء: بلد صغير في أطراف الشام.

واني لاخشى ان اموت فجأة وفي النفس حاجات اليك كما هيا

واني لينسيني لقاؤك كلما لقيتك يوماً ان ابثك ما بيا

وقالوا به داء عياء اصابه وقد علما نفسي مكان دوائها

وذكر الرواة المثبتون اخبار المجنون، انه كان يهوى ليلى بنت مهدي، التي تقدم ذكر نسبها، وتكنى ام مالك، وهما حينئذ صبيان، فعلق كل واحد منهما صاحبه، وهما يرعيان مواشي اهلهما، فلم يزالا كذالك حتى كبرا، فحجت عنه، فقال في ذلك:

تعلقت ليلى وهي ذات ذؤابة[٣٨٠] ولم يبد للاتراب من ثديها حجم

صغيرين نرعى البهم يا ليت اننا الى اليوم لم نكبر ولم تكبر البهم

وذكر ان ابن مليكة كان يؤذن، اذ سمع الاخضر الجدي يغني من دار العاص بن وائل في عهذين البيتين، فلما اراد ان يقول " حي على الصلاة" قال: " حي على البهم" حتى سمعه اهل مكة، فغدا يعتذر اليهم.

وذكر ان سبب تعلقه بليلى انه كان صاحب غزل ومجالسه للنساء، فخرج على ناقة له يسير فمر بامراة من بني عقيل يقال لها كريمة وكانت جميلة عاقلة معها نسوة فعرفنه فدعونه الى النزول والحديث وعليه حلتان له فاخرتان وطيلسان وفلنسوة، فنزل فظل يحدثهن وينشدهن وهن اعجب شيء به فيما يرى فلما اعجبه ذلك منهن عقر لهن ناقته وقمن اليها وجعلن يشوبن وياكلن من لحمها الى ان امسيت فاقبل غلام شاب حسن الوجه فجلس اليهن فاقبلن عليه بوجوههن يقلن له، كيف ظللت يا منازل اليوم؟ فلما راى ذلك من فعلهن غضب وقام، فتركهن وهو يقول:

االعقر من جراً[٣٨١] كريمة ناقيتي ووصليي مفروش[٣٨٢] لوصل منازل

---

[٣٨٠]ـ الذؤابة: شعر الناحية.

اذا جاء قعقعن الحلى ولم اكن اذا جئت ارجو صوت تلك الخلاخل

قال: فقال له الفتى : هل نتصارع او نتناضل فقال له ان شئت ذلك فقم الى حيث لا تراهن ولا يرينك ثم ما شئت فافعل وقال:

اذا ما انتضلنا[٣٨٣] في الخلاء نضلته وان يزم رشقاً عندها فهو ناضلي

فلما اصبح لبس حلته وركب ناقته ومضى متعرضاً لهن، فالقى ليلى جالسة بفناء بيتها، وكانت معهن يومئذ وقد علق بقلبها وهويته، وعندها جويريات يحدثنها فوقف عليهن وسلم، فدعونه الى النزول وقلن له، هل لك في محادثة من لا يشغله عنك منازل ولا غيره . قال اي لعمري ! وفعل بالامس فارادت من تعلم هل لها عنده مثل ما له عندها فجعلت تعرض عن حدجيثه ساعة بعد ساعة وتحدث غثيره، وقد كان علق حبها بقلبه وشغفة واستملحها فبينما هي تحدثه اذ اقبل فتى من الحي فدعته فسارته سراراً طويلاً ثم قالقت له انصرف فانصرف .

ونظرت الى وجه المجنون قد تغير وامتقع[٣٨٤] وشق لعبه ما فعلت، فأنشأت تقول:

كلانا مظهر للناس بغضاً وكل عند صاحبه مكين

تبلغنا العيون مقالتينا وفي القلبين ثم هوى دفين

---

[٣٨١] ـ من جرا، من أجل.

[٣٨٢] ـ مفروش: ممهد.

[٣٨٣] ـ انتضلنا: ترامينا. ونضلته: غلبته.

[٣٨٤] ـ امتقع: تغير لونه.

فلما سمع هذين البيتين شهق شهقة عظيمة واغمى عليه، فمكث كذلك ساعة، ونضحوا الماء على وجهه حتى آفاق، وتمكن حب كل واحد منهما في قلب صاحبه، وبلغ منه كل مبلغ.

وقيل: لما شهر امر مجنون وليلى، وتناشد الناس الشعر الذي عمله فيها، خضبها وبذل لها خمسين ناقة حمراء، وخطبها ورد بن محمد العقيلي، وبذل لها عشراً من الابل وراعيها، فقال أهلوها، نحن مخيروها بينكما من اختارت تزوجته، فدخلوا اليها وقالوا: لئن لم تختاري ورداً لنمثلن بك : فقال المجنون:

الا يا ليل ان ملكت بينا   خيارك فانظري اين[٣٨٥] الخيار

ولا تتبدلي مني دنيا   ولا برماً ان حب[٣٨٦] القتار

يهرول في الصغيرة اذا رآه   وتعجره الملمات الكبار

فمثل تأيم منه نكاح   ومثل تمول منه أفتقار

فاختارت " ورداً " فتزوجته على كره منها.

وذكر ان سبب اختلاط عقله ان ليلى انشدته في خلوة:

كلانا مظهر للناس بغضاً   وكل عند صاحبه مكين

واسرار الملاحظ[٣٨٧] ليس تخفي   وقد تغري بذي اللحظ[٣٨٨] العيون

---

[٣٨٥]- في بعض أصول الأغاني: (لمن).

[٣٨٦]- البرم: اللئيم. والقتار: ريح اللحم المشوي.

[٣٨٧]- في الأصل (التلاحظ).

[٣٨٨]- في بعض أصول الأغاني: (إذا نطقت بما تخفي العيون). وفي تزين الأسواق: (وقد تغرى بذي اللحظ العيون).

فخر مغشياً عليه، ثم أفاق فاقداً عقله، فكان لا يلبس ثوباً الا خرقة، ولا يمشي الا عارياً ويلعب بالتراب ويجمع العظام حوله، فاذا ذكرت ليلى انشأ يقول ويحدث عنها عاقلاً لا يخطئ حرفاً وترك الصلاة فاذا قيل له مالك لا تصلي؟ لم يرد حرفاً وكان ابوه بحبسهخ ويفيبده فبعض شفتيه ولسانه فيخلي سبيله فيهم .

وذكر انه سال عمر بن عبد الرحمن بن عوف – وكان ولا مروان بن الحكم صدقات بني كعب وقشير وجعده، ان رخج به معه وقال اكون معك في هذا الجمع الذي تجمعه غداً، وارى في اصحابك واتحمل في عشيرتي بك، وافخر يقربك فاجابه الى ذلك، وذلك قبل ان يستحكم حبه، فجاءه رهط ليلى فاخبروه بقصته وانه لا يريد ان يدخل بيوتهم ويفضحهم في امراة منهم بهواها وانهم شكوه الى السلطان فاهدر دمه ان دخل اليهم فارعض عما اجابه اليه من اخذه معه وامر له بقلائص فردها وقال:

رددت قلائص القرشي لما   بدا لي النقض منه للعهود

وراحوا مقصرين وخلفوني   الى حزن اعالجه شديد

فرجع آيسا فعاد الى حاله الاولى

ولم تزل تلك حاله غير مستوحش انما يكون في جنبات الحي منفرداً عارياً لا يلبس ثوباً الا خرقة يهذي ويخطط في الارض ويلعب بالتراب والحجارة ولا يجيب احداً ساله عن شيء فاذا احبو ان يتكلم او يثوب اليه عقله ذكروا ليلى فيقول ياي هي وامي ثم رجع اليه عقله فيخاطبونه ويجيبهم وياتيه احداث الحي فيحدثونه عنها وينشدونه الشعر الغزل فيجيبهم جواباً صحيحاً وينشدهم اشعاراً قالها، حتى سعى عليهم[٣٨٩] في السنة الثانية بعد عمر بن عبد الرحمن، نوفل بن مساحق فنزل مجمعاً من تلك المجامع، فرآه يلعب بالتراب وهو عريان فقال لغلام يا غلام هات ثوباً فاتاه به، فقال لبعصهم خذ هذا الثوب فالقه على ذلك

---

[٣٨٩]- سعى عليهم: أي ولى جباية صدقاتهم.

الرجل فقال له اتعرفه؟ جعلت فداك ! قال لا قال هذا ابن سيد الحي والله ما يلبس الثياب ولا يزيد على ما تراه يفعله الان واذا طرح عليه شيء خزقه ولو كان يلبس ثوباً لكان في مال ابيه ما يكفيه، وحدثه عن امره.

فدعا به وكلمه، فجعل لا يعقل شيئاً يكلمه به، فقال له قومه: ان اردت ان يجيبك جواباً صحيحاً فاذكر له ليلى، فذكرها له، وسأله عنه حبه اياها، فأقبل عليه يحدثه بحديثها ويشكو اليه حبه اياها، وينشده شعره فيها، فقال له نوفل، الحب صيرك الى ما ارى؟ قال : نعم، وسينتهي الى ما هو اشد مما ترى، فعجب منه، وقال اتحب ان ازوجكما؟ قال : نعم، وهل إلى ذلك من سبيل؟ قال : انطلق معي.

وقيل لما منع ابو ليلى المجنون وعشيرته من تزوجها اياه، كان لا يزال يغشى بيوتهم ويهجم عليهم، فشكوه الى السلطان، فأهدر دمه لهم، فأخبروه بذلك، فلم يرعه[٣٩٠] وقال : الموت اروح لي، فليتهم قتلوني، فلما علموا بذلك وعلموا انه لا يزال يطلب غرة[٣٩١] منهم، حتى اذا تفرقوا دخل دارهم، ارتحلوا وابعدوا، وجاء المجنون عشية فاشرف على دارهم، فاذا هي منهم بلاقع[٣٩٢] فقصد منزل ليلى الذي كان بيتاً فيه، فالصق صدره به وجعل يتمرغ على ترابه ويبكي، ثم أنشأ يقول:

أيا حرجات[٣٩٣] الحي يوم تحملوا بذي سلم[٣٩٤] لا جادكن ربيع
وخمياتك اللاتي يمنعرج اللوى بلين بلى لم تبلهن ربوع
ندمت على ما كان مني ندامة كما يندم المغبون حين يبيع

---

[٣٩٠]ـ في الأصل: (فلم يزعه).

[٣٩١]ـ غرة: غفلة.

[٣٩٢]ـ بلاقع: خيالة.

[٣٩٣]ـ الحرجات: الغيضات، وهي الشجر الملتف، الواحدة: غيضة.

[٣٩٤]ـ ذو سلم: موضع بالحجاز.

فقدتك من قلب شعاع[٣٩٥] فإنني   هناك ثنائياً[٣٩٦] ما لهن طلوع

وذكر ان ليلى وعدته قبل ان يختلط ان تستزيره ليلى اذا وجدت فرصة لذلك، فمكث مدة يراسلها في الوفاء وهي تعده وتسوقه فاتى اهلها ذات يوم والحي خلوف[٣٩٧] فجلس الى نسوة من اهلها حجرة[٣٩٨] منها بحيث تسمع كلامه، فحادثهن طويلاً ثم قال الا انشدكن ابياتاً احدثتها في هذه الايام؟ قلن : بلى فانشدهن:

يا للرجال لهم بات يعروني   متطرف وقديم كاد يبليني

من عادري من غريم ذي[٣٩٩] عسر   يابى فيمطلني ديني ويلويني

لا يبعد النقد من حقي فينكره   ولا يحدثني ان سوف يقضيني

فما كشكري شكر لو يوافقني   ولا مناي سواه لو يواتيني

اطعته وعسيت الناس كلهم   في امره وهواه وهو يعصيني

فقلن له: ما انصفك هذا الغريم الذي دكرته، وجعلن يتضاحكن من قوله وهو يبكي فاستحيت ليلى منهن ورقت له حتى بكت، وقامت ودخلت بينها وانصرف هو.

وذكر انه قيل لقيس بن الملوح المجنون قبل ان يختلط ما اعجب شيء اصابك من وحدك بليلى؟ قال طوقنا ذات ليلة اضياف ولم يكن عندنا ادم فبعثني ابي الى

---

[٣٩٥]- قلب شعاع: متفرّق لا عزم له. وفي بعض أصول الأغاني: (نفس شعاع).

[٣٩٦]- الثنايا: المراقي الصعبة في الجبل؛ الواحدة: ثنية.

[٣٩٧]- حي خلوف: قد غاب رجاله وأقام نساؤه.

[٣٩٨]- حجرة منها: أي ناحية منها.

[٣٩٩]- العسر: بضمتين، لغة في العسر، بالضم.

منزل اي ليلى وقال اطلب منهم لنا ادماً فقال يا ليلى اخرجي ذلك النحي[400] فاملى له اناءه من السمن فاخرجته ومعي فعب فجعلت تصب السمن لي فيه ونتحدث فالهانا الحديث وهي تصب السمن وقد امتلا القعب ولا نعلم جميعاً وهو يسيل حتى استنقعت ارجلنا في السمن،

قال واتيتهم لثيلة ثانية اطلب ناراً، وانا متلفع ببرد لي[401] فاخرجت لي ناراً في عطبة[402] فاعطتنيها، ووقفنا نتحدث، فلما احترقت العطبة خرقت من بردي خرقة، وجعلت النار فيها، وكلما احترقت خرقت اخرى ادكيت بها النار، حتى لم يبق عليّ من البرد الا ما وارى عورتي، وأما اعقل ما اصنع.

وأنشد المجنون:

كأن على أنيابها الخمر[403] شجها بماء الندى في آخر الليل[404] غابق

وما ذقتها الا بعين تفرساً كما شيم[405] من اعلى السحابة بارق

ويدعى هذا الشعر لنصيب

وقيل: لما اختلط عقل المجنون وترك الطعام والشراب، مضت أمه الى ليلى فقالت لها: ام قيساً قد ذهب حبك بعقله، وترك المطعم والمشرب، فلو جئته وقتاً لرجوت ان يثوب اليه بعض عقله، فقالت ليلى: أما نهاراً فلا، لاني لا آمن قومي على نفسي، ولكن ليلاً، فأتته ليلاً فقالت له: يا قيس ان امك تزعم انك جننت من أجلي، وتركت المطعم والمشرب، فأتق الله وابق على نفسك، فبكى وأنشأ يقول:

---

[400]- النحى: الزق الذي يوضع فيه السمن خاصة.

[401]- في بعض أصول الأغاني: (ببردتي).

[402]- العطبة: خرقة تؤخذ بها النار.

[403]- شجها: مزجها.

[404]- الغابق: الساقي في الغبوق، أي العشي.

[405]- شام: نظر.

قال جننت على رأسي[٤٠٦] فقلت لها الحب أعظم مما بالمجانين

الحب ليس يفيق الدهر صاحبه وانما يصرع المجنون في الحين

قال : فبكت معه: وتحدثا حتى كاد الصبح يسفر، ثم ودعته وانصرفت، فكان آخر عهده بها.

وقيل : إنما سمي المجنون يقول:

ما بال قلبك يا مجنون قد خلعا من حب من لا ترى في نيله طعماً

الحب والود نيطاً بالفؤاد لها فاصبحا في فؤادي نائيتين معاً

ومن قوله في جنونه:

يسمونني المجنون حتى يرونني نعم بي من ليلى الغداة جنون

ليالي يزهى بي شباب[٤٠٧] وشره واذ بي خفض المعيشى لين

وقيل: بل سمي المجنون بقوله :

واني لمجنون بليلى موكل ولست عزوفاً[٤٠٨] عن هواها ولا جلداً

---

[٤٠٦] ـ كذا في الأصل وبعض أصول الأغاني وتزيين الأسواق. وفي سائر أصول الأغاني: (على أيش) أي على أي شيء. قال الخفاجي: إنها سمعت من العرب، ووردت في شعر قديم.

[٤٠٧] ـ الشرة: نشاط الشباب.

[٤٠٨] ـ العزوف: المنصرف عن الشيء زهداً فيه أو كراهية له.

اذا ذكرت ليلى بكيت صبابة لتذكارها حتى يبل البكاء الخدا

وقيل بقوله:

وبي من هوى ليلى الذي لو ابثه جماعة اعدائي بكت لي عيونها

ارى النفس عن ليلى ابت ان تطيعني فقد جن من وجد[٤٠٩] بليلى جنونها

وقيل بقوله:

يقول اناس عل مجنون عامر يروم سلوا قلت اني لما بيا

وقد لامني في حب ليلى قرابتي اخي وابن عمي وابن خالي وخاليا

يقولون ليلى اهل بيت عداوة بنفسي ليلى من عدو وماليا

وقال ايضاً:

وشغلت عن فهم الحديث سوى ما كان منك فانه شغلني

واديم لحظ محدثي ليرى ان قد فهمت وعندكم عقلي

وقال ايضاً:

الا ما لليلة لا ترى عند مضجعي بليل ولا يجري بذلك طائر

بلى ان عجم الطير تجري اذا جرت بليلى ولكن ما لذلك زاجر

أزالت عن العهد الذي كان بيننا بذي الأيك[٤١٠] أم قد غيرتها المقادر

---

[٤٠٩]- في بعض أصول الأغاني: (وجدي).

[٤١٠]- وهي رواية تزيين الأسواق أيضاً (ص ٧٩). وفي بعض أصول الأغاني: (بذي الأثل).

فوالله ما في القرب لي منك راحة ولا البعد يسليني ولا أنا صابر

ووالله ما أدري بأية حيلة وأي مرام أو خطار[411] أخاطر

وتالله ان الدهر في ذات بيننا عليّ لها في كل حال لجائر

فلو كنت أذا ازمعت هجري تركتين جميع[412] القوى والعقل مني وافر

وقد أصبح الود الذي كان بيننا أماني نفس والمؤمل حائر

لعمري لقد زنقت[413] يا أم مالك حياتي وساقتني إليك المقادر

وقال أيضاً:

نهاري نهار الناس حتى إذا بدا لي الليل هزتني اليك المضاجع

أقضي نهاري بالحديث وبالمنى ويجمعني والهم بالليل جامع

لقد ثبتت في القلب منك مودة كما ثبتت في الراحتين الأصابع

وقال أيضاً:

أظن هوها تاركي[414] بمضلة من الأرض لا مال لدي ولا أهل

ولا أحد أثضي إليه[415] وصيتي ولا صاحب الا المطية والرحل

---

[411] - الخطار: الرهان. وأخاطر: أراهن.

[412] - جميع: مجتمع.

[413] - رنقت: كدرت.

[414] - المضلة، بفتح وكسرها: المكان يضل فيه الإنسان.

محا حبها حب الألى كن قبلها وحلت محلاً لم يكن حل من قبل

وقبل: زوجت رجلاً من ثقيف، فقال:

دعوت إلهي ما جلهتها وربي بما تخفي الصدور[416] خبير

لئن كنت تهدي برد انيابها العلا لافقر مني انني لفقير

فقد شاعت الاخبار ان قد تزوجت فهل ياتين بالطلاق يثير

وقال ايضاً:

الا تلك ليلى العامرية اصبحت تقطع الا من ثقيف جبالها

هم حبسوها محبس البدن وانتعى بها المال اقوام الا قل مالها

وجعل يمر ببيتها ولا يسال عنها ولا يلتفت اليه ويقول اذا جاوزه:

الا ايها البيت الذي لا ازوره وان حله شخص الي حبيب

هجرتك اشفاقاً وزرتك خائفاً وفيك عليّ الدهر منك رقيب

ساستعيب الايام فيك لعلها بيوم سرور في الزمان تؤوب

وبلغه ان اهلها يريدون نقلها الى زوجها الثقفي فقال:

كان القلب ليلة قيل يغدى بليلى العامرية او يراح

قطاه عزها[417] شرك فباتت تجاذبه وقد علق الجناح

---

[415] ـ أقضي غليه وصيتي: أنهيها إليه وأبلغه إياها.. وفي الأصل: (أفضى) بالفاء، وهو مما يتعدى بالباء.

[416] ـ في الأصل (قدير) مكان (خبير).

فلما نقلت الى الثقفي قال:

طريت وشاقتك الحمول الدوافع   عداة دعا بالبين اسفع[418] نازع

شحا فاه نعبأ بالفراق كانه   خريب بازح الدار[419] جازع

فقلت الا قد بين[420] الامر فانصرف   فقد راعنا باللبين قبلك رائع

سقيت سماماً من غراب فانني   تبينت ما خبرت مد انت[421] واقع

الم تر اني لا محب الومه   ولا ببديل بعدهم انا قابع

وقد يتناءى الإلف من بعد قربه   ويصدع ما بين الخليطين صادع

وكم من هوى او جيرة قد ألفتهم   زماناً فلم يمنعهم البين مانع

ومنها

فلما استوت تحت الخدور وقد جرى   عبير ومسك بالعرانين[422] رادع

اشرن بأن حثوا الجمال فقط بدا   من الصيف يوم لافح الحر[423] مانع

---

[417]- عزها: غلبها.

[418]- الحمول: أي الإبل التي عليها الهوادج. والدوافع: المندفعة في السير. والأسفع: الأسود. والنازع: المسرع، يريد غراباً.

[419]- شحا فاه: فتحه والنعب: الصياح والتصويت. والحريب: المسلوب. وفي الأصل (غريب) مكان (سليب).

[420]- بين الأمر: تبين.

[421]- واقع: قد حط على مكان.

[422]- رادع: أي مردوع به الجسد والثوب، أي ملطخ.

[423]- مانع: طويل.

فلما لحقنا بالحمول تباشرت بنا مقصرات غاب عنها المطالع

تعرضن[٤٢٤] بالدل المليح وان يرد جناهن مشغوف فهن موانع

فقلت لاصحابي ودمعي مسبل وقد صدع الشمل المشتت صادع

أليلى بأبواب الخدور تعرضت لعيني أم قرن من الشمس طالع

وقيل: كان المجنون وليلى، وهما صبيان، يرعيان غنماً لأهلهما عند جبل في بلادهما، يقال له : التوباد[٤٢٥] فلما ذهب عقله وتوحش كان يجيء الى ذلك الجبل فيقيم فيه، فإذا تذكر زمن[٤٢٦] كان يطيف به هو وليلى جزع واستوحش، وهام على وجهه حتى يأتي نواحي الشام، فإذا ثاب اليه عقله رأى بلداً لا يعرفه، فيقول للناس الذين يلقاهم، يأبي انتم! أين التوباذ من ارض بني عامر؟ فيقال له : واين انت من ارض بني عامر؟ أنت بالشام، عليك بنجم كذا فأمه. فيمضي على وجهه نحو ذلك النجم، حتى يقع بأرض اليمن، فيرى بلاداً ينكرها وقوماً لا يعرفهم، فيسألهم التوباذ وأرض بني عامر، فيقولون له : وأين انت من ارض بني عامر ! عليك بنجم كذا وكذا . ولا يزال كذلك حتى يقع على التوباذ، فإذا رآه قال:

وأجهشت[٤٢٧] للتوباذ حين رأيته وكبر للرحمن حين رآني

وادريت دمع العين لما عرفته ونادى باعلى صوته فدعاني

---

[٤٢٤]- في بعض أصول الأغاني: (يعرضن).

[٤٢٥]- كذا في ياقوت، وضبطه البكري بالدال المهملة، وهو جبل بنجد.

[٤٢٦]- في بعض أصول الأغاني: (أيام).

[٤٢٧]- أجهش: تهيأ للبكاء.

فقلت له قد كان حولك جيره وعهدي بذاك الصرم منذ زمان

فقال مضوا واستودعوني حديثهم ومن ذا الذي يبقى على الحدثان

واني لابكي اليوم من حذري غدا فراقك والحياة مؤتلفام

سجالا وتهتاناً ووبلاً وديمة وسحا وتسكابا[٤٢٨] الى هملان

وقيل: انه لما قال المجنون

خليلي لا والله لا املك الذي قضى الله في ليلى ولا ما قضى ليا

قضاها لغير وابتلاني بحبها فهلا بشيئ غير ليلى ابتلانيا

مرض

وقال المجنون ايضاً

واحبس عنك النفس والنفس صبة بذكراك والممشى اليك قريب

مخافة ان يسعى الوشاة بظنة واحرسكم ان يستريب مريب

لقد جعلت نفسي – وانت اجترمتها[٤٢٩] وكنت اعز الناس – عنك تطيب

فلو شئت لم اغضب عليم ولم يزل لك الدهر مني ما حييت نصيب

---

[٤٢٨]- في الأصل (وتنهملان: مكان (إلى هملان). وما أثبتناه من الديوان.

[٤٢٩]- الاجترام: الصرم والقطيعة. يريد: وأنت قطعتني وهجرتني. والاجترام أيضاً: كسب الذنب. يريد: اجترمت هذه القطيعة، أو هذه الفعال من استماعك إلى الوشاة. وفي بعض أصول الأغاني: (اجترمه). يريد: الذنب، أي استماعك إلى الوشاة والرواية في الأصل: (اخترمنها). بالخاء. والاخترام: الاستئصال والاقتطاع. يريد وصف العناء الذي بلغ به مبلغ هذا.

قلت : واستطرج ابو الفرج بحكاية ليست من اخبار المجنون طريفة تتعلق بقوله،

لقد جعلت وانت اجترمتها[٤٣٠] وكنت اعز الناس عنك تطيب

وهي حكى[٤٣١] ابو الحسن البيغاء[٤٣٢] قال : بينا أنا وصديق لي من قريش تمشي بالبلاط[٤٣٣] أذا بظل نسوة في القمر، فسمعت إحداهن تقول : هو هو؟ فقال لها أخرى معها، اي والله لهو هو ! فدنت مني ثم قالت : يا كهل، قل لهذا الذي معك:

ليست لياليك في خاخ[٤٣٤] بعائدة كما عهدت ولا أيام ذي سلم

فقلت : أجب فقد سمعت: فقال: قد والله قطع بي وأرتج عليّ، فأجب عني، فقلت:

فقلت لها يا عز كل مصيبة إذا وطنت يوماً لها النفس ذلت

ثم مضيا حتى اذا كنا في مفترق طريقين، مضى الفتى الى منزله ومضيت الى منزلي، فإذا أنا بجويرية تجذب ردائي، فالتفت، فقالت (لي) المرأة التي كلمتها تدعوك فمضيت معها، حتى دخلت داراً واسعة، ثم صرت الى بيت فيه حصير، وقد ثنيت لي فيه وسادة، فجلست عليها، ثم جاءت الجارية بوسادة مثنية فطرحتها، ثم جاءت المرأة فجلست عليها، وقالت لي: انت المجيب؟ قلت نعم، قالت: ما كان أفظ جوابك وأغلظه ! فقلت: ما حضرني غيره، فسكتت ثم قالت : ما خلق الله خلقاً أحب إليّ من انسان كان معك ! فقلت : انا الضامن لك عنه ما تحبين . فقالت: هيهات ان يقع بذلك وفاء! فقلت: أنا الضامن وعليّ ان اتيك به

---

[٤٣٠]- وفي الأصل (اخترمنها). وانظر الحاشية (٣ ص ١٧٢) من هذا الجزء.

[٤٣١]- في بعض أصول الأغاني: (حدث).

[٤٣٢]- في الأصل (الينبعي).

[٤٣٣]- البلاط: موضع المدينة.

[٤٣٤]- في بعض أصول الأغاني: (جمع) وهي المزدلفة.

الليلة القابلة، قال: فانصرفت، فإذا الفتى ببابي، فقلت: ما جاء بك؟ فقال ظننت إنها سترسل اليك، وسألت عنك فلم أعرف لك خبراً، فظننت انك عندها، فجلست أنتظرك، فقلت: قد كان الذي ظننت، وقد وعدتها أن آتيك فأمضي بك إليها رحلنا إليها، فإذا الجارية منتظرة لنا، فضمت أمامنا حين رأتنا، حتى دخلت الدار، ودخلنا معها، فإذا رائحة طيبة ومجلس قد اعد ونضد، فجلسا على واسائد قد ثنيت وجلست ملياً ثم اقبلت عليه تعابته ملياً ثم قالت:

وانت الذي اخلفتني ما وعدتني   واشمت بي من كان فيك يلوم

ويابرزتني للناس ثم تركتني   لهم عرضاً ارمى وانت سليم

فلو كان قول يكلم الجلد قد بدا   بجلدي من قول الوشاة كلوم

والابيات لصاحبه اين الدمينة وهي اميمة قال ثم سكتت وسكت الفتى هنيهة ثم قال:

غدرت ولم اغدر وجخنت ولم اخن   وفي بعض هذ ا للمحب عزاء

جزيتك ضعف الود ثم صرميني   فحلك من قلبي اليك اداء

فالتفتت الى وقالت الا تسمع ما يقول قد خبرتك! قال: فغمرته ان كف فكف ثم اقبلت عليه، وقالت:

تجاهلت وصلي حين لجت[٤٣٥] عمامتي   فهلا صرمت الحبل اذ انا ابصر

ولي من قوى الجبل الذي قطعته   نصيب وا راي جميع[٤٣٦] مؤثر

---

[٤٣٥] ـ لجت: دامت وبقيت.

ولكنما اذنت بالصرم بغتة ولست على مثل الذي جئت اقدر

فقال

لقد جعلت نفسي وانت[٤٣٧] احترمتها وكنت اعز الناس عنك تطيب

قال فبكت ثم قالت اوقد طابت نفسك لا ! والله ما فيك بعد هذا ثم التفت الي فقالت قد علمت انك لا تفي بضمانك ولا يفي (به) عنك.

ومما قاله المجنون

يضم الى الليل اطراف حبكم كما ضم ازرار القميص البنائق

وماذا عسى الواشون ان يتحدثوا سوى ان يقولوا انني لم عاشق

نعم صدق الواشون انت حبيبة الى وان لم تصف منك الخلائق

وقيل: دخلت ليلى على جارة لها من عقيل، وفي يدها مسواك تستاك به، فتنفست ثم قالت: سقي الله من أهدى لي هذا المسواك ! فقالت لها جارتها: من هو؟ قالت : قيس بن الملوح. ثم نزعت ثيابها تغتسل، فقالت: ويحة ! لقد علق به مني ما اهلكه من غير ان استحق[٤٣٨] ذلك، فنشدتك الله، أصدق في صفتي ام كذب؟ فقالت: لا والله، بل صدق. وبلغ المجنون قولها فبكى، ثم أنشأ يقول:

---

[٤٣٦]- في الأصل: (الجميع).

[٤٣٧]- في الأصل (اخترمنها). وانظر الحاشية (رقم ٣ ص ١٧٢) من هذا الجزء.

[٤٣٨]- في الأصل (يستحق).

نبئت ليلى وقد كنا[٤٣٩] نبخلها قال سقي الله غيثاً منزلاً خرباً
وحبذا راكب كنا نهن له يهدي لنا من أراك الموسم القضبا
قالت لجارتها يوماً تسائلها لما استحق والقت عندها[٤٤٠] السلبا
يا عمرك[٤٤١] الله الا قلت صادقة اصدقت صفة المجنون ام كذبا

وذكر رجل من بني عامر قال:

مطرنا مطراً شديداً في ربيع ارتبعناه، ودام المطر ثلاثاً، ثم اصبحنا في اليوم الرابع على صحو، وحرج الناس يمشون على الوادي، فرأيت رجلاً جالسكاً حجرة[٤٤٢] وحده فقصدته فإذا هو المجنون جالس وهو يبكي، فوعظته وكلمته طويلاً، وهو ساكت، ثم رفع رأسه الى وأنشدني بصوت حزين، لا أنساه أبداً وحرقته:

جرى السيل فاستبكاني السيل اذا جرى وفاضت له من مقلتي[٤٤٣] غروب
وما ذاك الا حين خيرت انه يمر بواد انت منه قريب
يكون أجاجاً دوتكم فاذا انتهى اليكم تلقى طيبكم فيطيب
أضل غريب الدار في ارض عامر الا كل مهجور هناك غريب
وان الكئيب الفرد من جانب الحمى الي وان لم آته لحبيب

---

[٤٣٩]- في الأصل (نبجلها) مكان (نبخلها).
[٤٤٠]- السلب: كل ما على الإنسان من ثياب.
[٤٤١]- في الأصل (أعمرك).
[٤٤٢]- حجرة: ناحية.
[٤٤٣]- الغروب: الدموع.

فلا خير في الدنيا اذ انت لم تزر حبيباً ولم يطرب اليك حبيب

واول هذه القصيدةن

الا ايها البيت الذي لا ازروه وهجرانه منى اليه ذنوب

هجرتك مشتاقاً وزرتك خائفاً وفيك عليّ الدهر منك رقيب

ستشتعطف الايام فيك لعلها بيوم سرور في هواك[٤٤٤] تثيب

لئن حال ياس دون ليلى لربما على شرف للناظرين يريب

صددت واشمت العدو بصرمنا اثابك يا ليلى الجراة مشيب

وقد روي البيتان الاولان لمحمد بن امية

وذكر ان المجنون مر في بعض توحشه فصادف حتى ليلى راحلاً ولقيها فجاة فعرفها وعرفته، فصعق وسقط على وجهه واقبل فتيان من حي ليلى فاخذوه ومسحوا التراب عن وجهه واسندوه الى صدورهم وسالوا ليلى ان تقف له وقفة فرقت لما به وقالت اما هذا فلا يجوز ان افتضح به، ولكن يا فلانه لامة لها اذهبي الى قيس فقولي له، ليلى تقرا عليم السلام وتقول لك اعزز عليّ بما انت فيه ولو وجدت سبيلاً الى شفاء دائك لوقيتك بنفسي منه فمضت الوليدة اليه فاخبرته بقولها فافاق وجلس وقال ابلغيها السلام وقولي هيهات ان دائي ودوائي انت، وان حياتي ووفاتي لفي يديك ولقد وكلت بي شقاء لازماً وبلاء طويلاً ثم بكى وانشا يقول.

اقول لاصحابي هي الشمس ضوءها قريب ولكن في تناولها بعد

لقد عارضتنا الريح منها بنفحة على كبدي من طيب ارواحها برد

---

[٤٤٤]- في الأصل (تنيب) مكان (تثيب).

فما زلت مغشياً عليّ وقد مضت   اناة[٤٤٥] وما عندي جواب ولا رد
أقلب بلأيدي وأهلي[٤٤٦] بعولة   يفدونني او يستطيعون ان يفدوا
ولم يبق الا الجلد والعظم عارياً   ولا عظم لي ان دام ما بي ولا جلد
ادنياي مالي في انقطاعي[٤٤٧] وغربتي   اليك ثواب منك دين ولا نقد
وقد يبتلى قوم ولا كبليتي   ولا مثل جدي[٤٤٨] في الشقاء بكم جد
غزتني[٤٤٩] جنود الحب من كل جانب   اذا حان من جند قفول[٤٥٠] اتى جند

وحكى نوفل بن مساحق قال:

قدمت البادية فسألت عن المجنون، فقيل: توحش وما لنا به عهد، ولات ندري الى اين صار، فخرجت يوماً أتصيد الأروى[٤٥١]، ومعي جماعة من اصحابي، حتى اذا كنت بناحية الحمى، إذا نحن بأراكة[٤٥٢] عظيمة، وقد بدا منها قطيع ظباء، وفيها شخص انسان يرى من خلل تلك الأراكة[٤٥٣]، فعجب اصحابي من ذلك، فعرفته واتيته وعرفت انه المجنون الذي اخبرت عنه، فنزلت عن دابتي وتخففت من ثابي وخرجت امشي رويداً، حتى اتيت الاراكة، فارتقيت حتى

٤٤٥- الأناة: الانتظار.

٤٤٦- العولة: رفع الصوت بالبكاء.

٤٤٧- في الأصل (رغبتي).

٤٤٨- الجد: الحظ والنصيب. وفي الأصل (وجدي... وجد).

٤٤٩- في الأصل (عرتني).

٤٥٠- القفول: الرجوع.

٤٥١- الأروى: الوعول، وهي تيوس الجبل، الواحدة: أروية.

٤٥٢- الأراكة: من الأشجار الكثيرة الورق والأغصان. تتخذ المساويك من أغصانها.

٤٥٣- في الأصل (ذلك الأرك).

صرت في اعلاها، واشرفت عليه وعلى الظباء، فاذا به قد تدلى الشعر على وجهه، فلم اكد اعرفه الا بعد تأمل شديد، وهو يرتعي من ثمر تلك الاراكة، فرفع راسه، فتمثلت ببيت من شعره:

اتبكي على ليلى ونفسك باعدت مزارك من ليلى وشعباكما معا

قال: فنفرت الظباء، واندفع في باقي القصيدة ينشدها، فما انسى (حسن) نغمته وحسن صوته، وهو يقول:

فما حسن أن تأتي الأمر طائعاً وتجزع أن داعي الصبابة أسمعا

بكت عيني اليُسرى فلما زجزتها عن الجهل بعد الحلم أسبلتا معا

وأذكر أيام الحمى ثم أنثني على كبدي من خشية أن تصدعا

فليست عشيات الحمى برواجع عليك ولكن خل عينيك تدمعا

معي كل غر قد عصى عاذلاته بوصل الغواني من لدن أن ترعرعا

إذا راح يمشي في الرداءين أسرعت إليه العيون الناظرات التطلعا

قال: فسقط مغشيا عليه. فتمثلت بقوله:

يا دار اليل بسقط[٤٥٤] الحي قد درست إلا النمام[٤٥٥] وإلا موقد النار

ما تفتا الدهر من ليلى تموت كذا في موقف وقفته أو على دار

أبلى عظامك بعد اللحم ذكركها كما ينجب قدح الشوحط[٤٥٦] الباري

---

[٤٥٤] - سقط الحي، أي حيث انقطع الرميل ورق.

[٤٥٥] - الثمام: نبت من نبات البادية لا يطول، وكانوا يسدون به خصائص البيوت.

فرفع رأسه إلي وقال: من أنت حياك الله؟ فقلت: أنا نوفل بن مساحق. فحياني. فقلت له: ما أحدثت بعدي في يأسك منها؟ فأنشدني:

ألا حجبت ليلى وآلى أميرها   علي يميناً جاهداً لا أزورها

وأوعدني فيها رجال أبوهم   أبي وأبوها خشنت لي صدورها

على غير جرم غير أني أحبها   وأن فؤادي رهنها وأسيرها

قال: ثم سنحت له الظباء، فقام يعدو في آثارها حتى مضى معها.

وقيل: لما قال المجنون:

قضاها لغيري وابتلاني بحبها   فهلا بشيء غير ليلى ابتلانيا

نودي في الليل: أنت المتسخط لقضاء الله وقدره، والمعترض في أحكامه! واختلس عقله، وتوحش منذ تلك الساعة، وذهب مع الوحش على وجهه.

وهذا البيت من قصيدة منها الابيات فيها الغناء، وافتتح بها ابو الفرج اخبار المجنون، وهي:

اذا ما طواك، الدهر يا ام مالك   نشات المنايا القاضيات وشانيا

تمر الليالي والشهور وتنقضي   وحيك لا يزداد الا تماديا

خليلي ان دارت على ام مالك   صروف الليالي فابغيا لي ناعيا

ولا تتركاني لا لخير معجل   ولا لبقاء تنظران بقائيا

ومنها:

---

[٥٥٦]- بنجب: بقشر. والقدح: السهم. والشوحط: ضرب من أشجار الجبال تتخذ منه القسى.

اعد الليالي ليلة بعد ليلة وقد عشت دهراً لا أعد اللياليا

أراني اذ صليت يممت نحوها بوجهي وان كان المصلي ورائيا

وما بي اشراك ولكن حبها كمثل[٤٥٧] الشجا اعيا الطبيب المداويا

احب من الاسماء ما وافق اسمها واشبهه او كان منه مدانيا

وخير تماني ان تيماء منزل لليلى اذا ما الصيف القى المراسيا

فهذي شهور الصيف عنا قد انقضت فما للنوى ترمي بليلى المراميا

فلوا كان واش باليمامة داره وداري باعلى حضر موت اهتدى ليا

وماذا لهم لا احسن الله[٤٥٨] حفظهم من الحظ في تصريم ليلى حباليا

فانت التي ان شئت اشقيت عيشتيوان شئت بعد الله انعمت باليا

وانت التي ما من صديق ولا عدا يرى نضو[٤٥٩] ما ابقيت الا رثى ليا

امضروبة ليلى على أن ازورها ومتخذ ذنباً لها ان ترانيا

اذا سرت في الارض الفضاء رأيتني اصانع رحلي ان تميل حياليا

يميناً اذا كانت يميناً وان تكن شمالاً ينازعني الهوى عن شماليا

هي السحر الا ان للسحر رقية وانني لا الفي[٤٦٠] كنفسي[٤٦١] راقياً

٤٥٧- في بعض أصول الأغاني: (كعود).

٤٥٨- في الديوان: (حالهم) مكان (حفظهم).

٤٥٩- نضوء: جسمه الذي أضناه الحب وأبلاه.

ومما يروي له

تكاد يدجي تندى اذا ما لمستها		وينبت في اطرافها الورق الخضر

اني القلب الا حبها عامرية		لها كنية عمرو وليس لها عمرو

وقيل:

مر رجل بالمجنون وهو جالس يخط في الارض ويعبث بالحصى، فسلم عليه وجلس عنده فاقبل يخاطبه ويعظه ويسليه وهو ينظر اليه ويعب بيده كما كان يعبث وهو يفكر قد غمره ما هو فيه فلما طال خطابه اياه قال له يا اخحي اما لكلامي جواب؟ فقال له والله يا اخي ما علمت انك كلمتني فاعذرني فاني كما ترى مذهوب بي وبكى ثم انشا يقول:

وشغلت عن فهم الحديث سوى		ما كان منك فانه شغلي

واديم لحظ محدثي ليرى		ان قد فهمت وعندكم عقلي

وقيل

مر المجنون بواد في ايام الربيع وحمامه يتجاوزب فانشا يقول:

الا يا حمام الايك ما لك باكياً		افارقت الفا ام جفاك حبيب

دعاك الهوى والشوق لما ترنمت		هتوف[٤٦٢] الضحى بين الغصون طروب

---

[٤٦٠]- في الأصل: (لا ألقى).

[٤٦١]- في بعض أصول الأغاني: (وإني لا ألفي لها الدهر راقياً).

[٤٦٢]- الهتوف: الحمامة تنوح.

تحجاوب ورقاً قد اذن[٤٦٣] لصوتها فكل لكل مسعد[٤٦٤] ومجيب

وقيل لما بلغ المجنون قبل توحشه ان زوج ليلى ذكهر وعضهه وشتمه وقال او بلغ من قدر قيس بن الملوك ان يدعي محبة ليلى وينوه باسمها فقال ليغيظه بذلك.

لئن كان فيكم بعل ليلى فإنني وذي العرش قد قبلت ليلى ثمانيا

واشهد عند الله اني رأيتها وعشرون منها اصبعاً من ورائيا

أليس في البلوى التي لا شوى[٤٦٥] لها بأن زوجت كلباً وما بذلت ليا

وقيل:

خرج المجنون من عدة من قومه يريدون سفراً لهم، فمروا في طريق يتشعب طريقين، احدهما ينزله رهظ ليلى، فسالهم ان يعدلوا معه في تلك الجهة، فأبوا، ومضى وحده، وقال:

أأترك ليلى ليس بيني وبينها سوى ليلة إني إذا لصبور

هبوني أمرأ منكم أضل بعيره له حرمة ان الذمام كبير

وللصاحب المتروك أعظم حرقة على صاحب من ان يضل بعير

عفا الله عن ليلى الغداة فإنها إذا وليت حكماً عليّ تجور

---

[٤٦٣] ـ أذن: استمعن وأصغين.

[٤٦٤] ـ مسعد: أي ينوح لنوح غيره.

[٤٦٥] ـ شوى لها، أي لا بقيا لها.

وذكر" ان المجنون كان ذات ليلة جالساً مع أصحاب له من بني عمه، وهو وله يتلظى وتململ، وهم يعظونه ويحادثونه، حتى هتفت حمامة من سرحة[٤٦٦]، كانت بإزائهم، فوثب قائماً، وقال:

لقد هتفت في جنح ليل حمامة   على إلقها تبكي وإني لنائم

كذبت وبيت الله لو كنت عاشقاً   لما سبقتني بالبكاء الحمائم

ثم بكى حتى سقط على وجهه مغشياً عليه، فما أفاق حتى حميت الشمس عليه من غده،

وذكر: أن نراً من اليمن مروا بالمجنون، فوقفوا ينظرون اليه، فأنشأ يقول:

الا أيها الركب اليمانون عرجوا   علينا فقط امسى هوانا يمانياً

نسائكم هل سال نعمان بعدنا   وحب

علينا بطن نعمان وادياً

ومن هذه القصيدة:

ألا يا حمامي قصر ودان[٤٦٧] هجتما   علي الهوى لما تغنيتما ليا

وأبكتماني وسط صحبي ولم أكن   أبالي دموع العين لو كنت خاليا

ألا يا خليلي حب ليلى مجشمي   جياض المنايا أو مقيدي[٤٦٨] الأعاديا

فيأيها القمريتان تجاوبا   بلحنيكما ثم اسجعا عللانا

---

[٤٦٦]- السرحة: من الشجر الذي لا شوك فيه، وقيل: هو شجر يطول.

[٤٦٧]- انظر الحاشية (رقم ١ ص ١٠٨) من هذا الجزء.

[٤٦٨]- مقيدي الأعاديا، أي جاعل قيادي في يد الأعداء.

فإن أنتما استطربتما[٤٦٩] واردتما لحاقا بأطراف الغضى فاتبعانيا

ذكر انه لما بلغ المجنون أن زوج ليلى قد أزمع الرحيل إلى بلده، قال:

أمزمعه للبين ليلى ولم تمت كأنك عما قد أظلك غافل

ستعلم إن شطت بهم غربة النوى وزالوا بليلى أن لبك زائل

وقيل:

مر المجنون برجلين قد صادرا ظبية، فربطاها بحبل وذهبا بها، فلما نظر إليها وهي تركض في حبالهما دمعت عيناه وقال لهما: حلاها وخذا مكانها شاة من غنمي –وقيل: بل خذا مكانها قلوصاً من إبلي- فأعطاهما، وحلاها. فولت تعدو هاربة. وقال المجنون للرجلين حين رآها في حبالهما:

يا صاحبي اللذين اليوم قد أخذا في الحبل سبها لليلى ثم[٤٧٠] غلاها

إني أرى اليوم في أعطاف شاتكما مشابها أشبهت ليلى فحلاها

وقال فيها وقد نظر إليها تعدو أشد عدو هاربة مذعورة:

أيا شبه ليلى لا تراعي فإنني لك اليوم من وحشية لصديق

ويا شبه ليلى لو تلبثت ساعة لعل فؤادي من جواه يفيق

نفر وقد أطلقتها من وثاقها فأنت لليلى لو علمت طليق

وذكر أن نسوة جلسن إلى المجنون فقلن له: ما الذي دعاك إلى أن أحللت بنفسك كل ما نرى في هوى ليلى، وإنما هي امراة من النساء؟ وهل لك في ان

---

[٤٦٩]- استطربتما: طلبتما الطرب.

[٤٧٠]غلاها: وضعا الغل في عنقها.

تصرف[٤٧١] هواك الى احدانا فنساعفك ونجزيك بهواك، ويرجع اليك ما عزب من عقلك وجسمك؟ فقال لهن: او قدرت على صرف الهوى عنها اليكن لصرفته عنها وعن كل احد بعدها، وعشت في الناس سوياً مستريحاً، فقلن له: فيما أعجبك منها؟ قال : كل شيء رأيته وسمعته وشاهدته منها اعجبني، والله ما رأيت شيئاً منها قط الا كان في عيني حسناص، ويلقي علقاً، ولقد جهدت ان يقبح عندي منها شيئ، او يسمج او يعاب، لأسلو عنها فلم أجده، فقلن له: فصفها فأنشأ يقول:

بيضاء خالصة البياض كأنها   قمر توسط جنح ليل مبرد
موسومة بالحسن ذات حواسد   ان الجمال مطنة للحسد
وترى مدامعها ترقرق مقلة   سوداء ترغب عن سواد الاثمد
خود[٤٧٢] اذا كثر الكلام تعوذت   بحمى الحياء وان تلكم تقصد

وأنشد ابن الاعرابي هذا الشعر ثم قال: هذا والله من حسن الكلام ومنقح[٤٧٣] الشعر !

وقيل:

قال رجل من عشيرة المجنون له : اني اريد الالمام بحي ليلى، فهل تودعني اليها شيئاً؟ قال: قف بحيث تسمعك ثم قل:

الله يلعم ان النفس قد هلكت   باليأس منك ولكني[٤٧٤] اعزيها

[٤٧١]ـ في الأصل (نصرف) بالنون.

[٤٧٢]ـ الخود: الفتاة الحسنة الخلق ما لم تصر نصفاً.

[٤٧٣]ـ في الأصل (وغنج).

[٤٧٤]ـ في بعض أصول الأغاني: (أعنيها).

منيتك النفس حتى قد أضر بها واستيقنت[475] خلقاً مما امنيها

وساعة منك الهوها وان قصرت اشهى اليّ من الدنيا وما فيها

فمضى الرجل ولم يترقب خلوة حتى وقف على ليلى فقال، يا ليلى، لقد أحسن الذي يقول:

الله يعلم أن النفس قد هلكت

وأنشدها الأبيات. فبكت بكاء طويلاً، ثم قالت: أبلغه السلام وقل له:

نفسي فداؤك لو نفسي ملكت إذاً ما كان غيرك يجزيها ويرضيها

صبراً على ما قضاه الله فيك على مرارة في اصطباري عنك أخفيها

فأبلغه الفتى البيتين وأخبره بحالها. فبكى حتى سقط على وجهه مغشياً عليه، ثم أفاق وهو يقول:

عجبت لعروة العذري أضحى أحاديثا لقوم بعد قوم

وعروة مات موتاً مستريحاً وها أنا ميت في كل يوم

وقيل:

سأل الملوح، أبو المجنون، رجلاً قدم من الطائف أن يمر بالمجنون فيجلس إليه ويخبره أنه لقي ليلى وجلس إليها، ووصف له صفات منها ومن كلامها يعرفها المجنون، وقال: حدثه بها، فإذا رأيته اشراب لحديثك واشتهاه فعرفه أنك ذكرته لها ووصفت ما به فشتمته وسبته وقالت: إنه يكذب عليها ويشهر بها يفعله، وإنها ما اجتمعت معه قط كما يصف. ففعل الرجل ذلك، وجاء إليه فأخبره بلقائه

---

[475]- في الأصل (وأبصرت).

لها. فأقبل عليه وجعل يسأله عنها، فيخبره بما أمره به الملوح، فيزداد نشاطاً ويثوب إلى عقله، إلى أن أخبره بسبها إياه وشتمها له. فقال، وهو غير مكترث لما حكاه عنها:

تمر الصبا صفحاً بساكن ذي[٤٧٦] الحمى ويصدع قلبي أن يهب هبوبها

إذا هبت الريح الشمال فإنما جواي بما تهدي[٤٧٧] إليه جنوبها

قريبة عهد بالحبيب وإنما هوى كل نفس حيث حل حبيبها

وحسب الليالي أن طرحنك مطرحاً بدار قلى تمسي وأنت غريبها

حلال لليلى شتمنا وانتقاصنا هنيئاً ومغفور لليلى ذنوبها

وذكر انه خرج رجل من بني مرة الى ناحية الشام والحجاز، وما يلي تيماء[٤٧٨] والسراة[٤٧٩] وارض نجد، في طلب بغية له، فإذا هو بخيمة قد رقعت له، وأصابه المطر فعدل اليها وتنحنح، فإذا امراة قد كلمته وقالت: انزل، فنزل، وراحت إبلهم وغنمهم، فإذا امر عظيم، فقالت: سلوا هذا الرجل من اين أقبل، فقلت من نايحة يهامة ونجد، فقال ادحل ايها الرجل، فدخلت الى ناحية الخيمة، فارخت بيني وبينها ستراً، ثم قالت: يا عبد الله، اي بلاد نجد وطئت؟ فقلت : كلهاً، قالت: فيمن نزلت هناك : قلت ببني عامر، فتنفست الصعداء ثم قالت: فبأي بني عامر نزلت؟ ببني الحريش. فاستعبرت ثم قالت: هل سمعت بذكر فتى منهم يقال له : قيس بن الملوح، ويلقب بالمجنون؟ قلت بلى والله، وعلى أبيه نزلت، واتيته فنظرت اليه يهيم في تلك الفيافي ويكون مع الوحش ولا يعقل ولا يفهم، إلا ان

---

[٤٧٦]- في بعض أصول الأغاني: (الغضى) مكان (الحمى).

[٤٧٧]- في بعض أصول الأغاني: (إلى) مكان (إليه).

[٤٧٨]- تيماء: بليدة في أطراف الشام.

[٤٧٩]- السراة: أعلى الجبال التي تحجز بين تهامة ونجد.

تذكر له امراة يقال لها : ليلى، فيبكي وينشد اشعاراً فيها : قال: فرفعت الستر بيني وبينها، فاذا فلقة قمر لم تر عيني مثلها. فبكت حتى ظننت والله ان قلبها قد انصدع. فقلت : ايتها المرأة ! اتق الله"! فما قلت بأساً، فمكثت طويلاً على تلك الحال من البكاء والنحيب، ثم قالت:

الا ليت شعري والخطوب كثيرة   متى رحل قيس مستقل فراجع

بنفسي من لا يستقل بنفسه   ومن هو ان لم يحفظ الله ضائع

ثم بكت حتى سقطت مغشياً عليها. فقلت لها: من انت يا أمة الله؟ وما قصتك؟ قالت: انا ليلى صاحبة المشئومة والله عليك، غير المؤاسية له، فما رأيت مثل وجدها وحزنها عليه قط.

وقيل :

مر المجنون بعد اختلاطه بليلى وهي تمشي في ظاهر البيوت، بعد فقد لها طويل، فلما رآها سقط على وجهه مغشياً عليه، فانصرفت خوفاً من اهلها ان يلقوها عنده، فمكث كذلك ملياً ثم أفاق : وأنشأ يقول :

بكى فرحاً بليلى إذ رآها   محب لا يرى حسناً سواها

لقد ظفرت يداه وطاب عيشاً   لئن كانت تراه كما يراها

وذكر رجل من بني مرة أنه خرج إلى ارض بني عامر ليلقى المجنون، قال: فدللت على محلته فأتيتها[٤٨٠]، وإذا أبوه شيخ كبير وإخوة له رجال، وإذا نعم كثيرة وخير ظاهر، فسألتهم عنه. فاستعبروا جميعاً، وقال الشيخ: والله لهو كان نثر هؤلاء عندي وأحبهم إلي، وإنه هوى امرأة من قومه، والله ما كانت تطمع في مثله، فلما فشا أمره وأمرها، كره أبوها أن يزوجها منه بعد ظهور الخبر، فزوجها من غيره، فذهب عقل ابني ولحقه خبل، وهام في الفيافي وجداً عليها.

---

[٤٨٠]- في بعض أصول الأغاني: (المؤنسة). في الأصل (فأتيناه).

فحسناه وقيدناه، فكان يعض لسانه وشفتيه حتى خفنا عليه، فخلينا سبيله. فهو يهيم في هذ الفيافي مع الوحوش، يذهب كل يوم إليه بطعامو فيوضع حيث يراه، فإذا تنحوا عنه جاء وأكل منه. فسألتهم أن يدلوني [عليه. فدلوني] على فتى من الحي كان له صديقا، وقالوا: إنه لا يأنس إلا به ولا يأخذ أشعاره عن إلا هو. فأتيته فسألته أن يدلني عليه. فقال: إن كنت تريد شعره فكل شعر قال إلى أمس عندي، وأنا ذاهب إليه غداً، فإن كان قال شيئاً أتيتك به. فقلت: بل تدلني عليه لآتيه. فقال: إن نفر منك نفر مني فيذهب شعره. فأبيت إلا أن يدلني عليه. فقال: أطلبه في هذه الصحارى، فإذا رأيته فاذن منه مستأنساً ولا تره أنك تهابهن فإنه يتهددك ويتوعدك أن يرميك بشيء، فلا يروعنك، واصرف بصرك عنه والحظه أحياناً، فإذا يتهددك ويتوعدك أن يرميك بشيء، فا يروعنك ، واصرف بصرك عنه والحظه أحياناً، فإذا رأيته قد سكن من نفاره فأنشده شعراً غزلاً، وإن كنت تروي شعر قيس بن ذريح فأنشده إياه فإنه معجب به. فخرجت فطلبته يومي إلى العصر، فوجدته جالساً على رمل قد خط فيه بإصبعه خطوطاً، فدنوت منه غير منقبض، فنفر مني نفور الوحش من الإنس، وإلى جانبه أحجار، فتناول حجراً فأعرضت عنه، فمكث ساعة كأنه نافر يريد القيام. فلما طال جلوسي سكن فأقبل يخط بإصبعه، فأقبلت عليه فقلت: أحسن والله قيس بن ذريح حيث يقول:

الا يا غراب البين ويحك نبني ... بعلمك في ليلى وانت خبير

فان انت لم تخبر بشيء علمته ... فلا طرت والا والجناح كبير

ودرت باعداء حبيبك فيهم ... كما قد تراني للحبيب أدور

فاقبل عليّ وهو يبكي، فقال: أحسن والله، وانا احسن قولاً منه حيث أقول:

كأن القلب ليلى قبل بغدى ... بليلى العامرية او يراح

قطاة عزها شرك فباتت ... تجاذبه وقد علق الجناح

قال : فامسكت عنه هنيهة، ثم اقبلعت عليه فقالت : احسن والله قيس بن ذريح حيث يقول:

واني لمفن دمع عيني بالبكا ... حذار الذي قد كان او هو كائن

وقالوا عدا او بعد ذاك بليلة ... فراق حبيب لم يبن وهو يائن

وما كنت اخشى ان تكون منيتي ... يكفيك الا ان من[٤٨١] حان حائن

قال فبكى والله وحتى ظننت ان نفسه قد فاظت، وحتى رايت دموعه قد بلت الرمل الذي بين يديه، وقال : احسن لعمر الله، وانا والله اشعر منه حيث أقول:

وأدنيتني حتى ما سبيتني ... بقول يحل العصم سهل[٤٨٢] الأباطح

تناءيت عني حين لا لي حيلة ... وخلفت ما خلفت بين الجوانح

قال: ثم سنحت له ظبية فوثب يعدو خلفها حتى غاب عني، وانصرف وعدت من غد فطلبته فلم اجده، وجاءت امراة، تصنع له طعاماً، الى الطعام فوجدته بحاله، فلما كان في اليوم الثالث غدوت وجاء اهله معي فطلبناه يومنا، فلم نجده، وغدونا في اليوم الرابع نستقرئ أثره، حتى وجدناه في واد كثير الحجارة خشن وهو ميت بين تلك الحجارة، فاحتمله اهله فغسلوه وكفنوه ودفنوه.

٤٨١- في الديوان: (ما).

٤٨٢- العصم: جمع أعصم، وهو الوعل الذي ذراعيه بياض. يريد أن قولها يستنزل العصم من مساكنها في الجبال إلى الأباطح السهلة.

شعر الحب[٤٨٣]

وذكر الشيخ جمال الدين ابو الفرج ابن الجوزي[٤٨٤] في كتاب له يسمى "المفتاح" قال كان الشريف ابو جعفر بن مسعود بن المحسن البياضي[٤٨٥] رحمه الله محباً لجاريه من جواري بيت فخر الملك[٤٨٦] وكان قليلاً ما يفارقها وله فيها اشعار كثيرة فمنها (الطويل)

خليلي مرا بالعراق منادياً الا من راى قلباً من الوجد خالياً؟

فان انتما اعييتما في ابتعائه ولم تجداه فابغيا لي ناعيا

فمرضت وتوفيت فوجد عليها وجداً شديداً وحزن حزناً عظيناً، حتى مرض من ذلك مرضاً عظيماً فقال يرثها وهو اخر ما قاله (البسيط)

دع الوقوف على الاطلال والدمن فليس ينفع مسكون بلا سكن

اما تراني لا الوي على طلل بعد الفراق ولا اوي الى وطن

وكيف يانس قلبي بالديار وقد اصاب فيها الردى من كان يؤنسني

ان الذين اذاقوني فراقهم افنيت بعدهم دمعي من الحزن

لله من لعبت ايدي المنون به ضنا بما فيه ان يبقى على الزمن

---

[٤٨٣] ـ من كتاب منازل الأحباب ومنارة الألباب لشهاب الدين محمود بن سليمان الحلبي (٦٤٤-٧٢٥هـ) تحقيق د. محمد الديباجي.

[٤٨٤] ـ عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، أبو الفرج: علامة عصره في التاريخ والحديث، كثير التصانيف. مولده ووفاته ببغداد. له نحو ثلاث مئة مصنّف. توفي سنة ٥٩٧هـ ـ الأعلام (٣/٣١٦).

[٤٨٥] ـ مسعود بن عبد العزيز بن المحسن البياضي شاعر هاشمي من أهل بغداد، وغرف بالبياضي لكثرة لبسه الثياب البيضاء. توفي سنة ٤٦٨هـ الأعلام (٧/٢١٨).

[٤٨٦] ـ محمد بن علي بن خلف، أبو غالب، فخر الملك: وزير بهاء الدولة ابن عضد الدولة البُويهي. ولما توفي بهاء الدولة أقره ابنه سلطان الدولة على الوزارة، فأقام زمناً مرعياً الجانب، ثم صدرت منه هفوة، فقتله سنة ٤٠٧هـ الأعلام: (٦/٢٧٤).

جعلت روحي له من روحه عوضاً	مقيمة معه في ذلك الكفن
فصار كالحي اذا روحي تخل به	وصرت كالميت اذ لا روح في بدني
وكيف تصحب روحي بعده جسدي؟	وكان ان غاب تابى ان تصاحبني

وتوفي رحمة الله فثي الشهر الذي ماتت فيه.

وله (الطويل)

متى انا بالشكوى الى الناس بائح	فقد طال كتماني الهوى وهو لائح
وقد سئم العواد مما اجيبهم	اذا سألوا عن علتي انا صالح
فلما دنا مني الطبيب تطايرت	اليه بانفاسي شرار لواقح
فباعد عني شخصه ثم قال لي :	بجسمك نار قد حوتها الجوانح
فقلت: بعيد من لهيبي خموده	اذا كان في قلبي زناد وقادح[٤٨٧]
ولم اصل نيران الجوى بجناية	سوى ان نيراني من الفضل راجح
كما ان عود الهند لم يصل ناره	لشيء سوى ان طلب منه الروائح
الفت الضنى مما تطاول مكثه	فلوا بان عن جسمي بكته الجوائح
ولذ سهاد الليل عندي انه	لمر وطاب الدمع لي وهو مالح
وطال عليّ الليل حتى لقد بكت	على الفجر اطيار الصباح الصوادح

[٤٨٧]ـ الزناد والزند: العود الذي تحرك به النار لتتأجج، والقادح: ما يقدح النار أي يؤججها.

وحكى العتبي[٤٨٨] قال[٤٨٩] حدثني جبلة بن الاسود – وما رأيت شيخاً مثله – قال: ضلت لي ابل فخرجت في طلبها فجنني الليل ولم اصادقها فسمعت بالليل صوتاً كدت ان اسقط عن فرسي لحسنه وهو يتغنى بشعر كثير [٤٩٠] (الطويل)

وكنت اذا ما جئت ليلى ازورها[٤٩١] اری الارض تطوي لي ويدنو بعيدها

من الخفرات البيض ود جليسها اذا ما انقضت احدوثة لم تقيدها

فوالله ما ادري اذ انا جئتها اابرؤها من دائها ام ازيدها

فتبعت الصوت فاذا انا براع في اصل الجبل وقد الجا غنمه الى كهف فسلمت عليه فرد السلام وقال احسبك قد اضللت الطريق؟ قلت: قد كان ذلك واسترشده فقال انزل حتى تريح ظهرك وتبيت ليلتك وادلك على الطريق اذا اصبحت فنزلت فرحب بي واكرمني وعمد الى جاه فذبحها واحج ناراً وجعل يشوي ويلقي بين يدي ويحدثني في خلال ذلك، ومهد لي جانياً خالياً فلما كان من الليل سمعته يشكو الى شخص كان معه فارقت ليلتي فلما اصبحت طلبت الاذب فاباه وقال لي الضيافة ثلاثة اياي فاقمت عنده، وسالته عن اسمه ونسبه فانتسب لي فاذا هو رجل من عذرة من اشرفهم حسناً فقلت يا هذا ما الذي احلك هذا الموضع، فاخبرني انه كان يهوى بنت عم له وتهواه فخطبها الى ابيها فابى ان يزوجها منه لقلة حاله وانه زوجها رجلاً من كلاب فخرج بها من الحي واسكنها في موضعه ذلك وانه تبعها ورضي ان يكون لهم راعياً لتاتيه بنت عمه فيراها

---

[٤٨٨]- العتبي هو محمد بن عبيد الله، من بني عتبة بن أبي سفيان شاعر أديب كثير الأخبار، من أهل البصرة. قال ابن النديم: كان العتبي وأبوه سيدين فصيحين. توفي سنة ٢٢٨هـ. الأعلام (٢٥٩/٦).

[٤٨٩]- الخبر برواية أخرى وإسناد غير هذا في الأغاني (٨٤/٧-٨٦).

[٤٩٠]- الأغاني (٨٥/٧).

[٤٩١]- الأغاني: وكنت إذا ما جئتُ سعدى بأرضها...

وتراه وجعل يشكو الى صبابته بها حتى اذا جن الليل وحان وقت مجيئها رايته يتقلقل ويقوم ويقعد ثم وثب قائماً على قدميه وانشأ يقول (البسيط)

ما بال مية لا تاتي كعادتها اهاجها طرب ام صدها شغل

لكن قلبي لا يلهيه غيركم حتى الممات ومالي غيركم امل

لو تعلمين الذي بي من فراقكم لما اعتذرت ولا طابت لك العلل

نفسي فداؤك قد احللت بي سقماً تكاد من حره الاعضاء تنفصل

لو ان عادية منه على جبل لماد وانهد من اركانه الجبل

ثم قال: يا اخا بني عذره، مكانك حتى اعود اليك، فان بيني وبين بنت عمي غيظة[٤٩٢] ولا آمن عليها السبع، ثم غاب عني واقبل وعلى يده شيء محمول وقد علا شهيقه ونحيبه، فوضعه بين يدي، وقال : يا اخا بني عذرة، هذه بنت عمي ارادت ان تأتيني فاعترضها اسد فأكلها، ثم قال: على رسلك حتى أعود إليك، ومضى فابطأ ثم اقبل ورأس الأسد في يده وجعل ينكب على اسنانه ويقول: (الطويل)

ألا أيها الليث المجل بنفيه هبلت لقد جرت يداك لنا حزناً

وخلفتيني فردلاً وقد كنت الفاً وصيرت يطن الارض لي ولها سجناً

اقول لدهر خانني بفراقها معاذ الهي ان اكون له حذنا

---

[٤٩٢]- الظهر: هو الدابة التي تركب مثل الناقة والبعير.

ثم قال: يا اخا بني عذرة انك ستجدني بين يديك ميتاً، فإذا انا مت فاعمد إليّ والى ابنة عمي فأدرجنا في كفن واحد، واحفز لنا قبراً واحداً وافنا فيه واكتب عليه هذين البيتين: (البسيط)

كنا على ظهرها و الدهر ذو مهل والعيش يجمعنا والدار والوطن

ففرق الدهر بالتصريف الفتنا　　　فاليوم يجمعنا في بطنها الكفن

ثم رد الغنم على صاحبها واعلمه بقصتنا، فلما اصبحت وجدته ميتاً ففعلت ما امرني به، ورددت الغنم على صاحبها واعلمته القصة فحزن حزناً شديداً اشفقت منه عليه[٤٩٣] أسفاً على ما فرط من اجتماعهما.

الشريف المرتضى[٤٩٤] (السريع)

قالت والقت نفسها من عل　　　قولاً لها في مثله الفصل:

قتلي لنفسي هكذا عامداً　　　احمل بي في الحب يا جمل

---

[٤٩٣] - الغيضة: الموضع الذي تكثف فيه الأشجار وتلتف.

[٤٩٤] - الشريف المرتضى: علي بن الحسين: من أحفاد الحسين بن علي بن أبي طالب، وأحد الأئمة في علم الكلام والأدب والشعر. هو أخو الشريف الرضي. مولده ووفاته ببغداد. له تصانيف كثيرة. توفي سنة ٤٣٦هـ الأعلام : (٢٧٨/٤). ولم يرد البيتان في ديوان الشريف المرتضى (تحقيق: رشيد الصفار).

في مدح العشق وذمه[٤٩٥]

سألتني بعض المائلين الى الهوى، المصابين بسهام الصبابة والجوى – الساهرين في الليل الطويل الذوائب، الذين صرفوا على المحبة حبات قلوبهم الذوائب – عن مراتب العشق وضروبه، وقبائل الحب وشعوبه، وهزله وجده، وجزره ومده، وشواهد شهده وسمه، وما قيل في مدحه وذمه، فأجبته الى سؤاله، وجمعت بينه وبين آماله:

يقولون لي صفها فانت بوصفها خبير اجل عندي باوصافها علم[٤٩٦]

يا هذا ان اول العشق استحسان من يلائم الطبع من الجواري والغلمان، تحدث منه ارادة القرب والمودة، ثم يقوى الود فيكون حباً لا يمكن القلب رده، فإذا استحكمت المحبة في القلوب عادت هوى يهوي بصاحبه في اختيار المحبوب، ثم يصير عشقاً ثم تتيماً ثم يرجع ولها على العقول مخيماً، وهو طمع في القلوب يتولد، يعظم بالحرص على الطلب ويتأكد، يخفي عن الابصار، ويهيج باللجاج والتذكار، كامن بالثار في الحجر، والزهر في الشجر، ان قدحته اورى، وان سقيته اخرج نوراً:

العشق اول ما يكون مجانه[٤٩٧] فإذا تحكم صار شغلاً شاغلاً

فأما اوصافه الممدوحة فإنه جليس ممتع بمشاهدته واليف مؤنس بمنادمته مسالكه لطيفة، وممالكه شريفة، برق لامع، ونور ساطع، تستضيء به نواظر

---

[٤٩٥]- من كتاب نسيب الصبا في فنون الأدب القديم والمقامات الأدبية لابن حبيب الحلبي، تحقيق محمود فاخوري، حلب، دار القلم.

[٤٩٦]- البيت لابن الفارض (٦٣٢هـ).

[٤٩٧]- يعني مزاحاً وهزلاً.

العقول، ويفعل في الشمائل ما لا تفعله الشمول[498] ويتصل بجواهر النفوس، فيزيل عنها لبوس البوس[499] فرح بجول في الروح، وارتياح يغدو في القلب ويروح وسانح ينشر من البشر ما انطوى، وسرور ينساب في اجزاء القوى:

إذا أنت لم تطرب ولم تدر ما الهوى فكن حجراً من يابس الصخر جلمدا[500]

يطلق اللسان، ويشجع الجباة، ويصفي الاذهان، يولد الاخلاق الجميلة، ويرغب في اكتساب الفضيلة، ويفتح للبليد باب الحيلة ويرفع لواء الهمم، ويبعث على الحزم والكرم، يلطق الطباع، ويشنف الاسماع، ويدعو الى نحسين اللباس، ويستميل بالرياضة اهل الشماس[501] لا يقع فيه الا من قليب[502] قلبه صافي ولا يسلم منه الا كل جلف جافي.

فإن شئت ان تحيا سعيداً فمت به شهيداً والا فالغرام له اهل

واما اوصافه المذمومة، فإنه ملك قاهر، وحاكم جائر، هزله جد وراحته تعب، وأوله لعب وآخره عطب، يعتري النفوس العاطلة والقلوب الفارغة، ويكسف من الآراء شموسها البازغة، ويسوق الى وليه غمام الغم، ويهيم به في وادي الهم، يذ هب العقل ويمرض الجسد، ويقوي الفكر ويضعف الجلد، ترتعد منه القرائص وتتقد به نار النقائص يستبعد الاحرار، ويستأثر الاقدار، ويصفر الابدان، ويوقع في الذل والهوان:

وكئن أظن الهوى هينا فلاقيت خمنه عذاباً مهيناً

---

[498]ـ هي الخمرة.

[499]ـ أي البؤس. وخففت الهمزة للمجانسة مع (البوس).

[500]ـ البيت للأحوص، شاعر أموي. توفي ١٠٥هـ.

[501]ـ الشِماس: الامتناع والنفور وصعوبة الخُلق.

[502]ـ القليب: البئر. وهو هنا على المجاز.

يورث الاسف والحرق، ويجلب الوسواس والارق، ويجدد ملابس الوجد والالم، ويمنع عن الاشغال بالعلوم والحكم يحالف أرباب الشهبات ويستخدمهم في تدبير الشهوات، ويعطل عن المصالح، ويجرح بمذيته الجوارح، من جنده الغرام والكلف[٥٠٣] ومن رفده الهيام والشغف، يعرق الطالب عن الاستفادة ويشغل الانسان عما خلق له من العبادة جان يفضي الى الجنون، ويدني اهل المنى من المنون.

وما عجب موت المحبين في الهوى ولكن بقاء العاشقين عجيب

واعلم، وقاك الله شر الشرر، ان اقوى اسباب العشق النظر، رياحه تنشئ سحائب الفكر، ومرآته تجلو على القلب محاسن الصور، فأتق النظرة بعد النظرة فانها تزرع حب حب ينبت سنبل الحسرة، كما سلب النظر قلب عابد، وفتن عقل ناسك، وحل عقد زاهد، واجرى آفة وقرن دلاً بمخافة، وآثار غبار معركة، والقى شهماً الى التهلكة، واقام حرباً على ساق، وسفك الدماء وأراق، وأوقع في مصائد المصائب وهثم العظام بانياب النوائب.

فمن كان يؤتى من عدو وحاسد فإني من عيني أتيت، ومن قلبي

فاسلك سبيل السلامة، لتصل الى دار الكرامة، واقطع اسباب المطامع، واستغل عن المصنوع بالصانع فأما من آثر اللذات فقط تورط في حبائل البلوى، وانتهى من حرم الحرمان الى الغايى القصوى (وأما من خاف مقام ربعه، ونهى النفس عن الهوى(٤٠) فإن الجنة هي المأوى (٤١)[٥٠٤]

٥٠٣- الكَلَف: التعلّق بالمحبوب.

٥٠٤- سورة النازعات، الآيتان ٤٠-٤١.

الحب

معناه ومغزاه

-الفقيه ان حزم الاندلسي-

كلفتني – اعزك الله – ان اصنف لك رسالة في صفة الحب ومعانيه، واسبابه واعراضه، وما يقع فيه وله، على سبيل الحقيقة لا متزايداً ولا مفنناً، لكن مورداً لما يحضرني على وجهه، وبحسب وقوعه، حيث انتهى حظي وسعة باعي فيما اذكره، فبادرت الى مرغوبك، ولولا الايجاب لك لما تكلفته ... والاولى بنا، مع قصر اعمارنا، الا تصرفها الا فيما نرجو به رحب المنقلب وحسن المآب غداً ... وفي بعض الاثر : " اريحوا النفوس فإنها تصدأ كما يصدأ الحديد) والذي كلفتني فلا بد فيه ذكر ما شاهدته حضرتي، وادركته عنايتي، وحدثني به الثقات من اهل زماني، فاغتفر لي الكناية عن الاسماء فهي اما عورة الا تستجيز كشفها، واما نحافظ في ذلك صديقاً ودوداً ورجلاً جليلاً وبحسبي ان اسمي من لا ضرر في تسميته...

الحب- اعزك الله – أوله هزل وآخره جد، دقت معانيه لجلالتها عن ان توصف، فلا تدرك حقيقتها إلا بالمعاناة، وليس بمنكر في الديانة ولا بمحضور في الشريعة، اذ القلوب بيد الله، عز وجل – قد أحب من الخلفاء المهديين والأيمة الراشدين كثير باندلسنا ... وإنما هو شيء كانوا ينفردون به في قصورهم مع عيالهم، فلا ينبغي الاخبار به عنهم ... واما كبار رجالهم، ودعائم دولتهم فاكثر من ان يحصوا...

وقد اختلف الناس في ماهيته، وقالوا واطالوا، والذي اذهب اليه، انه اتصال بين أدزاء النفوس المقسومة في هذه الخليقة في اصل عنصرها الرفيع، وقد علمنا ان سر التمازج والتباين في المخلوقات انما هو الاتصال والانفصال، والشكل

دأبا يستدعي شكله، والمثل الى مثله ساكن، والمجانة عمل محسوس، وتأثير مشاهد، والتنافر في الاضداد، والموافقة في الانداد، والنزاع فيما تشابه موجودة فيما بيننا، فكيف بالنفس وعالمها العالم الصافي الحقيق، وجوهرها الجوهر الصاد المعتدل، وسنخها المهيأ لقبول الاتفاق والميل والتوق والانحراف، والشهوة والنفار، كل ذلك معلوم بالحضرة في احوال تصرف الانسان فيسكن اليها... ولو كان علة الحب حسن الصورة الجسدية، لوجب الا يستحسن الانقص من الصورة، ونحن نجد كثيراً ممن يؤثر الادني، ويعلم فضل غيره، ولا يجد محيداً لقلبه عنه، ولو كان للموافقة في الاخلاق لما احب المرء من لا يساعده ولا يوافقه فعلمنا انه شي في ذات النفس.

وربما كانت المحبة لسبب من الاسباب، وتلك تفنس بفناء سببها، فمن ودك لأمر، ولي مع انقضائه.. ومما يؤكد هذا القول، اننا علمنا ان المحبة ضروب، فأفضلها محبة المتحابين في الله، عز وجل، اما لاجتهاد في العمل، واما لاتفاق في اصل النحلة والمذاهب، واما لفضل علم بمنحه الانسان، ومحبة القرابة والالفة، ومحبة التصاحب والمعرفة، ومحبة لطمع في جاه المحبوب، ومحبة المتحابين لسر يجتمعان عليه، ومحبة لبلوغ الوطر، ومحبة العشق التي لا علة لها الا ما ذكرنا من اتصال النفوس، وكل هذاه الاجناس فمنقضية مع انقضاء عللها، وزائدة بزيادتها، وناقصة بنقصانها، متأكدة بدنوها، فاترة ببعدها، حاشا محبة العشق الصحيح الممكن من النفس فهي التي لا فناء لها الا بالموت ... فصح بذلك انه استحسان روحاني وامتزاج نفساني.

فلو قال قائل: لو كان ذلك كذلك لكانت المحبة بينهما مستوية، اذ الجزءان مشتركان في الاتصال، وحظهما واحد، فالجواب عن ذلك ان نقول : هذه لعمري معارضة صحيحة، ولكن نفس الذي لا يحب من يحبه مكتنفة الجهات ببعض الاغراض الساترة، والحجب المحيطة بها من الطبائع الارضية، فلم تحس بالجزء الذي كان متصلاً بها قبل حلولها حيث هي، ولو تخلصت لاستويا في الاتصال والمحبة .. ومن الدليل على هذا انك لا تجد اثنين يتحابان الا وبينهما مشاكلة واتفاق في الصفات الطبيعية، لا بد من هذا وان قل، وكلما

كثرب الاشباه، زادت المجانسة، وتاكدت المودة، فانظر هذا تره عياناً ... ولهذا ما اغتنم بقراط حيث وصف له رجل من اهل النقصان يجبه، فقيل له في ذلك، فقال: ما احبني الا وقد وافقته في بعض اخلاقه.

واما العلة التي توقع الحب ابداً في اكثر الامر على الصورة الحسنة، فالظاهر ان النفس الحسنة تولع بكل شيء حسن، وتميل الى التصاوير المتقنة، فهي ان رأت بعضها تثبت فيه، فإن ميزت ورائها شيئاً من اشكالها اتصلت، وصحت المحبة الحقيقية، وان لم تميز وراءها شيئاً من اشكالها، لم يتجاوز احبابها الصورة، وذلك هو الشهوة، وان للصور لتوصيلاً عجيباً بين اجزاء النفوس النائية...

وهذا بعينه موجود في البغضة، ترى الشخصين يتباغضان لا لمعنى ولا علة، ويستثقل بعضهما بلا سبب، والحب – اعزل الله – داء عياء، وفيه الدواء منه على قدر المعاملة، ومقام مستلذ، وعلة مشتهاة لا يود سليمها البرء، ولا يتمنى عليلها الافاقة، يزين للمرء ما كان يأنف منه، ويسهل عليه ما كان يصعب عنده، حتى يحيل الطبائع المركبة والحيلة المخلوقة، وسيأتي كل ذلك ملخصاً في بابه، ان شاء الله .

(طوق الحمامة)

الباب الثامن

العجائب والغرائب

القزويني : العجائب[505]

لما حكم الله ببعد الدار والوطن ومفارقة الاهل والسكن، اقبلت على مطالعة الكتب على رأي من قال" وخير جليس في الزمان كتابي وكنت مستغرقاً بالنظر في عجائب صنع الله في مصنوعاته، وغرائب ابداعه في مبتدعاته كما ارشد الله سبحانه اليه حيث قال تعالى: (أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنينَها وزينَها ولما لها من فروج(٦)) وليس المراد من النظر تقليب الحدقة نحوها فإن البهائم تشارك الانسان فيه، ومن لم ير من السماء الا زرقتها، ومن الارض الا غبرتها فهو مشارك للبهائم في ذلك، وادنى حالاً منها واشد غفلة كما قال تعالى: (لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين) إلى ان قال: (اولئك كالانعام بل هم اضل) والمراد من هذا النظر التفكر في المعقولات والنظر والمحسوسات والبحث عن حكمتها وتصاريفها ليظهر له حقائهما، فإنها سبب اللذات الدنيوية والسعادات الاخروية، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم واللهم ارني الاشياء كما هي وكلما امعن النظر فيها ازداد من الله تعالى هداية ويقيناً ونوراص وتحقيقاً ولهذا قال صلى الله عليه وسلم يفكرون في خلق الله، والفكر في المعقولات لا يتاتى الا لمن له خيرة بالعلوم والرياضات بعد تحسين الاخلاق وتهذيب النفس، فعند ذلك

---

[505] ـ من كتاب عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للإمام العالم زكريا بن محمد بن محمود القزويني، ٦٠٠-٦٨٢هـ. بيروت، دار الشرق العربي. زكريا بن محمد بن محمود أبو يحيى القزويني، الجغرافي والرحّالة العربي الشهير. أشهر مؤلفاته كتاب عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات وكذلك عجائب البلدان وفيه وصف الأرض والأقاليم المختلفة.

ينفتح له عين البصيرة ويرى في كل شيء من العجب ما يعجز عن ادراك بعضها، فلو ذكر طرقاً منها لغيره لانكره، ولله در القائل:

انـي سمعت عجباً كنت احسبه طيفاً من النوم او هجراً من السمر

لما الفت به الفيت صحته وقد رأيت ألوفاً مثل ذا العبر

بعض عجائب مصر ونيلها[٥٠٦]

قال المسعودي: وفي نيل مصر وارضها عجائب كثيرة من انواع الحيوان معاص في البر والبحر، من ذلك السمك المعروف بالرعاد، وهو نحو الذراع، اذا وقعت في شبكة الصياد رعدت يداه وعصاه، فيعلم بوقوعها، فيبادر الى اخذها واخراجها عن شبكته، ولو امسكها بخشب او قصب فعلت ذلك، وقد ذكرها جالينوس، وانها ان جعلت على رأس من به صداع شديد او شقيقه وهي في الحياة هدأ من ساعته، والفرس الذي يكون في نيل مصر اذا خرج من الماء وانتهى وطؤه الى بعض المواضع من الارض علم اهل مصر ان النيل يريد الى ذلك الموضع بعيه غير زائد عليه ولا مقصر عنه، لا يختلف ذلك عندهم بطول العادات والتجارب، وفي ضهورة من الماء ضرر بأرباب الارض والفلاحة لرعية الزراع، وذلك انه يظهر من الماء في الليل فينتهي الى موضع من الزرع، ثم يولي عائداً الى الماء، فيرعى في حال رجوعه من الموضع الذي انتهى اليه سيره، ولا يراعي من ذلك شيئاً في ممره، كانه يحدد مقدار ما يرعاه فمنها ما اذا رعت وردت الى النيل فشربت ثم تقذف ما في أجوافها في مواضصع شتى، فينبت ذلك مرة ثانية، فاذا كثر ذلك من فعله واتصل ضرره بأرباب الضياع طرح له الترمس في الموضع الذي يعرف خروجه منه مكاكيك كثيره مبدداً مبسوطاً، فيأكله، ثم يعود الى الماء فيربوا في جوفه، ويزداد في

---

[٥٠٦] ـ من مروج الذهب ومعادن الجوهر، لأبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، المتوفي ٣٤٦هـ. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ج١، بيروت، المكتبة العصرية، ١٩٨٨.

انتفاخه فيشق جوفه، فيموت ويطفو على الماء، ويقذف به الى الساحل والموضع الذي يكون فيه لا يكاد يرى فيه تمساح، وهو على صورة الفرس الا ان حوافره وذنبه بخلاف ذلك والجبهة اوسع.

سمك المنشار[٥٠٧]

منها (المنشار) قال بعض التجار انها سمكة مثل الجبل العظيم ومن رأسها الى ذنبها اسنان المنشار من عظام سود مثل الابنوس كل سن منها في رؤية العين مقدار ذراعين وعن راسها عظمان طويلان كل عظم مقدار عشرة اذرع وكانت تضرب بالعظمين البحر يميناً وشمالاً فيسمع صوته صوتاً هزيلاً قال وكنا نرى الماء يخرج من فيها وانفها ويصعد الى السماء وتصل الينا رشاشاته مثل العطر وبيننا وبينها مسافة بعيدة وهذه السمكة تقطع السفينة اذا عبرت من تحتها او خرجت عليها فاذا راى اصحاب المركب هذه السمكة يضجون الى الله تعالى حتى بدفعها عنهم مكرمة.

ومنها سمكة تعرف بالبال طولها اربعمائة ذراع الى خمسمائة ذراع فيظهر في بعض الاوقات طرف من جناحه يكون كالشراع العظيم ويظهر راسه وينفخ فيه الماء فيذهب الماء في الجو اكثر من غلوتين والمراكب تفزع منها ليلاً ونهاراً فاذا احسوا بها ضربوا بالدبابات وضجوا حتى تنفر وانها تحشو بذنبها واجنحتها السمك الى فيها فاذا بغت على حيوان البحر بعث الله سمكة نحو الذراع تدعى الشك تلتصق بأذنابها ولا خلاص للبال منها فتطلب قعر البحر وتضرب الارض بنفسها حتى تموت وتطفو فوق الماء كالجبل العظيم، وريما يقذف البحر عند اشتداده قطعاً من العنبر كالتلال فياكلها البال فيقلها فتطفوا فوق الماء ولها اناس يرصدونها في المراكب من الزنج فاذا احسوا بذلك طرحوا فيها الكلاليب وجذبوها الى الساحل ويشقون بطنها ويستخرجون العنبر منها فما

---

[٥٠٧]ـ عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، للقزويني. (ت. ٦٨٢هـ/١٢٨٣م).

يكون في بطنها شهماً تعرفه التجار والعطارون بالعراق وفارس والهند وما يكون في ظهرها يكون جيداً نقياً والله الموفق.

من عجائب رحلات البحار[٥٠٨]

وحدثني او الزهر البرختي الناخذا وكان من عظماء اهل سيراف وكان مجوسياً على دين الهند وكان عندهم اميناً يقبلون قوله ويستودعونه اموالهم واولادهم فاسلم وحسن اسلامه وحج بمخاطبته امراة من جزيرة النساء وذلك انه سافر رجل في مركب له عظيم ومعه فيه خلق من اخلاط التجار من كل بلد وهم يسيرون في بحر ملانو وقد قربوا من اطراف ارض صين وابصروا بعض جبالهم فم يشعروا الا وريح قد خرجت عليهم من الجهة التي يقصدونها فلم يسعهم الا الانصارف معها حيث توجهت وركبهم من هول البحر ما لا طاقة لهم به ومرت بهم الريح الى سمت سهيل ومن اضطر في ذلك البحر الى ان يصير سهيل على قمة راسه فقد دخل بحراً ل رجعة له منه وتنكس في لجة هابطة الى الجنوب مصوبة الى تلك الجهة فكلما مرت المركب علا ما وراءها من جهتنا وهبط ما بين يديها من تلك الجهة فلا تستطيع الرجوع بريح عاصف ولا غيره وهوت في لجج البحار المحيطة فلما رأوا أمرهم يؤدي الى الدخول تحت سهيل ودخل عليهم الليل واظلم وادلهم وحال بخار البحر ودجنته وبداه وزخره بينهم وبين النجوة فلم يروا ما يهتدون به وهول البحر وامواج ترفعهم الى السحاب وتخفضهم الى التراب وهم يجرون في قارة وضباب طوال ليلهم واصبح عليهم فلم يشعروا به لشدة ظلمة ما هم فيه واتصال قار البحر مع ضباب الجو وغلظ الريح وكدورته فلما طال عليهم الليل وهم يجرون في قبضة الهلكة قد حكم عليهم الريح العاصفة والبحار الزاخرة والامواج الهايلة ومركبهم ينط وبإن ويتقعقع ويتتعتع توادعوا وصلى كل منهم الى جهة على قدر معبوده

---

[٥٠٨]ـ من كتاب عجايب الهند تأليف برزك بن شهريار الناخذة الرام هرمزي، منشورات لايدان برل ١٨٨٦.

لانهم كانوا شيعاً من اهل الصين والهند والعجم والجزاير واستسلموا للموت وجروا كذلك يومين وليلتين لا يفرقون فيهن بين الليل والنهار فلما كانت الليلة الثالثة وانتصف الليل رأوا بين ايديهم ناراً عظيمة قد أضاء أفقها فخافوا خوفاً شديداً وفزعوا الى ربانهم وقالوا له يا ربّان ما ترى هذه النار الهائلة التي ملأت الآفاق ونحن تجري الى سمتها وقد احاطت بالافق والغرق احب الينا من الحريق فيحق معبودك الا قلبت بنا المركب في هذه اللجة والظلمة لا يرى أحد منا الآخر ولا يدري ما كانت ميتته ولا يتجرع لوعه صاحبه وانت في حل وبل مما يجري علينا فقد متنا في هذه الايام والليالي الف الف ميتة فيمتة واحدة أروح فقال لهم اعلموا انه قد يجري على المسافرين والتجار اهوال قد اسهلها وارخمها ونحن معشر الربانية علينا العهود والموانيق ان لا نعرض سفينة الى العطب وهي باقية لم يجر عليها قدر ونحن معشر ربانية السفن لا نطلعها الا وآجالنا واعمارنا معنا فيها فنعيش بسلامتها ونموت بعطبها فاصبروا واستسلموا لملك الريح والبحر الذي يصرفهم كيف يشاء قال فلما أيسوا من الربان ضجوا بالبكاء والعويل وندم كل منهم شجوه وصار الربان ان امر مناديه ان ينادي رجال بجذب حبل او ارخاية يصلح شأن المركب فلا تسمع الرجال ذلك من دوي البحر وحتى تلاظم الامواج وهدير الرياح في القلوع والشرع والحبال وضجيج الخلايق فاشرف المركب على التلاف بعطلة الرجال وعدة المركب من غير حادث عليهم من بحر او ريح قال وكان في المركب شيخ مسلم من اهل قادس من الاندلس قد طلع الى المركب في ازدحام الناس عند طلوعهم ليلى السفر ولم يشعر به ربان المركب وكان في زاوية من المركب مهجورة وهو مختفي فيها خوفاً ان يعلم فيه فيؤبث ويوبخ فلما راى القوم وما نزال بالناس وما هم عليه من الاخطار بانفسهم ومركبهم وانهم قد صاروا عوناً مع اهوال البحار على نفسهم مسرعين لهلاكهم راى ان يخرج اليهم فيكون من حاله معهم ما كان فخرج اليهم وقال لهم ما شأنكم انفتح المركب قالوا لا قال فانكسر السكان قالوا لا قال فركبكم البحر قالوا لا قال فما شأنكم قالوا له كأنك ليس معنا في المركب ما تنظر هول هذا البحر وامواجه وظلمة الهواء الذي لم نر معه نهاراً ولا شمساً ولا قمراً ولا نجوماً نهتدي بها وقد دخلنا تحت سهيل وحكمت البحار

والرياح علينا واشد ما علينا هذه النار التي نحن اليها وقد ملأت الافق والغرق اهون علينا من الحريق وقد سالنا الربان ان يقلب المركب بنا في البحر والظلمة لا يرى واحد منا الا صاحبه ونموت غرقاً ولا نموت حرقاً يرى بعضنا بعضاً ونسمع ما تفعل النار فيه فقال اوصلوني الى الربّان فأطلعوه اليه فسلم عليه بالهندية فرد عليه ويعجب منه لانظاره له وقال له من انت من التجار ام من اتباعهم فلا نعرفك في رجال المركب قال له ما انا من التجار ولا من اتباعهم قال فمن اطلعك وما بضاعتك قال له اما من اطلعني فاني طلعت في جمهور الناس ليلة الاسراء واويت الى مكان في المركب قال من اين تأكل ومن اين تشرب قال كان يانيان المركب يضع كل يوم قريباً مني صحفة أرز بمن لملايكة المركب ومنشل المركب ماء فكنت اتقوت بذلك واما بضاعتي فقرية عجوة قال فتعجب الربان منه واشتغل الناس بسماع حديثه عن ما كانوا فيه من الضجيج واصلح الرجال ادوات المركب ومشا فيهم منادي بتدبير الاقلاع واهتدى المركب فقال الشيخ يا ربان مالا هؤلاء القوم كانوا يبكون ويعولون قال له اما ترى ما نزل بهم من هول البحار والرياح والظلمة واشد من ذلك ما نحن مدفوعون اليه من هذه النار التي ملأت الافق والله لقد ركبت هذا البحر وانا دون البلوغ ومع ابي وكان قد اذهب عمره في ركوبه وهانا اليوم قد رميت ثمانين سنة ورائي فما سمعت بمن سلك هذا المكان ولا خبر عنه فقال يا ربان لا بأس عليك ولا خوف نجوتم بقدرة الله هذه جزيرة يحيط بها ويكتنفها جبال يكسر عليها الامواج بالبحار المحيطة بالارض فتنظر في الليل ناراً هايلة مرجفة يخافها الجاخل فاذا طلعت الشمس ذهب ذلك المرأى وعاد ماء وهذه النار ترى من بلد الاندلس وقد عبرت عليها مرة وهذه الثانية قال فتباشر الناس وسكنوا الى قول الشيخ وتناولوا طعامهم وشرابهم وذهب عنهم ما كانوا فيه من الغمّ والخوف وتناقص الريح وصار البحر رهنواً والريح رخوا وقدموا على الجزيرة مع شروق الشمس واصحت السماء واشرفوا على الجزيرة وتخيروا مرساً كنيناً ووردوا الجزيرة بجملتهم ويطرحون ارواحهم فبينما هم كذلك اذ ورد عليهم نسوان من داخل الجزيرة لا يحصى عددهم الا الله تعالى فوقع كل رجل منهم الف امراة او اكثر فلم يلبثوا ان حملوهم الى الجبال وكلفوهم

الاستمتاع بهن قال فلم يزالوا على ذلك وكل من قويت على صاحباتها اخذت الرجل منهن والرجال يتماوتون من الاستفراغ اولاً فاولاً وكل من مات منهم يتواقعن عليه... لنتن رائحته فلم يبقى منهم سوى الشيخ الاندلسي فانه جاءته واحدة فكانت تزوره في الليل فاذا اصبح اكنته في موضع قريب من البحر وجاءت له بشيء تقوته فلم يزل كذلك الى ان انقلب الريح من تلك الجزيرة الى الجهة التي خرج المركب منها من الهند فاهذ الشيخ قارب المركب الذي يسمى الفلو ورفه فيه في الليل ماء وزاداً فلما قطنت به المرأة اخذت بيده وجاءت به الى موضع فنبشت التراب بيديها عن معدن تبر فنقلت هي وهو منه ما صبر به القارب واخذها معه واسرى عن عشرة ايام وهو بالبلد التي خرج المركب منها فأخبرهم الخبر واقامت المرأة معه الى ان تفحصت واسلمت ورزق منها الاولاد وسألها عن تلك النسوان في الجزيرة وانفرادهم دون الرجال فقالت له نحن اهل بلاد واسعة ومدن عظيمة محيطة بهذه الجزيرة ومسافة ما بين كل بلد من جميع بلادنا وبين هذه الجزيرة ثلاثة ايام بلياليها، وكل من في اقاليمنا ومدننا من الملوك والرعايا يعبدون هذه المار التي تظهر لهم في الليل في هذه الجزيرة ويسمونها بيت الشمس لأن الشمس تشرق من طرفها الشرقي وتغرب في جانبها الغربي، فيظنون انها تبيت في هذه الجزيرة فإذا اصبح وشرقت الشمس من جانبها الشرقي خفيت نارها وماتت وارتفعت الشمس فيقولون هي هي واذا غربت في جانبها الغربي وامسى ظهرت النار فيقولون هي هي فيعبدونها ويقصدونها بصلواتهم وسجودهم من سائر الجهات ثم ان الله سبحانه وتعالى جعل المراة في بلدنا تلد اول بطن ذكراً وثاني بطن انثيين وكذلك باقي عمرها فما اقل الرجال في بلادنا واكثر النسوان فلما كثروا وارادوا يغلبون على الرجال صنعوا لهم المراكب وحملوا منهم الافاً وطرحوهم في هذه الجزيرة يقولون للشمس يا ربهم انت احق بما خلقت وليس لنا بهم طاقة فيبقوا فيها ويتماوتوا فيها بعضهم على بعض وما سمعنا ولا مر بنا احد من الناس غيركم ولا يطرق بلادنا احد على مر الازمنة وان بلادنا في البحر الاعظم تحت سهيل لا يقدر احد يجيء الينا فيرجع ولا يجسر احد يفارق الساحل والبر خوفاً من ان تشربه البحار وذلك تقدير العزيز العليم تبارك الله احسن الخالقين.

العجائب والغرائب[٥٠٩]

فصل في بحر المغرب وعجائبه وغرائبه

وهو بحر الشام وبحر القسطنطينية، مخرجة من المحيط، يأخذ مشرقاً فيمر بشمال الاندلس ثم ببلاد الفرنج الى القطسنطينية ويمتد ببلاد الجنوب الى سبتة، الى طرابلس الغرب، الى الاسكندرية، ثم الى سواحل الشام، الى انطاكية.

وذكر في كتاب اخبار مصر انه بعد هلاك الفراعنة كانت ملوك بني دلوكة في شق البحر المحيط من الغرب، وهو البحر المظلم، فتغلب الماء على بلاد كثيرة وممالك عظيمة فأخربها وركبها وامتد الى الشام وبلاد الروم، وصار حاجزاً بين بلاد مصر وبلاد الروم، على احد ساحليه المسلمون وعلى الآهخر النصارى، هناك مجمع البحرين وهما بحر الروم والمغرب وعرضة ثلاثة فراسخ وكوله خمسة وعشرون فرسخاً، والمد والجزر هناك في كل يوم وليلة أربع مرات، وذلك ان البحر الاسود وهو بحر المغرب – عند طلوع الشمس يعلو فيصب في مجمع البحرين حتى يدخل في بحر الروم وهو البحر الاخضر الى وقت الزوال فإذا زالت الشمس غاض البحر الاسود وانصب فيه الماء من البحر الاخضر الى مغيب الشمس ويعلو البحر الاخضر على الدوام.

وفي هذا البحر من الجزائر شيء كثير:

فمن جزائره جزيرة الاندلس: وقد تقدم ذكرها.

وجزيرة مجمع البحرين، وهي جزيرة كبيرة وفيها منارة مبنية بالصخر المانع الصلد، لها اساس راسخ ولا باب لها ولا يعمل فيها الحديد، وعلوها اكثر من

[٥٠٩] ـ من كتاب خريدة العجائب وفريدة الغرائب تأليف سراج الدين أبي حفص عمر بن الوردي (٨٦١هـ/ ١٤٥٧م)، تحقيق محمود فاخوري، بيروت دار الشرق العربي. سراج الدين أبي حفص عمر، يعد من الجغرافيين، وإن كان كتابه خريدة العجائب يعتقد أنه منحول عن كتاب جامع الفنون وسلوة المحزون للحرّاني.

مائة ذراع، وعلى رأسها صورة انسان ملتف بثوب كانه من ذهب ويده اليمنى ممدودة الى البحر الاسود كانه يشير باصبعه لذلك الموضع من العدو.

وجزيرة صقلية: وهي جزيرة عظيمة بها انهار واشجار وثمار ومزارع وبها جبال يقال له جبل البركات، يظهر منه دخان في النهار وبالليل نار، يطير منه شرر الى البحر فيصير حجارة سوداء مثقبة تحرق كل شيء صادفته وتطفو على وجه الماء ويأخذها الناس فيستعملونها في الحمامات لحدة الارجل.

جزيرة اقريطش: وهي في بحر الروم ولها معادن من الذهب.

جزيرة طاوزاق: وهو ملك له اربعة الاف امراة وليس له ولد، وعندهم شجر اذا اكلوا منه اقادهم القوة في الجماع، واطاق الواحد منهم ان يجامع في اليوم مائة مرة واكثر.

الجزيرة السيارة: اخبر البحريون انهم رأوها مراراً كثيرة فيها اشجار وعمارات وجبال كلما هبت الريح عليها من المغرب سارت لنحو المشرق، وكلما هبت من المشرف سارت لنحو المغرب، وحجارتها خفاف فترى الحجر تظن انه قنظار فيكون رطلاً واحداً.

وذكر بعض اليهود ان مركبهم انكسرت على هذه الجزيرة فأقاموا اياماً لم يكن غذاؤهم الا السمك، ووقعوا في جزيرة حجارتها وجبالها ووهادها وترابها كلها ذهب، وكان قد سلم معهم زورق المركب فاوسقوه[٥١٠] من ذلك الذهب فوق طاقته وسافروا فلم يسيروا الا قليلاً حتى عطب الزورق ولم ينج الا من قدر على السباحة.

جزيرة تنيس: وهي في بحر الروم، وفيها مدن كثيرة ويخرج اليها من البحر نوع من السمك فيقيم بها يوماً وينقطع، ويظهر نوع آخر يقيم يوماً وينقطع ولا

---

[٥١٠] ـ أي حمّلوه (بتشديد الميم).

يزال كذلك الى اخر السنة تتمة ثلاثمائة وستين نوعاً، ثم يعود النوع الاول كالعادة.

وجزيرة النوم: بها اشجار وثمار وازهار من شم شيئاً منها نام من سعاته.

وجزيرة خالطة: قال ابو حامد الاندلسي: رأيت هذه الجزيرة بها من الغنم شيء لا يحصى كالجراد المنتشر لا ينفر من الناس، ياخذ اهل المراكب منها ما شاؤوا، وبها اشجار وثمار واعشاب، وليس بها انس ولا جان.

جزيرة الدير: ذكر البحريون انها بقرب قسطنطينية، وفيها دير غائب في البحر فينكشف عنه الماء يوماً في السنة وتحج اهل تلك النواح اليه ويبقى ظاهراً الى وقت العصر، ثم يزيد الماء فيغطيه الى العام القابل.

جزيرة الكنيسة: ذكر ابو حامد الاندلسي ان بهذه الجزيرة جبلاً على شاطئ البحر الاسود علبيه كنيسة منقورة في الصخر، في الجبل، وعليها قبة عظيمة وعلى تلك القبة طائر غراب، يطير ويحط ولا يزال عليها، ومقابل القبة مسجد يزوره المسلمون ويقولون ان الدعاء فيه مستجاب، وقد شرك على اهل تلك الكنيسة ضيافة من يزور ذلك المسجد من المسلمين، فاذا قدم زائر للمسجد ادخل الغراب رأسه الى داخل الكنيسة وصاح صيحات بعدد الزوار، ان كان واحداً فواحدة، او اثنين فاثنتين، او عشرة فعشرة، لا يخطئ ابداً، فينزب اهل تلك الكنيسة بالضيافة اليهم على عدتهم لا يزيدون ولا ينقصون ن وذكر القسيسون انهم ما زالوا يرون ذلك الغراب ولا يدرون من اين ماكله ومشربه؟ وتعرف تلك الكنيسة بكنيسة الغراب.

ومن عجائب هذا البحر ما ذكره ابو حامد من انه قال: لما غاض بحر الروم انكشف عن مدن وعمارات لا توصف، وبه الشيخ اليهودي وهو حيوان كالانسان وله لحية بيضاء وبدن كبدن الضفدع وشعره كشعر البقر وهو في قدر البلغ، يخرج من البحر في كل ليلة سبت فلا يزال في البر حتى تغيب الشمس فيثب وثبة فلا يحقه أحد، وهو يثب كما يثب الضفدع.

وحدث عبد الرحمن بن هرون المغربي قال: ركبت هذا البحر فوصلنا الى موضع يقال له الرطون وكان معنا غلام صقلبي، معه صنارة فدلاها في البحر فصاد سمكة قدر البشر فنظرنا فاذا مكتوب خلف اذنها الواحدة: لا اله الا الله، وفي قفاها وخلف اذنها الاخرى : محمد رسول الله.

البغل: وهي سمكة كبيرة قال ابو حامد الاندلسي: رأيت هذه السمكة بمجمع البحرين مثل الجبل العظيم، وقد لازمتها سمكة اكبر منها في الظلمات، فهربت المسماة بالبغل منها، وجدت الاخرى في طبلها، ولما عاين البغل منها الجد صاحت صيحة عظمية ما سمع اهول منها، فكادت قلوبنا ان تنشق من الخوف واضطرب البحر وكثرت امواجه وخفنا الغرق، واتت السمكة الطالبة لتعبر خلف البغل من الظلمات الى مجمع البحرين فلم تقدر لعظمها.

حوت موسى عليه السلام: قال ابو حامد، رايت سمكة تعرف بنسل الحوت في مدينة سبته، وهو الحوت المشوي الذي صحبه موسى ويوشع حين سافرا في طلب الخضر عليهم السلام، وهي سمكة طولها ذراع وعرضها شبر، واحد جانبيها شوك وعظام وجلد رقيق على احشائها، وراسها نصف راس بعين واحدة، فمن رآها من هذا الجانب استقذرها، ونصفها الاخر صحيح بهيج، والناس يتبركون بها ويهدونها الى الرؤساء، سيما اليهود.

وسمكة كانها قانسوة سوداء: قال ابو حامد : رايت هذه السمكة وفي جوفها شبه المصارين ولا رأي لها ولا عين، ولها مرارة كمرارة البقر سوداء، فاذا صادها احد تحركت فيسود ما حولها من الماء حتى يبقى كالحبر الدخاني واظنه من مرارتها، فيؤخذ ذلك الماء ويكتب في الورق وهو احسن من الحبر واعظم سواداً واثيت واجود وابص منه[٥١١]

وسمكة: يقال لها الخطاب: على ظهرها جناحان تخرج من الماء وتطير حيث شاءت ثم تعود الى الماء.

[٥١١]- أي أكثر لمعاناً وتلؤلؤاً. وفعله (بص) بمعنى لمع وتلألأ.

وسمكة تعرف بالمنارة: وهذه السمكة تخرج ببدنها من الماء وتقف على عجزها كالمنارة ثم ترمي بنفسها على المركب العظيم فتغرقه وتهلك اهله، فاذا احسوا بها ضربوا الطبول والبوقات واضرموا مكاحل النفط فتهرب عنهم.

وسمكة كبيرة اذا نقص عنها الماء بقيت على الطين ملقاة ولا تزال تضرب الى مقدار ست ساعات، ثم تنسلخ من جلدها ويظهر لها جناحان من تحت ابطها فتطير مع عضمتها الى بحر آخر، وهذا من اعظم عجائب القدرة.

ومنها التنانين: وهي كثيرة في هذا البحر، ولا سيما عند طرابلس واللاذقية.

الباب التاسع

العرب والغرب

طبائع الافرنج واخلاقهم[٥١٢]

سبحان الخالق البارئ اذا خبر الانسان امور الافرنج سبح الله تعالة وقدسه ورأى بهائم[٥١٣] فيهم فصيلة الشجاعة والقتال لا غير، كما في البهائم فضيلة القوى والحمل، وسأذكر شيئاً من امورهم وعجائب عقولهم.

لا عقل لهم

كان في عسكر الملك فلك بن فلك فارس محتشم افرنجي قد وصل من بلادهم يحج ويعود، فانس بثي وصار ملازمي يدعوني "اخي" وبيننا المودة والمعاشرة، فلما عزم على التوجه في البحر الى بلاده قال لي " يا اخي" انا سائر الى بلادي، واريدك تنفذ معي ابنك (وكان ابني[٥١٤] وهو ابن اربع عشرة سنة) الى بلادي يبصر الفرسان ويتعلم العقل والفروسية، واذا رجع كان مثل رجل عاقل، فطرق سمعي كلام ما يخرج من راس عاقل، فان ابني لو اسر ما بلغ به الاسر اكثر من رواحه الى بلاد الافرنج، فقلت " وحياتك هذا الذي كان

---

[٥١٢]ـ من كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ، تحرير فيليب حتي. ط ٢٠٠١. وُلد في شيرز على نهر العاصي سنة ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م، وتوفي سنة ١١٨٨م. وأسامة فارس وشاعر وأمير، ويسميه الذهبي (أحد أبطال الإسلام). وتميز باحترام خاص للنساء، كما جاء في كتابه بهذا العنوان. له مؤلفات أخرى منها: المنازل والدبار، والبديع في نقد الشعر.

[٥١٣]ـ (بهانما) في الأصل.

[٥١٤]ـ أبو الفوارس مرهف، وكان والده أسامة مشغفاً به.

في نفسي، لكن منعني من ذلك ان جدته تحبه وما تركته يخرج معي حتى استحلفتني اني ارده اليها " قال " وامك تعيش "؟ قلت "نعم" قال " لا تخالفها"

عجائب طبهم

ومن عجيب طبهم ان صاحب المنيطرة[٥١٥] كتب الى عمي يطالب منه انفاذ طبيب يداوي مرضى من اصحابه، فارسل اليه طبيباً نصرانياً يقال له ثابت[٥١٦] فما غاب عشرة ايام حتى عاد فقلنا[٥١٧] له " ما اسرع ما داويت المرضى " قال احضروا عندي فارساً قد طلعت في رجله(٤١و) دملة وامراةقد لحقها نشاف[٥١٨] فعملت للفارس لبيخة ففتحت الدملة وصلحت، وحميت المراة ورطبت مزاجها فجاءهم طبيب افرنجي فقال لهم " هذا ما يعرف شى[٥١٩] يداويهم" وقال للفارس " ايما احب اليك تعيش برجل واحدة او تموت برجلين؟ فقال اعيش برجل واحدة" قال احضروا لي فارساً قوياً وفأساً قاطعاً" فحضر الفارس والفأس، وانا حاضر فحط ساقه على قرمة خشب وقال للفارس " اضرب رجله بالفأس ضربة واحدة اقطعها" فضربه وانا اراه ضربة واحدة ما انقطعت، ضربة ثانية فسال مخ الساق، ومات من ساعته، وابصر المرأة فقال " هذه المراة في رأسها شيطان قد عشقها، احلقوا شعرها، فحلقوه، وعادت تأكل من مآكلهم[٥٢٠] الثوم والخردل، فزاد بها النشاف، فقال " الشيطان قد دخل في رأسها فاخذ الموسى وشق رأسها صليباً وسلخ وسطه حتى ظهر عظم الرأس وحكه بالملح، فماتت

---

[٥١٥] ـ قرب أفقه عند منبع نهر إبراهيم في شمالي لبنان.

[٥١٦] ـ (ثابت) في الأصل.

[٥١٧] ـ مكررة.

[٥١٨] ـ (نَشاف) في الأصل، ولعلها (نِشاف) فارسية بمعنى البله.

[٥١٩] ـ عامية.

[٥٢٠] ـ (مواكيلهم) في الأصل، عامية.

في وقتها، فقلت لهم " بقي لكم اليّ حاجة؟ " قالوا "لا" فجئت وقد تعلمت من طبهم ما لم اكن اعرفه.

وقد شاهدت من طبهم خلاف ذلك، كان للملك خازن، من فراسنهم يقال له برناد[٥٢١] لعنه الله، من العن الافرنج وارجسهم، فرمحه حصان في ساقه فعملت عليه رجله وفتحت في اربعة عشر[٥٢٢] موضعاً والجراح كلما ختم موضوع فتح موضع[٥٢٣] وانا ادعو بهلاكه، فجاءه طبيب افرنجي فأزال عنه تلك المزاهم وجعل يغسلها بالخل الحاذق، فختمت تلك الجراح وبرأ وقام مثل الشيطان.

ومن عجب طبهم انه كان عندنا بشيزر صانع يقال له ابو الفتح له ولد قد طلع في رقبته خنازير، وكلما ختم موضع، فدخل انطاكية في شغل له وابنه معه، فرآه رجل افرنجي فسأل عنه فقال " هو ولدي" قال " تحلف لي بدينك ان وصفت لك دواسء يبرئه لا تأخذ من احد تداويه أجرة حتى أصف لك دواء يبرئه؟" فحلف، فقال له " تاخذ له اشناناً[٥٢٤] غير مطحون تحرقه وتربيه[٥٢٥] بالزيت والخل الحاذق وتداويه به حتى يأكل الموضع، ثم خذ الرصاص المحرق وربه[٥٢٦] بالسمن، ثم داوه[٥٢٧] به فهو يبرئه، فداواه بذلك فبرأ، وختمت تلك الجراح وعاد الى ما كان عليه من الصحة.

وقد داويت بهذا الدواء من طلع فيه هذا الداء فنفعه وأزال ما كان (٤١ ق) يشكوه.

---

[٥٢١] - (برناد) في الأصل، Bernard.

[٥٢٢] - (أربع عسره) في الأصل.

[٥٢٣] - (موضعاً فتح موصعا) في الأصل.

[٥٢٤] - (اشان) في الأصل، وهو نبات.

[٥٢٥] - (تربيه) في الأصل.

[٥٢٦] - (وربه) في الأصل.

[٥٢٧] - (داويه) في الأصل.

افرنجي يعترض اسامة في صلاته

فكل من هو قريب العهد بالبلاد الافرنجية اجفى اخلاقاً من الذين تبلدوا وعاشروا المسلمين.

فمن جفاء اخلاقهم، قبحهم الله، انني كنت اذا زرت البيت المقدس دخلت الى المسجد الاقصى وفي جانبه مسجد صغير قد جعله الافرنج كنيسة، فكنت اذا دخلت المسجد الاقصى وفيه الداوية[٥٢٨] وهم اصدقائي، يخلون لي ذلك المسجد الصغير اصلى فيه فدخلته يوماً فكبرت ووقفت في الصلاة فهجم عليّ واحد من الافرنج مسكني ورد وجهي الى الشر ق وقال " كذا صل![٥٢٩] فتبادر اليه قوم من الدواية اخذوه اخرجوه عني، وعدت انا الى الصلاة، فاعتقلهم وعاد هجم عليّ ذلك بعينه[٥٣٠] ورد وجهي الى الشرق وقال " كذا صل![٥٣١] فعاد الداوية دخلوا اليه واخرجوه، واعتذروا اليّ وقالوا " هذا غريب وصل من بلاد الافرنج في هذه الايام، وما رأى من يصلي الى غير الشرق، فقلت " حسبي من الصلاة !" فخرجت فكنت اعجب من ذلك الشيطان وتغيير وجهه ورعدته وما لحقه من نظر الصلاة الى القبلة.

الله طفلاً

ورأيت واحداً منهم جاء الى الامير معين الدين، رحمه الله، وهو في الصخرة[٥٣٢] فقال " تريد تبصر الله صغير؟[٥٣٣] قال "نعم" فمشى بين ايدينا حتى آرانا[٥٣٤]

---

[٥٢٨] - Templars.

[٥٢٩] - (صلى) في الأصل.

[٥٣٠] - (بعينه) في الأصل.

[٥٣١] - (صلى) في الأصل.

[٥٣٢] - جامع الصخرة في أورشليم.

[٥٣٣] - (صغير) في الأصل، وصوابه (صغيراً).

[٥٣٤] - (أورانا) في الأصل، عامية.

صورة مريم والمسيح عليه السلام[٥٣٥] صغير في حجرها فقال " هذا الله الصغير " تعالى الله عما يقول الكافرون علواً كبيراً.

ليس للافرنج غيرة جنسية

وليس عندهم شيءي من النخوة والغيرة، يكون الرجل منهم يمشي هو وامراته يلقاه رجل آخر يأخذ المرأة ويعتزل بها ويتحدث معها، والزوج واقف ناحية ينتظر فراغها من الحديث، فاذا طولت عليه خلاها مع المتحدث ومضى.

ومما شاهدت من ذلك اني كنت اذا جئت الى نابلس انزل في دار رجل يقال له معز داره عمارة المسلمين لها طاقات تفتح الى الطريق، ويقابلها من جانب الطريق الآخر دار لرجل افرنجي يبيع الخمر للتجار يأخذ في قنينة من النبيذ وينادي عليه ويقول " فلان التاجر قد فتح بيته من هذا الخمر، من اراد منها شيئاً فهو في موضع كذا وكذا، واجرته عن ندائه[٥٣٦] النبيذ الذي في تلك القنينة، فجاء يوماً ووجد رجل مع امرأته في الفراش فقال له " اي شيء أدخلك الى عند امراتي؟ قال كنت تعبان (كذا) دخلت استريح قال فكيف دخلت الى فراشي؟ قال وجدت فراشاً مفروشاً نمت فيه" قال " والمراة نائمة معك؟ قال الفراش لها، كنت اقدر أمنعتها من فراشها؟ " (٤٢ و) قال وحق ديني، ان عدت فعلت كذا تخاصمت انا وانت فكان هذا نكيره ومبلغ غيرته.

ومن ذلك انه كان عندنا رجل حمامي يقال له سالم من اهل المعرة[٥٣٧] في حمام لوالدي رحمه الله، قال فتحت حماماً في المعرة أتعيش فيها، فدخل إليها فارس[٥٣٨] منهم وهم ينكرون على من يشد في وسطه المنزر في الحمام، فمد يده

---

[٥٣٥]- (السلم) في الأصل.

[٥٣٦]- (واجربه عند ندائه) في الأصل، (واجريه عن بداية) طبعة درنبورج ص ١٠٠ أما لانديرغ ص ٣٨ فيقول أنه قضى ساعتين في درس فراءنها فلم يهتد إليها.

[٥٣٧]- معرة النعمان.

[٥٣٨]- (فارسا) في الأصل.

فجذب منزري من وسطي رماه، فرآني، وانا قريب عهد بحلق عانتي، فقال " سالم" فتقربت منه، فمد يده على عانتي وقال "سالم" جيد ! وحق ديني اعمل لي كذا واستلقى على ظهره وله مثل لحيته في ذلك الموضع، فحلقته فمر يده عليه فاستوطأه فقال " سالم" بحق دينك اعمل للداما(والداما بلسانهم الست) يعني امراته وقال لغلام له " قل للداما تجيء " فمضى الغلام احضرها وادخلها، فاستلقت على ظهرها وقال " اعمل كما عملت لي، فحلقت ذلك الشعر وزوجها قاعد ينظرني، فشكرني ووهبني حق خدمتي".

فانظروا الى هذا الاختلاف العظيم : ما فيهم غيره ولا نخوة وفيهم الشجاعة العظيمة، وما تكون الشجاعة الا من النخوة والانفة من سوء الاحدوثة.

ومما يقارب هذا انثى دخلت الحمام بمجينة صور فجلست في خلوة فيها، فقال لي بعض غلماني في الحمام، " معنا امرأة " فلما خرجت جلست على المصاطب واذا التي كانت في الحمام وهي مقابلي قد لبست ثيابها وهي واقفة مع أبيها ولم أتحقق أنها امرأة، فقلت لواحد من اصحابي " بالله أبصر هذه امراة هي " وانا اقصد ان يسال عنها، فمضي وانا اراه، رفع ذيلها وطلع[٥٣٩] فالتفت اليّ ابوها وقال " هذه ابنتي" ماتت امها وما لها من يغسل رأسها، فأدخلتها معي الحمام غسلت رأسها" قلت جيد (ما) عملت، هذا لك من ثواب.

عجائب طبهم أيضاً

ومن عجيب طبهم ما حدثنا به كليام دبور[٥٤٠] صاحب طبرية وكان مقدماً فيهم، واتفق انه رافق الامير معين الدين[٥٤١] رحمه الله، من عكا الى طبريه وانا معه،

٥٣٩- عامية بمعنى تطلع.

٥٤٠- (دبور) في الأصل Guillaum de Bures (William of Bures).

٥٤١- أنر.

فحدثنا في الطريق قال " كان عندنا في بلادنا فارس كبير القدر فمرض واشرف على الموت، فجئنا الى قس كبير من قسوسنا قلنا " تجيء معنا حتى تبصر الفارس قلاناً؟[٥٤٢] قال "نعم" ومشى معنا ونحن نتحقق انه اذا حط يده عليه عوفى، فلما رآه قال " اعطوني شمعاً[٥٤٣] فأحضرنا له قليل شمع، فلينه وعمله مثل عقد الاصبع، وعمل كل واحدة من جانب انفه، فمات الفارس (٤٢ ق) فقلنا له " قد مات" قال "نعم" كان يتعذب سددت انفه حتى يموت ويستريح"

دع ذا وعد القول في هرم[٥٤٤]

سباق أفرنجي

نرجع من حديث مجاربهم[٥٤٥].

حضرت بطبرية في عيد من اعيادهم، وقد خرج الفرسان يلعبون بالرماح، وقد خرج معهم عجوزان فانيتان[٥٤٦] أوقفوهما في رأس الميدان، وتركوا في راسه الاخر خنزيراً سطوه وطرحوا على صخرة، وسابقوا بين العجوزين ومع كل واحدة منهن سرية من الخيالة يشدون[٥٤٧] منها والعجائسز يقمن ويقعن على كل خطوة، وهم يضحكون حتى سبقت واحدة منهن، فاخذت ذلك الخنزير في سبقها.

---

[٥٤٢] - (فلان) في الأصل.

[٥٤٣] - (سمع) في الأصل.

[٥٤٤] - من بيت للشاعر الجاهلي زهير بن أبي سُلمى المزنى.

[٥٤٥] - (مجاريهم) في الأصل.

[٥٤٦] - (فانيات) في الأصل.

[٥٤٧] - (يسدون) في الأصل.

وشهدت يوماً بنابلس وقد احضروا اثنين للمبارزة، وكان سبب ذلك ان حرامية من المسلمين كبسوا ضيعة من ضياع نابلس فاتهموا بها رجلاً من الفلاحين وقالوا " هو دل الحرامية على الضيعة " فهرب، فنفذ الملك[٥٤٨] فقبض اولاده، فعاد اليه وقال " انصفني" انا أبارز الذي قال عني اني دللت[٥٤٩] الحرامية على القرية"، فقال الملك لصاحب القرية المقطع[٥٥٠] احضر من يبارزه، فمضى الى قريته وفيها رجل حداد فاخذه وقال له "تبارز" اشفاقاً من المقطع على فلاحيه لا يقتل منهم واحد فتخرب فلاحته، فشاهدت هذا الحداد وهو شاب قوي الا انه قد انقطع، يمشي ويجلس يطلب ما يشربه، وذلك الاخر الذي طلب البراز شيخ الا انه قوي النفس يزجر وهو غير مختفل بالمبارزة فجاء البسكند[٥٥١] وهو شحنة البلد، فاعطى كل واحد منهما العصا والترس، وجعل الناس حولهم حلقة.

والتقيا[٥٥٢] فكان الشيخ يلز ذلك الحداد وهو يتأخر حتى يلجئه الى الحلقة، ثم يعود الى الوسك، وقد تضاربا حتى بقيا كعمود الدم، فطال الامر بينهما والبسكند يستعجلهما وهو يقول بالهجلة ونفع الحداد ادمانه بضرب المطرقة واعين ذلك الشيخ فضربه الحداد، فنوقع ووقعت عصاه تحت ظهره، فبرك عليه الحداد يداخل اصابعه في عينه ولا يتمكن من كثرة الدم من عينه، ثم قام عنه وضرب رأسه بالعصا حتى قتله، فطرجوا في ر قبته في الوقت حبلاً وجزوه وشنقوه وجاء صاحب الحداد اعطاه غفارته واركبه خلفه واخذه وانصرف.

وهذا من جملة فقهم (٤٣ و) وحكمهم لعنهم الله.

٥٤٨- فلك Fulk ملك أورشليم (١١٣١-١١٤٢).

٥٤٩- (دليت) في الأصل، عامية.

٥٥٠- صاحب الإقطاع، قابل ص ١١٠ س ١٨.

٥٥١- viscount.

٥٥٢- (والتقوا) في الأصل.

ومضيت مرة مع الامير معين الدين، رحمه الله، الى القدس، فنزلنا نابلس فخرج الى عنده رجل اعمى، وهو شاب عليه ملبوس جيد مسلم، حمل له فاكهة وسأله في ان يأذن له في الوصول الى خدمته الى دمشق، ففعل، وسألت عنه فخبرت ان امه كانت مزوجة لرجل افرنجي، فقتلته، وكان ابنها يحتال على حجاجهم ويتعاون هو وامه على قتلهم، فاتهموه بذلك وعملوا له حكم الافرنج، جلسوا بتية عظيمة وملأوها[٥٥٣] ماء وعرضوا عليها دف خشب، وكتفوا ذلك المتهم وربطوا في كتافه حبلاً ورموه في البتية – فإن كان بريئاً غاص في الماء فرفعوه بذلك الحبل لا يموت في الماء، وان كان له الذنب ما يغوص في الماء، فحرص ذلك لما رموه في الماء ان يغوص فما قدر، فوجب عليهم حكمهم لعنهم الله، فكحلوه.

ثم ان الرجل وصل الى دمشق فأجرى له الامير معين الدين، رحمه الله، ما يحتاجه وقال لبعض غلمانه " تمضي به الى برهان الدين البلخي، رحمه الله تقول له تأمر من يقرىء هذا القرآن وشيئاً من الفقه، فقال له ذلك الاعمى " النصر والغلب" ! ما كان هذا ظني !" قال" وما ظننت بي؟" قال " تعطيني الحصان والبغلة والسلام وتجعلني فارساً قال ما اعتقدت ان أعمى يصثير من الفرسان "

أفرنجي لا يأكل الخنزير

ومن الافرنج قوم قد تبلدوا وعاشروا المسلمين فهم أصلح من القريبي العهد ببلادهم، ولكنهم شاذ لا يقاس عليه.

فمن ذلك انني نفذت صاحباً الى انطاكية في شغل، وكان لها الرئيس تادرس ابن الصفى[٥٥٤] وبيني وبينه صداقة، وهو نافذ الحكم في انطاكية، فقال لصاحبي يوماً " قد دعاني صديق لي من الافرنج، تجيء معي حتى ترى زيهم، قال فمضيت معه فجئنا الى دار فارس من الفرسان العتق الذين خرجوا في اول خروج

---

[٥٥٣]- (وملوها) في الأصل.

[٥٥٤]- (تادرس بن الصفى) في الأصل، Theoddoros Sophianos.

الافرنج وقد اعتفى من الديوان والخدمة، وله بأنطاكية ملك يعيش منه، فاحضر مائدة حسنة وطعاماً في غاية النظافة والجودة، ورآني متوقفاً عن الاكل، فقال" كل طيب النفس" فأنا ما اكل من طعام الافرنج، ولي طباخات مصريات ما آكل الا من طبيخهن، ولا يدخل داري لحم خنزير، فأكلت وانا محترز وانصرفنا.

فأنا بعد مجتازاً في السوق وامراة افرنجية تعلقت بي وهي تبربر بلسانهم وما ادري ما تقول، فاجتمع عليّ خلق من الافرنج، فأيقنت بالهلاك، واذا ذلك الفارس قد أقبل فرآني، فجاء فقال لتلك المرأة " ما لك ولهذا المسلم؟" قالت " هذا قتل (٤٣ق) اخي عرس[٥٥٥] وكان هذا عرس فارساً بافامية قتله بعض جند حماة، فصاعح عليها وقال " هذا رجل برجاسي[٥٥٦] (اي تاجر) لا يقاتل ولا يحضر القتال، وصاح على اولئك المجتمعين، فتفرقوا واخذ بيدي ومضى، فكان تأثير تلك المؤاكلة خلاصي من القتل".

---

[٥٥٥] - Hurso.

[٥٥٦] - bourgeoisie.

العرب والافرنجة

من رحلة ابن فضلان (٩٢١ ـ ٩٢٤ م)[٥٥٧]

عن زيارة بلاد الروس (الروسية)[٥٥٨] والاتصال الاول بالاسكندنافيين القدماء (الفايكينغ)

قال:

ورأيت الروسية[٥٥٩] وقد وافوا في تجارتهم ونزلوا على نهر اتل، فلم ار اتم ابداناً منهم كانهم النخل، شفر حمر، لا يلبسون القراطق، ولا الخفاتين، ولكن يلبس الرجل منهم كساء يشتمل به على احد شقيه، ويخرج احدى يديه منه، ومع كل واحد منهم فأس وسيف وسكين لا يفارقه جميع ما ذكرنا.

وسيوفهم صفائح مشطبة[٥٦٠] افرنجية، ومن حد ظفر الواحد منهم الى عنقه مخضر شجر وصور[٥٦١] وغير ذلك.

---

[٥٥٧]ـ من رسالة ابن فضلان (٣٠٩هـ/٩٢١م) مبعوث الخليفة المقتدر إلى بلاد الصقالبة (٩٢١-٩٢٤م) نقلها وأعدها د. حيدر محمد غيبة. بيروت، دار الكتاب العالمي، ١٩٩١.

[٥٥٨]ـ جاء هذا الفصل بعنوان (الروسية) في النص العربي الذي ننقله وهو الفصل الثالث في النص الإنكليزي بعنوان (الاتصال الأول بأهل الشمال).

[٥٥٩]ـ يقول كريكتون، وأغلب المستشرقين والباحثين الغربيين، أن ابن فضلان أطلق كلمة (الروسية) فعلاً على السكان الذين التقاهم في البلاد الروسية الحالية، ولكن كلمة (روس) أو الروسية هي سم تلك القبيلة من الإسكندنافيين التي التقى بها أول ما التقى. وهو يسمى جماعات الاسكندينافيين أحياناً باسمهم القبلي الخاص، ويسميهم أحياناً (فرنجة). ولتجنب الارتباك، استعمل كريكنون في كتابه عبارة North Men أو Norse Men، التورديين أو أهل الشمال للدلالة على من سماهم ابن فضلان بالروسية، وعنى بهم قدماء الاسكندينافيين، المعروفين بالفايكينغ (غيبة).

[٥٦٠]ـ مشطبة: أي في نصلها خطوط وشطب محفورة.

[٥٦١]ـ أي أجسامهم موشومة بصورة أشخاص وأشجار، يغلب عليها اللون الأخضر، من رجل الواحد حتى عنقه.

وكل امراة منهم فعلى ثديها حقه[٥٦٢] مشدودة اما من حديد واما من فضة واما نحاس واما ذهب، على قدر مال زوجها ومقداره، و في كل حقه حلقه فيما سكين مشدودة على الثدي ايضاً وفي اعناقهن اطواق من ذهب وفضة، لان الرجل اذا ملك عشرة الاف درهم صاغ لامراته طوقاً، وان ملك عشرين الفاً صاغ على طوقين، وكذلك كل عشرة الاف درهم يزدادها طوقاً لأمرأته، فربما كان في عنق الواحدى منهن الاطواق الكثيرة.

واجل الحلي عندهم الخرز الاخضر من الخزف الذي يكون على السفن يبالغون فيه، ويشترون الخرزة بدرهم، وينظمونه عقوداً لنسائهم.

وهم أقذر خلق الله، لا يستنجون من غائط ولا بول، ولا يغتسلون من جنابة، ولا يغسلون ايديهم من الطعام، بل هم كالحمير الضالة، يجيئون من بلدهم فيرسون سفنهم بإتل، وهو نهر كبير، ويبنون على شطه بيوتاً كباراً من الخشب.

ويجتمع في البيت الواحد العشرة والعشرون والاقل والاكثر ولكل واحد، سرير يجلس عليه، ومعهم الجواري الروقة[٥٦٣] للتجار...

ولا بد لهم في كل يوم من غسل وجوههم ورؤوسهم بأقذر ماء يكون واطفسه[٥٦٤] وذلك ان الجارية توافي كل يوم بالغداة، ومعها قصعة كبيرة فيها ماء، فتدفعها الى مولاها فيغسل فيها يديه ووجهه وشعر رأسه فيغسله ويسرحه بالمشط في القصعة ثم يمتخط ويبصق فيها، ولا يدع شيئاً من القذر الا فعله في ذلك الماء، فاذا فرغ ما يحتاج اليه حملت الجارية القصعة الى الذي الى جانبه ففعل مثل فعل صاحبه، ولا تزال ترفعها من واحد الى واحد حتى تديرها على جميع من في البيت، وكل واحد منهم يمتخط ويبصق فيها ويغسل وجهه وشعره فيها.

---

[٥٦٢]- الحُقة: وعاء من معدن أو خشب أو عاج.

[٥٦٣]- الجواري الروقة: هم الجواري الجميلات الذين يرقن للناس (دهان).

[٥٦٤]- الطفس: القذر وأطفسه أي أكثره قذارة ونجاسة.

(هذه هي طبيعة الاشياء عند اهل الشمال كما رايتها بام عيني[٥٦٥] ومع ذلك، فقد وقع بعض القلق وسط هؤلاء العمالقة في فترة وصولنا اليهم وهو ان زعيم قبيلتهم، واسمه " ويغليف" وقع مريضاً فوضع في خيمة المرض الخاصة على بعد من المخيم، مع بعض الخبز والماء، ولم يقترب منه او يتكلم معه احد، ولم تقم الجواري برعايته لان اهل الشمال يعتقدون انه يجب ان يبل الرجل من مرضه بقوته الخاصة واعتقد الكثير منهم ان ويغليف لن يعود الى الانضمام اليهم في المخيم، بل سيقضي نحبه، لذلك اختاروا واحداً منهم ليكون زعيماً جديداً لهم، وكان شاباً من النبلاء، يدعى " بوليويف" انما لم تتم مراسم مبايعته ولا تتم طالما بقي الزعيم المريض على قيد الحياة، وكان هذا الامر سبب وقوع الاضطراب وقت وصولنا، ومع هذا لم يكن هناك مظهر من مظاهر الحزن والبكاء بين هؤلاء الناس المعسكرين على ضفاف الفولغا.

(يعير اهل الشمال اهمية كبرى لواجب المضيف، فهم يحيون كل زائر بحرارة ويحسنون وفادته ويقدمون له الكثير من الطعام والثياب، ويتبارى الاعيان[٥٦٦] والنبلاء من اجل الحصول على هذا الشرف، وقد مثل فريقنا امام بوليويف حيث اولمت لنا وليمة عظيمة، وقد اشرف بوليويف بنفسه عليها، وقد رأيته رجلاً طويل القامة وقوي البنية، ذا بشرة ناصعة البياض، وشعر ولحية شقراوين وكانت عليه امارات الزعامة.

تظاهر فريقنا بالاستمتاع بالطعام، تقديراً لشرف الوليمة، رغم ان الطعام كان ردئياً وتخلل الحقل كثير من قذف الطعام والشراب، ومن الضحك والمرح، وقد كان شيئاً شائعاً وسط هذا الاحتفال الجامح ان ترى الاعيان يمارس الحب مع احدى الجواري على ملء النظر من زملائه.

---

[٥٦٥] ـ هذه الفقرة والفقرات اللاحقة ضمن القوس المنفرد مضافة من النص الإنكليزي.

[٥٦٦] ـ الأعيان هنا ترجمة لكلمة Earls وهو لقب إنكليزي، أدنى من مركيز وأعلى من فيكونت.

(امام هذا المنظر استدرت وقتل: استغفر الله، فضحك رجال الشمال كثيراً على ارتباكي، وقد ترجم لي احدهم انهم يعتقدون ان الله ينظر بعين الرضا الى هذه المسارات المفتوحة وقال لي : انكم يا معشر العرب، مثل عجائز النساء، توجفون وترجفون امام منظر الحياة، فاجبته انني ضيف بينكم وارجوه ان يهديني الله سواء السبيل، وقد كان قولي سبباً لمزيد من الضحك ولكنني لم اعرف لماذا اعتبروا ذلك نكتة.!

(من عادة اهل الشمال توقير حياة الحرب، وفي الحقيقة هؤلاء الرجال ذوو الاجسام الضخمة، يحاربون باستمرار، ولا يخلدون الى السلم ابداً لا فيما بينهم، ولا بين قبائل جنسهم المختلفة، ويغنون قصائد الحرب والشجاعة ويعتقدون ان موت المحارب ارفع مراتب الشرف.

(خلال حفلة بوليويف، غنى احدهم اغنية عن الشجاعة واحدى المعارك، لاقت كثيراً من الاستحسان والمتعة، وقد شارك في الغناء عدد قليل منهم، ان شراب اهل الشمال ذا المفعول القوي يجعلهم بسرعة كالحيوانات والحمير الشاردة، فقد حدث خلال منتصف الاغنية تقاذف بالشتائم واقتتال مميت اثر مشاجرة بين جنديين مخمورين، لم يقطع الشاعر اغنيته خلال هذه الحوادث، بل في الحقيقة، شاهدت الدم المتطاير يلطخ وجهه، فاكتفى بمسحه دون ان يتوقف عن الغناء، وقد اثر هذا المنظر فيّ تأثيراً كبيراً.

(بعدئذ امرني بوليويف، وقد اصبح ثملاً كالآخرين، ان اغني لهم اغنية، وقد أصر على ذلك اشد الاصرار وكيلاً اغيطه – برفضي – تلوت عليهم بعضاً من آيات القرآن الكريم، وكان المترجم يكرر ما اقوله بلغة اهل الشمال، فلم استقبل باحسن مما استقبل به شاعرهم بعدئذ سالت الله غفرانه على هذه المعاملة لكلماته

المقدسة، وعلى الترجمة[٥٦٧] التي احسست بانها خالية من المعنى لان الترجماتن في الحقيقة كان سكراناً)[٥٦٨]

وساعة تواقي سفنهم الى هذا المرسى[٥٦٩] يخرج كل واحد منهم ومعه خبز ولحم وبصل ولبن ونبيذ حتى يوافي خشبة طويلة منصوبة، لها وجه يضشبه وجه الانسان، وحولها صور صغار، وخلف تلك الصور خشب طوال قد نصبت في الارض، فيوافي الى الصورة الكبيرة ويسجد لها ثم يقول لها " يا رب قد جئت من بلد بعيد، ومعي من الجواري كذا وكذا رأساً، ومن السمور كذا كذا جلداً. حتى يذكر جميع ما قدم معه من تجارته، ثم يقول " وجئتك بهذه الهدية" ثم يترك الذي معه بين يدي الخشبة ويقول: اريد ان ترزقني تاجراً معه دنانير ودراهم فيشتري مني كل ما اريد ولا يخالفني فيما اقول، ثم ينصرف.

فإن تعسر عليه بيعه وطالت ايامه عاد بهدية ثانية وثالثة، فان تعذر ما يريد حمل الى كل صورة من تلك الصور الصغار هدية وسألها الشفاعة وقال: " هؤلاء نساء ربنا وبناته وبنوة" فلا يزال يطلب الى صورة صورة يسال ويستشفع بها ويتصرع بين يديها، فربما تسهل له البيع فإذا باع، فيقوبل: قد مضى ربي حاجتي واحتاج ان اكافيه، فيعمد الى عدة من الغنم او البقر فيقتلها ويتصدق ببعض اللحم، ويحمل الباقي فيطرحه بين يدي تلك الخشبة الكبيرة والصغار التي حولها، ويعلق رؤوس البقر او الغنم على ذلك الخشب المنصوب

---

[٥٦٧] ـ يعلق كريكتون على هذه الترجمة قائلاً: (كان العرب وما يزالون لا يرتاحون لترجمة القرآن وكان مشايخهم الأولون يعتقدون أنه لا يمكن ترجمة القرآن الكريم. وقد بنيت هذه الفتوى على ما يبدو على اعتبارات دينية، ولكن كل من حاول ترجمته يتفق معها لأسباب وضعية بحتة. فاللغة العربية بطبيعتها لغة بليغة (موجزة ومحكمة) وتركيب القرآن (مسجع) شبيه بالشعر، وبالتالي أكثر تركيزاً. وأن صعوبة أداء معنى حرفي، ناهيك عن جمال اللغة العربية الأصيلة ورشاقتها قادت المترجميين إلى ان يستهلوا أعمالهم بمقدمة تتضمن اعتذاراً طويلاً ومهيناً. وفي نفس الوقت، إن الإسلام طريقة تفكير فاعلة تتسم بالاتساع والشمول، وقد كان القرن العاشر واحداً من ذروات فترات انتشاره؛ وقد اقتضى هذا الانتشار قيام التراجم لأنه لا يمكن الاستغناء عنها لمصلحة المهتدين الجدد، ولكنها ليست مدعاة للسرور أو الرضى أبداً من وجهة نظر العرب.

[٥٦٨] ـ انتهت الفقرات المضافة من النص الإنكليزي. ويستأنف بعدها النص العربي ما لم يكن الكلام بين قوسين منفردين، فيكون من النص الإنكليزي.

[٥٦٩] ـ يقصد به هنا مرسى قوارب الشماليين على نهر الفولغا.

في الارض، فاذا كان الليل وافت الكلاب فاكلت جميع ذلك، فيقول الذي فعله، قد رضي ربي عني واكل هديتي"

واذا مرض منهم الواحد ضربوا له خيمة ناحية عنهم، وطرحوه فيها، وجعلوا معه شيئاً من الخبز والماء، ولا يقربونه ولا يكلمونه، بل لا يتعاهدونه في كل ايام مرضه، لا سيما ان كان ضعيفاً او مملوكاً فان برئ وقام رجع اليهم، وان مات احرقوه فان كان مملوكاً تركوه على حاله تاكله الكلاب وجوارح الطير.

واذا اصابوا سارقاً او لصاً جاؤوا به الى شجرة غليظة وشدوا في عنقه حبلاً وثيقاً وعلقوه فيها، ويبقى معلقاً حتى ينقطع من المكث بالرياح والامطار.

وكان يقال انهم يفعلون برؤسائهم عند الموت اموراً اقلها الحرق، فكنت احب ان اقف على ذلك حتى بلغني موت رجل منهم جليل، (ويغليف) فجعلوه في قبره وسقفوا عليه عشرة ايام حتى فرغوا من قطع ثابه وخياطتها[٥٧٠]

وذلك ان الرجل الفقير منهم يعملون له سفينة صغيرة ويجعلونه فيها ويحرقونها والغني يجمعون ماله ويجعلونه ثلاثة اثلاث: فثلث لاهله، وثلث يقطعون له بع ثياباً وثلث ينبذون به نبيذاً يشربونه يوم تقتل جاريته نفسها وتحرق مع مولاها.

وهم مستهترون بالنبيذ يشربونه ليلاً ونهاراً، وربما كات الواحد منهم والقدح في يده، واذا مات الرئيس منهم قال اهله لجواريه وغلمانه، من منكم يموت معه؟ فيقول بعضهم، انا: فاذا قال فقد وجب عليه، لا يستوى له ان يرجع ابداً، ولو اراد ذلك ما ترك، واكثر من يفعل هذا الجواري.

---

[٥٧٠] - بالنظر إلى أن كتاب كريكتون، اعتباراً من هذه النقطة يتضمن تفصيلات غير موجودة في نسخة مشهد، فإننا سننقل منه بعض الفقرات التالية، مميزين نصه بقوس منفرد. ومن الجدير بالذكر أن كريكتون يستعمل كلمة أهل الشمال أو الاسكندينافيين بدلاً من الروس (غبية).

(اقمنا يومين بين اهل الشمال، وفي صباح اليوم الذي اعتزمنا فيه الرحيل اخبرنا المترجم ان الزعيم وبغليف مات، وقد حاولت ان اشهد ماذا سيحدث بعد ذلك)

فلما مات ذلك الرجل الذي قدمت ذكره قالوا لجواريه، من يموت معه؟" فقالت احداهن "انا" فوكلوا بها جاريتين تحفظانها وتكونان معها حيث سلكت حتى انهما ربما غسلتا رجليها بايديهما واخذوا من شانه وقطع الثياب (تفصيلها وخياطتها) واصلاح ما يحتاج اليهـ والجارية في كل يوم تشرب وتغني فرحة مستبشرة.

(خلال هذا الوقت، وجدت لبوليريف ذلك النبيل الذي كان من المزمع ان يصبح ملكاً او زعيماً منافساً له يدعى "ثوركيل" لم اكن اعرف هذا ولكنه كان قبيحاً شريراً ذا بشرة داكنة بين ذلك الجنس ذي البشرة الوردية الشقراء لقد دبر مؤامرة كي ينصب نفسه زعيماً علمت كل ذلك من الترجمان اذ لم تكن هناك اشارة ظاهرة تدل على اي شيء مخالف للعرف اثناء اعداد الترتيبات الجنائزية.

(لم يقم بوليوف بادارة الترتيبات بنفسه، لانه لم يكن من اسرة ويغليف، بينما تقضي العاجة ان يقوم اهل الميت باعداد جنازته انضم بوليويف الى المهرجان والاحتفالات العامة، ولكنه لم يشارك في اي مظهر ملكي، باستثناء حضور الحفلات الليلية حيث كان يجلس على الكرس العالي المخصص للملك.

(عندما يكون الرجل الشمالي ملكاً حقيقياً، فانه يجلس على راس المائدة، على كرسي كبير من الحجر ذي ذراعين حجريتين، هكذا كان كرسي ويليف الا ان بوليويف لم يجلس عليه كما يفعل عادة، بل كان يجلس على احد ذراعيه، وكان يسقط من موقعه هذا كلما اسرف في الشراب، او غالي في الضحك، وحسب العادات والتقاليد، لم يكن يستطيع ان يجلس على الكرسي (جلوساً عادياً) حتى يتم دفن (سلفه) ويغليف.

(كان ثوركيل، طيلة هذا الوقت يتآمر ويتشاور مع سائر الاعيان، وقد علمت بانني كنت من المشتبه بهنم كمشعوذ او ساحر، مما احزنني كثيراً، وقد اخبرني الترجمان الذي لا يعتقد بمثل هذه الاشعاعات، بان ثوركيل قال بانني قد تسببت بموت وبغليف كما انني كنت وراء جعل بوليويف الزعيم المقبل، انما في الحقيقة لم يكن في دور اي من هذه المزاعم.

(بعد بضعة ايام، حاولت ان اغادر مع فريقي المشتمل على ابن باشتو وتاكين وبارس ولكن الشماليين لم يسمحوا لنا بالمغادرة قائلين بانه يجب ان نبقى حتى تحضر الجنازة، مهددين ايانا بخناجرهم التي كانوا يحملونها دوماً وهكذا بقينا).

فلما كان اليوم الذي يحرق فيه (ويغليف) والجارية وحضرت الى النهر الذي فيه سفينته فاذا هي قد اخرجت وجعل لها اربعة اركان من خشب الخدنك[٥٧١] وغيره، وجعل ايضاً حولها مثل الانابير[٥٧٢] الكبار من الخشب، ثم مدت حتى جعلت على ذلك الخشب، واقبلوا يذهبون ويجيئون ويتكلمون بكلام لا افهمه، وهو بعد في قبره لم يخرجوه، ثم جاءوا بسرير فجعلوه على السفينة، وغشوه بالمضربات[٥٧٣] (من) الديباج الرومي، والمساند الديباج الرومي، ثم جاءت امراة عجوز يقولون لها ملك الموت، وهي تقتل الجواري، ورأيتها جوان بيرة[٥٧٤] ضخمة مكفهرة.

فلما وافوا قبرلاه، نحوا التراب على الخشب، واستخرجوه (اي الميت) في الازار الذي مات فيه، فرايته قد اسود لبرد البلد، وقد كانوا جعلوا معه في قبره

٥٧١ـ الخدنك هو خشب الحور الأبيض أو البتولا، كما قدمنا.

٥٧٢ـ الأنابير: جمع أنبار أو أنبير، فارسية الأصل، وهي الجسر الذي يوضع للسفينة. (دهان). وجاء في كتاب كريكتون أنها تماثيل خشبية كبيرة، تشبه الكائنات البشرية. (غيبة).

٥٧٣ـ المضربات: المساند.

٥٧٤ـ جوان بيرة: جاء في تحقيق الدكتور الدهان أنها الشابة العجوز (العجوز المتصابية) أو الساحرة، وفي كتاب كريكتون (العجوز الشمطاء) وهي أقرب إلى المعنى، ومكفهرة أي داكنة اللون (غيبة).

نبيذاً وفاكهة وطنبوراً فاخرجوا جميع ذلك، فاذا هو لم ينتن ولم يتغير منه شيء غير لونه.

(وفوراً رأيت بوليويف وثوركيل جنباً الى جني، يظهران كثيراً من الصداقة، اثناء مراسم الدفن، بينما كان واضحاً انه لم يكن هناك صدق في مظهريهما)

فالبسوه سراويل وراناً وخفاً وقرطقاً وخفتان ديباج له ازرار ذهب وجعلوا على راسه قلنسوة ديباج سمورية وحملوه حتى ادخلوه القبة التي على السفينة، واجلسوه على المضربة، واسندوه بالمساند وجاءوا بالنبيذ والفاكهة والريحان، فجعلوه معه.

وجاءوا بخبز ولحم وبصل فطرحوه بين يديه، وجاؤوا بكلب فقطعون نصفين والقوه في السفنية ثم جاءوا يجميع سلاحه، فجعلوه الى جانبه، ثم اخذوا دابتين[٥٧٥] فاجروهما حتى غرقتا، ثم قطعوهما بالسيف والقوا لحمهما في السفينة.

ثم جاءوا ببقرتين فقطعوهما ايضاً والقوهما فيها، ثم احضروا ديكاً ودجاجة، وطرحوهما فيها.

(وكانت) الجارية التي تريد ان تقتل ذاهبة وجائية، تدخل قبة قبة من قبابهم[٥٧٦] فيجامعها صاحب القبة، ويقول لها: قولي لمولاك انما فعلت هذا من محبتك[٥٧٧]

فلما كان وقت العصر من يوم الجمعة، جاءوا بالجارية الى شيء مثل ملبن[٥٧٨] الباب، فوضعت رجليها على اكف الرجال، واشرفت على ذلك الملين، وتكلمت

---

[٥٧٥]- أي فرسين. وجاء في كتاب كريكتون أن بوليويف قتل أحدهما بسيفه بينما قام ثوركيل بقتل الأخرى؛ وأن بوليويف كان أقل سرعة في قتل الحصان، وأن هذا قد بدا (ذا مدلول للذين شاهدوه، ولكنني لم أدرك معناه).

[٥٧٦]- القبة هنا تعني الخيمة، على ما يبدو.

[٥٧٧]- في كتاب كريكتون: (إنما فعلت هذا حُباً به).

[٥٧٨]- ملبن الباب: هو الإطار الذي يثبت على طرفي الحائط، ويتحرك الباب ضمن هذا الإطار (غيبة).

لكلام لها، فانزلوا واصعدوها ثانية، ففعلت كفعلها في المرة الاولى، ثم انزلوها واصعدوها ثالثة، ففعلت فعلها في المرتين، ثم دفعوا اليها دجاجة، فقطت راسها ورمت به واخذوا الدجاجة فالقوها في السفينة.

فسألت الترجمان عن فعلها، فقال قالت في اول مرة اصعدوها، هوذا أرى ابي وامي، وقالت في الثانية، هوذا ارى مولاي قاعداً في الجنة، والجنة حسنة خضراء، ومعه الرجال والغلمان وهو يدعوني فاذهبوا بي اليه.

فمروا بها نحو السفينة فنزعت سوارين كانا عليها ودفعتهما الى المراة التي تسمى ملك الموت، وهي التي سوف تقتلها، ونزعت خلخالين كانا عليهما، ودفعتهما الى الجارتين اللتين كانتا تخدمانها وهما ابنتا المراة المعروفة بملك الموت.

ثم اصعدوها الى السفينة ولم يدخلوها الى القبة (المقامة عليها) وجاء الرجال ومعهم التراس[٥٧٩] والخشب ودفعوا اليها قدحاً نبيذاً فعنت عليه وشربته، فقال لي الترجمان انها تودع صواحباتها بذلك، ثم دفع اليها قدح اخر فاخذته وطولت الغناء والعجوز تستحثها على شربه والدخول الى القبة التي فيها مولاها، فرايتها قد تبلدت[٥٨٠] وارادت دخول القبة فادخلت راسها بينها وبين السفينة، فاخذت العجوز راسها وادخلتها القبة ودخلت معها.

واخذ الرجال يضربون بالخشب على التراس لئلا يسمع صوت صياحها فيجزع من الجوارى ولا يطلبن الموت مع مواليهن، ثم دخل الى القبة ستة رجال فجامعوا باسرهم الجارية، ثم اضجعوها الى جانب مولاها، وامسك اثنان رجليها فجامعوا باسرهم الجارية، ثم اضجعوها الى جانب مولاها، وامسك

[٥٧٩]- التراس هو جمع ترس، وهو صفحة من الفولاذ مستديرة للوقاية من السيف ونحوه (دهان).

[٥٨٠]- تبلد: تردد متحيراً.

اثنان رجليها واثنان رجليها واثنان يديها وجعلت العجوز التي نسمى ملك الموت في عنقها حبلاً مخالفاً ودفعته الى اثنين ليجباه، واقبلت ومعها خنجر عريض النصل، فاقبلت تدخله بين اضلاعها موضعاً، وتخرجه والرجلان يخنقانها بالحبل حتى ماتت.

ثم وافى اقرب الناس الى ذلك الميت (ويغليف) فاخذ خشبة واشعلها بالنار، ثم مشى القهقهرى نحو قفاه الى السفينة، ووجهه الى الناس، والخشبة المشعلة في يده الواحدة، ويده الاخرى على باب استه، وهو عريان حتى احرق الخشب المعبأ الذي تحت سفينته من بعدما وضعوا الجارية التي قتلوها في جنب مولاها.

ثم وافى الناس بالخشب والحطب، ومع كل واحد خشبة قد الهب راسها، فيلقيها في ذلك الخشب، فتأخذ النار في الحطب ثم في السفينة ثم في القبة، والرجل الجارية وجميع ما فيها، ثم هبت ريح عظيمة هائلة فاشتد لهب النار واضطرم تسعرها، وكان الى جانبي رجل من الروسية فسمعته يكلم الترجمان الذي معي، فسالته عما قال له فقال انه يقول انتم يا معاشر العرب حمقى فقلت: لم ذلك؟ قال انكم تعمدون الى احب الناس اليكم واكرمهم عليكم فتطرحونه في التراب وتاكله التراب والهوام والدود، ونحن نحرقه بالنار في لحطة فيدخل الجنة من وقته وساعته.

ثم ضحك ضحكاً مفرطاً فسألت عغن ذلك فقال: " من محبة ربه له قد بعث الريح حتى تاخذه في ساعة".

فما مضت على الحقيقة ساعة حتى صارت السفينة والحطب والجارية والمولى رماداً رمدادا[٥٨١]

---

[٥٨١]ـ الرماد: دقاق الفحم من حراقة النار. والرمدد: المتناهي في الاحتراق والدقة.

ثم بنوا على موضع السفينة وكانوا قد اخرجوها من النهر شبيهاً بالتل المدور، ونصبوا في وسطه خشبة كبيرة خدنك، وكتبوا عليها اسم الرجل واسم ملك الروس وانصرفوا.

قال:

ومن رسم ملك الروس (اهل الشمال) ان يكون معه في قصره اربعمئة رجل من صناديد اصحابه واهل الصقة عنده، فهم يموتون ويقتلون دونه، مع كل واحد منهم جارية تخدمه وتغسل رأسه، وتصنع له ما ياكل ويشرب وجارية اخرى يطؤها وهؤلاء الاربعمئة يجلسون تحت سريره وسريره عظيم مرصع بنفيس الجوهر، ويجلس معه على السرير اربعون جارية لفراشه وربما وطئ الواحدة منهن بحضرة اصحابه الذين ذكرنا.

ولا ينزل عن سريره، فإذا اراد قضاء حاجة قضاها في طشت[٥٨٢] واذا اراد الركوب قدموا دابته الى السرير فركبها منه، واذا اراد النزول قد دابته حتى يكون نزول عليه... وله خليفة يسوس الجيوش ويواقع الاعداء ويخلفه في رعيته.

---

[٥٨٢] ـ الطشت أو الطست: إناء من نحاس لغسل اليد، مؤنثة، جمعها طسوت (دهان).

الطهطاوي في باريس[٥٨٣]

وهذه المرتبة الثالثة تتفاوت في علومها وفنونها، وحسن حالها، وتقليد شريعة من الشرائع وتقدمها في النجابة والبراعة في الصنائع المعاشية.

مثلاً البلاد الافرنجية قد بلغت اقصى مراتب البراعة في العلوم الرياضية، والطبيعية، وما وراء الطبيعية اصولها وفروعها ولبعضهم نوع مشاركة في بعض العلوم العربية، وتوصلوا الى فهم دقائقها واسرارها كما سنذكره غير انهم لم يهتدوا الى الطريق المستقيم، ولم يسلكوا سبيل النجاة، ولم يرشدوا الى الدين الحق ومنهج الصدق.

كما ان البلاد الاسلامية قد برعت في العلوم الشرعية بها، وفي العلوم العقلية واهملت العلوم الحكمية بجملتها فلذلك احتاجت الى البلاد الغربية في كسب ما لا تعرفه زجلب ما تجهل صنعه، ولهذا حكم الفرنج بان علماء الاسلام انما يعرفون شريعتهم ولسانهم يعني ما يتعلق باللغة العربية، ولكن يعترفون لنا بان كنا اساتذتهم في سائر العلوم، ويتقدمنا[٥٨٤] عليهم.

---

[٥٨٣] ـ من كتاب تخليص الإبريز في تلخيص باريز بقلم رفاعة الطهطاوي. القاهرة، الهيئة المصرية، ١٩٩٣.
والطهطاوي مولود بمدينة طهطانية سنة ١٨٠١م، من عائلة غنية، وتلقى تعليماً تقليدياً، ثم التحق سنة ١٨١٧ بالأزهر، وتخرج فيه سنة ١٨٢١، ورشحه شيخه حسن العطار (المتوفي سنة ١٨٣٥م) إماماً لبعثة محمد علي إلى فرنسا. وعايش الطهطاوي أحداث ثورة ١٨٣١، وتقدم سنة ١٨٣٤ بمشروع مدرسة الألسن، لكنه نفي إلى السودان بعد مجيء عباس الأول (١٨٤٩)، وأغلقت مدرسة الألسن. ثم عاد الطهطاوي سنة ١٨٥٤ وتوفي سنة ١٨٧٣.

[٥٨٤] ـ القدم: السبق والتقدم.

ومن المقرر في الاذهان، وفي خارج الاعيان ان الفضل للمتقدم، او ليس ان المتأخر يغترف من فضالته[٥٨٥]، ويهتدي بدلالته، وما احسن قول الشاعر:

ومما شجاني انني كنت نائماً اعلل من فرط الكرى بالتنسم

الى ان بكت ورقاء في غصن ايكـ ـة تردد مبكاها بحسن الترنم

فلو قبل مبكاها بكيت صبابة بسعدى شفيت النفس قبل التندم

ولكن يكت قلبي، فهيج لي البكا بكاها فقلت الفضل للمتقدم

ويعجني ايضاً قولهم في هذا المعنى عند المكافأة:

انا الشجاع الذي قد كنت في ظمأ وسط الهجير على الرمضاء في الوادي

فجدت بالماء فضلاً منك مبتدئاً بغير قل، فاشفى غلة الصادي

هذا جزاؤك منا، لا نمن به فضلاً بفضل وكان الفضل للبادي

فاننا كنا في زمن الخلفاء العباسيين اكمل سائر البلاد، تمدناً، ورفاهية، وتربية زاهرة زاهية، وسبب ذلك ان الخلفاء كانوا يعينون العلماء وأرباب الفنون وغيرهم، على ان منهم من كان يشتغل بها بنفسه، فانظر الى المأمون بن هارون الرشيد، فانعه زيادة عن اعانة ميقاتية[٥٨٦] دولته كان يشتغل بنفسه بعلم الفلك، وهو الذي قد حرر ميل دائرة فلك البروج على دائرة الاستواء، فوجده بالامتحان ثلاثاً وعشرين درجة، وخمساً وثلاثين دقيقة، وغير ذلك.

---

[٥٨٥]ـ الفضالة كالفضلة: البقية.

[٥٨٦]ـ الميقاتية: هم الذين يحددون الوقت ويبينون ساعات الليل والنهار، لمعرفة أوقات الصلاة.

وقد اعان " جعفر المتوكل" من العباسية اصطفان[٥٨٧] على ترجمة الكتب اليونانية ككتاب "ذيسقوريدس" في الادوية.

وكذلك الملك " عبد الرحمن الناصر" صاحب الاندلس فانه طلب من ملك قسطنطينية المسمى "ارمانيوس" ان يبعث اليه رجلاً يتكلم باللسان اليوناني واللاطيني ليعلم له عبيداً يكونون مترجمين عنده، فبعض له راهباً يسمى "نقولا" الى غير ذلك.

فمن هنا تفهم ان العلوم لا تنتشر في عصر الا باعانة صاحب الدولة لاهله، وفي الامثال الحكمية، الناس دين ملوكهم.

وقد تشتت عز الخلفاء وانهدم ملكهم فانظر الى الاندلس فانها بادي النصارى الاسبانيول، من نحو ثلاثمائة وخمسين سنة.

وقد قويت شوكة الافرنج ببراعتهم وتدبيرهم بل وعدلهم ومعفرتهم في الحروب، وتنوعهم واختراعهم فيها، ولولا ان الاسلام منصور بقدرة الله سبحانه وتعالى لكان كلا شيء بالنسبة لقوتهم، وسوادهم، وثروتهم، وبراعتهم وغير ذلك، ومن المثل المشهورة، " ان اعقل الحكام ابصرهم بعواقب الامور "

ولهذا تنبه (المتولى) على بلاد مصر – القاهرة – ان يرجع اليها شبابها القديم، ويحي رونقها الرميم فمن مبدأ توليته وهو يعالج في مداوة دائها الذي لولا كان عضالا ويصلح فسادها الذي قد كان يكون زواله محالا، ويلتجئ اليه ارباب الفنون البارعة، والصنائع النافعة من الافرنج ويغدق عليهم فائض نعمته، حتى ان العامة بمصر، وبغيرها من جهلهم يلومونه في انفسهم غاية اللوم بسبب قبوله الافرنج، وترحيبه بهم وانعامه عليهم، جهلاً منهم بانه انما يفعل ذلك لانسانيتهم وعلومهم، لا لكونهم نصارى، فالحاجة دعت اليه والله در من قال:

---

[٥٨٧] - هو اصطفان بن (بازيل) من تلامذة حنين بن إسحاق، وأول من قام بترجمة كتاب Dioscorides في الطب.

ان المعلم والطبيب كلاهما لم يبذلا نصحاً اذا لم يكرما[٥٨٨]

فاصبر لدائط ان جفرت طبيبه واصبر لجهلك ان جفوت معلما

ولا يتأتى لانسان ان ينكر ان الفنون والصنائع الغربية بمصر قد برعت الان، بل وقد اجدت بعد ان لم تكن، ويرجى بلوغها درجة كمال وفوقان، فما انفقة (الوالي) على ذلك كان في محله انفاقاً، فانظر الى "الورش" والمعامل والمدارس ونحوها، وانظر الى ترتيب امر العساكر الجهادية من الايات ومدارس حربية فانه هذا النظام الا لمن رأى بلاد الافرنج، او شاهد الوقائع.

وبالجملة والتفصيل، (فان الوالي) اماله دائماً متعلقة بالعمار، ومن الحكم المعروفة العمارة كالحياة والخراب كالموت وبناء كل (انسان) على قدر همته.

وقد سارع (الوالي) في تحسين بلاده فاحضر فيها ما امكنه احضاره من علماء الافرنج وبعث ما امكنه بعثه من مصر الى تلك البلاد فان علماءها اعظم من غيرهم في العلوم الحكمية، وفي الحديث الحكمة ضالة المؤمن يطلبها ولو في اهل الشرك قال بطليموس الثاني " خذوا الدر من البحر، والمسك من الفأرة والذهب من الحجر، والحكمة ممن قالها " وفي الحديث اطلب العلم ولو بالصين، ومن المعلوم ان اهل الصين وثنيون وان كان المقصود نمن الحديث من الحديث السفر الى طلب العلم وبالجملة حيثما امن الاسنان على دينه، فلا ضرر في السفر خصوصاً لمصلحة مثل هذه المصلحة.

ولعل هذا كله مطمح نظر (الوالي) في هذه الارسالية وغيرها من الارساليات المتتالية المتسلسلة فثمرة هذا السفر تحصل – ان شاء الله تعالى – بنشر هذه العلوم والفنون الآتية في الباب الثاني، وبكثرة تداولها، وترجمة كتبها وطبعها في مطابع ولي النعم.

---

[٥٨٨]ـ الرواية المشهورة: لا ينصحان إذا هما لم يكرما.

فينبغي لاهل العلم حث جميع الناس على الاشتغال بالعلوم والفنون، والصنائع النافعة، ليس هذا الزمان قابلاً لان يقال فيه كما قال بهاء الدين ابو حسين العاملي في صرف العمر في جمع كتب العلم وادخارها ومطالعتها، في شعره:

على كتب العلوم صرفت مالك — وفي تصحيحها اتعبت بالك

وانفقت البياض مع السواد — الى ما ليس ينفع في المعاد

تظل من المساء الى الصبح — تطالعها، وقلبك غير صاح

وتصبح مولعاً من غير طائل — بتحرير المقاصد والدلائل

وتوضيح الخفا في كل باب — وتوجيه السؤال مع الجواب

لعمري قد اضلتك الهداية — ضلالاً ما له ابدا نهاية

وب " المحصول" حاصلك الندامة — وحرمان الى يوم القيامة

وتذكرة " المواقف " والمراصد — تسد عليك ابواب المقاصد

فلا ينجي النجاة من الضلالة — ولا يشفي الشفاء من الجهالة

وبالارشاد لم يحصل رشاد — وبالتبيان ما بان السداد

وبالايضاح اشكلت المدارك — بالمصباح اظلمت المسالك

وبالتلويح ما لاح الدليل — وبالتوضيح ما اتضح السبيل

صرفت خلاصة العمر العزيز — على تنقيح ابحاث الوجيز [٥٨٩]

بهذا الامر صرف العمر جهل — فقم واجهد فما في الوقت مهل

---

[٥٨٩] ـ المقاصد، والدلائل، والمحصول، والمواقف، والمراصد، والنجاة، والإرشاد، والتبيان، والإيضاح، والمصباح، والتلويح، والتوضيح، والوجيز أسماء لكتب شرعية ولغوية ونحويه.

ودع عنك الشوح مع الحواشي   فهن على البصائر كالغواشي[590]

وقوله:

ايها القوم الذي في المدرسة   كل ما حصلتموه وسوسه

فكركم ان كان في غير الحبيب   ما له في النشأة الاخرى نصيب

فاغسلوا بالراتح عن لوح الفؤاد   كل علم ليس بتجي في المعاد

لان هذا مقال من تجرد عن الدنيا، وانهمك على الاخرى، او من اشترى العلوم باغلى ثمن، فبخس صفقتها حادث الزمن.

الشدياق في لندن(١)[591]

الفارياق يصف لندن

قالت: كيف وجدت مدينة لندن؟

قلت : رأيت فيها النساء اكثر من الرجال واجمل.

قالت: لو ذهبت اليها امراة لرأت بعكس ذلك، فغن نساء الانكليز في هذه الجزيرة لسن حساناً، والحسن كله في الرجال.

قلت: هؤلاء نخبة البلاد انتقتهم الدولة حساناً ليخيفوا العدو في الحرب.

---

[590] ـ الغواشي: جمع غاشية، وهي الغطاء.

[591] ـ أحمد فارس الشدياق (ت.١٨٨٥)، الساق على الساق، ص ٥٥٥.

قالت: بل الامر بالعكس، فان الجميل لا يخيف وان كان عدواً، وانما القبيح هو الذي يخيف : الا ترى انهم يقولون وجل باسل ومتبسل اي شجاع وهو في الاصل الكريه المنظر؟

قلت : وقد قالوا ايضاً راعه بمعنى اعجبه واخافه.

قالت: المعنى واحد، فانه مأخوذ من الروع، اي القلب، فرؤية الجميل تصيب القلب، بل وسائر الجوارح، ثم قالت وكيلف رايت داكينها واسواقها؟

قلت: اما الدكاكين فملآنة من الخز والحرير والتحف البديعة.

قالت: هل "من" هو فيها ك "ماء" هو فيها؟

قلت : فيها نساء بيض حسان.

قالت: ان اسألك عن شيء وانت تخبرني عن غيره، قد عرفت انك زائع البصر فلن أسألك بعد عن الناس، وما اسأل الا عيني، هذه خصلة فيكم معشر الرجال، انكم لا ترون في جنسكم حسناً.

قلت: هي مثل خصلتكن معشر النساء في انكن لا ترين في جنسكن جمالاً .. ثم قالت: أخبرني عن الاسواق.

فقلت: طويلة عريضة واسعة نظيفة كثيرة الانوار بحيث لا يمكن للرجل ان ينفرد بامرأة
أصلاً حتى كأن الضباب ينجلي بها في الليل ايضاً.

قالت: هو من بعض المنافع الضارة، الا ليت لي جداً فانظر مرة محاسن هذا المصر من قبل ان اقضي.

قلت: لا تقنطي فاني ارجو غان نسافر اليها جميعاً بعد مدة.

قالت: حقق الله لنا هذه الامنية ...

الشدياق في لندن (٢)[٥٩٢]

السآمة في لندرة

ليس عند الانجليز في ايام السنة كلها يوم للحظ واللهو، فلا تعرف فيها راس السنة من ذنبها، وليس عندهم ايام للبطالة، ما عدا ايام الاحاد، سوى عيد الميلاد ويوم الجمعة الكبيرة.

ولكن يوم البطالة هنا هو يوم الانقباض والاكتئاب اذ لا ترى شيئاً يقر العين، فقط اسلفنا ان جميع الحوانت تكون يومئذ مغلقة، ومن العجب هنا آنه يؤذن لباعة التبغ في فتح دكاكينهم يوم الاحد، ولا يؤذن لباعة الخبز واللحم فكان التبغ الزم للمعيشة من غيره.

نعم، ان في صباح الاحد في لندرة لذة لا تقدر ولا تنظر بالنسبة الى نحس الايام الاخرة، وهي قلة قرقعة العجلات وسائر المراكب، فقد كنت احسب في صباح كل احد اني ساكن في الريف . فاما في سائر الايام، فان توالي القرقعة داهية من اعظم الدواهي فمن لم يتعود عليها لم يهنأه نوم ولا قعود، ولن يمكن ان بجمع افكاره في رأسه، واذا مشى اثنان في الطريق لزم المتكلم ان يصرخ بأعلى صوته ليسمعه الآخر.

---

[٥٩٢] ـ أحمد فارس الشدياق (ت. ١٨٨٥): كشف المخبأ عن فنون أوروبا، الجوانب، ١٢٩٩، ص ٣٤٢.

العرب والغرب

(في فن المقامة)

المويلحي عن باريس[٥٩٣]

باريس

قال عيسى بن هشام، سبحان من لا تجري الامور الا بتقديره، ولا تنفذ العزمات الا بتسيره، فقد يسر الله لنا الرحلة الى الديار الاوروبية، لنشهد مظاهر المدنية الغربية، وبلغنا من سفرنا المدى، فالقينا بباريس العصا، وشرعنا نجوب منها الطرقات الجامعة والساحات الواسعة، فلا القبائل تدعى وتهرع ولا الجيوش تحشد وتجمع، ولا الموتى وهم ينشرون ولا الخلق وهم يحشرون، يضاهى ما القوم فيه من ازدحام واقتحام، واصطدم والتحام، متدفقين في سيرهم تدفق السيل تحت اضواء صحت آية الليل فلا ليل، يخشى فيها على الابصار ان تعشو من شدة الانوار وربما انخدعت بها الديكة فاخذت في الصياح ايذاناً بانبلاج الصباح.

فاذا تظرت الى الشارع من العلو، لم تبال بالغول، ان قلت بحر مسحور، قام عليه شاطئان من نور، واذا ابصرته من اصفله عند اوله، قلت اسراب الدو، تصعد الى الجو، بين الكواكب الزهراء، من كرات الكهرباء، والبيوت عن حافيته تشارف جو السحاب، وتحاول ان تعلق من السماء باسباب، فارغة باسقة، متلاصقة متنافسة، كانها في انتساقها سطور الخط، والازهار على جدرانها شكل ونقط، فاين منه ما بناء لفرعون هامان، وشاده جن سليمان

---

٥٩٣ ـ من حديث عيسى بن هشام لمحمد المويلحي. تونس، دار الجنوب، ١٩٩٢. والملويلحي هو محمد بن إبراهيم. كان أبوه قائماً على تربية أبناء الخديوي إسماعيل. وعندما سافر إبراهيم إلى باريس رافقه الابن، وهناك تعرّف إلى جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، وبعدها غادر إلى لندن، وعاد الابن إلى مصر سنة ١٨٨٧، وتعرف إلى سعد زغلول وعلي يوسف وحافظ إبراهيم وقاسم أمين، وشارك في مجلس الأميرة نازلي فاضل حفيدة الخديوي السابق إسماعيل، وتوفي بحلول سنة ١٩٣٠. ونشر (حديث عيسى بن هشام) للمرة الأولى سنة ١٩٠٧.

لسليمان، ورفعه سنمار للنعمان واين شماريخ ثبير من سنام البعير، ومعارج الجبال من مدارج النمال لا اين البحر العباب، من لامع السراب، واجرام الكواكب من بيوت العناكب؟

وشاهدنا المارة يتسابقون في هذا الموقف المتلاطم والمأزق المتزاحم من كل شيخ وكهل وصبي وطفل، وفتى وفتاة بين ركبان ومشاة، والالوف من صنوف العجل تخترق صنوف الناس وتنفيذ بينهم نفاذ السهام عن الاقواس، طائرة بقوة الكهرباء او البخار او الافراس.

ولما لم يسابقهن شيء   من الحيوان سابقن الظلالا

وكل سائر منهم في اضطراب العصفور، وتلفت القطا المذعور، ان خانته لفتته، ادركته منيته، وان عثرت قدمه، هريق دمه، وان شمخ شامخ يأنفه، وقع في حتفه، فهم يتلمسون شاكلتي الطريق منا يتلمس الشاطئ الفريق، والحوانيت على الجانبين متبرجة ببدائع البضائع، ونفائس الصنائع تغوى الزاهد فيشتهيها، وتغرى الشحيح فيشتريها، والحانات من بينها ممتلئة بالنفوس مشحونة بالجلوس في يد كل واحد منهم كاس الصهباء، وفي الاخرى جريدة المساء، ونحن في هذا الموقف تكاد تطيش من العقول، من هول الدهش والذهول، وتطير منا الالباب من شدة الوجل والاضطراب.

ففي ساحة لو ان لقماناً بها   وهو الحكيم لكان غير حكيم

ومال بنا طلب الراحة، الى حان في تلك الساحة، فلم تجد به مكاناً خالياً من الزحام، فعكفنا مدة واقفين على الاقدام وكدنا نذهب عنه آيسين لولا ان تحرك بعض الجالسين فذهبوا لشأنهم وخلفائهم في مكانهم، وجلسنا في هذا المامن نتصفح وجوه الحاضرين، واجناس المارين، فاذا عدت ربات الحجال يربو على عدد الرجال، من كل ذات حسن وجمال وتيه ودلال، وقد متأود، وخد متورد.

تختال في مفوق الالوان   من فاقع وناصع وقان

وهن يرفلن في الوشي، ويسرعن في المشي، ويبارين في رفع الفضول من الاطراف والذيول، ويضربن الارض بارجلهن، ويزحزحن ما استعطن من حللهن.

ويبسمن عن در تقلدن مثله   كان التراقي وشحت بالمباسم

وينشرن من الارج والطيب، مثل نشر الزهر في الغصن الرطيب، ويرسلن سهام العيون فيحركن سواكن الشجون، ويسلطن من اللحاظ القواتل ما يدمى حيات القلوب الغوافل.

وينشرن من الارج والطيب، مثل نشر الزهر في الغصن الرطيب، ويرسلن سهام العيون فيحركن سواكن الشجون، ويسلطن من اللحاظ القواتل، ما يدمى حبات القلوب الغوافل.

اشارة افواه وعمر حواجب   وتكيير اجفان وكف تسلم

واصناع الباعة يكثرون من الغدو والرواح، ويهيجون في النداء والصياح يمثل العواء والنباح دائبين في الالحاف والالحاح.

ولما أفقنا هنيهة اخذ الباشا كعادة في السؤال يستجلي منا واقعة الحال ويقول : ما اشك في ان هذا اليوم يوم عيد، عند اهل هذا العالم الجديد او هم في نظري سكان مهاجرون او جند قافلون، انتهوا من حومة المنايا، بالغنائم والسبايا فاقول له، لا بل هي كما يصفها الواصفون ويعرفها العارفون العارفون تلك المدينة الفاضلة ام المدنية الكاملة مهبط العمران والحضارة، ومظهر الزينة والنضارة وموطئ العز والمجد ومصدر النحس والسعد بل هي تلك عندهم ارم ذات العماد، التي لم يخلق مثلها في البلاد لو رآها صاحب الايوان كسرى انوشروان لم يفخر على الدهر بايواء ولا قصر ولحكم بان المدائن لديها سبب قفر، ولو نظرها قيصر الرومان لاقسنم ان رومية وهي عنده عاصمة الدنيا، قرية لديها من الطبقة الدنيا، مثل التي ذكرها في كشفه عن طماعيته قبل ولايته اذ قال

افضل ان اكون الاول في ادنى قرية ولا اكون الثاني في مدينة رومية، ولو شاهدها افلاطون حكيم اليونان لم يقل فيما دبر من الزمان " احمد الله على نعم ثلاث، يعجز عن حمدها اللسان، ولا يقوم بحقها شكران، ان خلقني من نوع الانسان لا من نوع الحيوان، ومن جنس الرجال، لا من جنس النساء، ثم جعل نسبتي الى اثينا، عاصمة اليونان، ومن سائر البلدان، ولو اطلع عليها هاروت وماروت لم يماريا في ان بابل عندها فلاة سبروت.

كجنة الخلد تسر – من راى فتزردى " الخلد " و " سر من راى"

هذه هي اليوم بيت العلم والفضل ودار السلام والعدل، ومعهد الحق والانصاف، ومهد الاتحاد والائتلاف هذه هي المدرسة التي يشرق منها على العالم شمس الهدى والعرفان، ويتلقى الانسان عنها حقوق الانسان، ويعرف منها وجوه الخير والاحسان ولكل انسان وطن وهي لكل وطني وطن ثان، لولاها ثم يدرك الانسان لنفسه من قدر، ولم يأمن من دياره من اغتيال او غدر، فقد كفت عن الناس عاديات المظالم وكفتهم بائقات المغارم، وعلمتهم كيف تؤتى المكارم وتجتنب الاوزار والمحارم، وكيف يعيش البشر في دار الشقاء، عيش السعادة والهناء، تحت ظل " الحرية" و " المساواة" و " الاخاء" اذا ناداها المظلوم من اي جنس واي قوم اجابته لبيك مات الظلام فلا ظلم اليوم.

وهؤلاء اهلها كما تراهم يهجرون الرقاد ويواصلون السهاد، ويصرفون الحياة في الجد والعمل، ولا ينتهي امل الا الى امل، فليس على هممهم شيء بمحال في كل حال يذيبون بعزائمهم صلب الحديد وتلين لاشارتهم صم الجلاميد، ويذيبون الهواء ويكتبون على الماءس ويفتلون الحبال من الرمال ويزيلون راسيات الجبال، برائشات النبال، وينصبون الدماء بمتح الدلاء، ويمحون آية الليل فلا تبلغ فيهم امداً ويجعلون النهار دائماً عليهم سرمداً.

اولئك الناس ان عدوا بأجمعهم ومن سواهم فلغو غير معدود

والفرق بين الورى جمعاً وبينهم كالفرق ما بين معدوم وموجود

اقول قولي هذا والباشا ينصت ويتامل و " الصديق" يتبرم ويتململ فالتفت اليه استخبره الخبر عن سبب هذا الضجر فما اتممت عليه احرف السؤال حتى انهال علينا في المقال انهيال السيل من مشرف عال:

الصديق – تالله لقد سئمنا ومللنا من سماع مثل هذه المبالغات، وتردادها على آذاننا في وصف هذه الديار، ونحن في ديارنا السنين والاعوام واولى ما يوصف هذا الوصف للغائب عنها لا للحاضر فيها، وانت رجل بحاث نباث من دأبك استنباط الغوامض واستجلاء الدخائل، والزم ما يكون لنا الان ان نجعل فكرنا مجرداً عن مثل هذه الاوصاف والاخبار، التي شحنت خيالنا زمناً طويلاً فننساها ولا نذكرها ليكون حكمنا على المشاهدة والعيان خالياً من مقدمات سبقت على الغيب، ورسخت في اذهاننا بالخبر، وقد علمت ان ذهن الانسان يغلب عليه الانقباض عن الفحص والتمحيص ولا يباشرهما في الغالب الا مضطراً مقسوراً لما في التسليم المطلق والتصديق المعجل من ارحة الفكر وسكون البال وربما ارتسم في خياله امر استحسته بالخير فيركن اليه ويرذ كل ما عليه من قبيله الى صحيفة الاستحسان والقبول في نفسه والاذن تعشق قبل العين احياناً كما انه اذا هو استقبح امراً كان الامر على هذا القياس ولذلك ترى العاشق يرد كل ما يصدر عن معشوقه الى الحسن، وان كان غير حسن في الواقع عند الفحص والتامل للميل الاول والاستحسان اللسالف واستعداد لوح الرضا والقبول في نفسه لانتقاشه فيه ومن هنا جاء قولهم:

وعين الرضى عن كل عيب كليلة كما ان عين السخط تبدي المساويا

ولقد ترى الرجل الضشاعر الاديب اذ انت انشدته بيتاً من الشعر لم يكن يعرفه ولم تسم له قائلة ربما استهجنه ولم يستملحه فاذا سميت له ايا تمام مثلاً او ابا الطيب، ارتد الى الاستحسان واخذ يتمحل لقائل البيت عذراً ان كان في البيت مما يستهجن حقيقة وما كان ١لك الا لما اطمأنت عليه نفسه، وتعودته من القبول والاستحسان لكل ما يصدر عن هذين الشاعرين.

ويمكن من هذا كله ان نستخرج معنى الحظ والسعد والاقبال الذي يناله الانسان في دنياه ان صادف عمله في النفوس صحيفة الاستحسان بين الناس، ومعنى النحس والتعس والادبار ان صادق ما ياتيه عندهم لوح الاستقباح، والشاعر يقول:

اذا اقبل الانسان في الدهر صدقت   احاديثه عن نفسه وهو كاذب

فما بالك باحاديث الرواة عنه وحسن القالة فيه وقد عهدنا الغربيين عموماً، وهؤلاء الفرنسيين خصوصاً، لا نتصفح لهم كتاباً ولا نسمح منهم حديثاً الا بتمجيد مدنيتهم ومباهاة الناس طرأ بنظام معيشتهم وانهم مهم ارباب الخلق وسادة البشر، وان الهدى هداهم والضلال فيمن عداهم وانه اوحى اليهم من سماء مدنيتهم ان يخرجوا الناس من الزلمات الى النور، فاما الايمان بها واما الحسام، وقد ذاعت فينا دعوتهم، واعانهم منا على نشرها من اعانهم فقبلنا سبالغاتهم بالتصديق والتسليم من غير بحث ولا نظر وصرفنا كل ما ياتونه الى وجوه الحكمة والصواب، وبسطنا لهم صحيفة الاستحسان من النفس، يرتسم فيها كل ما يتخيلونه لنا ويموهون به علينا.

فالراي لنا حينئذ ان يطرح عنا ما قالوا وما وصفوا، وننظر اليوم الى الامور في حقائقها ونحكم عليها بحسب قيمتها في ذاتها لا على حسب ما رسمه الوهم، وسوله الخيال في نفوسنا ومعنا الباشا يمتاز علينا والحمد الله بانه كان بعيداً عن هذا العالم، محتجباً عن هذه الدنيا الدهر الطويل، فبقي خالي الذهن مما شحن رءوسنا من هذه المدينة فحكمه اليوم على ما يشاهده بالعيان دون الخبر والرواية، يكون اصح حكم ونظره اصدق نزر، وما علينا الا ان نشاركه في صحة النظر مجردين عن الهوى حتى نقف على كنه الحق والباطل في نظام هذه المدينة وقوفاً تاماً.

عيسى بن هشام – لك الله فيما تبدئ وتعبد !! كانك تريد ان نخالف الاجماع ونقابل الناس بغير ما الفوه فننتقد لهم ما هو خال عندهم من انتقاد يعيد من الذم والعار، فيمونا بغلظة الطبع، وجفاء الفهم وسخف الراي، ولا يفوتنك ان كثيراً

من ذوي الراي يرون انه ليس من ادب الدنيا ان كل حقيقة تقال وكل صحيح يروى.

او ليس من صواب الرأي حينئذ ان نسير على اسلوب الذين سبقونا الى زيارة هذه البلاد، فترجع على اهل الشرق باللائمة عليهم في انخفاضهم وارتفاع اهل الغرب فوقهم وان نصف ما القوم فيه من القوة والمنعة ومظاهر العز والعظمة في النعيم المقيم، واننا لا نزال راقدين رقادنا الطويل في كهوف التراخي والخمول، يقولون فنسمع ويامرون فنصدع ويقتسمون ارزاقنا فنشكر وينقصون من ارضنا فنحمد، ويحتلون ديارنا فنقبل افلا اقل من ان نسهب في بيان الاسباب التي ارتقت بهم الى مرتبتهم في الوجود ونطنب في شرح القوالعد والاصول التي اسسوا عليها بيانهم لنحذو حذوهم ونعمل على شاكلتهم او ليس الاليق بنا ان نحض قومنا لينفضوا عنهم غبار الكسل، ويخلعوا عنهم لباس الخمول ويهبوا الى تقليد هؤلاء لينفضوا عنهم غبارا لكسل ويخلعوا عنهم لباس الخمول ويهبوا الى تقليد هؤلاء المجتهدين في انواع الكمالات؟ او لست ترى، من افضل الابواب في الحث والتحريض ان نفخم ما استطعنا في وصف هذه المدينة، ونعظمها في اعينهم، وتكبرها في صدورهم ونبكتهن باحاديثها ونرفع من قدرها بقدر ما نحط من قدرنا ونعيرهم بالمقارنة ليكون الحث والتحريض على المباراة اشد، والاثارة الى اللحاق بهم ابلغ، ولو سكت الاستاذ عن تلميذه، ولم يعيره يسبق غيره عليه، اكدت تراه يجد في الاخذ، ويجتهد في التحصيل؟

الصديق – لا يعزب عن فطنتك بادئ الامر ان جل هؤلاء الذين تحكي عن طريقتهم ممن زار هذه البلاد من اقوامنها وعادوا الى بلادهم فحدثوا عنها، وكتبوا وقرروا وحكموا ينقسمون الى اقسام:

القسم الاول منهم: الطلبة الذين تلقوا في هذه البلاد دروسهم، هؤلاء لما هم فيه من غلواء الثباب، والافتتان بكل رائع يغلب عليهم الاخذ بالظوافر ولا متسع ثمة عندهم للبحث والفحص ودقة التمييز فيما هو داخل تحت حكم الفضيلة، وداخل تحت حكم الرذيلة عند النظر في معيشة اهل هذه المدينة الغربية، بل هي تتجلى

لهم في صورة معظمة فياخذونها على الجملة زاهية زاهرة، حتى اذا انقلبوا الى اهلهم رووا لنا عنهم مثل حديث المغرم عن معشوقه في اوقات نشوته وكان همهم ان يظهر عليهم اثر من اثار تلك المدينة العظيمة مما تحف مؤونته وتهون تكاليفه، ليلحقوا بانفسهم شيئاًَ من تلك العظيمة التي بهرت خيالهم وبهروا بها اعين الناس ولسنا من اهل هذه الطبقة.

والقسم الثاني: جماعة منا قصدوا هذه البلاد للنزهة والاسترواح، لا سواهما فهم لا ينظرون الى هذه المدينة الا من وجه تطبيق العيان على الخبر ومن بحث منهم فانكشف له فيها عيب، كره تغيير الراي ومخالفة المعهود لما فيه من المشقة والكلفة، ثم اصف الى ذلك ما يكون للاختصاص بمشاهدة المحاسن دون المعايب والتبسط في الحكاية عنه في الفضل على السامعين والسمتخبرين، ولسنا من هذا الصنف.

والقسم الثالث: طائفة من ارباب الوظائف في الحكومة يفرون الى هذه البلاد من اسر الخدمة مسافة الشهر او الشهرين قرار الاسير من القيد، ومنهم من تلقى دروسه فيها، وحكمه حكم الذين ذكرناهم في القسم الاول، وفيهم من لم يتعلم في اوروبا فهم يسيرون على نهج المباراة للمتعليمن فيها، صائرين على نمطهم ليلتحقوا بهم، ويحشروا في زمرتهم، ويرتفع عنهم بعض امتيازهم عليهم، وحكمهم حكم واحد ايضاً . على انهم ليس عندهم جميعاً من سعة الوقت ما يفسح لهم مجال البحث والتدقيق فيما يرونه فان كل موظف منهم لا ينفك مدة زيارته مشتغل الفكر مقسم النظر بين امرين، عين تنظر الى ما بقي في صحيفة اجازته من الايام وعين ترمق ما بقي في كيسه من الدراهم، ولسنا من هذه الرتبة ايضاً.

وجميع هذه الاقسام كما تراهم مولعون بالمبالغة في الوصف والغلو في القول، ولا غرو فالناس لا يرون لهم فضلاً في الرواية والنقل ما لم يضيفوا اليهما الكثير المفترى من عندهم، ولحكاية الغريب ورواية العجيب لذة في نفس الراوي، وحلاوة في اذم السامع، على هذا الدرج الخلق منذ خلق الله ادم الى

اليوم ومنذ جرت اسطير الاولين عن الجن والعفاريت والاغوال والسعالى الى قصة " الف ليلة وليلة " وسرة " عنترة " وجريدة العجائب.

وهناك قسم رابع ربما فحص ودقق ووقف وعلم، ولكن له هوى خاصاً به يمنعه من كشف الحقائق، ويدفعه الى المبالغة على القصد، والغلو على الصمد، فلا يروي ما يرونه عن هذه المدينة الا بالتشييد والتمجيد باطلاً كان ام حقاً لينصر مذهباً له معيناً وغرضاً مضمراً فداب بيننا كالأجير للاجنبي يرفع لنا من شأن مدنيته وقوة حضارته ليرتفع معه بارتفاعه ويتسلط علينا بسلطانه وينتفع منه يتمكين جاهه فينا وقدرته علينا، وفي هذا القسم من يرى ان في استيلاء المدنية الغربية على الشرق وتغييرها لقديم عاداته واخلاقه انتصاراً لمذهب بعينه، فهم في اشادتهم بامرها وتشيعهم لها، وتبشسيرهم بها، كالمتشيعين لمذهب، والمبشرين بدين.

فقد تبين لك اذن اننا لسنا بمعدودين في قسم من هذه الاقسام وقد خرجنا من ديارنا واصطحبنا في سفرنا على شريطة الفحص والتنقيب، والاعتراض والانتقاد وان نتحدث عن هه المدينة بما فيها من ضار ونافع، ومعوج ومستقم على المشاهدة في منبت ارضها وتربة نشاتها وانا رجل اميل الى ان كل حقيقة تقال وكل صحيح يروى فدعنا حينئذ من الغلو والاغراض واتركنا من التخيل في النعت وتعمل الشعر في الوصف وخذ بنا فيما عهدناه على انفسنا، وقد آن ان نسأل الباشا، وهوة ينظر الى الامور بنظر صادق مجرد عن الهوى – عما وقع عليه من التاثير في نظرته الاولى عن هذا العالم الحديث عنده، وعن جملة ما حصل منه في نفسه.

الباشا – ما اراني اميز شيئاً فيما رايته من هذا الخلق المزدحم، وهذه الحركة المشابهة، لحركة الاسواق في هذا الدوي المماثل لدوي الخلايا، وهذه الاضواء التي يتأذى منها البصر وجملة ما انا فيه الدهشة والحيرة ولعل هذا هو الذي يمنعني من التمييز وكنت اود ان يقع اختيارنا على ناحية ساكنة من المدينة خاليه من مثل هذا الزحام حتى نالف الديار وساكنيها.

عيسى بن هشام – ليس ما توده من هذا القبيل بميسور لان الزحام منتشر في جميع ارجاء المدينة وهذه الحركة لا تنتهي الليل والنهار ولا جرم فان عدد سكانها يقدر ببضعة ملايينم وذلك ان تقول فيها، انها جملة بلاد متجمعة متشابكة يعدونها مدينة واحدة.

الصديق – وفي هذا من عظمة الملك ما لا يخفى على احد!!.

الباشا – ان كان الامر كذلك فلا بد لنا من مرشد يرشدنا وهاد يهدينا فنقف منه على ما يخفى علينا فيها، وما يغمض من حقائق الامور.

الصديق – ما اخالك واجداً لطلبتك فقل ان تجد في اهلها من لا يسلك السبيل المعروف في تشييد مجد قومه ونشر مفاخرهم بما نحن في غنى عنه، ولسنا نستفيد منه الا كثرة اللغو وقلة المحصول.

قال عيسى بن هشام : وجاء وقت الطعام فقمنا الى المطعم، ولما اخذنا مقاعدنا على المائدة تبصرنا امامنا ثلاثة اشخاص من اهل المدينة يتجادلون بينهم، فانصتنا اليهم نتلقف من افواههم ما يخوضون فيه، احدهم شاب ضئيل الجسم حسن الشارة محلوق اللحية والشارب، ظاهر التكلف في زيه، ينم شكله وحديثه على انه اديب من كتاب العصر وثانيهم رجل بدين منتفخ البطن، احمر اللون، ينبئك وجهه وقوله انه من طائفة التجار، وثالثهم شيخ جميل المنظر في وقار السن ورزانة العلم، ما يشك رائيه والسامع له في انه رجل من اهل الفلسفة والحكمة، ولذ لنا ان نجعل التفرغ لاستماع كلامهم سمر المائدة فوجدناهم ينتقلون فيه من باب الى باب، ومن شان الى شان، حتى انتهى القول بهم في الاحوال الحاضرة الى حرب الصين فسمعنا " الكاتب " يقول وهو يضرب المائدة بيديه والارض برجليه.

الكاتب – لقد آن للمدينة ان تزيل الهمجية، وتمحو الوحشية من الوجود وان تقوم بشر الرسالة التي سخرنا لتبليغها الى الناس، فنصلح من شان الانسان في اي مكان كان، ونغرس فيه اصول المدينة، وناخذه بتعاليمها لنصل بالعالم الانساني

الى الراحة الدائمة والسعادة المطلقة في هذه الحياة، والا فما مزية جهادنا في فنون الترقي والتقدم والتسابق في العلوم والفنون؟ وما فائدة هذا الاختراع والابتداع في ابواب الصناعات والالات؟ فان كان المقصود من المدينة ان نتقن هذه الالات الحربية، وتعد هذه القوى العسكرية، ليقتل بها بعضاً ونخرب بيوتنا بايدينا فبئست العلوم والفنون وبئس ما سخرنا له انفسنا واضعنا فيه اعمارنا، اذ تنقلب الغاية من تهذيب المدنية الى فظاعة الوحشية.

ولقد كان الواجب على دول الغرب وامممه ان يتحد بعضها ببعض فتنصرف بكليتها وتندفع بجميع قواها، التي شيدتها لها افكار العلماء وذوي المعارف منا الى تهذيب بقية اهل هذا العالم، المقيمن عفلى الجهالة الى اليوم لننتزعها من حضيض الهمجية الى مقام الرفعة الانسانية، فيحق لكل واحد منا بعد ذلك ان يفتخر على الطبيعة بانه اصلح فسادها وسد نقصانها.

التاجر – نعم هكذا يجب ان تمون سيرتنا، والا فكيف يتسنى لنا تصريف بضاعتنا، وترويج صناعتنا، التي تقوم عليها معايشنا، وتضيق بها ارضنا اذا اجترأ اهل الصين على ان يقوموا في وجوهنا ويعطلوا مصالحنا؟ وكيف نجهد افهامنا في العلوم، ونشقى ونتعب، وفي العالم اقوام نيام على ارض من الذهب كالأرصاد فوق الكنوز لا ينتفعون بها ولا يتركون الانتفاع بخيرات الطبيعة وطيباتها للذين استحقوها بكشف اسرارها ورفع استارها.

الحكيم – ان كان الكلام بينكما عن المدينة الصحيحة التي تقوم على الحرية والمساواة والاخاء حقيقة وتعم الخلق من غير استثناء بالعدل والاحسان، وتوفر لهم اسباب السلم في والامن في السعة والرخاء، فلسنا منها في شيء ان كنا نزنهال مقصورة على اتقان الالات وحشد الجنود والتفنن في تشييد قوى الحرب، وانفاق ثروة في سبيل ذلك، حتى تضيق بنا بالارزاق في ارضنا، فنعمل على طلبها في انحاء المسكونة، ونسلط على اهلها هذه القوى الحربية، ولسنا من المدنية في شيء ايضاً، اذا كنا نعتبر انفسنا ملائكة الارض وصفوة البشر وارباب الخلق، فنحتقر بقية العالم، ولا نرضى منهم الا بتغيير اخلاقهم

ونسخ عاداتهم، وان يفوضوا الينا امورهم، ويسلموا الينا مقاليدهم ونكون فوقهم كالاوصياء نصرفهم الى ما نحب ونسوقهم الى ما نهوى. وليست المدنية ان نذهب الى الصيني في اقصى الارض، وهو امن مطمئن بين اهله وولده في عيش يرتضيه ونظام يالفه فنقول له، قم فقد جئناك بالهدى والحق، فهلم فكسر اصنامك واهدم مناسك واحرق كتابك، وغير ثيابك، ويدل طعامك وارفع حجابك وكن اوربياً في الصين القديم وغربياً في الشرق الاقصى فاذا قال لنا، لست افقه شيئاً مما تدعوني اليه، ولا ادري ما هذا الدين الذي تبلغونني رسالته؟ قلنا له، ليس هذا بدين ولا بمذهب وانما هي دعوة المدنية الغربية ندعوك اليها لتقرها وتتلبس بها فيقول لنا، ان كانت لكم مدنية، غربية فلنا مدنية شرقية اسسها تجارب القرون المتراكمة وبقيت فينا نقية خالصة هذبتها الدهور، واخلصتها يد الزمان ولبس يبقى على الزمن من الاخلاق والعادات الا ما كان له اصل ثابت وجوهر نقي، وانتم ان كنتم تؤرخون وجودكم في العالم بسبة الالف من المسنين فنحن نؤرخ وجودنا بمئات الالوف، وان كانت مدنيتكم بنت قرن او اثنين فان مدنيتنا بنت عشرات القرون، اصطلحنا عليها والفناها، وطاب لنا العيش بها طول هاتيك الدهور ومن دلائل المدنية الصحيحة ان نعيش فيها بامن وسلام لا يمطع احد فيما لبس له، ولا يغير على حق لغيره، وقد علمتم اننا عشنا دهرنا الطويل لم نطمع في ارضكم ولم نثر حرباً لفتح ومن دلائلها انها لا تنتهي باصحابها الى مفاسد الترف والنعيم فتضعف الاجسام ويقل النسل، وقد علمتم ان بلادنا هي اكثر البقاع سكاناً واعظمها عمراناً فنقول له: ما اضل احلامكم يا معشر الصينين ! الم تعلموا بان مدنيتنا هي مدينة العالم كله لا سواها، قامت على العلوم والمعارف.

الباب العاشر

نصوص المدونات والفيس بوك

غادة عبد العال

عايزة اتجوز

بداية الحكاية

سموا كده وخليكوا معايا واحدة واحدة ... خلينا نتفق الاول ان موضوع الجواز والعرسان وتاخر الجواز ده موضوع حساس جداً .. وصعب جدا انكم تلاقوا حدا بيتكلم فيه بصراحة ... خصوصاً بالنسبة للبنات .. لان اللي بتتكلم فيه بصراحة يا اما بيتبصلها على انها قليلة الادب وما تربتش ... يا اما على انها مسروعة ع الجواز ... يا اما على انها بارت ومش لاقية حد يتجوزها .. عشان كده تلاقوا بنات كتير بتقول:

- جواز ايه بلا نيلة يعني هما اللي اتجوزوا كانوا خذوا ايه..
- انا قاعدة في بيت ابويا معززة مكرمة ايه اللي يخليني اروح اتبهدل مع حد ما عرفوش؟!
- انا ما بفكرش بالجواز دلوقتي لما ابني مستقبلي!
- والجملة المستهلكة في كل الافلام العربية:
- لما احقق ذاتي!
- مش عارفة ايه ذاتها دي وتحققها ازاي يعني؟!
- يمكن فيه بنات كتير ليهم طموح في دراستهم وفي شغلهم ... ولكن اتحدى ان اي واحدة فيهم ما يكونش طموحها الاول انها تبقى زوجة .. على الاقل لان دي الطريقة الوحيدة اللي تخليها تبقى ام.

نتفق بقه على اسس ثانية مهمة:

عدد البنات في مصر اكبر من عد الرجالة.

دي نقطة اساسية مش عايزة حد يناقشني فيها .. وسيبوكوا بقه من احصائيات الحكومة اللي بتقولك عدد الاثنين زي بعض، لان دي احصائيات عاملة بالضبط زي درجات الحرارة اكيد فواق الـ ٤٥... وهما لا يمكن يزودوها عن ٣٨ .. انا ليا واحد صاحب بابا قال لي ممنوع يزيعوا ان الحرارة فوق الـ ٤٢

عشان السياحة ما تتضربش والسياح ما يهربوش .. موضوع نسبة الاناث للذكور برده فيه لعب بالطريقة دي .. ليه بقه النسبة اكبر؟ اقولكم:

موضوع الستات اللي بيقعدوا يخلفوا عشان يجيبوا الولد يعني فيه عائلات كثيرة تلاقيها كدة ٤ بنات وولد ٥ بنات وولد ٦ بنات وولد وهكذا وتفضل الست تخلف عشان جوزها يجيله الواد... يجيبوا يعمل بيه ايه؟ ما تعرفش وبيجي في الاخر خايب ونايب ويقعدوا يدلعوا فيه لما يطلع فسدان ويضيعلهم اللي وراهم واللي قدامهم واللي جنبهم كمان ما علينا، ده موضوع ثاني، بس اي حد بيدرس او درس في اي كلية في جامعات مصر هايلاحظ ان عدد البنات في اي كلية اكبر من عدد الولاد، في كليتي مثلاً كانوا تلتين العدد بنات والتلت ولاد يعني الضعف.

نقطة ثانية:

الرجال بقوا حاسين بنفسهم ويتكبروا على خلق الله من البنات (يقعدلهم في عينهم وعافيتهم يا رب) وتلقى الرجل قاعد هو وامه يتشرطوا .. لازم تبقى بيضا وشعرها بني وعينيها عسلي وشبه نيللي كريم، الله يخرب بيوتكم طب بص لنفسك يا خويا في المراية الاول طب بلاش بيقولوا الراجل ما يعيبوش الا جيبه .. طب شرفنا كده وادخل في ايدك انشاالله علبة ملبس ... لأ ...

البعيد هو وامه يروحوا يشوفوا العروسة الغلبانة اللي اهلها صارفين عليها الشيء الفلاني ومكلفين قعدة التعارف دي شيء وشويات رايحين ايد ورا وايد قدام والبت ما فيهاش اي عيب ويقولو لكم لا اصلها من شبه نيللي كريم قوي.. دي قالبة شوي على نجلاء وانا ماباحبش النوع ده، تقولش حسين فهمي رايح يتقدم للبت.

لأ والأفراح .. تككككته .. زمان كنتوا تشوفوا في الافلام العربي اي بنت تدخل فرح وهي لابسة شيك كدة شوية يتلموا عليها الشبان ويبقوا عايزين ياكلوها وما نخرجش من الفرح الا بعريس دلوقتي نفس التجمعات بس بالعكس، تلاقي كل ام قاعدة هي وبناتها مراقبين الشباب ويا ويله اللي بعدي جنبهم.

طارق ازيك يا ولد مش تيجي تسلم على بنات خالتك شوف بقوا حلوين ازاي؟

انا مش طارق يا طنط وانا متهيأ لي كده حضرتك مش خالتي

صحيح؟ معلش يا حبيبي العتب ع النظر طب ما تعرفنا على نفسك كده .. يمكن ربنا يحبك ويبقى لك نصيب معانا.

طبعاً الواد يا ما يطلع يجري ... يا اما حد من صحابه ياخذ باله م الكمين اللي وقع فيه وبيجي ينقذه على اساس في حد عائزة واكده.

طبعاً كده غير اللف اللي بيقعدوا البنات يلفوه حوالين العروسة عشان يبقوا واضحين لكل اللي في القاعة من كل الجهات .. ولما بيقف اللف تلاقيهم يزقوا في بعض او يعملوا انهم بيعدلوا للعروسة فستانها او طرحتها عشان يطلعوا في الفيديو ويحاولوا يطلعوا في اكبر عدد ممكن من الصور .. يمكن يعجبوا حد ويتكل على الله وينشلهم من عالم الآنسات.

الكلام ده كله على فكره مش المفروض تضحكوا عليه .. والله البنات دول غلابة ... زمان ما كانش مطلوب من اي بنت غير انها تحترم نفسها وتقعد في بيت ابوها وتستنى العدل اللي بيكون في الغالب من اختيار اهلها.

دلوقتي الكورة بقت في ملعب البنات.. يعني لازم تخرج وتشتغل وتروح افراح وتزور اصحابها لان مسؤولية احضار عريس بقت ملقاة على عاتقها بالكامل، انا اعرف حالات كثيرة اهل البنات بيخانقوا معاهم خناقات لرب السما عشان يخرجوا ويشتغلوا اما عمرهم ما ها يتجوزا .. وم الجهة الثانية المجتمع في حالات كتير، وخصوصاً خلارج القاهرة والاسكندرية، ما بيرحمش اي بنت تخرج مع راجل عشان تتعرف عليه ويمكن يبقى فيه نصيب ده غير الراجل نفسه في الغالب ما بيرضاش بيها وبقولك عايز واحدة خام ولا اتكلمت مع حد غيري .

طب بذمتكوا البنات يعلموا ايه؟ ... ده غير العداد اللي بيعد من اول ما تتخرج من الجامعة .. يعني البنت تعتبر بدات تعنس من اول ما تعدي عليها سنتين او ثلاثة متخرجة ولسة ما تخطبتش.

انا شخصياً بدأت احس اني هاعنس من اول ما كملت ٢٣ سنة طب نعمل ايه؟!

بصراحة المجتمع المنيل اللي احنا عايشين فيه واللي بيقيم البنت بجوازتها، واللي تتجوز بسرعة تبقة شاطرة واللي تتأخر يبقى فيها عيب. وع الجهة الثانية الراجب من حقه يبقي ويتشرط ويبقى مقطع السمكة وذيلها ويتقال عليه مفتح ومدقدق ... ويبقى معدي الارعين ومن حقه يتجوز في اي وقت انشالله واحدة عندها ١٨ سنة.

المجتمع ده ظاالم ومفتري !!!

ولهذا فانا يرايد (اللي هي عروسة بس بالانجليزي عشان الناس تقول عليا مثقفة) قررت اني هاكتب في الموضوع واشرحه من كل الجوانب الممكنة عشان اللي مش فاهم واللي مش عارف يعرف ان البنات غلابة والضغط عليهم بيزيد كل يوم والناس بتحاكمهم على حاجة مالهمس يد فيها .

خليكوا معايا بقه ها حكيلكم على بلوة م البلاوي اللي اتقدمولي . عشان تعرفوا احنا بنستحمل اد ايه ...

ليه انا عايزة اتجوز؟؟

١٠ ـ١٥ سبب (ما تعدش ورايا)

ساعات اقعد مع نفسي كده شوية وافكر هو انا ليه اساسا عايزة اتجوز؟؟ ما انا زي الفل اهوه.. دكتورة ومحترمة وباقبض (والا بلاش دي لحسن تضحكوا عليا) مانا عايشة باكل وبشرب وبانام وباخرج واتفسح واروح السنما واتفرج على روتانا وما باقدرش اغمض عينيا يبقة فين المشكلة؟؟

بس اوقات تانية بيبقى فيه لحظات باحس ان فيه اسباب كتيرة تخليني عايزة اتجوز عشان اجيب عيال.

التانية هاتقول : عايزة اتجوز عشان ما احملش لقب عانس.

التالتة هاتقول: عايزة اتجوز عشان انطلق وابقى حرة (عبيطة بس هانعمل ايه؟!)

الرابعة هاتقول : عايزة اتجوز عشان اخلف للعرب صلاح الدين يا ووولد ! جايز برضه)

انا بقه عندي اسباب ثانية خالص.. مش الحاجات الكبيرة دي (زي مثلاً انه حقي اني ابقى عايزة اتجوز لا هو عيب ولا حرام) لكن ان الحاجات الصغيرة اللي بتهمني لان الحاجات الصغيرة هي اللي بتدي للحياة طعهما على راي ميرفت امين في فيلم ومضى قطار العمر يا ولدي خذ اللي بعده بتاع ٤ الا ربع كان عميق اوي الفيلم ده.

المهم ادي عشرة خمستاشر وقت باحس فيهم اني محتاجة لي زوج:

١- وقت ما انبوبة البوتاجاز تخلص وتبقى عايزة تتغير ودي طبعا من واجبات الزوج الرئيسية في البيت.
٢- وقت ما اشوف صرصار في البيت واترعب وانا ما اعرفش اموته بس تبقى مصيبة لو هو كمان بخاف
٣- وقت الغدا لما بابا وماما بياكلوا وركين الفرخة وبسيبوي الصدر حتى لو هو كمان ما بيحبش الصدر فالفرخة ام وركين ياكلوها اثنين.
٤- وقت ما اطلع المراتب تتشمس فوق السطح ... ساعتها هاعمل اني محتاجاة يساعد بس واشيلهومله كلهم.
٥- وقت السينما لما بيفصلوا الافراد عن العائلات .. اصلاً اصلاً يتجوزوا وكمان يروحوا السينما؟ ايه الظلم ده؟
٦- وقت ركوب الميكورباص اكيد هايحميني من الخبط والتحرش ده لو ما كانش ساعتها مشغول ويتحرش بالبنت اللي جنبه.
٧- وقت ما بارجع البيت والمديرة متخانقة معايا ونفسي اطلع غلي في حد .. لو زعقت في باب وماما حرام ادخل النار لكن هو معلش.
٨- وقت ما وحدة من صحباتي المتجوزين يجيلها تليفون من زوجها يقولها انها نسيت الطبيخ ع النار والشقة ولعت .. واشمعنى انا ما يبقاش عندي شقة وتولع؟
٩- وقت ما ابقى نايمة لوحدي في سريري بالليل (بلاش افكار قليلة الادب) على الاقل هايعمل حاجز بدل ما كل ليلة باندلق من فوق السرير ع الارض.

١٠- وقت ما ماما بتطبخلنا اكلة ما باحبهاش امتي بقه انا اللي اتحكم في الطبخ واطبخ على كيفي واللي مش عاجبه يروح ياكل عند امه؟

١١- وقت ما ماما بتمنعني اني احط كراكيب في البلكونة امتى بقه يبقى عندي بلكونة واملاها كراكيب ومطبخ اشيل فيه برطمانات المربى الفاضية.

١٢- وقت ما يبقى نفسي في البرقوق .. دلوقتي ما حدش بيرضى يجيبهولي، لكن سعاتها هاهدده اني ممكن ابقى باتوحم والواد ممكن تطلع فيه قفاه برقوقة.

١٣- وما ما بتفرج على كليب لهايفا او نانسي ويبقى نفسي حد يبقى قاعد جنبي عشاع اهزؤه.

١٤- وقت ما اكتب موضوع زي ده وما لاقيش حد بنبهني اني كتبت ١٤ نقطة بس نسيت اكتب نمره ٦
(هههههه وصحكت عليكوا)

١٥- فكروا انتو بقه في نمرة ١٥ عشان انا قلبت على نفسي المواجع واعصابي تعبت قوي.

المهم ادي ١٠ ـ١٥ وقت باحس فيهم اني عايزة اتجوز لكن فيه برضه ١٠٠ وقت تانيين باحس فيهم اني مش عايزة افضل من غير جواز.

الاول

حلو العنوان كده زي ما كان انور وجدي بيقول في " امير الانتقام " اصل الموضوع كله اصلاً تحس انه فيلم عربي بس اول موضوع ده كان فيلم هندي وكوميدي كمان.

واحدة صاحبتي كانت لسة متجوزة قريب وكنتت لسة حاضرة فرحها من اسبوعين، اتصلت بيا تطمن عليا يعني كنت لسة سامعة خبر ان واحدة من

اصحابنا جابت عريس لوحدة ثانية صاحبتا برضه، وده موضوع يضايق قوي على فكرة، يعغني تفضل الواحدة تقول واشمعنى يعني ماختارتيش انا ومش بعيد تقاطعها وما تكلمهاش تاي ابداً .

انا بقه مسكت صاحبتي اللي كانت طالباني في التليفون وقعدت ارصلها:

شايفة الصحبات؟ ما طلعش منك انت حاجة زي كده، امال مجوزينك ليه؟ مش عشان تشوفيلنا في اصحاب جوزك والا قرايبه حد ينفع؟

وكل شوية صاحبتي تحاول تقاطعني وتسدني وانا اببدا متطلقة ذي الصاروخ لحد ما راحت موقفاني بصرخة.

يا بلت اسكتي بقه جوزي بيسمع م السماعة الثانية وعايز يتاكد انك كويسة ورقيقة عشان جايبلك عريس.

وفي لحظة واحدة انقلبت طريقة كلامي ١٨٠ درجة وبقيت ارق من ارق واحدة تعرفوها".

انتي صدقتي دانا كنت بهزر معاكي انتي عارفاني رقيقة طول عمري، دانا ارق م البت اللي طالعة جديد دي اللي اسمعها منى زكي.

واسمع صوت جوزها يحاول كتم ضحكة ع السماعة الثانية وهي حساها يتجز على سنانها وهِي بتقوللي :

عارفة عارفة هو انتي هاتقولي لي؟

المهم اتفقنا على ميعاد ولما اقول اتفقنا على ميعاد يمكن تعدي ع الرجالة سهلة كده يعني دريتها ايه؟ ها يستحمى وهايخلي امه تغسه القميص والبنطلون واخته تكويهومهل ويشغل كل اللي خلوفه عشان طلعة اهل البهية، لكن في بيت العروس اللي هي المفروض انا هييصة ... غسيل للحيطان مسح للارضية تنظيف للسجاجيد تسييق للسلم .. تلميع للكاسات

تنظيف للستاير والشبابيك وبعد ده كله متوقع من العروسة ب٧عد كل المجهود المقندل ده انها تتزوق وتخش عليهم حلوة وبتبرق.

المهم حه المحروس هو واهله هو دكتور على فكرة، باضرب بطرف عيني كده لقيته لابس لبس يا سلاام زي ما يكون لم اللي ع الحبل ولبسه على بعضه وتقريباً كده ما عندهمش مرايات وشكل امه واخته عندهم عمى الوان البيه لابس قميص اصفر بنظلون ازرق بلفر اخضر وفوق ده كله كرافته كده الصراحة مش عارفة احدد بالضبط لونها ايه لا واستنوا جزمة بني لما اتجعص كده وحط رجل على رجل بصيت لقيت الشراب نبيتي .. اه والنعمة قلت في نفسي مشكلة بيقولوا الراجل ما بيعيبوش الا جيبه، واهو يبقى عريس تكني كلر زي التليفزيون الملون مشرق كده ومقبل على الحياة هو صحيح ودانه مخاصمة راسه خالص وسنانه بيحبوا بعضهم جد لدرجة انهم راكبين فرق بعضيهم بس خلقة ربنا يعني المهم العقل والشخصية.

اول ما باب دخل راح وقف حلو مؤذب يعني وانطلقت امه تعرفه زي ما نكون في برنامج.

الدكتور سامي علاج طبيعي

قام هو مكمل التقديم وقايل فنانين !

ايه الهبل ده بأااااه؟!! هو احنا عاملين برنامج مواهب والا ده جاي يعمل انترفيو في كباريه باب برقله كده وقاله آه اهلاً وسهلاً اتفضلوا .

وبص لماما بصة معناها ايه اللي انتو جايبينه ده؟

انا قاعده وماسكة نفسي م الضحك وده منطلق بيتكلم على صولاته وجولاته في عالم التقليد واحنا قاعدين نبص لبعض وامه شكلها منشكح اوي من كلامه .،. وفجاة بص في الساعة وبص لبابا .. بابا خاف ليطلبني دلوقت وهايبقى موقف محرج اول مرة يتعرضله.

لكن ده قاله : عمي .. ممكن اسأل حضرتك صسؤال وتجاوبني بصراحة .؟

بابا قاله بخوف كده خير يا بني .؟د

قاله هو التليفزيون ده شغال؟

البابا فوجئ كده وقاله آه يا ابني شغال

فجاة الحليوة ده راح قايم وفاتح التليفزيون وقعد يقلب في القنوات لحد ما جاب قنات كانت بتزيع ماتش للزمالك... واحنا قاعدين مزهولين ومش قادرين نعمل حاجة. وامه قاعدة منشكحة زي ما هي .. وهوب وصوته علي:

شوت يا عم ! ايوه كده ! يااااه ! الحكم ده حمار ابن.... (واحنا قاعدين؟!)

مما حيت تحرجة بالذوق كده وقالت له:

والله يا دكتور انا مش عارفه انت ازاي بتابع الكورة دي اليومين دول .. ده حتى الزمالك بقاله مده مش كويس خالص.

الواد فجاة سكت ... ولف كده لماما بالتصوير البطيء ... وعينه احمرت لدرجة ان ماما كشت في مكانها .. وده راح رافع الجاعورة.

لاااا ! بقول ايييبيه ! الا الزماااالك ! اتكلمي براحتك على اي حد على امي .. على ابويل ... عليا انا شخصيا... لكن الزمالك لألألأ!!! فاهمة ! قومي يا ماما ! انا لا يمكن ادخل بيت الزمالك بيتهان فيه !

يا ابن ٦٠ في ٧٠ اكن احنا معدييتلك البلاوي اللي انت لابسها والسخافات اللي عمال تقولها عشان تبقى آخرتها كده؟ ... كلنا فضلنا متسمرين في مكاننا ... بابا يبص ولماما ومش قادرين حتى يقوموا من مكانهم . وانا

الاول اتحرق دمي وبعدين وقعت ع الارض من كثر الضحك.. هم يبكي وهم يضحك...

الجميل بقه ان صاحبتي جاية تاني يوم تسالني على رايي قولتلها لأ طبعاً انتي بتستهبلي؟ وحكيتلها ع اللي حصل . لقيتها بتقول:

طب وايه يعني؟ عادي ما تبقيش بس تقوليليه انك اهلاوية !

ولما اصريت على الرفض ... صاحبتي دي قاطعتني وما رفعتش عليا سماعة التليفون من يومها ازاي يعني ارفض عريس لقطة زي ده . صحيح ازاي؟

انا مش صفر عالشمال

مجتمعنا الحلو العسل ده بوشين ... قديمة يعني مش جديدة ... شفتوا اي تجمع عائلي موجود فيه ولد وبنت صغيرين؟؟؟ اول حاجة بيقولولها للوالد ايه ... عايز تطلق يا حبيبي لما تكبر؟ نص العيال المفترية بتقول ضابط، واللي عند وعي شوية يمكن يقولك رئيس جمهورة (جيل جمعية شباب المستقبل بقه يا سيدي هانعمل ايه؟) طل والبتوتة الصغيرة بيقولولها ايه؟ نجوزك حمادة يا سوسو لما تكبري؟ ولا تتجوزي ابيه خالد؟؟ تبص البت بغباء كده وتلقلهم انا هاتجوز بابا ! والكل يتفتح في الضحم ويخلص الموضوع على كده.

وتطلع البنت من صغرها يجيبولها عروسة، تسرحها وتلبسها الطرحة وتزفها وراي بنت في اي مجتمع تلاقي اول لعبة نفسها تلعبها .. عروسة وعريس !!! بالمعنى الطفولي مش بتاع الجامعات الخاصة والورق العرفي.

وتمشي البنت في سلك التعليم وكل ما اتنجح في مرحلة ما بقولولها: مبروك عقبال ما نشرب شرباتك وعقبال عدلك يا حبيبتي ولما تيجي تستشير حد في الكلية اللي هاتدخلها يبقى الرد الموحد يا ستي ما تشغليش بالك عهي البنت آخرتها ايه غير بيت جوزها.

وتفضل البنت تتشحن طول حياتها على ان الشيء الوحيد المتوقع منها في الحياة انها تتجوز وتجيب عيال .. طل ولو ما حصلش؟!

شوفوا معايا الـ ٣ حوارات دي :

م١ – هو انتي معاكي ايه دلوقتي؟؟

م٢: معايا جوزين غوايش وما شاء الله

م١ : لأ يعني معاكي عيال ايه؟

م٢ : لأ انا لسه ما تجوزتشس

م١: يا عيبيبني

بيئة ثانية ومستوى ثاني :

م١: وانتي ايه معاكي ايه دلوقتي؟؟

م٢: معايا ماجستير وباحضر في الدكتوراه

م١: لأ ما قصدي معاكي عياله ايه؟

م٢: لأ انا لسه ما تجوزتش .

م١: يا عيبيبيني

بيئة ثالثة ومستوى ثالث

م١: وانتي معاكي ايه دلوقتي؟؟

م٢: انا معايا شيروكي ٤×٤

م١: لا قصدي معاكي تشيلدرين ايه؟

م٢: نو انا لسة ما تجوزتش

م١: او ماي جود ... هاااانيبيبي.

هو هو الحوار في كل المستويات ولبا يوجد اي نجاح في اي مجال يقدر يحل محل الزواج بالنسبة للبنت الشرقية طب واللي مش لاقية واللي فاتها القطر واللي بارت على راس الناس ما بتقول ... يبقى مالهاش لازمة؟ تروح تولع في نفسها يعني؟؟

هي غالباً ما بتبقاش مستعدة لا نفسيا ولا علميا ولا اقتصاديا للحطة دي . كل الناس بيقولولها هاتتجوزي يعني هاتتجوزي وساعة لما ما يحصلش ما بتلاقيش حواليها غير نفسها وبس.

بعد ما النسبة زادت وبقى عدد اللي لسه قاعدين بالملايين، لازم كل البنات يحبوا انفسهم على النجاح ويدورا على النجاح في كل الاماكن ويعيشوا حياتهم على انهم حياتهم مش على اساس انها تتر لمسلسل لسه ما بتداش.

ولازم المجتمع يبطل يحصر البنت في دور العروسة وبس لانه وقت الجد مش هايقدر يعملها حاجة وهايبقى هو اللي جنى عليها لانه فهمها ان ده الطريق الوحيد ومافيش غيره، وهاتحس ساعتها ان ما لهاش لازمة وانها صفر على الشمال وهاتعمل زي كده وتقعد تشتكيلكم.

وانا من هناك بقولها : لو ما حصلش لو ما تجوزش وماجبش عيال وما قدرتش اتبع خطة المجتمع انا برضة ليا شخصيتي وحياتي ومش هابقى أبداً .. صفر على الشمال .

الثاني

ما احنا قلنا هانمشيها زي انور وجدي بقه خلاص.

بصوابقه اولا الحكاية دي برضه من فصيلة هم يبكي وهم يضحك...

بس الصراحة يعني الصراحة انتو هاتضحكوا عليا انا ... هاتشوفوا بس بقلكوا ايه ... انما فتاة ركيكة قصدي رقيقه رقيقه.. ومهيضة الجناح (هي حلوة مهيضة دي) فليز بليز بلاش تريقة.

الحكاية دي ما بعرفهاش اي حد غير انا وماما ماحكيتهاش لاي حد من اصحابي يعني ابقوا اتفشخروا قدام كل اصحابكم بالامتياز ده حكياة العريس الثاني لـ "برايد" اقرا الحادثة! اقرا الحادثة!

احمم . مقدمة . عارفين ايه احساس واحدة وهي ماشية في الشاعر وتحس ان حد معجب بيها؟ مش معاكسة يعني وكده . لأ بيبقى فيه كده كيميا زي ما بيقولوا الاجاني وعلى فكره فيه جوازات كتير بتبدأ كده ... واحد بشوف واحده يمشي وراها يعرف ساكنة فين، ويسال عليها ويخطبها اين عمي عمل كده والبت لسعته حته قلم على وشه انها مؤدبة ومتربية وراح خطبها آه والنعمة هي صحيح بعد كده اتضح ان ايديها بتطول علي في كل المواقف، والله الراجل مبسوط وبيحلف باليوم اللي شافها فيه وبيلعن ابو ولا بلاش دي في مقام عمتي برضه.

المهم انا اليوم نازلة من البيت رايحة الشغل حسيت بكيميا م الله كنت بقولكم عليها دي، حسيت ان فيه عين هاتخرم قفايا اتديرت بسرعة كده في الخبائة لقيتلكم راجل انما ايه طول بعرض بارتفاع ماسك ف ايده شنطة سوداء ولابس بدلة وكرافته ونضارة شمس عامل كده زي العيال اللي كانوا بيطلعوا في اعلانات جمعية شباب المستقبل بتاع جمال مبارك " شباب الجيل ... قوام جينا .. هو .. هو " فاكرينهم؟ المهم الواد كان حليوة وانا

قلبي هفهفله اول ما لمحته، استنيت شوية ع المحطة وبعدين جه الميكروباس ركبت راح راكب واريا قلت الشياكة دي كلها هاتركب الميكروباص ليه يعني؟ اكيد في الامر انه، وجه كمان قعد جنبي يا حلولي يا حلول بس كنت خائفة ليعاكس وساعتها انا ماعرفش ابويا باللي ف رجلي ولا يهمني لا شباب المستقبل ولا جمال مبارك ولا حاجة ابداً بس لاقيته في نص المسافة كده بيميل علياً وبيقول باسلوب رزين كده.

لو سمحتي ممكن اسال حضرتك على حاجة؟

وانتوا ما تعرفونيش باتسطل لما حد يقوللي حضرتك بس برضه مش سهلة يعني صدرت الوش الخشب وقلت له:

خير بمناسبة ايه؟

يعني كنت عايز اسال بس، هو حضرتك مرتبطة؟ واضح انك مش مخطوبة ولا متجوزة مافيش دبل في ايديكي بس الارتباط بقه لازم اتاكذ منه من حضرتك.

" حضرتك " ثاني يا حلولي!

والله الكلام ده ما يتقالش في مواصلات وبعدين انا ما عرفكش ومش متعوده اتكلم حد ما عرفوش!

طيب يعني انا لو معجب بحضرتك وعندي نيه اتقدم رسمي اعمل ايه؟ اصلي بصراحة متابعك من مدة بس دي اول مرة اتشجع واحاول اكلمك.

يا حلاوة يا حلاوة متابعني من زمان ده واقع به بس برضه على مين لازم اثبت.

والله لو حضرتك متابعني زي ما بتقول تبقى عارف بيتي وعارف بابايا هو الوحيد اللي بنفع يتكلم في المواضيع دي لو سمحت ما تحرجنيش اكثر من كده.

جامدة جامدة يعني!

الحقيقة انتي كده اثبتي لي اني احسنت الاختيار

يا سلام يا سلام الله الله هو ده الكلام! الامور كلها صح ومية ومية صديته آه، بس كمان قلت له كلم باب سبت له سكة مفتوحة يعني.

الواد بقه التباع راح شاخط فيا في اللحطة دي:

الاجرة يا ابلة ولا هاتركبوا ببلاش؟!

يا ابن اللذين ده انا عمالة اترسم من ساعتها .. تبعتر كرامتي كده؟! جيت امد ايدي جوه الشنطة لقيتلكوا الاخ راح بسرع مطلع فلوس ومحاسبلي.

لأ ما يصحش

فقال لي لأ بقه اسمحيلي انا لا يمكن ان اقبل واحدة هاتقدم لها تدفع وانا موجود!

وجون! وجون! وجون ! هايتقدملي خلاص ايوة كده هو انا صحيح ما عرفش هو بيشتغل ايه ولا عايش فين ولا بيقلد فنانين ولا ايه نظامه بس الجواب بيبان من عنوانه.

اول ما الميكروباص وقف لقيته نزل معايا في نفس المحطة وبص لي وقال لي :

انا حبيت انقذك يعني في الميكروباص واضح قنوي انك ماعاكيش فلوس.

الدم ضرب في نافوخي وله انت هاتتمنظر عليا ولا ايه؟

واضح ان شنطتك فاضية اخر الشهر بقه، يالا وفرتلك اجرة الميكروباس تنفعك.

بصتله بذهول كده وقلت له:

مين اللي قالك الكلام الفارغ ده؟! انا عمري ما امشي بشنطتي فيها اقل من ٣٠٠ جنيه.

قال باستهزاء كده

لاااا ما صدقش !

الدم كان خلاص قرب يطلع من نافوخي زي النافورة رحت مطلعة كل اللي في المحفظة مورياهوله.

اهه حتى شوف ٥٠-١٠٠-٢٠٠-٢٢٠

لقيته مد ايده اخذ الفلوض وبص لها كده وعدها وقال لي

آه صحيح انتي معاكي فلوس اهه.

وفي لحطة راح مطبقها وحاطتهم في جيبه وقال لي

انا هاخليهم معايا بقه سوفينير لحد ما آجيلكم البيت.

ما ستوعبش وقبل ما آخذ فرصة اقول كلمة واحدة كان راكب ورا واحد على موتوسيكل شكله كده مان ماشب ورا الميكروباس وهوا فص ملح وداب.

اختكوا بقه واقفة في وسط الشارع هابلاااه زي اللللي اتدلق عليا جردل مية مش نضيف مش عارفة اصوت ولا اطلع اجري وراه ولا الطم على وشي

فضلت واقفة بيجي خمس دقائق في الشارع مش عارفة اروح فين والعربيات تقعد تزلرمي ولما تلاقيني مسهمة تقريباً اللي سابقين يقولوا في نفسهم دي اي اما طارشة يا اما مجنونة يا اما م اللي بيبيعوا مناديل، والناس تعدي تبصلي والعيال الصغيرة يشدوا في هدوم اهاليهم بابا بابا هي الست دي عاملة كده ليه؟

بعد شوي كده لفيت ودخلت المستشفى اللي بشتغل فيها وعلى وشى تعبير كده زي تعبير العمدة الالي بتاع زمان دخلت الصيدلية قعدت ع المكتب .. وفجاة انفجرت في العياط والعيال زمايلي اتلموا حواليا .. مالك؟ فيه ايه؟ حد زعلك؟ حد كلمك؟من بين العياط والشحتفة ما اقدرتش اقولهم غير كلمة واحدة ....

اتسرقت !!! عاااااااااا.

عن الرقة والانوثة

فاكرين فيلم غصن الزيتون؟ بتاع احمد مظهر وسعاد حسني لأ طبعاً مش الناصر صلاح الدين هو ده كان فيه سعاد حسني؟

في الفيلم ده كان احمد مظهر المدرس بتاع سعاد حسني وحبها واتجوزها بس كان شاكك ان فيه علاقة بينها وبين عمر الحريري اللي كان مدرس في نفس المدرسة، طب ايه علاقة ده باي حاجة يعني؟؟؟؟ هاقولكم اصبروا بس.

في مشهد من الفيلم ده كان عمر الحريري داخل قهوة فيها شوية مدرسين زمايله قاموا قالوله ايه الكولونيا الجميلة اللي انت حاططها دي اسمها ايه؟

قالهم انوثة وبغض النظر عن الاسم السخيف لأ السخيف جدا لكولونيا او بارفان رجالي فدي كانت المرة الاولى في حياتي اللي اسمع فيها الكلمة دي.

وفضلت الكلمة دي متعلقة في ذهني بشكل عمر الحرير لمدة طويلة لحد لما كبرت شوية ولقيت الناس بيتستخدمونها لوصف ناس تايين مع الاخ عمر الحريري ..هند رستم ... مارلين مونرو .. ليلى علوي وغيرهم وبدأت ادور حواليا في المحيط بتاعي على حد يتوصف بالكلمة دي . بصراحة مالقيتش!

فين يا جماعة الانوثة اللي بيقولوا عليها دي ... ما متي طول النهار في المطبخ .. طنط سهير جارتنا طول النهار والليل بتغسل وتنشر الغسيل والغسيل ينقط ع البلكونة بتاعة طنط آمال فطنط آمال تتخانق مع طنط سهير عشان الغسيل اللي بينقط وبتتخانق مع ابنها عشان بيلعب في الشارع وسايب واجب الحساب.

طيب سيبكوا من الجيل ده، خش ع اللي بعده، منال بنت خالتي اللي اكبر مني بخمس او ست سنين ربنا كرمها من ٤ سنين ودخلت دنيا، طيب يا منال انتي طول عمرك حلوة كده ودلوعة وربنا الانوثة بعد الجواز، بعد الجواز بكام شهر هوب دخلنا ع الحمل كعيرت وبقللت من كل اتجاه ما علينا بكره تولد وتفوق واذ بمنال اللي كنا بنضرب بها المثل في الرقة والروقان بقت شبه الستات اللي بيطلعوا في اعلانات السمنة ومساحيث الغسيل تصحى طول الليل عشان الواد بيعيط وطول النهار عشان ابو الواد عايز ياكل ويشرب ومرتبها اللي كان ضايع كله ع البافانات والمكياج بقى بيروح في ثلاث اتجاهات بامبرز ثم بامبرز ثم بامبرز وطبعاً نتيجة الصحيان لمدة ٢٤ ساعة في اليوم بقت واضحة جليلة على ملامح وشها وراسها يا دوب تلمس اي حيطة في اي مكان وشخيرها يتسمع من الفضاء الخارجي.

طب سبنا من المفهوم ده،، خلينا في مفهوم ثاني برضه غريب عن المراة المصرية وهو مفهوم الرقة.

البنت الرقيقة اللي تكلمها تبص في الارض وتحس ان الهوا ممكن يجرحها واللي تبقى حاسس انها بسكوتة ممكن لو مشت شوية على رجليها تتكسر نصين

يخبطها واحد من دول ويفضل كل ما يروح في حتى يقول عليها شعر .. نسمة .. ريشة صوتها زقزقة عصافير وكل ما يسمع غنوة حلوة تفكره بيها.. ويعملها رنه ع الموبايل.

لما النسيم بيعدي بين شعرك حبيبتي باسمه بيقول آهات"

يعزمها ع الغدا ما تاكلش غير سلطة يجيبلها هدية غاليه تزعل منه وتقول انت ليه مكلف نفسك وهكذا تستمر الحياة كحلم جميل يصحى منه امتى؟

بعد الجواز باربع اسابيع او اسبوع حسب حظه ونصيبه وتبدأ المطالب ويبدا التغيير وفجاة يلاقي الحالة انتقلبت ١٨٠ درجة.

لأن واحدة بالمواصفات دي تبقى لازم كانت عايشة في فقاعة بعيد عن كل الناس عمرها ما ركبت مواصلات عمرها ما اتعاكست واضطرت ترد على واحد قليل الادب وتوقفه عند حده، عمرها ما تعامبت مع حد في شغلها عمرها ما اضطرت تاخذ موقف وتتخانق عشان تاخذ حقها او توقف ظلم وقع عليها عمرها ما نزلت السوق تشتري الخضار واكيد عمرها ما طبختة فاكيد بعد الجواز لو بدات تعمل الحاجات دي كلها لا يمكن تفضل نفس البنت الرقيقة البسكوتة اللي بتنجرح من الهوا والا مش هاتقدر تعيش.

طبعاً الحالة بتزيد اكثر واكثر مع وجود الاولاد واللي غالباً عبء تربيتهم بالكامل بيبقى على كتافها هي وبس فيا اما تبقى شخصية قوية وتخوف العيال وابوهم يا اما العيال هاتبوظ وتفسد وساعتها كل الناس هيلوموها هي وبس.

فيا عزيزي الزوج ما تزعلش لو عروستك اتقلبت لشخص ثاني بعد الجواز ما فيش قدامها غير كده، ما هو انت لو بذلت شوية مجهود وساعدتها يبقى عندها شوية وقت تفوق لنفسها .

ويا عزيزي العريس دور ع التربية والاخلاق والتدين اولا ما تركزش بس على الرقةو والانوثة لان الايام بتغير هذه الحالات الطارئة.

اما اللي محتاج انوثة تدوم معاه مدى الحياة يسال على ازازة كولونيا من بتوع عمر الحريري.

الثالث

الله يرحمك يا انور والله الك وحشة

المهم، بتقولكوا ايه هي مين؟ آه آه نسيت اقولكم صاحبة ماما طنط " حشرية " اسمها شكرية حشرية ده النيكنيم اللي صاحابها الانتيخ بينادوها بيه) جابت لي عريس

عريس ايه ما برايد ... راااجل

ايوه طبعاً ما هو لازم يبقى راجل امال هاتجوز ايه موتوسيكل؟

لا قصدي هيبه كده ومركز وعاقل وراسي وبيفهم في كل حاجة.

عريس وبيفهم .؟ اشك الصراحة لسه ما قابلتش النوعية دي قبل كده عموما جايز.

ماشي يا طنط حشـ قصدي شكرية شكرية وده هاييجي امتى ومع مين؟ هايجيب مامته معاه؟

مامته؟ هي هي يا حبيبتي بقولك راااجل!!!

ايوه يعنى ابوه تكاثر ذاتيا وجابه لوحده؟؟ ما هو لازم يبقى له ام.

لا يا برايد لازم تفهمي ده مستكل جدا ورايه من دماغه وما بيديش ودانه لحد ومعتمد على نفسه اعتماد تام .

الله مستكل ورايه من دماغه وما بيديش ودانه لحد انا باموت في النوع ده.

احمد عبد العزيز في المال والبنون شريف منير في ليالي الحلمية، محمد رياض في اي حاجة مثلها قبل ما يتجوز (الوحش)

الصراحة جسمي قشعر ياموووووت في النوعية دي .. يا سلام بقه لو سنانه مزاحمه بعضها زي نبيل الحلفاوي ولا ودانه واقفة زي حمدي قنديل ولا بلغد زي عمرو موسى الرجالة اللي ليهم شخصية وهيبة لازم يبقى ليهم ديفوهات زي دي، وهو دي اللي بيميزهم، وبعدين انا انعقدت من الناس اللي شكلها حلو انا عايزة واحد وحش مش عايزة بتوع لجنة السياسات خلاص.

وجه اليوم الموعود نضاااافنا الشقة ونفضنا السجاد وغسلنا الستاير اللي كانت لسه مغسولة من يومين وكويت اللطقم ولبسته وحطيت مكياج نص نص مش في الكواليتي لا في الكوانتيتي لو طلع من اللي ما بيحبوش الميكاب المثير وقلب وشه وامتعص اخش اغسل وشي واطلعله زي ما ربنا خلقتني (هو اللي جابه لنفسه) اما لو كان من اللي بيحبوا التكني كال.. عندي صباغ روج بطعم الفراولة هاخش اكله كله.. ما حدش يغلطني بقه . عروسة فول اوبشن اهه.

قاعدين مستنييين سمعنا صوت رجلين ع السلم وهوب رن الجرس رننننته رزيييييينة قووووي يا سلام الكبير كبير برضه.

دخل م الباب يااسلاااام حاجة كده بتاع مترين ونص طول بعرض وعافين كل الديفوهات بتاعة نبيل وحمدي وعمرو، يا سلام زي ما تكون ابواب السما كانت مفتوحة سنان ايه وودان ايه ولغد عسسل ما حصلش تحس انه شايل فيه الخزين لابس بدلة مقلمة تقليمة خفيفة كده وكرافته شيك ونضارة طبية ايد ده وزير المواصلات يا خواتي؟

وحنا كلنا كنا واقفعين ع الباب بنبص لبعض وانا فرحانة قوي . الراجب هيبة كده ويخض ويحسس الواحدة انها جنيه ولا حاجة، يمكن تلاقي بنات كتير تقوللك لازم احس بشخصيتي لكن خدوها مني حكمة، كل ما تقلب البنت وتنفضلها كل ما تنفض جيولك ! لأ لأ مش دي الحكمة سوري قصدي كل ما

تنفض للبنت كل ما تقع فيك اكثر ايوه ايوه هي دي احنا لسه واقفين ع الباب وده مد راسه من جوه وبصلنا اتفضلوا يا جماعة واقفين بره كده ليه؟ اتفضلوا

اتحركنا كاننا تحت التنيوزم المغناطيسي وبابا بيبصلي نظرة معناها اي هاللي انتي جايباهولنا يتانزح علينا ده؟! وانا بصله نظرة معناها بحبه يا بابا عاااااا

دخل وقعد وحط رجل على رجل واحنا واقفين بصلنا وابتسم ابتسامه انيقة وهز لنا راسه يعني اقعدوا اقعدوا

قعدنا قدامه مبهورين بنبصله زي ما مرات عم محمد البواب بتبص لجوزين الغوايش بتوع مرات عم مصطفى المكوجي، قاعد هو ه الكرسي اللي في وش الكرسي اللي انا قاعده عليه قعد يبصلي كده ويبص للفازة اللي ع الترابيزة اللي في وسط الصالون وفجأة بدون مقدمات راح قايم شايل الفازة بالورد اللي فيها وحاطتها ع البوفيه وقاعد ثاني بابا بص له والـ ١١١ مش ١١١ زي الناس العاجية خصوصاً لما يبقى متغاظ) بص لبابا وابتسم برضه الابتسامة الانيقة.

اصلي مش عارف اشوفها كويس.

دي طبعاً اللي تبقى انا .. ومش عايزه نباهة هو كان شايف وشي يبقى كان عايز يشوف ... يا نهار اسود ... وواضح ان بابا كمان وصل للنقطة دي بتفكيره لان حواجبه كانوا خلاص قربوا يندمجوا ويبقوا خط واحد طويل فوق مناخيره اللي احمرت وبقه اللي كان مكرمضش لانه واضح انه بيجز على اسنانه ماما مدت ايديها وطبطبت على ايده، يعني استنى لما نشوف آخرتها ايه.

بابا بصلها يعني ده واضح انه بجح وعينه يندب فيها رصاصة !

رفعت حواجبها وانتهدت يعني الرجالة كلها بقت كده، جيل الدش يا سيدي.

كل ده واختكوا قاعدة غرقانه في عرقها وهو مركز قوي مش عارفة في ايه؟. ومش عايزة اعرف !

وفجاة برضه وبدون مقدمات تاني انفتح في الكلام :

لو سمحتي ممكن اعلق على حاجة؟

(وبيشاور)

بابا اتحرك بتحفز عشان يقوم بتصرف ابوي لطيف وينط في كرشه وماما شايفاها بدات تطلع رجلها من الشوز تحسبا لاحتمال استخدامها كدعم معنوي بابا يحتاجه.

تعلق عليه ايه؟

ضوافرك

هاه؟

ضوافرك

مالها؟

وده فجاة انفتح ومش عايز ينسد

انتي ليه بتقصيها مدورة؟ مش عارفة ان المربعة هي الموضة.؟ هي الموضة في الدهب ايه دلوقتي الاصفر ولا الابيض؟ .. بس اللون الابيض اللي انتو داهنيني بيه الاوضة ده هايل واللون اللي انتو داهنين بيه البيت كمان، هو البيت ده تمليك ولا ايجار؟ ايجارات الشقق بقت غالية قوي على فكرة اليومين دول ساقعة شوية، باين الشتا داخل بدرس السنة دي، انتو عارفين ان السنة دي سنة خبيثة؟ اصل انا مواليد تسعة وعشرثين فبراير وباحتفل بعيد ميلادي كل اربع سنين مرة هاهاها، مرة واحد جه يقعد على قهوة قعد على شاي هاهاهاها الشاي بتاعي خفيف يا طنط على فكرة وبمعلقة سكر واحدة.

ماما بعد ما تاكدت انه اهبل صدرت له الوش الخشب.

الشاي خلص من عندنا يا حبيبي.

الشاي خلص؟ طب خلاص تخليها قهوة، هي القهوة اللي تحت البيت دي مش عاملالكوا ازعاج؟ اصل ازعاج الناس ده اسوا حاجة في الدنيا، خصوصاً الكلام الكثير.

كتير قوي المكياج اللي انتي حطاه يا آنسة أنسة انتي برضه ما قولتليش اسمك ايه؟ الاسم دايما مهم القسم بقه اللي جنبكوا ده بيحميكوا كويس؟ بيخوف الحرامية يجوا الناحية دي؟ اصل الناس خلاص هاتاكل بعض. هو انتو هاتاكلوا ايه النهارده انا شامم ريحة ملوخية بالارانب. الارانب بقت سهلة دلوقتي على فكرة . الواحد يدخل بميت جنيه في البورصة يطلعلوا بأرنب . مليون يعني .. مليون مرة اقول لطنط شكرية عايز عروسة مش عارف اتاخرت ليه على ما جابنتي هنا؟

بابا فرمله:

انا عارف ! بره!

نعم يا عمي؟ قصدك السفر بره؟ لا انا مش ناوي .. اصلي

برررره ! طلع بره! ما عندناش بنات للجواز!

هاهاها بتهزر يا عمي؟ امال دي ايه؟ يا جماعة حد يقوللي اسمها ايه؟ هاتجوز واحدة ما عرفش اسمها؟!

انا قلت بره ما عندناش بنات للجواز!!

مش فاهم حضرتك بتتكلم بجد؟ بتهزر. اكيد مقبل اه شوفتوا برنامج مقلب دوت كوم؟

وهنا قرائي الاعزاء وصل ارتفاع ضغط بابا حدا لم تشهده البلاد من قبل وقام وهو الذي يبلغ طوله ١٧٠ سنتي وعمره ٦٢ صسنة يحمل البيه العريس المترين ونص ده هيلا بيلا من الصالون لباب الضشقة وزقله ع السلم وسمعناه بيتدحرررج دحرررجة رزيييينة جدددددا .

والعاقبة عندكم في المسرات.

حب آه ... حب لأ

موضوع محيرني

عريس؟ لا مش عريس انا هاخد – تايم اوت شوية، من موضع العرسان دول، آخر عريس انتو عارفين كان هايوديني ورا الشمس، قررت اني آخذ اجازة شوية عشان ما تلاقوش خبر في يوم في الجرايد اني رميت نفسي من فوق البرج ولا حاجة.

أولاً يا جماعة لازم تعرفوا ان الشعب الصيدلاني غير بقية شعوب الارض المحبة للسلام.

في دفعتنا كان نظام " الكابلز" غير معترف بيه رسمياًَ زي بقية الكليات، لان في كلية الولاد فيها بيدوا البنات بالكتف والكوع ومقالب الحرامية عشان يدخلوا قبلهم المدرجات، مش معقول يبقى فيه اية رومانسية ... وفي معامل الكلية اللي لو اتلفتت البنت يمين او شمال ممكن ما تلاقيش الكرسي بتاعها وتلاقي حاجتها مرمية ع الارض عشان فيه واحد من شباب مصر الواعي قرر انه يطبق مبدأ المساواة .. ما يتهيأليش ان ممكن تبدأ اي قصص حب ناعمة او قوية او فيها ريحة الحنية.

دعوة للنشطاء العرب:

تغريدات الثورات العربية.. هل ستكون من نصيب دار نشر عربية؟

http://shaima.albishtawi.com/?p=1121

شيماء تدون:

تابع الكثيرون أخبار الثورة المصرية من تويتر الذي كاني ينقل الاخبار الساخنة قبل وصولها الى الفضائيات وقد وصل عدد التغريدات الى ارقام قياسية جعلت من موضوع الثورة المصرية من المواضيع الاكثر تداولا عبر العالم وكذلك هو الحال بالنسبة لما حدث في تونس ويحدث الآن في ليبيا والاردن والسعودية واليمن

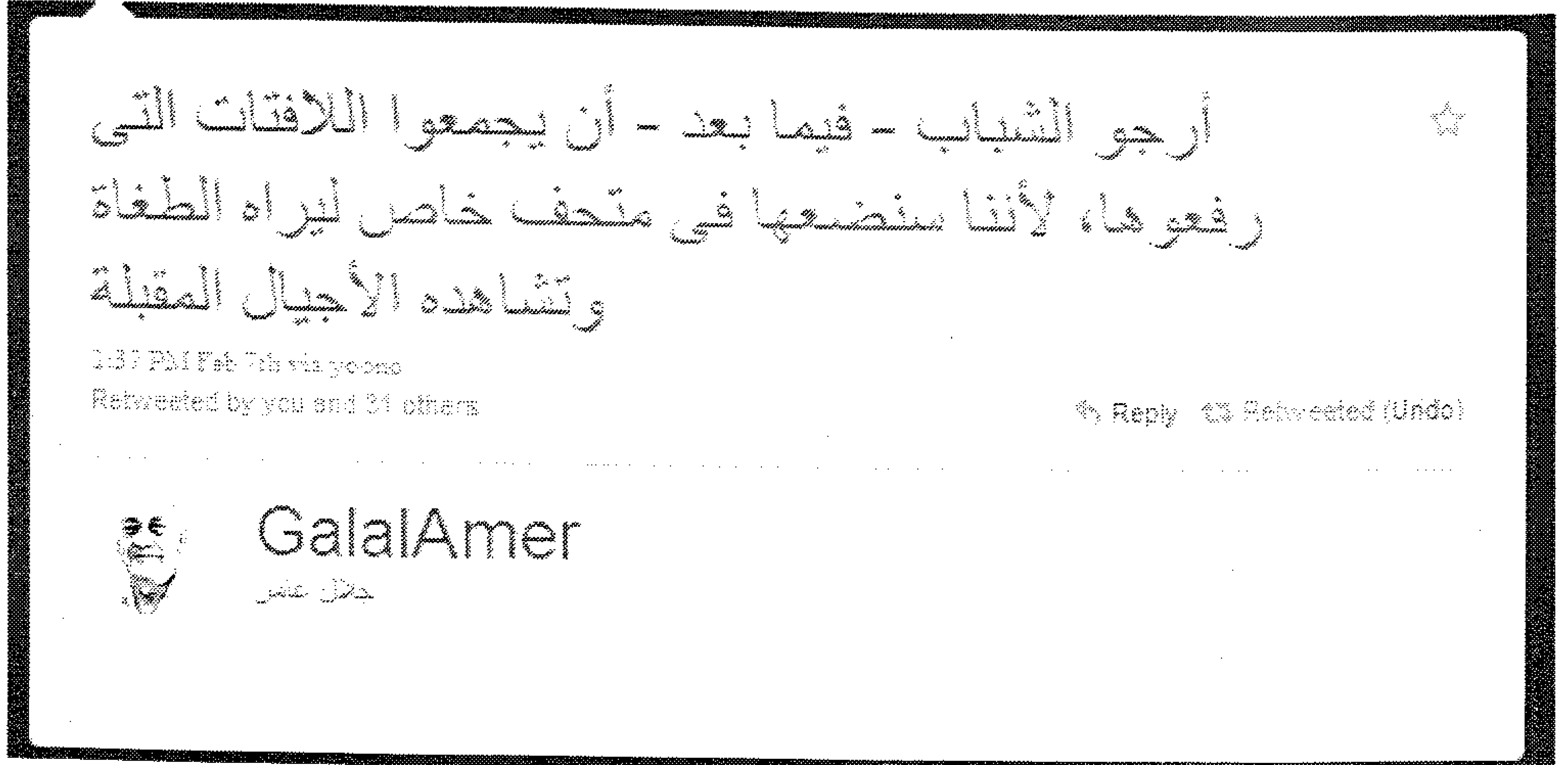
الخبر الجيد والجديد والذي طالعتنا به عدة مواقع أخبارية عن اعتزام دار "دار أور بوكس للنشر " – " OR Books" – نشر التحديثات الموجودة على تويتر في كتاب " تويتس من التحرير " في ٢١ أبريل بمبلغ ١٢ دولار في شكل غلاف عادي و ١٠ دولار في شكل كتاب إلكتروني

وتكشف صحيفة نيويورك تايمز أن صاحبة الفكرة هي نادية ايدل و اليكس نونس وهم الناشطون ، الذين بدأوا بحفظ سجلات المشاركات على موقع تويتر خلال المظاهرات التي جرت في يناير و فبرايربحسب الخبر الوارد في موقع البديل

ولما كانت هذه الثورة صناعة مصرية بامتياز فلماذا لم تبادر دور النشر المصرية والعربية لعمل نسخة من الكتاب الذي في اعتقادي أنه سيكون بالانجليزية ؟

وما هو مصير الالاف التعليقات المصرية الرائعة المتميزة بخفة الدم والظرافة بما فيها التعليقات الخاصة بالراجل اللي واقف عمر سليمان ؟

أدعو النشطاء العرب الى اصدار كتاب عربي مماثل .. يغطي الثورات العربية كلها ويعكس التغييرات الهائلة لدى الشباب العربي الذي أفاق على رغبة عارمة بالتغيير



رائعة جلال عامر

تعلن الشبكات الاجتماعية لكل دكتاتوري العالم أن مدة بقائهم في السلطة تتزواح من 17 إلى 28 يوم منذ اول هاش تاج ...

6:12 PM Feb 10th

Retweeted by you and 62 others

Reply · Retweeted (Undo)



arwaya

arwa

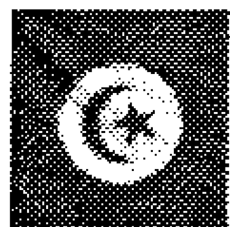
دور الشبكات الاجتماعية في ازالة الانظمة القمعية

النظام المصري يحارب الآن بسيف "وائل غنيم"، محاولا أن يجعله في وجه حركة الشعب، وهي حيلة ستسقط، لأن "الثورة" تجاوزت الجميع #Jan25 #Egypt

3:28 AM Feb 11th via web

Retweeted by you and 16 others

Reply · Retweeted (Undo)



halmustafa

Hasan Almustafa

تويتر يقترح :@shaima2“ تويتر يعرف مصلحتك علي أن اتتبع القذافي .. @AlQathafy”

11:11 PM Feb 26th via Twitter for iPad

Retweeted by you and 4 others

Reply Retweeted (Undo)



AlQathafy

Muammar AlQathafy

من وحي الثورة الليبية : أنا والرئيس معمر

يا ريت بقى نبطل نحط صورة رئيس الجمهورية في الشوارع و المكاتب. كفاية تأليه و نفاق. خللي الرئيس الجاي هو إللي يحط صورة ميدان التحرير في مكتبه.

1:04 AM Feb 12th via Twitter for iPhone

Retweeted by you and 100+ others

Reply Retweeted (Undo)



alaiwata

Ahmad Al-Alaiwat

من وحي الثورة المصرية

أبشر بطيب مقام يا محمد"البوعزيزي", أولم يقل ربك
ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا, كيف وقد نفخت
الروح في قلب أمة هامدة. المتألق:علي الظفيري

6:33 PM Feb 11th via Twitter for iPhone
Retweeted by you and 57 others
Reply Retweeted (Undo)



MusallmSohaimi
Musallm Alsohaimi

من أروع ما قيل في البوعزيزي

تخيل البوعزيزي ماشي يبيع خضره تمر الشرطيه يطيح
موبايل الشرطيه تنزل تييب تلفونها بوعزيزي يمر
وماتشوفه! ويستمر حكم حسني ومعمر وزين العابدين

12:39 PM Feb 23rd via Twitter for iPhone
Retweeted by you and 100+ others
Reply Retweeted (Undo)



abbas_alshawaf
عباس محمد الشواف

من وحي الثورة التونسية -

RT بمعنى ان اعترضت فأنت تعترض على شرع الله @MahSabbagh: وزير الداخلية السعودي: نحن محصنون مما حدث في الجوار لأننا نحكم بالشريعة الإسلامية.

Retweeted by you and 24 others

Reply Retweeted (Undo)



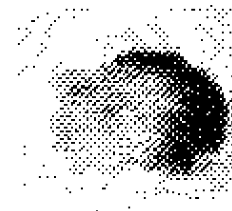
bkohail
Bandar Kohail

من وحي التداعيات في السعودية

إذا كانت وكالة ناسا ستضع اسم سالى زهران على مركبة فضائية متجهة للمريخ فإننا نطالب بوضع الرئيس مبارك شخصيا فيها تقديرا لخدماته #Egypt #Jan25

Retweeted by you and 100+ others

Reply Retweeted (Undo)



ElBa7r

تعليقا على رغبة وكالة ناسا بوضع اسم الشهيدة سالي زهران على المركبة

هانقولها كل شويه: الثورة لاتقف في اشارات المرور..الثورة تعيد هندسة الشوارع

4:34 PM Feb 8th via web
Retweeted by you and 37 others

Reply · Retweeted (Undo)



waelabdelfattah
wael abd el fattah

عندما تردد البعض اثناء الثورة المصرية وفاوض النظام البائد

بأيدينا الرائعة لا بجرائمكم أنتم، هذا هو الشرق الأوسط. الجديد يا كوندليزا

6:44 PM Feb 21st via web
Retweeted by you and 52 others

Reply · Retweeted (Undo)



MouridBarghouti
Mourid Barghouti

المحتويات

-الباب التاسع: العرب و الغرب

-الباب العاشر:تغريدات التويتر ورسائل الفيس بوك

د. كمال عبد الملك

(سيرة ذاتية)

د. كمال عبد الملك، استاذ الأدب العربي والترجمة في الجامعة الامريكية في رأس الخيمة - الامارات.

عمل سابقاً كأستاذ محاضر في كل من جامعتي برنستون وبراون في الولايات المتحدة الامريكية. حاصل على جائزة التفوق من جامعة براون (١٩٩٨) ومن الجامعة الامريكية في دبي لعامين متتاليين (٢٠١٠ و ٢٠١١) لتميزه في التدريس والابحاث الادبية.

نشر د. عبد الملك بالانجليزية والعربية العديد من الكتب والمقالات التي عالجت موضوعات مهمة في الأدب العربي ومن مؤلفاته بالانكليزية:

كتاب (بلاغة العنف :المشترك بين العرب واليهود في الأدب الفلسطيني والسينما الفلسطينية المعاصرة ٢٠٠٥)؛ (التقليد والحداثة وما بعد الحداثة في

الأدب العربي ٢٠٠٠) بالاشتراك مع وائل حلاق؛ (أمريكا في مرآة عربية :

صورة أميركا في أدب الرحلات العربي، مابين ١٨٩٥- ١٩٩٥، ٢٠٠٠).

هذا بالإضافة إلى قيامه بتدريس العديد من المقررات المختلفة والتي تناولت: اللغة العربية المعاصرة، والتراث العربي، صورة أميركا في الأدب العربي ، الحرب والسلام في الأدب العربي والسينما. يقوم د.عبد الملك حالياً بتركيز اهتماماته البحثية على دور الأدب كأداة للسلام العالمي.

المؤلفات

Books In English:

America in an Arab Mirror: Images of America in Arabic Travel Literature, 1668 to 9/11 and Beyond. New York: Palgrave-Macmillan, ٢٠١١

The Rhetoric of Violence: Arab-Jewish Encounters in Contemporary Palestinian Literature and Film. New York: Palgrave-MacMillan, 2005.

America in an Arab Mirror: Images of America in Arabic Travel Literature, 1895-1995 an Anthology. New York: St, Martin's Press, 2000.

Tradition, Modernity, and Postmodernity in Arabic Literature: Essays in Honor of Professor Issa J. Boullata. Leiden: E.J. Brill, 2000. Edited with Wael B. Hallaq.

Israeli and Palestinian Identities in History and Literature. New York: St. Martin's Press, 1999. Edited with David C. Jacobson.

Muhammad in the Modern Egyptian Popular Ballad. Leiden-New York-Koln: E.J. Brill, 1995.

Celebrating Muhammad: Images of the Prophet in Popular Muslim Poetry. South Carolina Press, 1995. Written with Ali Asani and in collaboration with Annemarie Schimmel.

A Study of the Vernacular Poetry of Ahmed Fu'ad Nigm. Leiden-New York-Koln: E.J. Brill: 1990.

Books In Arabic:

كتب باللغة العربية بالاشتراك مع الاستاذة منى الكحلة:

١. أمريكا في مرآة عربية (الجزء الأول) (بيروت: مدارك، ٢٠١١)

٢. أمريكا في مرآة عربية (الجزء الثاني) (بيروت: مدارك، ٢٠١١)

٣. أوربا في أدب الرحلات العربية: ١٩٦٦-٢٠١٠ (بيروت: مدارك، ٢٠١١)

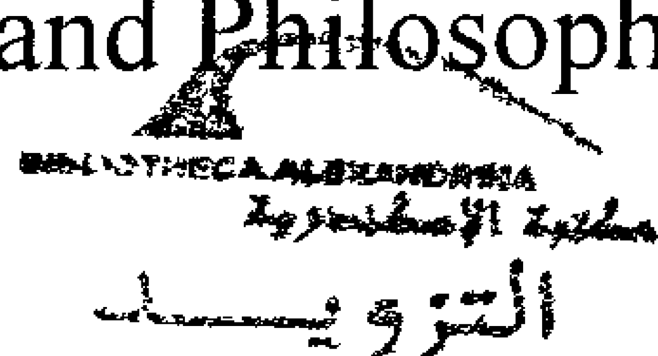
٤. كنا في اسرائيل: رحلات مصرية منذ ١٩٥٦ وحتى ٢٠٠٠ (بيروت: مدارك، ٢٠١١)

Articles

"Emile Habibi," Twentieth Century Arab Writers of Fiction and Philosophy, in the *Dictionary of Literary Biography* series (20 ms pp.) Bruccoli Clark Layman, Inc., 2008.

"Ghassan Kanafani," Twentieth Century Arab Writers of Fiction and Philosophy, in the *Dictionary of Literary Biography* series (20 ms pp.) Bruccoli Clark Layman, Inc., 2008.

"*Jabra Ibrahim Jabra,*" Twentieth Century Arab Writers of Fiction and Philosophy, in the *Dictionary of Literary*



Biography series (14 ms pp.) Bruccoli Clark Layman, Inc., 2008.

"Popular Religious Narratives" in *The Cambridge History of Arabic Literature*, eds. Roger Allen and D.S. Richards. Cambridge: Cambridge University Press, 2006, pp. 330-346.

"Coptic and Muslim Hagiographies in Arabic in the Postclassical Period". The Fourth International Conference on Popular Culture in the Middle East and North Africa, Al-Akhawayn University, Ifrane, Morocco, April 5-8, 2006.

Book Review. *The Postcolonial Novel: Debating Ambivalence* by Muhsin al-Musawi. In *Journal of Arabic Literature* 35 (2004), pp. 244-246.

"The Poetics of the Alter-Native Tradition: the Case of Nigeria's Niyi Osundare and Egypt;s Ahmad Fu'ad Nigm." The People's Poet: Emerging Perspectives on Niyi Osundare. Ed. Abdul-Rasheed Na'Allah. New York: Africa World Press, 2002. Pp. 251-271.

"Arab Perspectives on America A Review of Sources 1895-2000" *Journal of Public Affairs* vol. 19 (Summer 2002), pp. 53-75.

"Writing/Speaking the Self: Autobiographies in Egyptian Arabic" The Proceedings of the Second International Conference on Popular Culture in the Middle East and North Africa, Hammamet, Tunisia. Ed. Monia Hijaei (University of Tunis) and Clive Holes (Oxford University).

Book Review. *The Reconstruction of Palestinian Identity* by Helena Lindholm Schulz. In the *Journal of Palestine Studies*, 2001.

Book Review. *Diwan al-Shair Unayz Abu Salim al-Tarabani.* Ed. Said Salman Abu Adhirah and Abd al-Karim Id al-Hashshash. In the *Journal of Near Eastern Literatures*, 2002, 97-98.

"Laysa bi al-Kalam Wahdih Yatimmu l-Haky,"(Not by Words Alone Does Narrative Live) *Akhbar al-Adab* 413 (June, 2001), p. 31.

"The Poetics of the "Alter-Native" Tradition: The Case of Nigeria's Niyi Osundare and Egypt's Ahmad Fu'ad Nigm," in *The People's Poet: Emerging Perspectives on Niyi Osundare,* ed. Abdul-Rasheed Naallah. African World Press, 2002. pp. 351-371.

"Professor Issa J. Boullata: A Profile of an Intellectual Exile" in *Tradition, Modernity, and Postmodernity in Arabic Literature: Essays in Honour of Professor Issa J. Boullata,* ed. Kamal Abdel-Malek and Wael B. Hallaq (Leiden: E.J. Brill, 2000)

"Iman Mersal: Egypt's Postmodern Poet" in *Tradition, Modernity, and Postmodernity in Arabic Literature: Essays in Honour of Professor Issa J. Boullata.*

"The Infiltrators by Hanna Ibrahim," translated by Kamal Abdel-Malek in *Tradition, Modernity, and Postmodernity in*

Arabic Literature: Essays in Honour of Professor Issa J. Boullata.

"Living on Border Lines: War and Exile in Selected Works by Ghassan Kanafani, Fawaz Turki, and Mahmud Darwish," in *Israeli and Palestinian Identities in History and Literature*, ed. Kamal Abdel-Malek and David C. Jacobson. (New York: St. Martin's Press, 1999)

"Muslim Literature in Arabic" in *The Muslim Almanac: A Reference Work on the History, Faith, Culture, and Peoples of Islam*, ed. Azim Nanji. Detroit, Michigan: Gale Research Inc., 1996. pp. 331-343.

"Middle East [Theatre]" with Bill Beeman. *The Cambridge Guide to Theatre*, ed. M. Banham. Cambridge: Cambridge University Press, 1995. pp. 729-745.

"The Khawaga Then and Now: Images of the West in Modern Egyptian Zajal." *Journal of Arabic Literature*, 19 (1988), pp.162-178.

"Towards an Islamic Liberation Theology: Ali Shariati and His Thought," Montreal: McGill Centre For Developing-Area Studies, Discussion Paper Series, No.55 (September, 1988).

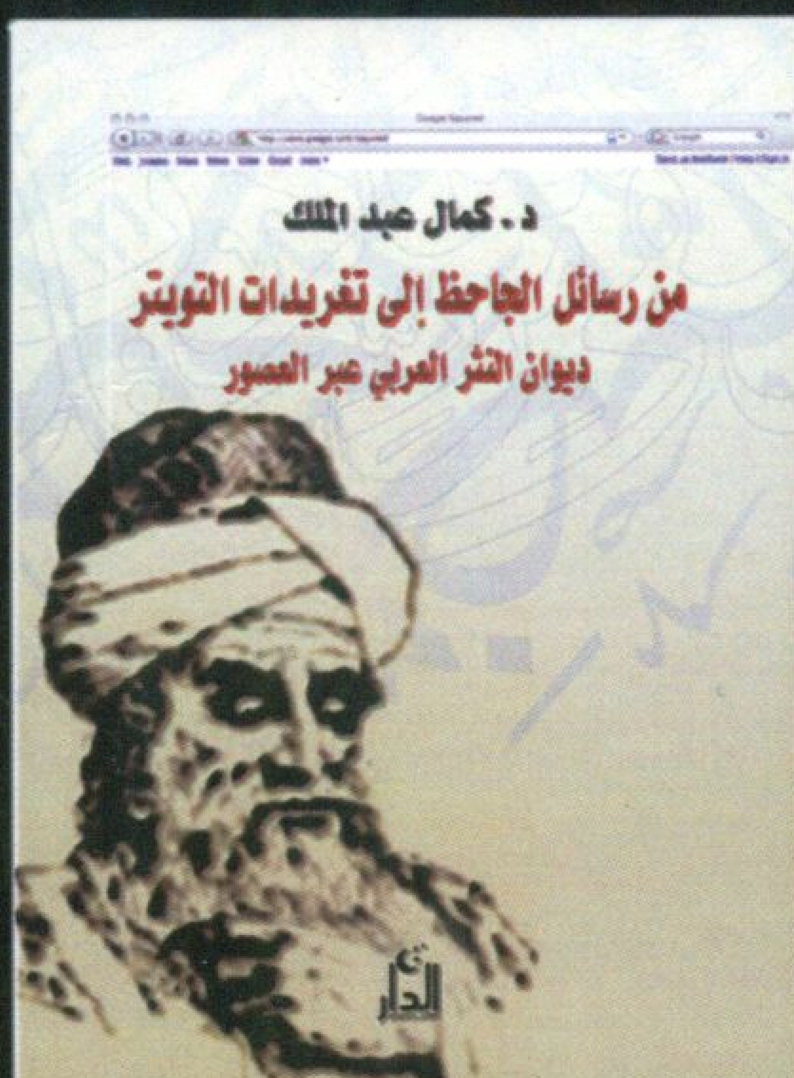
"Egypt's Changing Attitudes towards Israel," *Middle East Focus*, 5, no. 1 (May 1982), pp. 17-22.

Translations:

"The December Flower," poem by the noted Palestinian poet Fadwa Tuqan in *Scheherazade's Sisters, Shahrayar's Brothers: An Anthology of Arabic Literature Since 1950.* Special issue of *Paintbrush* Vol. xxviii pp. 211-212.

"Iman Mersal: Egypt's Postmodern Poet" in *Scheherazade's Sisters, Shahrayar's Brothers,* pp. 185-187.

"New York '80" an excerpt from the novella by Yusef Idris, co-translated with Charles Khoury in *Scheherazade's Sisters, Shahrayar's Brothers,* pp. 363-367.



د. كمال عبد الملك

من رسائل الجاحظ إلى تغريدات التويتر

ديوان النثر العربي عبر العصور

الدار
للنشر والتوزيع